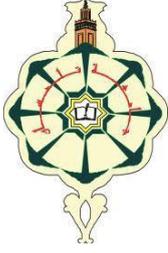


الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي



جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان -  
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية  
قسم التاريخ



## الأمير عبد القادر الجزائري في كتابات الفرنسيين إبان القرن التاسع عشر

أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه - ل.م.د- في تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1962

إشراف:

أ.د معمر لعاب

إعداد الطالب:

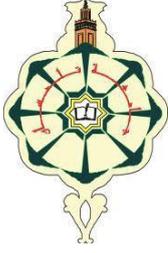
محمد دراغو

لجنة المناقشة:

رئيسا	جامعة تلمسان	أستاذ التعليم العالي	أ.د مصطفى حجازي
مشرفا ومقررا	جامعة تلمسان	أستاذ التعليم العالي	أ.د معمر لعاب
مناقشا	جامعة تيارت	أستاذ التعليم العالي	أ.د ودان بوغفالة
مناقشا	جامعة وهران 1	أستاذ التعليم العالي	أ.د عابد سلطانة
مناقشا	جامعة سيدي بلعباس	أستاذ التعليم العالي	أ.د محمد مكحلي
مناقشا	جامعة تلمسان	استاذ محاضر - أ-	د عبد الرحمن بن بوزيان

السنة الجامعية: 1444-1445 هـ / 2022-2023 م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي



جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان -  
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية  
قسم التاريخ



الأمير عبد القادر الجزائري  
في كتابات الفرنسيين إبان القرن التاسع عشر

أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه - ل.م.د- في تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1962

إشراف:

أ.د معمر لعاب

إعداد الطالب:

محمد دراغو

لجنة المناقشة:

رئيسا	جامعة تلمسان	أستاذ التعليم العالي	أ.د مصطفى حجازي
مشرفا ومقررا	جامعة تلمسان	أستاذ التعليم العالي	أ.د معمر لعاب
مناقشا	جامعة تيارت	أستاذ التعليم العالي	أ.د ودان بوغفالة
مناقشا	جامعة وهران 1	أستاذ التعليم العالي	أ.د عابد سلطانة
مناقشا	جامعة سيدي بلعباس	أستاذ التعليم العالي	أ.د محمد مكحلي
مناقشا	جامعة تلمسان	استاذ محاضر - أ-	د عبد الرحمن بن بوزيان

السنة الجامعية: 1444-1445 هـ / 2022-2023 م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



# إهداء

إلى الوالدين الكرمين حفظهما الله  
إلى شهداء الحرية  
في الجزائر الطيبة وفلسطين المباركة

إلى هؤلاء أهدي هذا العمل

# شكر وعرّفان

الحمد لله والشكر لله

شكري وعرّفاني الخالصين إلى الأستاذ معمر العايب  
وإلى أساتذة قسم التاريخ بجامعة تلمسان وفريق مخبر الدراسات الحضارية  
والفكرية كل باسمه ومقامه  
وكل من أمدني بيد العون جازاه الله خير جزاء

# مقدمة

يتفق رواد الدراسات التاريخية الجزائرية على حقيقة واحدة وهي ضرورة إعادة كتابة التاريخ الوطني بشكل عام وتاريخ الأعلام الوطنية بشكل خاص، كتابة وطنية أكاديمية يلتزم فيها الباحث بمنهج البحث العلمي الرصين، الكفيل بإعادة بناء تاريخنا الوطني وإزالة التشويه والتحريف الذي طال الجزائر وطنا ومجتمعنا من طرف كم غير يسير من الكتابات الفرنسية المغرضة، ومن الموضوعات التي مسها التشويه ولازالت تحتاج إلى إعادة قراءة جديدة متجددة لأحداثها موضوع الأمير عبد القادر ودوره كقائد للمقاومة ومؤسس لدولة الجزائرية.

**فالأمير عبد القادر الجزائري** من القلائل الذين عرفتهم الجزائر على الأقل في القرنين الماضيين كرائدا سياسيا وعسكريا وشاعرا ومتصوفا اجتمعت فيه كل صفات القيادة. وظلت وستظل هذه الشخصية معلما راسخا في تاريخنا الوطني للفترة المعاصرة كونها ارتبطت بحقبة الاستعمار الفرنسي، لذا نجد كما هائلا من كتابات الفرنسيين أرخت له سواء كشخصية معلمية شاهدة على فترة حساسة من تاريخنا الوطني أو ضمن التاريخ العام للجزائر، فضلا عن الكتابات العربية وغيرها التي شكلت مكتبة متكاملة الجوانب حول حياة وتراث الأمير عبد القادر.

ضمن هذا التصور جاء اختياري لموضوع الدراسة الموسومة بـ: "الأمير عبد القادر الجزائري في كتابات الفرنسيين إبان القرن التاسع عشر"، كموضوع بحث وهذا للوقوف على أهمية هذه الكتابات من حيث مضامينها وتفسيراتها للتاريخ السياسي والفكري للأمير والعسكري على وجه الخصوص، ومن ثم قراءة وتحليل الطرح الاستعماري للتاريخ الوطني وأعلامه وبشكل خاص ما تعلق بحياة ومواقف الأمير عبد القادر الجزائري السياسية والعسكرية والفكرية على اعتباره رمزا قويا من رموز المقاومة الشعبية (17 سنة من المقاومة وجهاد).

تمكننا الكتابات الفرنسية حول الأمير من رصد وتتبع الأحداث المتعلقة بحياة الأمير عبد القادر، وإعادة قراءة هذه الكتابات وما تحتويه من مادة خبرية حول الأمير عبد القادر تسمح لنا بإعادة كتابة تاريخ هذه الشخصية المحورية، المواكبة لنشأة الإمبراطورية الفرنسية خلال القرن 19م، فمجملة هذه الكتابات (المصادر) عايشة فترة الأمير عبد القادر (1808-1883) وأعطت صورة حول شخصية الأمير بتفاصيلها وجزئياتها من منظور فرنسي استعماري.

## أهمية موضوع البحث

يكتسي موضوع الأمير عبد القادر في الكتابات الفرنسية إبان القرن 19م أهمية خاصة على اعتبار أن الأمير شخصية محورية في تاريخ الجزائر المعاصر وارتباطها بالكثير من الأحداث خلال فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر، فحجم هذه الكتابات الغزير يدل على المكانة الكبيرة التي حظي بها الأمير عبد القادر عند الفرنسيين أثناء المقاومة أو في الأسر وكذلك في المنفى. وفي هذا السياق يمكن أن أسوق لفئة بسيطة تبرز أهمية موضوع البحث إذ نجد إحدى المؤلفات وهو "وشاح الكتائب" بعضهم ينسبه للأمير، حرره كاتب الأمير قدور بن رويلة وقد يكون من إلماء الأمير، يحوي التنظيمات العسكرية التي أقامها الأمير عبد القادر لفرقه النظامية، ولأهميته ظل هذا المؤلف محل دراسة وترجمة من طرف الفرنسيين ما يتجاوز قرنا من الزمن، خضع فيها على الأقل لست ترجمات منذ سنة 1843 للمترجم العسكري روزتي Rosetty بالمدينة، إلى سنة 1889 من طرف باتوني Patoni لصالح بول أزان Paul Azan، والسنة التي يليها ثم عدة إصدارات مع مطلع القرن العشرين.

وقد عمد الفرنسيون إلى توجه جديد في كسب ود وصداقة الأمير عبد القادر بما يخدم مصالحهم السياسية والاقتصادية، ومحاولة تبني إنجازات الأمير عبد القادر الفكرية بما يعزز هذا الطرح، إذ نجد غوستاف دوقا Gustave Dugat الأول الذي روج أن الأمير موروث فرنسي وقام بترجمة كتاب "ذكرى العاقل وتنبية الغافل" سنة 1857 حيث يقول في مقدمته: "أن كتابات كثيرة اشتغلت عن الأمير عبد القادر السياسي والمحارب، ولا يجب أن تشغلنا كثيرا، لأن الأمير الفيلسوف العالم هو ملكٌ لنا أي نحن الفرنسيين وسيكون من المفيد وفي صالحنا التعريف به من جديد على هذا الوجه".

كما أخذت الدراسات التاريخية تتوسع باتجاه الحاضر وتتطلع إلى المستقبل، أو ما يعرف ب"التاريخ الاستشراقي". وإن الأمير عبد القادر الجزائري يمتد في المكان ليسع الجزائر والمغرب العربي وفرنسا والدولة العثمانية وبلاد الشام بل إلى العالم فمثلا نجد في الولايات المتحدة الأمريكية مدينة الأمير الجزائري وجمعية تحمل اسمه، ويمتد في الزمان ليعانق القرن التاسع عشر بأكمله. ثم يزداد موضوع الأمير عبد القادر أهمية تحديدا كلما زاد التقريب والتمحيص في مؤلفات الفرنسيين ونحن على مشارف عقد من المثوية الثانية لمبايعة الأمير عبد القادر

إذ تجد المؤرخين الفرنسيين المعاصرين يدرسون شخصية الأمير عبد القادر ضمن ملف "صناعة الذاكرة" *La fabrique de la mémoire* يرصدون معها المتغيرات المغاربية، وهذا التوجه الجديد في الدراسات ينم عن فرق جلي، عكس الدراسات المتعلقة مثلاً بـ "البحث في الذاكرة"، وتعد له الملتقيات مثل الذي عقد في بواتييه **Poitiers**، أيام 20 و 21 أكتوبر 2022، والذي تطرق إلى مسألة الذاكرة من زاوية بنائها الاجتماعي وكان الهدف منه فحص الأساليب المعتمدة في تشكيل الذاكرة على ضوء العلوم الإنسانية والاجتماعية.

ويمكن الرجوع في هذا المضمار إلى أعمال فرانسوا بويو **François Pouillon** و **وجاك فريمو Jacques Frémeaux** و **برونو إتيين Bruno Étienne** ومن قبلهم **بول أزان Paul Azan** و **إيميريت مارسال Emerit Marcel** وغيرهم عن الأمير عبد القادر، والتي من شأنها أن تكون أطروحة جديدة ومكتملة: الأمير عبد القادر الجزائري في كتابات الفرنسيين إبان القرن العشرين الميلادي، والملاحظ يرى أن الفرنسيين تحديداً قد توارثوا الكتابة عن الجزائر والأمير عبد القادر.

ومن شأن موضوع البحث الأمير عبد القادر في كتابات الفرنسيين أن تتشعب عنه عدة دراسات أخرى مثل الأمير في الصحافة الفرنسية، الأمير في الأدب الفرنسي، فضلا عن الرسائل الكثيرة، والأرشيفات... الخ. فالبحث حول تاريخ الأمير لا زال متاحا على إلهام الباحثين والدارسين بمواضيع عديدة ومتنوعة لسنين طويلة. يقول عنه ممدوح حقي في مقدمة ديوان الأمير ما أظني موفيه حقه ولو كتبت عنه مجلدات، فعبد القادر ليس من الرجال العاديين بل هو مجموعة من قوى متدفقة، لو وزعت على مئات من الرجال لأغنتهم بالحيوية والإيمان والذكاء والألمعية. ونورد شهادة **إيلي كلوك Elie klock** "سنكررها مرة أخرى للذين يعلمون، ونعلمها للذين مازالوا يجهلون من هو القائد عبد القادر، إنه الاسم الذي يتردد على كل لسان". وكذلك شهادة **ريتشارد كورتومبير Richard Cortambert** "إذا كانت فرنسا تأسف على شيء، فلتأسف عليه لأنها لن تجد من أبنائها من يتصف بخصاله".

كما نجد عددا هاما من المكتبة الأميرية بعشرات الألاف من الكتب أرخت للأمير عبد القادر سواء باللغة العربية أو باللغات الأجنبية في مقدمتها تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر لابنه محمد، السيرة الذاتية أو مذكرات الأمير عبد القادر، ديوانه الشعري،

ومن الإنجليز شارل هنري تشرشل حياة الأمير عبد القادر ومذكرات الكلونيل اسكوت وسكاون ولفريد بلنت صقر الصحراء، والهولندي دينزن، ابن عودة المزابي طلوع سعد السعود، الشقراني الراشدي القول الأوسط في أخبار بعض من حل بالمغرب الأوسط، وكثير من مؤرخي العرب ابي القاسم محمد الحفناوي، محمد بيرم الخامس التونسي، عبد المجيد الخاني، عبد الرزاق البيطار، محمد جميل الشطي، أديب حرب التاريخ العسكري والإداري لأمير عبد القادر.

وكذلك كثيرا من الكتاب والمؤرخين الجزائريين أمثال أبو القاسم سعد الله ضمن مؤلفاته أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، محاضرات في تاريخ الجزائر، تاريخ الجزائر الثقافي والحركة الوطنية الجزائرية. ناصر الدين سعيديوني عالم القرن التاسع عشر عصر الأمير عبد القادر وورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، يحي بوعزيز الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري ومراسلات الأمير عبد القادر مع اسبانيا وحكامها العسكريين بمليبية، إسماعيل العربي المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر ومعركة سيدي إبراهيم ، محمد الشريف الساحلي الأمير عبد القادر فارس الإيمان وتخليص التاريخ من الاستعمار، والأميرة بديدة الأمير عبد القادر الجزائري حياته وفكره، سليمان عشارتي الأمير عبد القادر المفكر، عبد الحميد بن اشنهو الدولة الجزائرية في 1830 مؤسساتها في عهد الأمير عبد القادر، فوزي أوصديق النظام الدستوري الجزائري دولة الأمير عبد القادر، محمد بشير بويجرة الأمير عبد القادر رائد الشعر العربي الحديث.

وأخيرا الأستاذ الباحث من جامعة باتنة يوسف مناصرة مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب ودراسات وأبحاث في المقاومة والحركة الوطنية الجزائرية هذا المؤلف الأخير كان نقطة بداية مسار هذا البحث إذ أنه أفرد في جزء منه ورقة بحث حول "الأمير عبد القادر في الكتابات الفرنسية" ورصد فيها قائمة لمؤلفات الفرنسيين التي تناولت حياة الأمير عبد القادر، عدت منطلقا لبحثنا هذا.

فضلا عن كثير من الدراسات الجماعية المتخصصة للمخابر البحثية والمكتبات والمؤسسات مثل مؤسسة الأمير عبد القادر، والأطروحات الجامعية نخص بالذكر بن يوسف تلمساني "الموسومة ب" الطريقة التجانية وموقفها من الحكم المركزي بالجزائر (الحكم العثماني- الأمير عبد القادر-الإدارة الاستعمارية)1782-1900" مذكرة ماجستير للطالبة كريمة

حرشوش "جرائم الجنرالات الفرنسيين ضد مقاومة الأمير عبد القادر في الجزائر من خلال أدبياتهم 1832-1847 نماذج" وكذلك مذكرة ماجستير علاق محمد "الأمير عبد القادر في كتابات العسكريين الفرنسيين"، وهي دراسات مهمة غير أنها ركزت على العسكريين والمقاومة تحديدا. وأطروحة شيخي خديجة "المقاومة الثقافية في فكر الأمير عبد القادر الجزائري" والتي ركزت على مؤلفاته تحديدا، ومقالات متنوعة بالأخص مجلة الثقافة الجزائرية، والمجلة الإفريقية.

### دوافع اختيار الموضوع

هناك دوافع عديدة كانت وراء اختيار هذا الموضوع وحفزتني على خوض غمار البحث في تفاصيله ومنها الرغبة الجامحة لإعادة اكتشاف سيرة الأمير عبد القادر بعدما كانت لي تجربة في مرحلة الماستر من خلال اعداد مذكرة تخرج حول: شخصية الأمير عبد القادر في مؤلف ليون روش "عشر سنوات في الإسلام" بتوجيه سديد وموفق من الأستاذ المشرف، كما ازداد تعلقي بالموضوع نظرا للكّم الهائل من الدراسات الفرنسية التي تناولته ولا زالت إلى حد الساعة تثري المكتبات الفرنسية أو بالأحرى وجهة النظر الفرنسية في الأمير عبد القادر، بالمقابل تبقى الدراسات الوطنية قليلة.

ومما زاد تمسكي بالموضوع استقرار مؤلفات الفرنسيين ومقابلة بعضها ببعض، والرجوع إلى البحث التاريخي المتعلق بهذا الموضوع، وهذا كفيل بتقديم رؤية واضحة لأهمية هذه الشخصية ووزنها السياسي والعسكري والاستراتيجي والأدبي الفني وكذا التاريخي، على المستويين الوطني والعربي، وحتى العالمي.

### إشكالية البحث:

تتمحور اشكالية البحث " موضوع الأمير عبد القادر الجزائري في كتابات الفرنسيين إبان القرن التاسع عشر ميلادي"، كيف عالجت كتابات الفرنسيين من حيث حجمها وكُتابها وطابعها والتقاطعات الموجودة فيها ومجالات اهتماماتهم المتعلقة بحياة ونشاط الأمير أثناء المقاومة وفي المنفى، وإلى أي مدى عكست كتابات الفرنسيين الأحداث في تلك الفترة؟ وطرح الاشكالية بهذا الشكل هو محاولة لإعادة قراءتها ودراستها من كل الجوانب الممكنة وتحديد موضوعاتها والتساؤلات المتفرعة عنها على شاكلة:

- هل الكتابات الفرنسية عن الأمير هي امتداد للكتابات الفرنسية حول الجزائر قبل الاحتلال؟
- ما هو حجم الكتابات الفرنسية حول الأمير عبد القادر خلال القرن 19م؟
- كيف رسم الفرنسيون شخصية الأمير عبد القادر في كتاباتهم إبان القرن التاسع عشر؟
- ماهي دوافع اهتمام الفرنسيين بالأمير عبد القادر؟ وما موقف فرنسا من الأمير عبد القادر؟
- كيف حاولت فرنسا استغلال الأمير عبد القادر لصالح مشاريعها التوسعية والاقتصادية؟
- طبيعة الدولة التي أسسها الأمير عبد القادر والجهود التي بذلها في توحيد الشعب الجزائري تحت سلطته؟
- توجهات وطروحات كتابات الفرنسيين مع مؤلفات الأمير عبد القادر؟
- بماذا تميزت مواقف الأمير عبد القادر بشأن أحداث الشام؟ وردود الفعل الفرنسية عليها؟
- كيف عالجت هذه الكتابات مرحلة العزلة والتصوف؟

### خطة البحث:

إن محاولة الإجابة عن هذه التساؤلات ذات الأهمية التاريخية البالغة بحاجة إلى خطة منهجية تضمنت: مقدمة ومدخلا وستة فصول وخاتمة ومجموعة من الملاحق ذات الصلة المباشرة بموضوع البحث، وقائمة متنوعة من المصادر والمراجع باللغتين العربية والأجنبية.

ففي المدخل المعنون بـ **الجزائر في كتابات الفرنسيين قبل الاحتلال** حاولنا إعطاء فكرة عن الجذور التاريخية لبعض كتابات الفرنسيين عن الجزائر قبل 1830 وهي في مجملها لسفراء، تجار، أسرى، رجال دين وأخيرا جواسيس حلوا بالجزائر أمثال لورو دارفيو ومؤلفه مذكرات الفارس دارفيو سنة 1735، رونودوت الجزائر لوحة عن مدينة الجزائر وضواحيها الحالة التجارية وقواتها العسكرية سنة 1782، فونتور دي بارادي الجزائر في القرن الثامن عشر سنة 1789، ايف فانسان بوتان نظرة تاريخية، احصائية وطبوغرافية عن دولة الجزائر سنة 1808، دوبوا تانفيل الجزائر في 1802 القطعة المدهشة سنة 1815، وأخيرا توماس

قيوم راينال التاريخ الفلسفي والسياسي للمصالح التجارية للأوروبيين في افريقيا سنة 1826 وهم نماذج من الذين كتبوا عن الجزائر خلال العهد العثماني وأعيد نشر آثارهم القديمة عن الجزائر عشية الاحتلال باللغة الفرنسية، مع الإشارة إلى كتابات بعض الأوروبيين أمثال فراي دييغو دوهايديو ومؤلفاته الثلاث الأسر في الجزائر، طبوغرافيا والتاريخ العام للجزائر وأخيرا تاريخ ملوك الجزائر سنة 1612، ولوجيي دي تاسي تاريخ مملكة الجزائر سنة 1724.

واشتمل **الفصل الأول** الذي حمل عنوان **تقرير إحصائي كمي لكتابات الفرنسيين خلال القرن 19م عن شخصية الأمير عبد القادر**. في العنصر الأول على تقديم حجم كتابات الفرنسيين مع دواعي انتقاء بعض الكتابات بالدراسة مع عرض جدول كمي فيه جرد واحصاء لكتابات الفرنسيين في القرن التاسع عشر ميلادي (180 عنوانا) تناولت شخصية الأمير عبد القادر، وأرفقنا بالملاحق نسخة لجميع هذه الكتابات محفوظة في قرص DVD على صيغة PDF يمكن الرجوع إليها. وفي العنصر الثاني إنجاز مخطط بياني عن حجم كتابات الفرنسيين (عينة شملتها الدراسة) وتوزعها الزمني على مدار القرن التاسع عشر ميلادي (1830-1900) على شكل منحني بياني، والتي جاءت على ثلاث مراحل متباينة لكل منها خصوصيتها سواء في رواج هذه الكتابات أو ندرتها.

وفي العنصر الثالث ركزنا على توزع هذه الكتابات بين الذكور والإناث إبان القرن التاسع عشر ميلادي، كانت حصة النساء لأربع كتابات هن **أنطوانيت جوزفين فرانسواز آن دروهوجسكا Antoinette-Joséphine-Françoise-Anne Drohojowska**، **سيلين فالي Céline Fallet**، **كلارا فيال دي بتييني Clara Filleul de Pétigny**، **روث شارلوت صوفي دي كستلان Sophie De Castellane** وتندرج كتاباتهن التاريخية عموما ضمن أدب الرحلة أو رحالة أو ذات صبغة ثقافية تستهدف تكوين الشبيبة، لكن في معظمها يغلب عليها الطابع الديني المسيحي أو المغالاة بالافتخار بالقومية الفرنسية والتاريخ الروماني مما حاد بها عن العمل التاريخي الموضوعي. لكن ابنة الماريشال **صوفي دي كستلان** فمؤلفها يعد ذخيرة أرشيفية وثقت لمجموعة من الرسائل تبادلها والدها مع كثير من الضباط الذين عملوا بالجزائر.

وعالجنا في العنصر الرابع تبيان السيرة المهنية للكتاب الفرنسيين خلال القرن التاسع عشر ميلادي سواء عسكريين، مؤرخين، أدباء، رجال الدين، سياسيين، أطباء وصيادلة،

صحفيين، رحالة، أساتذة التاريخ، إداريين ومحامين. وللسيرة المهنية بصمتها الواضحة في التشابه والاختلاف في كتابة تاريخ الجزائر عموماً والأمير عبد القادر على وجه الخصوص، وفي نقل بعض الحقائق والوقائع، وكذلك في ازدواجية الخطاب لدى الكاتب الواحد، والانصاف من بعضها الآخر، والنسج على شاكلة واحدة لكوكبة من الكتاب في نقل الوقائع وموقفهم منها. ويستشف من السيرة المهنية كذلك عن صراع خفي ومحموم لا تتناوله الكتابات الفرنسية قديماً أو حديثاً وتحاول تجاهله إلا النزر القليل منها، بسطو بعض الكتاب عن أجزاء من مؤلفات غيرهم من الكتاب لدرجة أن يحتال أحدهم على زميله فيعيد إصدار مؤلف بأجمعه باسمه الخاص وعنوان مغاير.

وانتهيت بمحاولة رسم خريطة توضيحية تظهر التوزع الجغرافي للكتاب الفرنسيين من حيث أصولهم مبرزين المناطق الفرنسية الأكثر استحواذاً على الكتابات التاريخية، والتي مارست نوعاً من الهيمنة الثقافية على كل فرنسا، وترجع نسبة أكثر من 18% إلى أصول باريسية لوحدها في حين باقي مناطق فرنسا بنسبة أكثر من 37% وهي نفس نسبة الكتاب مجهولي مدينة الميلاد (مكان ولادتهم) وتسعة كتاب من خارج فرنسا منهم اثنان ولدوا بالجزائر، وعلى العموم فالناحية الباريسية تستأثر بحصة الأسد إذ نجد باريس (مدينة النشر) لوحدها تصدر ما يفوق 70% من مجموع كتابات الفرنسيين.

أما **الفصل الثاني** فجاء بعنوان عرض وتقديم كتابات الفرنسيين مرحلة المقاومة (1830-1847) منها مؤلفات السياسي البرلماني **أميدي ديسجوبير Amédée Desjobert**، والعسكري صاحب المعاهدة التي عرفت باسمه **لويس أليكسس دي ميشال Louis Alexis Desmichels**، والمترجم العسكري **لويس فلبير برين دوبينيوسك Brun L-P D'Aubignosc**، والصحافي الفيلسوف الاقتصادي **أوجين بوري Eugène Buret**، وعراب الاحتلال وبنك معلوماته الضخم **أدريان بيربروجر Adrien Berbrugger**، وغريم بوجو والمتمرد على قادة الاحتلال **أميدي هيبوليت بروسارد Amédée Hippolyte Brossard**.

وفي **الفصل الثالث** ركزت على عرض وتقديم كتابات الفرنسيين في مرحلة الأسر والمنفى (1848-1883) تطرقنا فيها إلى كتابات عُضْوِي اللجنة العلمية لاكتشاف الجزائر **أرنست كاريت وأوغست وارنيي Ernest Carette & Auguste Warnier** قدما فيها التركيبة البنيوية

للمجتمع الجزائري في عهد الأمير عبد القادر، على أساسها تم إنجاز خريطة للمقاومة بالملاحق، ومؤرخ الاحتلال إدموند بيليسي دي رينو Edmond Pellissier de Reynaud ، والمفكر والمؤرخ والصحفي لويس بلان Louis Blanc ، ومؤرخ سيرة الأمير عبد القادر في القرن التاسع عشر العسكري ألكس بلمار Alex Bellemare ، ولسان حال جمعيات عصبة المال والسياسة ونهب عقار الجزائريين لويس بليستروس Luis Ballesteros ، والجغرافي والرسام ريتشارد كورتويبير Richard Cortambert ، وصاحب السرد الشعبي والمرويات أندري ليونس André Léonce .

أما الفصل الرابع والمعنون ب: عرض وتقديم كتابات الفرنسيين من وفاته إلى نهاية القرن (1883-1900) افتتحناه بمؤلف المترجم العسكري وسكرتير الأمير عبد القادر الجاسوس ليون روش Léon Roches ، والعسكري من صنع سجله الحافل بالجزائر ليتقلد وزارة الحربية فرانسوا شارل دي برال François-Charles Du Barail ، والسفير المقاول مهندس ومصمم قناة السويس المصرية فرديناند دي ليسبس Ferdinand De Lesseps ، والناسخ لما كتبه بلمار جول بيشون Jules Pichon ، والكاتب الروائي أندري بيرتي André Berthet .

الفصل الخامس تناول موضوع شخصية الأمير عبد القادر في كتابات الفرنسيين خلال القرن 19م أبرزت في العنصر الأول النشأة التربوية والاجتماعية للأمير عبد القادر، والعنصر الثاني ملامح شخصية الأمير عبد القادر، أما العنصر الثالث التمسك بمبادئ الشريعة الإسلامية مدعاة للتعصب الديني في نظر الكتابات الفرنسية خلال القرن 19م، أما العنصر الرابع فقد تطرقت فيه إلى رد المؤرخين على آراء الكتابات الفرنسية حول الأمير عبد القادر، وفي الأخير عالجت فيه أهداف وغايات الأمير عبد القادر من حصار عين ماضي مبرزين فيه الضرورة الشرعية والسياسية للحصار والدور الفرنسي في الصراع خصوصا ليون روش وعواقبه كما رصدته كتابات الفرنسيين.

وعن الفصل السادس فتناول موضوع مؤلفات الأمير عبد القادر في كتابات الفرنسيين خلال القرن 19م، خصصناه لفكره وآثاره المعرفية، أبرزنا فيه جميع مؤلفات الأمير، الأول منه تناول الأمير عبد القادر شاعرا، أما العنصر الثاني تناول مذكرات الأمير عبد القادر "سيرة ذاتية" كتبها في السجن سنة 1849، فالثالث خصصناه لذكرى العاقل وتنبيه الغافل،

أما الرابع لـ المقرض الحاد لقطع لسان منتقص دين الإسلام بالباطل والإلحاد، فمؤلفه الموسوعي في رحاب المواقف. وعالجت في العنصر الأخير التعليم في اهتمامات الأمير عبد القادر مبرزين فيه رسوخ الفعل التعليمي لدى الأمير والتعليم في دولته والتنوع الثقافي الغائب بتكوين مترجمين عرب ومكتبة الأمير ودورها التربوي.

وبعد الخاتمة الاستنتاجية، حاولنا تدعيم الدراسة بملاحق متنوعة منها خرائط وصور مهمة وغيرها.

### المنهج المتبع في البحث:

إذا كان البحث يرتكز بالأساس على المنهج التاريخي نظرا لخصوصيته فقد حاولت أيضا الاعتماد على مقارنة إحصائية في جرد المادة التوثيقية من مصادر أرخت للأمير عبد القادر خلال القرن 19م، ومقاربة وصفية في عرض الوقائع والأحداث التاريخية، ثم مقاربات تحليلية استقرائية لتحليل المادة التوثيقية وحاولت توظيفها بموضوعية علمية خاصة أن مصادر الموضوع في أغلبها عبارة عن كتابات عايشت الحدث.

### المصادر الأساسية للموضوع:

مثلت المصادر الفرنسية لمؤلفات فرنسيين العمود الفقري للمادة العلمية للموضوع، وقد تلتها الكتب والدراسات الأكاديمية، والمقالات العلمية المنشورة في الدوريات والمجلات العلمية والمجلات الالكترونية المحكمة، إضافة إلى الرسائل الجامعية، والقواميس والموسوعات، كما استندت من بعض المواقع الالكترونية خصوصا **BNF gallica** وهو الموقع الالكتروني للمكتبة الوطنية الفرنسية رقمية تتيح للباحثين تصفح عديد المصادر سيما منها تلك التي تتعلق بالجزائر المستعمرة، وتسمح للمتصفح تحميل الوثائق كليا أو جزئيا حسب حقوق النشر وتوفر للطلبة الباحثين انشاء مكتبة خاصة بهم.

ومن أهم المصادر نجد مذكرات القادة السياسيين والعسكريين الذين عاصروا المرحلة وكانوا صناع أحداثها منها **Annales Algériennes** لـ **بيليسي دي رينو** و**Edmond Pellissier de Reynaud** في أجزاءه الثلاثة والذي يعد مصدرا أساسيا لا يمكن تجاوزه خصوصا أنه يغطي مرحلة الاحتلال إلى انتهاء مقاومة الأمير عبد القادر، ثم **وهران**

تحت قيادة الجنرال دي ميشال **Oran sous le commandement du général Desmichels** لصاحبه لويس ألكسيس دي ميشال **Louis Alexis Desmichels** وهو من المصادر المهمة لارتباط هذه الشخصية بالأحداث المباشرة والأولى مع الأمير عبد القادر ومجريات المعاهدة التي تسمت باسمه. أما كتابات اثنان وثلاثون سنة في الإسلام **Trente-deux ans à travers l'Islam (1832-1864)** في جزئين والآخر عشر سنوات في الإسلام **Dix ans à travers l'Islam 1834-1844**، لمؤلفه ليون روش **Léon Roches** له خصوصية هامة من ناحيتين الأولى كونه أصبح السكرتير الشخصي للأمير عبد القادر ومطلع على تفاصيل دولة الأمير وأدى أدوارا مهمة في سياسته العسكرية خصوصا في حصار عين ماضي ومن ناحية أخرى اعتمده كل المؤرخين الفرنسيين من بعده. ومؤلفات أميدي هيبوليت بروسارد **Amédée Hippolyte Brossard** "مزيج عن افريقيا" **Mélanges sur l'Afrique** و"اثنان وثمانون يوما في قيادة مقاطعة وهران" **Quatre-vingt-deux jours de commandement de la province d'Oran**

وكاتب سيرة الأمير عبد القادر ألكس بلمار **(Alexandre) Alex Bellemare** والتي عدت مرجعا لجميع الفرنسيين من بعده في مؤلفه عبد القادر حياته السياسية والعسكرية **Abd-el-Kader, sa vie politique et militaire**. وكذلك من الكتابات التي كانت تُنظَرُ للاحتلال ولها اطلاع على الدراسات الشرقية الجزائر من الاحتلال إلى الوقت الحاضر **Alger, De son occupation depuis la conquête en 1830, jusqu'au moment actuel, Appel au public impartial** للمترجم العسكري برين دوبينيوسك **Brun L-P D'Aubignosc**، يشدد فيه على نقد كلوزل، ويعترض على عقد اتفاق مع الزعماء الوطنيين وبالأخص الأمير عبد القادر، وكارلوس بوفيل **Carlos Bouville** ومؤلفه "فرنسا والجزائر" **France et Algérie** برعاية وزارة المستعمرات يقدم مفاتيح إخضاع الجزائريين والقضاء على كيان القبيلة واثارة النعرات الطرقية. ومن كتابات السياسيين أميدي ديسجوبير **Amédée Desjobert** ومؤلفاته المسألة الجزائرية **La Question d'Alger** وكذلك الجزائر في سنة 1838، 1844، 1846 **L'Algérie en 1838** منتقدا السياسة الفرنسية في تأجيج الدمار القاتل والهديان الجامح لو أنجز له جدول فسيطول سرده يقدم وثائق تدين الاحتلال، ويفرد حيزا للسياق التاريخي للروح المتقدة

لدى الجزائريين في مقاومة الفرنسيين، وإن كان يعالج موضوع الاحتلال ضمن منظور مصالح فرنسا الاقتصادية والعسكرية وألا تتضرر صورتها الحضارية.

وتعتبر مؤلفات **فرديناند دي ليسبس Ferdinand De Lesseps** ذكريات أربعين سنة **Souvenirs de quarante ans** وكذلك **لويس بليستروس Luis Ballesteros** الأمير عبد القادر والجزائر **L'émir Abd-el-Kader et L'Algérie** نماذج لمؤلفات الدوائر السياسية والمالية في استغلال الأمير عبد القادر لصالح المصالح الاقتصادية لفرنسا، ولا تتحرج من إصدار كثير من الرسائل زورا باسم الأمير عبد القادر تنفيذا لمشاريعها بالجزائر والبلاد العربية.

وكتابات الأدباء والفنانين منها التي أرّخت لأحداث الشام "مغامرات فنان بلبنان" **Aventures d'un artiste dans le Liban** لصاحبه **ريتشارد كورتوبير Richard Cortambert**، **أندري بيرتي André Berthet** في مؤلفه "امرأة القائد، حلقة من حروب إفريقيا 1837-1848" **La femme du Kaïd, épisode des guerres d'Afrique 1837-1848**، **هيرماس بيرتروند Hermès Bertrand** مؤلفه "الزماله" **La smalah**.

ومما وصلنا من مؤلفات المؤرخين والصحافيين نجد أعمال **لويس بلان Louis Blanc** شارك بقلمه في التأريخ للثورة الفرنسية، وكذلك مؤلفه محل الدراسة "تاريخ عشر سنوات 1830-1840" **Histoire de dix ans (1830-1840)** في تشريح دقيق للنظام السياسي الفرنسي، وسياقات الاحتلال الفرنسي للجزائر، وقيام الأمير عبد القادر وحروبه مع الفرنسيين. ومؤلف **أوجين بوري Eugène Buret** "مسألة إفريقيا، الاحتلال المزدوج للجزائر بالحرب والاستعمار" **Question d'Afrique, De la double conquête de l'Algérie par la guerre et la colonisation** وكتابه يمثل نموذجا متكررا لكثير من كتاب وأدباء القرن التاسع عشر الذي يسعى لسعادة ورفاهية العنصر الأوروبي المشدود إلى الثقافة والقيم الأوروبية دون سواها. والمؤلف **أندري ليونس André Léonce** "حملات إفريقيا" **Les Campagnes d'Afrique**. وكذلك **أدريان بيربروجير Adrien Berbrugger** ومؤلفاته "وقائع حملة معسكر" **Relation de l'expédition de Mascara, Voyage au camp d'Abd-el-Kader, à Hamzah et aux montagnes de Wannourhah**، "رحلة إلى معسكر الأمير عبد القادر بحمزة وجبال ونوغة" **(province de Constantine), en décembre 1837 et janvier 1838** وأخيرا "مفاوضات

**Négociations entre Monseigneur " بين السيد أسقف الجزائر وعبد القادر لتبادل الأسرى " .l'évêque d'Alger et Abd el Kader pour l'échange des prisonniers**

كما اعتمدت على مصادر فرنسية أخرى ساعدتني في إثراء الفصول سيما منها الفصل الخامس والسادس: مترجم كتاب "ذكرى العاقل وتنبيه الغافل" لصاحبه غوستاف دوفا **Gustave Dugat**، فليكس مورناند **Félix Mornand** في مؤلفه "حياة العرب" **La vie Arabe** وهو أول من سجل في كتابه وجود نسخة لسيرة الأمير عبد القادر مكتوبة بخط يده حين زاره بسجن أمبواز. أوجين سيفري **Eugène Civry** ومؤلفه "تأبليون الثالث وعبد القادر" **Napoléon III** et **Abd-el-Kader**، بول غفاريل **Gaffarel Paul** ومؤلفه "الجزائر" **l'Algérie**، أشيل فلياس **Achille Fillias** وكتابه "تاريخ الغزو واحتلال الجزائر" **Histoire de la conquête et de la colonisation de l'Algérie (1830-1860)**، كاميل روسي **Camille Rousset** في "الجزائر من 1830 إلى 1840 بدايات الاحتلال" **L'Algérie de 1830 à 1840 : les commencements d'une conquête**، فرديناند فليب أورليانز **Ferdinand-Philippe Orléans** في "سرد لحملات 1833-1841" **Récits de campagne 1833-1841**، أشيل هيبوليت بلان **Achille-Hippolyte Blanc** في مؤلفه الأول "ملاحظات حول مسرح العمليات العسكرية بوسط الجزائر" **Notes sur le théâtre des opérations militaires dans le centre de l'Algérie** والثاني "الجزائر ونظام الدوق روفيغو سنة 1832 لتوطيد الاحتلال" **De l'Algérie, Système du duc de Rovigo en 1832, Moyens d'affermir nos possessions en 1840**، ألفونس ميشال بلان **Alphonse-Michel Blanc** في مؤلفه "ذكريات احد قدماء الزواف" **Souvenirs d'un vieux zouave**، أرسن برتاي **Arsène Berteuil** في "الجزائر الفرنسية" **L'Algérie Française**، فكتور أميدي دوزايد **Victor- Dieuzaide**، لويس جوزيف فرديناند ولسن إستيرازي **Louis-Joseph-Ferdinand Walsin Esterhazy** ومؤلفه "الهيمنة العثمانية على إيالة الجزائر" **Domination Turque dans l'ancienne régence d'Alger**، كورناي تروملي **Corneille Trumelet** وكتابه "تاريخ الانتفاضة في جنوب الجزائر سنة 1864" **Histoire de l'insurrection dans le sud de la province d'Alger en 1864**

فضلا عن المصادر التي ذكرت سابقا في أهمية موضوع البحث ندرج مؤلفات الأمير عبد القادر التي كانت محل دراسة في الفصل السادس: ديوان الأمير عبد القادر الجزائري، مذكرات الأمير عبد القادر، ذكرى العاقل وتنبية الغافل، المقرض الحاد لقطع لسان منتقص دين الإسلام بالباطل والإلحاد، المواقف الروحية والفئوسات السبوحية.

أما عن المراجع فهي جد متنوعة باللغتين الفرنسية والعربية ولغات أخرى وفضلا عن التي ذكرتها سابقا في أهمية موضوع البحث أسوق هنا أهم الكتب المعتمدة والتي استندت منها بصفة خاصة نذكر: كتاب "عبد القادر برزخ البرازخ" **Abdelkader Isthme des isthmes** " لبرونو إتيين **Bruno Étienne**، والمؤلف باحث فرنسي قضى أكثر من عشر سنوات في البحث العلمي متخصص في سيرة الأمير عبد القادر استقاها من الأرشيف الفرنسي وعدة مصادر أخرى وجلى كثيرا سيرته الروحية والصوفية وأشرف كذلك على عديد من الأطروحات في نفس التخصص ونشر الكثير من المقالات والمساهمات العلمية.

كتاب اميريت مارسال **Emerit Marcel** "الجزائر في عهد الأمير عبد القادر" **L'Algérie à l'époque d'Abd-el-kader** " والمؤلف باحث فرنسي كذلك أعاد بالخصوص تفكيك الأساطير التي أرخت لبوجو وبيدقه ليون روش ومقالاته عنهم بالمجلة الإفريقية تقوض كثيرا من مزاعمهم. وكذلك جورج ايفر **Georges Yver** "مراسلات النقيب دumas" **Les correspondances du capitaine Daumas consul de France à Mascara 1837-1839** وهو مرجع مهم خصوصا في فهم مجريات بعض الوقائع منها حصار عين ماضي ول ايفر عدة مقالات عن نشاط الأمير عبد القادر بالمجلة الإفريقية منها علاقة الأمير عبد القادر بالمغرب.

كتاب ناصر الدين سعيدوني "عالم القرن التاسع عشر عصر الأمير عبد القادر" ويليه القول الأوسط في أخبار بعض من حل بالمغرب الأوسط. وهو باحث متخصص أعاد تسجيل سيرة الأمير عبد القادر بروح وطنية، حيث يقول في مؤلفه حتى نتجاوز "عقدة الرفض" يصبح التاريخ الجزائري عبارة عن حلقة متتابعة من الاستعمار ونفي أصالة التاريخ الجزائري وأعماله المجيدة وتحويل تطور التاريخ الذي يعبر عن عبقرية الأمة إلى أعمال أفراد ومجموعات، روجت لها المدرسة الاستعمارية، فتجعل من تسليم الأمير عبد القادر مثلا موقفا مهينا وليس

في سياق ظروف قاهرة ولعوامل خارجية جعلت وضع حد للمقاومة أمرا لا مفر منه، ودون الوقوع في "عقدة الاستيلاّب" الناتجة أساسا عن الاعتماد المفرط على المصادر الغربية وتجاهل البعد الفلسفي لتصور الأحداث بعدم تفهم نفسية الشعب الجزائري وأخذ واقعه الجغرافي ومقوماته الحضارية بعين الاعتبار. ولهذا الباحث أيضا العديد من الاسهامات العلمية، من مقالات ودراسات أكاديمية.

كتاب الشيخ بوعمران ومحمد جيجلي "L'Algérie coloniale par les textes" والذي رد فيه على مزاعم الفرنسيين بتوصيف القومية العربية والمقاومة الوطنية بالتعصب الإسلامي. وكتابين ل محمد الشريف الساحلي رد فيهما على مزاعم الفرنسيين بخصوص الأمير عبد القادر: الأمير عبد القادر فارس الإيمان، وكذلك **Décoloniser l'histoire**

ونضيف على ما تقدم ملتقيات مؤسسة الأمير عبد القادر المطبوعة وهي غنية بإسهامات أقلام وطنية وأجنبية متخصصة منهم: **Abdelali Elamrani-Djamel, Mustapha Cherif, Eric Geoffroy, Rosa Aougbi & Denis Gril...**

واعتمدت أيضا على مجموعة من المقالات والدراسات المتخصصة لباحثين بارزين في سيرة الأمير عبد القادر أذكر منهم -المجلات والدوريات وبالأخص: "مجلة الثقافة الجزائرية" عدد 75 (عدد خاص سنة 1983) عن وزارة الثقافة، لكتاب أمثال: أحمد توفيق المدني، محفوظ قداش، إسماعيل العربي، عبد المجيد مزيان، المهدي البوعبدلي وآخرين، "مجلة التاريخ" الذكرى المئوية لوفاة الأمير عبد القادر (1883-1983) الصادرة سنة 1983 عن المركز الوطني للدراسات التاريخية والتي تناولت مواضيع بيبلوغرافية حول الأمير عبد القادر باللغة العربية لشهاب الدين يلس وآخرين، وأخرى باللغة الفرنسية لزهية نقاز، وكذلك أخرى باللغة الإنجليزية لفريدة هلال، وأقلام لكبار المؤرخين أمثال أبو القاسم سعد الله، يوسف مناصرية، ناصر الدين سعيديوني، محمد بلفراد، عبد المجيد حاجيات. وكذلك للكتاب والمؤرخين الفرنسيين بالمجلة الإفريقية **La revue Africaine** أمثال: **Marcel Emerit, Georges Yver, Cour A, Marc Arnaud & T Arnaud...**

واستعنا كذلك بمجموعة من الأطروحات والرسائل الجامعية نخص بالذكر: ماجستير "بن يوسف تلمساني" الموسومة ب "الطريقة التجانية وموقفها من الحكم المركزي بالجزائر (الحكم

العثماني-الأمير عبد القادر-الإدارة الاستعمارية(1782-1900"، والمذكورة السالفة الذكر لـ "محمد علاق".

### الأهداف المرجوة من البحث:

يهدف البحث إلى تحقيق جملة من الأهداف أهمها:

محاولة إحصاء وجرد ببليوغرافي انتقائي متنوع، وليس شاملا لكل ما كتب عن هذه الشخصية في القرن التاسع عشر ثثري مكتباتنا الجامعية، ملتزمين بالحقل الزماني أي التي صدرت ما بين 1830-1900 وكتبت من طرف فرنسيين.

مراعاة الدقة في التوثيق لهذه المصادر والتي عادة ما تتطلبها الدراسات الببليوغرافية، مثل مسائل متعلقة بسنة النشر واسم الناشر ومدينة النشر.

رغم أنها غير شاملة، فهي محاولة تستخدم كقاعدة بيانات، وتكون منطلقا للباحثين لاستغلالها كمصادر وثائقية معلّمة أو إثرائها لتستوفي عملا موسوعيا أكثر دقة وشمولية.

إن دراسة كتابات الفرنسيين عن الأمير عبد القادر خصوصا لفترة عايشت حياة الأمير الهدف منها إيجاد طرق جديدة لطرح وتحليل الأحداث التاريخية المتعلقة بهذه الشخصية بعيدة عن السرد الكرونولوجي للأحداث.

تسليط الضوء على بعض ملامح سيرة الأمير عبد القادر بعيون فرنسية من مختلف المصادر خصوصا الأقل تداولاً بين الباحثين، يمكنها أن تعطي إضافة لحلقات مختلفة من مسيرة الأمير عبد القادر ولتاريخنا الوطني عموماً.

كيفية توظيف هذا الإرث التاريخي في إبراز الأبعاد الوطنية والدينية وحتى الإنسانية، وإبراز قيم من صميم ديننا وأعرافنا وتقاليدينا مثل التسامح والمحبة والتعايش حتى في زمن الحرب، دون تفريط في هويتنا وخصوصيتنا المسلمة العربية الجزائرية، والاستغلال الأحسن لها من الناحية التربوية، الإعلامية، الأكاديمية، السياسية والاقتصادية.

## عوائق البحث

ولا بد من الإقرار أن طبيعة الموضوع وتشعبه والفترة الزمنية التي يغطيها، كانت العائق الكبير الذي صادفني أثناء معالجة فصول هذا البحث، وهنا يحضرنى ما قاله المؤرخ الجزائري ناصر الدين سعيدوني إن الكم المتراكم من الكتابات، تعددت مواضيعها وتباينت مستوياتها واختلفت مشاربها سواء ما تعلق منها بالقضايا السياسية والدبلوماسية أو ما يتصل منها بالمسائل الأدبية أو الأحداث الحربية، تصبح معه أية معالجة جادة لتحليل شخصية الأمير عبد القادر أو الكتابة حول مشروعه خارج التراكم الكمي والتسجيل الوصفي عملا صعبا إن لم يكن متعذرا، حتى على من اتسع وقتهم لقراءة تلك الأدبيات، وكان لهم الصبر على تحليل مضامينها وتسجيل الجديد فيها.

وفي تقديري الخاص أن هذا الموضوع لا يمكن أن يقوم به باحث بمفرده وإنما يجب أن تتولاه مراكز البحث والمخابر المتخصصة في الدراسات التاريخية. خصوصا في إعادة ترجمة هذه المصادر من لغتها الأصلية الفرنسية إلى العربية وما يتطلبه من جهد ووقت، وبالأخص مرامي التراكم والمصطلحات والمعاني والمغزى من الرسالة المراد تبليغها لا ظاهر اللفظ (مثلا في حصار عين ماضي يُسرَدُ الصراع بين الأمير وشيخ التيجانيين ولا أثر للأيدي الفرنسية).

وفي الأخير لا يسعني إلا أن أترحم على الأمير عبد القادر الجزائري الشخصية القوية التي أثرت تاريخنا الجزائري والاسلامي والإنساني بالقيم النبيلة والأخلاق الفاضلة، وأتوجه بالشكر الجزيل للأستاذ المشرف البروفسور معمر العايب، الذي شرفني بالإشراف على هذا البحث ورعاني بنصائحه السديدة والقيمة والتي لولاها ما كان هذا البحث ليشراف على نهايته، وأوجه شكري وتقديري أيضا إلى لجنة المناقشة التي قبلت وتحملت عبئ قراءة وإثراء هذا البحث.

محمد دراعو تلمسان يوم 12 ربيع الأول 1444 الموافق 08 أكتوبر 2022

# الفصل التمهيدي

## الجزائر في الكتابات الفرنسية قبل وأثناء الاحتلال

أولاً: الجزائر في كتابات الفرنسيين قبل الاحتلال

- المجتمع الجزائري في كتابات الفرنسيين.
- الجزائر المستثمرة الفلاحية الكبيرة والقطب التجاري العالمي
- التحريض على غزو الجزائر في كتابات الفرنسيين

ثانياً: الجزائر في كتابات الفرنسيين بداية الاحتلال

- تأزم العلاقات الجزائرية الفرنسية وبداية الحملة
- الأرشيف العثماني ومصيره مع الحملة

قبل الخوض في معالجة موضوع بحثنا الموسوم: الأمير عبد القادر في الكتابات الفرنسية إبان القرن 19 م، إرتأينا أن نخصص فصلا تمهيديا نتناول فيه كتابات الفرنسيين عن الجزائر قبل الاحتلال ولعل من الأهداف الكامنة وراء كتابة هذا الفصل وربطه بالإشكالية العامة لموضوع بحثنا، هو محاولة معرفة حجم ومحتوى هذه الكتابات وجذورها التاريخية ومدى اهتمامها بالجزائر والغايات من ذلك ومن ثم الوصول الى طرح التساؤل التالي: هل مهدت هذه الكتابات الطريق للكتابات التي تناولت الأمير عبد القادر خلال القرن 19 م؟ في مواقفها من الجزائر مجتمعا ودولة ومن الأمير عبد القادر انسانا مقاوما ومفكرا؟

شكل موضوع: "الجزائر في كتابات الفرنسيين قبل الاحتلال عام 1830م"<sup>1</sup> محور اهتمام الباحثين الجزائريين والأجانب، فمن أبرز الدراسات الجزائرية التي اهتمت بدراسة هذا الموضوع نذكر: أبو القاسم سعد الله في كتابه: "تاريخ الجزائر الثقافي" خصص عنصرا للجزائر في الكتابات الفرنسية حيث كتب يقول: "...الفرنسيون لم يكتشفوا الجزائر سنة 1830، فقد كتبوا عنها قبل ذلك في عدة مناسبات. وكانت بينها وبينهم معاهدات، وتبادل أسرى، وجوسسة، وتقارير قناصل، ورحلات. ولكن معظمها كانت علاقات من جانب واحد. فالفرنسيون هم الذين كانوا يكتبون (عدا المعاهدات)، أما الجزائريون فلا يكادون يتركون أثرا لأسراهم ولا لرحلاتهم، وليس لهم قناصل في فرنسا، وقلما تطلق فرنسا أسراهم ليقصوا ما حدث لهم. فالكتابات الجزائرية عن فرنسا تكاد تكون معدومة قبل 1830 بينما كتابات الفرنسيين عن الجزائر متوفرة."<sup>2</sup>، وكتاب الأستاذ كمال بن صحرابي والموسوم بـ: "محطات من تاريخ الجزائر من خلال الأرشيف والكتابات الفرنسية" والصادر عن دار نشر مكتبة نور 26 ماي عام 2017م.

وكذلك الدراسة النقدية القيمة التي نشرها الباحث أحمد عبيد في مجلة إنسانيات، العدد 57 سنة 2010 والتي تناول فيها موضوع: "التاريخ الجزائري: تقييم ونقد - حالة الجزائر

<sup>1</sup> للتوسع في الموضوع ينظر: محمد دراغو، معمر العايب، "الجزائر في كتابات الفرنسيين قبل الاحتلال 1830م"، المجلة المغربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، المجلد 14، العدد 02، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، 2022، الصفحات 70-90.

<sup>2</sup> أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، الجزائر في الكتابات الفرنسية، دار البصائر، الجزائر، ص 379.

العثمانية". وما كتبه الجزائريون باللغة الفرنسية يمكن التوقف عند الكتاب القيم في جزأين لأستاذ منور مروش دراسات عن الجزائر في العهد العثماني، حيث يتناول جزؤها الأول "العملة، الأسعار والمداخيل" وجزؤها الثاني "القرصنة، الأساطير والواقع". ومن المقالات التي تناولت هذا الموضوع على قلتها نذكر مقال الأستاذ أحمد سعودي حول: "التاريخ الوطني الجزائري من منظور بعض الكتابات الأجنبية الفرنسية أنموذجاً" المنشور في مجلة دراسات وأبحاث، المجلد 13 العدد 1 والصادرة عن جامعة زيان عاشور الجلفة.

### أولاً: الجزائر في كتابات الفرنسيين قبل الاحتلال.

يعود تاريخ التواجد الفرنسي بالجزائر إلى عهود سابقة لبداية العهد العثماني بالجزائر مطلع القرن السادس عشر ميلادي، فالفرنسيون عموماً وجدوا في الخلافة العثمانية ملاذاً آمناً لهم من تغولٍ وسطوة الأسيبان التي كانت القوة المهيمنة والقائدة للحلف الصليبي آنذاك، وتجارة المشرق التي كانت بأيدي الإيطاليين لم تستطع فرنسا انتزاعها منهم أو حتى مشاركتهم فيها<sup>1</sup>، فهذا التحالف كسبت به فرنسا حماية سياسية على عرشها من الطموح الإسباني، فضلاً عن مكاسب اقتصادية كممثل للأمم المسيحية لدى الباب العالي وبالتالي مزاحمة الدور الإيطالي على التجارة العالمية.<sup>2</sup>

عمقت فرنسا علاقاتها مع الجزائر من مبادلات تجارية، إلى استثمارات وامتيازات حصرية باستغلال بعض المراكز الساحلية، لتتوجّ بتمثيل دبلوماسي رفيع المستوى<sup>3</sup>، فهذا التشابك لمصالح الطرفين تحدثت عنه كتابات فرنسية عديدة، سواء لقناصله، أو مجموعة من

<sup>1</sup> عندما عوتب فراسوا الأول على تحالفه مع المسلمين أجاب بأنه، عندما تأتي الذئاب لمهاجمة قطعاني، يكون من حقي أن أنادي للكلب واستنجد به، في سخرية ودناءة واضحة. ينظر يحي بوعزيز، علاقات الجزائر الخارجية مع الدول وممالك أوروبا 1500-1830، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص43.

<sup>2</sup>Guillaume-Thomas Raynal, **Histoire philosophique et politique des établissements et du commerce des Européens dans l'Afrique**, T 1, AmableCostes libraire-éditeur, Paris, 1826, p94.

<sup>3</sup> تناوب على الجزائر 96 محافظ ومبعوث فرنسي بدءاً بـ لا فورست "la Forest" سنة 1534 إلى دوبري "Du Perré" سنة 1830، 60 قنصل ونايب قنصل أولهم بارتول "Bartholle" سنة 1564 وآخرهم بيير دوفال "Pierre Duval" سنة 1827. أثمرت جهودهم بعدد 58 اتفاقية أبرمتها فرنسا مع الجزائر، تنوعت ما بين اتفاقات تجارية وامتيازات وصلح وقروض بملايين الفرنكات إلى آخر اتفاقية في 5 جويلية 1830 والتي عرفت بمعاهدة الاستسلام والاحتلال. يحي بوعزيز، علاقات الجزائر الخارجية مع الدول وممالك أوروبا 1500-1800، المرجع السابق، ص ص 156-166.

المؤرخين، وكذا تقارير جواسيسهم الذين أرسلوا إلى الجزائر، وتمحورت اهتماماتهم حول ثلاث محاور:

### 1-المجتمع الجزائري في كتابات الفرنسيين:

تلتقي وتستقي كتابات الفرنسيين مع ومن كتابات سابقة لهايدو Haëdo ودي تاسي De Tassy بالخصوص وتتفق على ضعف المجتمع العربي عموماً. فهأيدو<sup>1</sup> من الأوائل من بنى كتاباته على الحط من قيمة الإنسان المسلم العربي على العموم، والجزائري على الخصوص بوصفه بأقذر الأوصاف، ظلت إلى عهد الاحتلال الحديث ملازمة له في أغلب كتاباتهم مثل الوحشية، لا رحمة، عدم الإنسانية، مما يعطي مبرراً استعمال القوة المفرطة ضده لحتمية إخضاعه، وان كان دي تاسي خالفه الرأي ويتعرض مثلاً لمصطلح البربر والبربرية<sup>2</sup> "Barbares ou Barbaresques, Barbarie" الذي ألصق بهذه القطعة من إفريقيا والتي ظلت توصف بكل ما هو وحشي، جور، ضد كل الشرائع وضد الطبيعة، بل هو غول إفريقي وسلوكه لا يختلف عن الحيوانات المفترسة، يوردها دي تاسي ضمن الأحكام المسبقة لأغلب المسيحيين والتي تكون قاسية اتجاه الأتراك<sup>3</sup> والمسلمين عموماً.<sup>1</sup>

<sup>1</sup>Fray Diego Haëdo, *De la captivité à Alger*, traduction de Moliner-Violle, Typographie Adolphe Jourdan, Alger, 1911.

\_\_\_\_\_, *Histoire des rois d'Alger*, traduite et annotée par H. -D. de Grammont, Adolphe Jourdan, Alger, 1881.

\_\_\_\_\_, *Topographie et histoire générale d'Alger*, Traduit de l'espagnol par : MM. le Dr. Monnereau et A. Berbrugger, 1870.

<sup>2</sup> البربر ليسوا جنساً أو أمة خاصة وأن العبارة في حد ذاتها لا تعني شرفاً يعتزرون به ولا حضارة ينتمون إليها بل تعني الضعة والمرتبة الدنيا بالقياس إلى الرومان الذين كانوا يعتبرون أنفسهم ممتازين، فعبارة "البربر" على هذا النحو لا تعني سكان شمال إفريقية فحسب بل تعني كل الشعوب ذات الدرجة الثانية في الحضارة، إنها تعني الوحشية في التصرف والسلوك والعجمة في اللسان والمنطق. وقد تخلص منها الأوروبيين الذين وصفوا بها فأصبحوا "ألماناً" و"فرنسيين" و"سويديين" ونحو ذلك، وتخلص منها الشرقيون فأصبحوا "فرساً" و"هنوداً" و"مصريين" ونحو ذلك، ولكنها لصقت بأهالي شمال إفريقية حتى كأنها ظلت علماً عليهم. لماذا؟ ينظر أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج1، عالم المعرفة، الجزائر، 2016، ص ص 6-7.

<sup>3</sup> تجد في كل الكتابات الغربية عموماً والفرنسية خصوصاً كلمة "تركي" بدل "عثماني" باسم التضليل التاريخي ولا شك أن ولاء المسلمين، قبل عصر القوميات، كان لآل "عثمان" رمز الخلافة وليس لتركيا (التي لا وجود لها قبل 1924) رمز القومية ومن هنا يتضح أن الجزائر لم تكن تحت حكم الأتراك ولكنها كانت تعترف بالخلافة العثمانية. انظر أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص274.

وقد قدم راينال Raynal مؤلفه تحت عنوان "التاريخ الفلسفي<sup>2</sup> للدولة البربرية" ويعطي في مدخل كتابه المبرر لهذا الاسم "Etats barbaresques" كون هذا الجزء من مجتمعات شمال إفريقيا القريب من أوروبا فقدت مجدها وتقهقرت إلى "دولة بربرية" وهي تستحق هذا الاسم، وأن تاريخها القديم سوى سلسلة طويلة من المآسي أرهقت كاهل شعوب المنطقة لفترة طويلة، ويعطي لها وصف قبائل متقلبة، متوحشة، بربرية، عبارة عن أمة ناشئة أو في طور النشوء "Monde presque naissant".<sup>3</sup>

كما يعلق دارفيو d'Arvieux على المواقف الصريحة والصارمة للداي والديوان على نسق: "متوحشون تمتلكهم نزوة غضب شديدة، وكثيرا ما يبحثون عن مشكل أو سوء تفاهم لإعلان الحرب" عطفًا على عديد الرسائل المتبادلة بين الداي والملك الفرنسي حسمها الداي، بخصوص تبيان بعض نقاط الخلاف مست بنود الاتفاق.<sup>4</sup>

وكذلك فانثور دي برادي Venture de Paradis يلتقي مع سابقه في ضعف المجتمع "المور" الذي تتحكم فيه بعض العادات الخرافية كالاعتقاد في الجن والحيوانات وتستحوذ عليه الجهالة والشعوذة والسحر<sup>5</sup>، غير أن رونودوت Renaudot لم يكلف نفسه عناء وصف السكان سوى بإعادة استنساخ ما أقره هايدو من قبل تحت بند العيوب والمساوي التي تكثر

<sup>1</sup> Laugier De Tassy, **Histoire du royaume d'Alger**, Henri du Sauzet, Amsterdam, 1724, p9.

<sup>2</sup> اكتسب التاريخ معاني ودلالات جديدة في الثقافة الحديثة والمعاصرة وأخذ الفلاسفة يتخذون من التاريخ موقفا نقديا فلسفيا فأضفت الفلسفة اسمها على القرن الثامن عشر، وكان الفيلسوف الفرنسي فولتير "Voltaire" (1694-1778) أول من استخدم مفهوم فلسفة التاريخ على أنه "مسار ارتقاء الإنسان من المهجبة إلى المدنية". انظر علي العبيدي، نعيمة طيب بوجمة، محاضرات في منهجية البحث التاريخي وتقنياته، النشر الجامعي الجديد، تلمسان-الجزائر، 2018، ص 17.

<sup>3</sup> Guillaume-Thomas Raynal, op Cit, p-p 27-32.

<sup>4</sup> Laurent d'Arvieux, **Mémoires du chevalier d'Arvieux**, envoyé extraordinaire du Roy à la Porte, consul d'Alep, d'Alger, de Tripoli et autres Échelles du Levant : contenant ses voyages à Constantinople, dans l'Asie, la Syrie, la Palestine, l'Égypte et la Barbarie, Tome 5, recueillis de ses Mémoires originaux et mis en ordre par le R. P. Jean-Baptiste Labat, Charles-Jean-Baptiste Libraire, Paris, 1735, pages 117,175,177,192.

<sup>5</sup> Jean-Michel Venture de Paradis, **Alger au XVIIIe siècle**, édité par E. Fagnan, Typographie Adolphe Jourdan, Alger, 1898, p137.

لدى مسلمي الجزائر، فيسرد نفس المساوئ التي عددها هايدو في كتابه فأعادها نصا وحرفا "الكبر، الرغبة، الطمع تحديدا، الشراهة، النرفة والعصبية، الكسل والعطالة".<sup>1</sup>

كما يلاحظ على هذه الكتابات فضلا عن نعت الجزائريين بالبربر والبربرية، أفردت لهم وسم التعصب أو التزمت لكل مواقف وتصرفات المسلمين، رونودوت يجعل من فخرهم واعتزازهم ناتج عن تعصب وتزمت "Fanatisme"<sup>2</sup>، وراينال ينعت الجيوش المسلمة بالمتعصبة "Armées fanatiques"، ويختزل كل الشريعة الإسلامية في الختان وتعدد الزوجات، لكنه يحفظ لهم أنهم لم يحولوا بعض الكنائس لمساجد ولم يلتفتوا إلى الآثار الرومانية ولم يخربوها كما فعل الوندال.<sup>3</sup>

ويشير بوتان Boutin إلى سلوكهم اتجاه بعض الأوبئة، مثل وباء الطاعون الذي يحصد أرواح الناس على فترات كما في أوروبا، على أنه قضاء وقدر، ويستسلمون لهذه المشيئة وتعصبهم "Fanatisme"<sup>4</sup> يجعلهم يقطعون كل اتصال مع العالم الخارجي<sup>5</sup>، وليدعموا ما سرده الفرنسيون في كتاباتهم فإنهم يستعينوا بمرويات شفوية ونوادير الحكايات "Anecdotes" أو "historiettes" لا يستطيع أحد تتبعها ولا التأكد منها هذا فضلا عن تعميمها على جميع.

هذا الاتجاه العام الذي سارت عليه كتابات الفرنسيين، ناقضه جوزيف مورقان صاحب كتاب "الكامل في تاريخ الجزائر" سنة 1731، إذ ينتقد هايدو ومن سار على دربه من الأوروبيين، على أنهم كانوا مدفوعين بروح الجهل والحقد الديني، متأثرين بأقوال ودعايات الكهنة الإسبان المغرضين الذين كانوا يشيعون آلاف الحكايات الخرافية لكي يحصلوا على

<sup>1</sup> M. Renaudot, **Alger. Tableau du royaume, de la ville d'Alger et de ses environs**, 4ème éd, Librairie Universelle de P. Mongie Ainé, Paris, 1830, p 44.

Et Fray Diego Haëdo, **Topographie et histoire générale d'Alger**, Op Cit, p-p 168-180.

<sup>2</sup> M. Renaudot, Op Cit, pp 81.82.

<sup>3</sup> Guillaume-Thomas Raynal, Op Cit, pp 58,60.

<sup>4</sup> اصطفت هذه الكتابات على أن تأول كل حرص وحذر المسلمين اتجاه قضاياهم والاحتياط لمصالحهم والتزامهم بدينهم توصم بالتعصب "Fanatisme". فموقفهم هنا نابع عن اتباع هدي الرسول صل الله عليه وسلم. فعن النبي صل الله عليه وسلم أنه قال: "إِذَا سَمِعْتُمْ بِالطَّاعُونَ بِأَرْضٍ فَلَا تَدْخُلُوهَا وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا مِنْهَا" ينظر: أبي عبد الله البخاري، صحيح البخاري، ج3، ط1، مكتبة الصفا، القاهرة، 2003، ص83.

<sup>5</sup> Vincent-Yves Boutin, **Aperçu historique, statistique et topographique sur l'état d'Alger**, 2ème éd, Typographie de J. Pinard Imprimeur du Roi, Paris, 1830, p123.

المساعدات المالية والسياسية لتخليص الأسرى المسيحيين من أيدي المسلمين.<sup>1</sup> فالأوروبيين لو خالطوا وانسجموا مع المسلمين دون معرفة ذلك، على الأقل في المظهر الخارجي كعدم لبس العمامة ويلبسون مما يلبس كثير من النصارى لوجودهم لا يختلفون عن شعوب العالم.<sup>2</sup>

ضعف المجتمع يعبر عنه دي تاسي بمنطق غريب "أن تجد حفنة من الأجانب تحكم شعباً كاملاً، ومستبعداً من كل وظائف الدولة"، وإن كان دي تاسي تجاوز الأمر مستفسراً عنه حين ذكره "إنهم يعيشون في صراعات بينهم ولا تجمعهم أية وحدة لذا تجدهم رغم كثرتهم تحت سيطرة الأتراك ذوي العدد الضئيل.<sup>3</sup> إلا أن رونودوت يصدر حكماً قاسياً حيث يقول: "لما تعرف هذا الشعب عن قرب يذهب الاستغراب، تفهقر هذه الأمة الجبانة التي ليس لها من الشجاعة أن تسيطر على بعض الجنود الأتراك، أو على الأقل تنقسم معهم حكم البلد".

في حين الإجابة أو بعضاً منها ذكرها بنفسه، "الأتراك استطاعوا جذب السكان إلى صفهم كونهم مسلمين، والجزائريين لم يجدوا غضاضة في الانقياد لهم".<sup>4</sup> ليختم رونودوت موجزه التاريخي "كيف لشعب عرف بشجاعته وشكيمته وبأسه الشديد في مواجهة الرومان، وصل إلى هذه الحالة من الضعف والهوان ومطأطأ رأسه لنير وجود الأتراك وحرم من استغلال كنوز بلاده التي تعطي بلا حدود، ليعلل ذلك بأن سكان الجزائر يجهلون تاريخ بلادهم وأجدادهم.<sup>5</sup>

وتنفرد السلطة الحاكمة بخصوصية اليقظة الدائمة، سواء اتجاه الكراغلة الذين يشغلونهم ببعض المهام والتكاليف الإدارية، أو اتجاه السكان ببذر الشقاق والتناحر بين القبائل لإضعافها، وعلى العموم سياسة الحكومة اتجاه العرب جد قاسية وصارمة.<sup>6</sup> وهذه الخصوصية وثقها كذلك حمدان خوجة "...عندما نرى سلوك الولاة في إفريقيا نميل إلى الاعتقاد بأنهم إنما ينشرون الخلاف والشقاق من أجل التضحية بالشعب الجزائري".<sup>7</sup> فحياة

<sup>1</sup> أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص 316.

<sup>2</sup> Laugier De Tassy, op Cit, p iv.

<sup>3</sup> Ibid, p 259.

<sup>4</sup> M. Renaudot, op Cit, pp 169.170.

<sup>5</sup> Ibid, p56.

<sup>6</sup> Jean-Michel Venture de Paradis, op Cit, pages 122, 126, 128.

<sup>7</sup> حمدان بن عثمان خوجة، المرأة، تعريب وتقديم محمد العربي الزبيري، منشورات ANEP، الجزائر، 2005، ص 109.

السكان بسيطة أقرب إلى التقشف (الخيام والترحال)، التناحر والخصام، تحكمه الخرافة والأسطورة، فقدوا روح دينهم وتعلقوا بالشعائر الظاهرة،<sup>1</sup> وتجد كثير من العادات والتقاليد متوارثة منذ ثلاثة آلاف سنة ولم تتغير.<sup>2</sup> ليخلص راينال إلى حدوث انقلاب في المفاهيم أدى إلى عزلة تامة وتراجع عام للمجتمع، منتهى طموح السكان تعلم القراءة والكتابة تحت متلازمة الاضطهاد والانحطاط "opprimés et avilis" رزح فيها المجتمع، مقابل متلازمة السيطرة والثراء "dominer et à s'enrichir" التي جُبِلَ عليها الأتراك وما عداها يقابل بازدياد وعدم اكتراث.<sup>3</sup> كما لا وجود للمطابع بالبلد ولا لصرح ثقافي مثل المكتبات.<sup>4</sup>

مما فاقم في ضعف المجتمع نظام ضرائبي قاهر يمس جميع مناحي الحياة، فالدولة تمتص شعبها بالضغط والتهديد بالقوة، وعصره كالإسفنج، فالداي ممثلا للسلطة العليا يلزم باقي موظفي الدولة بتحصيل الضرائب كل في نطاق حدود صلاحياته.<sup>5</sup> فدارفيو يشير أن الأتراك عمدوا إلى جعل هذا الشعب والثراء لا يلتقيان، فالعيش ليومه فقط دون أن يشغل باله بمستقبله. فباقي فئات الشعب لا يعتبرهم الأتراك إلا مطية لحكمه.<sup>6</sup> وقد كان لهذه السياسة الضريبية المجحفة وغير العادلة التي طبقتها الدايات، أن ولدت في نفسية الرعية ردّ فعل قوي تمثل في ثورات القرن التاسع عشر التي كادت أن تهدد أسس الحكم التركي.<sup>7</sup>

وحسب فاننور فالمقاطعات الإدارية للبلد ليست قائمة على تنظيم إداري محض، بل على ما تدفعه كل جهة من أموال ومنتجات وكذلك الهدايا والأعطيات، وهذه الضرائب غير موحدة فمثلا الأراضي المحروثة بالثيران تجد عليها نسبة 5%، 10%، 15%.<sup>8</sup> وقد استغل الأجانب هذا الخلل إذ تجد الشركة الإفريقية تدفع رشاوي للموظفين الأتراك بالشرق الجزائري لتسهيل عملياتها التجارية، وهكذا تركت مقاليد الدولة لمجموعة من الضباط والموظفين

<sup>1</sup> Guillaume-Thomas Raynal, op Cit, p-p 57-76.

<sup>2</sup> Vincent-Yves Boutin, op Cit , p-p 131-136.

<sup>3</sup> Guillaume-Thomas Raynal, op Cit, p-p 81-85.

<sup>4</sup> M. Renaudot, op Cit, p 18.

<sup>5</sup> Ibid, pp 150.151.

<sup>6</sup> Laurent d'Arvieux, op Cit, p 281.

<sup>7</sup> الغالي غربي وآخرون، العدوان الفرنسي على الجزائر -الخلفيات والأبعاد-، دار هومة، الجزائر، 2007، ص23.

<sup>8</sup> Jean-Michel Venture de Paradis, op Cit, pages 34, 148-162.

والإقطاعيين لتهب خيراتها.<sup>1</sup> وفي المحصلة فإن الحكومة تبحث دائما عن مصدر ثرائها وقوتها في حين لا تكلف نفسها عناء سدّ الثغرات أو رفع العبء في فقد الأشخاص والممتلكات.

## 2. الجزائر المستثمرة الفلاحية الكبيرة والقطب التجاري العالمي

لم تخل كتابات الفرنسيين من الإسهاب في تشريح ركائز الاقتصاد الجزائري وفي مقدمتها الفلاحة وما كانت توفره للسوق المحلية والدولية من مختلف السلع المعاشية والمواد الأولية التي تدخل في عدة صناعات ساهمت في تنشيط التجارة مع مختلف الأمم الأوربية والمشرقية.<sup>2</sup> فالجزائر تنتج تقريبا جميع أنواع الغلال لأوروبا وتجدها أحسن وأجود من نظيرتها الإسبانية والفرنسية، لكن رغم عطائها فإن تثنى الأراضي غير مستصلحة "بور"، فضلا عن الوسائل والأساليب البدائية المتبعة في خدمتها.<sup>3</sup> إن ما يميز ثروات البلاد الزراعية والحيوانية، الوفرة والثمن الجيد، وهذا خلق تجارة معتبرة مع أوروبا والفرنسيين تحديدا، جعلت من مرسيليا مركزاً تجارياً عالمياً.<sup>4</sup> وهوما ينفي الادعاء الشائع والمغرض بهيمنة نشاط القرصنة على اقتصاديات المدينة.<sup>5</sup>

<sup>1</sup> الغالي غربي وآخرون، المرجع السابق، ص 22.

<sup>2</sup> عن نشاط الاقتصادي ودعامته الأساسية الفلاحة والحرف والتي ازدهرت بهما تجارة عالمية للجزائر لم تعكس تحسن فارق لحالة السكان، فالفلاح ترك لحاله يخدم الأرض بوسائل بدائية تعود للإنسان الأول مجابها لوحده كل أنواع المصاعب من جفاف، جراد، أوبئة التي كانت تضرب البلد على فترات، الضرائب بمختلف أنواعها، لتقطف السلطات ثمرة جهده بتحديد سعر كل ما ينتجه وعادة ما يكون بثمن بخس وتعيد طرحه في السوق بأضعاف ثمنه، علاوة على احتكار السوق الخارجية والتي جعلت في أيدي اليهود والشركة الفرنسية، في حين تجد المسلمون في وضع المتفرج ولا يجروون حتى الاقتراب من هكذا أعمال وكأنها لا تعنيهم. ينظر: محمد العربي الزبير، مدخل إلى تاريخ المغرب العربي الحديث، ط2، دار الحكمة، الجزائر، 2014، ص ص 64 وما بعدها. ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط2، دار البصائر، الجزائر، 2009. محمد أمين، الاختراق التجاري الفرنسي للجزائر خلال العهد العثماني، مطبعة أنفو-برانت، فاس، 2015.

<sup>3</sup> Vincent-Yves Boutin, op Cit, pp 105,171.

<sup>4</sup> Guillaume-Thomas Raynal, op Cit, pages 45-56, 183-196.

<sup>5</sup> في الفترة الممتدة بين 1686 إلى 1791 زارت ميناء الجزائر 785 سفينة شحن منها 778 سفينة فرنسية وسبعة الباقي لباقي الدول يفسر الهيمنة الفرنسية والسمة الغالبة على العلاقات الثنائية. ينظر: محمد أمين، المرجع السابق، ص 402

مثلت الجزائر قطباً تجارياً بامتياز فكل الموانئ العالمية كانت تتعامل مع الجزائر، وحجم السلع وتنوعها التي كانت تحكم التجارة العالمية في ذلك الوقت إلا وللجزائر فيها نصيب. أصبحت معه الجزائر بدون شك مستودع السلع بين إفريقيا وأوروبا وكانت من أكثر البلدان ازدهارا في العالم "l'un des états les plus florissants du monde".<sup>1</sup> فوجد مثلا سنة 1787 صدرت الشركة الإفريقية لوحدها من عناية ما يقارب 25 ألف قنطار من الصوف. وفي السنة الموالية خرجت من موانئ عنابة، الجزائر، أرزيو ميناء معسكر، دلس حوالي 150 ألف حمولة من القمح وبإذن خاص من الداوي.<sup>2</sup> وتعد الجزائر مدينة تجارية بامتياز لمختلف السلع، وعديد من السلع الحرفية مثل: صاغة الذهب، الخياطين، الطرازين... الخ. وللحكومة اليد العليا فيها دون أن يكون لها دور في توفير وسائل الإنتاج، فالمنتج يتحمل خط سير منتجه فضلا عن دفع الضرائب، والحكومة تحدد ثمنه وتعيد بيعه بضعف سعره في أغلب الأحيان. خصوصا المواد المعاشية "Tout objet de bouche" التي لا تحمل على السفن إلا بإذن خاص من الداوي.<sup>3</sup>

مما سبق يمكن أن تلمس الاكتفاء الذاتي للسكان سواء لحاجياتهم المعاشية أو لضروريات الحياة اليومية، والراجح هذه الأرقام التجارية المغربية خصوصا ما تدره البلد من إنتاج القمح جعلت فرنسا تغير نظرتها إلى هذا البلد كونها قرية فلاحية كبيرة، فكانت الكتابات هذه تعطي إشارة جد مغرية لغزو هذا البلد عاجلا وليس آجلا.

### 3. التحريض على غزو الجزائر في كتابات الفرنسيين.

أجمعت هذه الكتابات على أطماع استعمارية جلية برصد خطط حربية لغزو الجزائر، فدارفيو بعد مغادرته الجزائر كانت له جلسات ونقاشات مع كثير من السفراء والأمراء للأمم المسيحية واصل فيها عمله التحريضي ضد الجزائر، فقد وافق ذلك أن أمير البرتغال ريجونت Régent كان يريد أن يقود حملة ضد الأسطول الجزائري فالتمس من دارفيو مذكرات عن الآليات الواجب استعمالها ضدهم<sup>4</sup>، فرسم له خطة قوامها عمارة بحرية، رأس حربتها السفن

<sup>1</sup> M. Renaudot, op Cit, p 159.

<sup>2</sup> Jean-Michel Venture de Paradis, op Cit, p 21.

<sup>3</sup> Ibid, pages 15-18, 35.

<sup>4</sup> Laurent d'Arvieux, op Cit, p 363.

الحارقة "brûlot" التي يتم إدخالها تحت جناح الليل إلى ميناء الجزائر على دفعات بحيث إذا أغرقت بطاريات المدافع بعضها تستطيع الأخرى الوصول إلى هدفها بالاقتراب أكثر من السفن المكدسة بالميناء -منظر مدينة الجزائر في الصفحة الاستهلاكية لمؤلف رونودوت Renaudot تبين مدى تكدس هذه السفن بالميناء- وتتسبب في انفجارها، ويصاحب ذلك قنبلة المدينة والتحصينات بكثافة ودون انقطاع لتشتيت انتباه القوات المدافعة، وتأمين عبور السفن الحارقة لتقوم بمهمتها الأساسية حرق الأسطول الراسي بالميناء، أي على أساس انتحاريين.<sup>1</sup>

رونودوت زايد على زميله دارفيو ضد الشعب الجزائري وبلده، كونها أولى الكتابات التي حرضت ضد الجزائر صراحة وبكل قسوة قبل الاحتلال. يخلص إلى النتيجة الرومانية القديمة "Delenda Carthago" أي يجب القضاء على قرطاج، كناية على أن يجب تدمير الجزائر من أجل أمان أوروبا كما تمّ سحق قرطاج من أجل أمان روما، وقطع جذورها من المجتمع الدولي، ومن تعداد العائلة الكبيرة لشعوب العالم<sup>2</sup>، فهو يوصي بأنه لا يكتب لهجوم بحري النجاح كون تحصينات المدينة قوية وبحكم حوض الجزائر معرض لرياح قوية، وأن المدينة لا تأخذ إلا من الجهة البرية بالضبط ناحية برج الإمبراطور.<sup>3</sup>

ويعدل رونودوت بوصلة الأمم المسيحية مثل فرنسا، إنجلترا وإسبانيا بالبحث عن ثروات في أقاصي الدنيا بأمريكا، في حين أمام أعينها وأقرب إليها أقاليم تكون منطلقا لتوسعها التجاري والفلاحي.<sup>4</sup> لكنه يستدرك ويستثني الحكومة الإسبانية ويصفها بالمتعصبة الدموية، نزعتها التصفية التامة للشعوب أو نفيهم كما فعلت في الأمريكيتين.<sup>5</sup> ويوصي أن الاجتياح قد يفشل إذا اكتفي بالعاصمة أو بعض الأقاليم بل يجب أن يشمل كامل البلاد.<sup>6</sup> فهنا بلد رائع وثروات كبيرة يجب غزوه وأتمنى أن يكون هذا الإنجاز العظيم من نصيب فرنسا، وختم توصياته أن احملا سلاحكم واستأصلوا شأفتهم.<sup>7</sup> وهذه المعطيات مما أدرجه رونودوت في

<sup>1</sup>Laurent d'Arvieux, op Cit, p 367.

<sup>2</sup>M. Renaudot, op Cit, p XL.

<sup>3</sup>Ibid, pp 20,22.

<sup>4</sup>Ibid, p 176.

<sup>5</sup>Ibid, p 177.

<sup>6</sup>Ibid, pp 178.179.

<sup>7</sup>Ibid, pp 181.182.

مؤلفه، كانت سابقة لخطوات بوتان الاستخباراتية، أو ربما بنى عليها مخططاته. كون رونودوت شغل منصباً بالقتل الفرنسية بالجزائر منها نائب قنصل سنة 1782.

وعلى نفس نسق قرينه رونودوت ومن قبله دارفيو، يختم فانثور ملاحظاته بوضع لمسات أخيرة لخطة غزو الجزائر، ويرصد أحسن نزول يكون ما بين رأس كاكسين (بلدية عين البنيان) وسيدي فرج (غرب الجزائر) ومن هنا يمكن مآخذة الجزائر من ظهرها حيث تكون التحصينات ضعيفة.<sup>1</sup> وقد تكون كتابات رونودوت وفانثور من الكتابات التي رصدت أحسن نقاط نزول الحملات الأوروبية على الجزائر.

ويستمر التحريض على غزو الجزائر كذلك في كتابات راينال، إذ يستحضر مجموعة من المذكرات لسفراء فرنسيين بالمشرق ضاربة في القدم رسمت مخططات للهجوم على الجزائر والقضاء على العثمانيين قدمت للملك الفرنسي منذ سنة 1666م،<sup>2</sup> ولتنفيذ هذا المشروع يوصي أمراء المسيحية بتشكيل حلف دولي على شاكلة الحلف الصليبي الأول.<sup>3</sup> ويدخل الساحل الإفريقي ضمن الحيز الجغرافي الأوروبي الحيوي بل ضمن الأملاك المحفوظة لأوروبا، سواء بالغزو أو بتأسيس مستعمرات تحول دون نهضتها، ليعقب أن النظام الكولونيالي -مستعمرات- مازال تصوراً غريباً في هذا القرن (يقصد القرن الثامن عشر والذي سيصبح حقيقة ماثلة في القرن الموالي)، بإنشاء مستوطنات مستعمرات فلاحية أو شركات للمزارعين أو وكالات تجارية مع مرور الوقت تصبح أملاك تابعة للدولة الأم.<sup>4</sup>

واجتهد بوتان في ايجاد مبررات لتحريض على غزو الجزائر، والتي ألحقها فريق إعداد المؤلف بالملاحق منها: خسارة فرنسا لامتيازاتها بالجزائر، طرد القنصل، الهجوم وتفتيش

<sup>1</sup> Jean-Michel Venture de Paradis, op Cit, p 169.

<sup>2</sup> Guillaume-Thomas Raynal, op Cit, pp 122.123.

<sup>3</sup> قيام دعوات مسيحية في كل أنحاء أوروبا جعلت من أولوياتها طرد المسلمين من الأراضي المقدسة (فلسطين)، وفعلت هذه الدعوات فعلتها كالنار في الهشيم، ونجحت في عزل كل من لا ينخرط فيها ينظر له كجبان ومتخاذل وغير متدين، وأمام هذا السيل الجارف انصاع له كثير من الأمراء وعديد من الملوك أوروبا في حروب عرفت بالحروب الصليبية (1095-1270)، كلفت أوروبا ملايين من السكان، لكنها قلبت ملامح الشعوب الأوروبية رأساً على عقب، فهذا الاحتكاك بالمشرق الإسلامي حمل إلى أوروبا كثير من المعارف، الذوق، الصناعة،... الخ مما لم يكن لديهم عنه أدنى فكرة. ينظر:

Guillaume-Thomas Raynal, op Cit, p-p 90-92.

<sup>4</sup> Ibid, p-p 112-114.

بعض السفن الفرنسية، رفع الرسوم التجارية، مسألة الديون... الخ<sup>1</sup>. فأصبح ما كان سابقا يعد امتيازات وحقوق استغلال لبعض السواحل الجزائرية، تحول في أدبيات الفرنسيين إلى سيادة فرنسية ومُلك لفرنسا "La souveraineté de la France et possession"، في نظرة استعمارية مبيته.<sup>2</sup>

وبالمحصلة كان السؤال الذي يُطرح على الحكومة الفرنسية ليس هل سنقوم بالحرب بل كيف سنخوض الحرب؟ فالأمر حسم، ومهما يكن من ادعاءات وأسباب ودوافع هذه الحرب فإنه يكفي يعلق الكاتب بوتان "عندما يكون وجود الجزائر بحد ذاته ادعاء كافي ومن واجب فرنسا مباشرة إنجاز هذا الغزو".<sup>3</sup> يكفي أن مهمة بوتان نفسها بالجزائر جاءت قبل كثير من المسوغات التي أدرجها المؤلف، بحيث كانت أنظار بونابرت لتنظيم حملة اتجاه السواحل الإفريقية لم تغادر ذهنه منذ زمن، فعمد إلى إرسال بعثات استخباراتية<sup>4</sup>، تعمل على جمع أكبر قدر من المعلومات لتنفيذ هذا المشروع، لكن ظروف فرنسا أرجأت هذه المشاريع إلى وقت لاحق.

والملاحظ على بعض كتابات الفرنسيين قبل الاحتلال أنه طراً عليها عامل التعديل وأعيد نشر آثارهم القديمة عن الجزائر عشية الاحتلال باللغة الفرنسية بما يخدم السيطرة والاحتلال، فراينال أقحمت على مؤلفه نصوصاً من غير ما كتبه المؤلف الأصلي ولا تذكر

<sup>1</sup> هذه الأسباب كانت قائمة منذ ثلاث قرون، ولم تكن بدعا في العرف الدولي، لكن المتغير مطلع القرن التاسع عشر راحة كفة الضفة الشمالية وظهور إمبراطوريات جديدة تريد موضع قدم في العالم القديم والجديد مثل إنجلترا التي كان لها أسطول قوي عرفت بسيدة البحار، وروسيا القيصرية التي كانت أول من تكالب على الأراضي العثمانية جهة أوروبا الشرقية، فوجدت فرنسا نفسها في آخر الركب فكانت القطعة الغربية لإمبراطورية العثمانية هدفاً لفرض وجودها ومناقسة إنجلترا. هذا السياق الدولي والتطور العسكري والاقتصادي الذي عرفته هذه الدول الأوروبية مقابل تقهقر أصاب الدول الجنوبية وتراجع كبير لسيادتها البحرية والدولية هو المتغير الجوهري، وتبقى الادعاءات الأخرى إلا تحصيل حاصل لحساب قديم أكثر منه اهانة الشرف الفرنسي، فكم من قنصل فرنسي طرد وتعرض لإهانة وبلعت فرنسا شرفها ولم تتبس ببنت شفة لا تصريحاً ولا تلميحا وواصلت دفع الإتاوات وفوقها هدياً قنصلية. ينظر:

Luis Blanc, **Histoire de Dix ans (1830-1840)**, F. H Jean maire Editeur, Paris, 1882, p-p 8-10.

<sup>2</sup> Vincent-Yves Boutin, Op Cit, pp 74.75.

<sup>3</sup> Ibid, p 77.

<sup>4</sup> للتوسع في رصد المخططات الفرنسية اتجاه الجزائر، والصراع الخفي قبل 1830. ينظر فريد بنور، الجواسيس الفرنسيون في الجزائر 1782-1830، دار الواحة، الجزائر، 2009.

أحداثا بل قراءات أغلبها تسيير وفق المصالح السياسية والاقتصادية لمجابهة الجزائر وهو ما نلاحظه في الصفحات 164 - 185 من إدراج مداخلات السيد شاطوبريان Chateaubriand الفرنسي والسيد سيدني سميت Sidney Smith الإنجليزي في مؤتمر فيينا في جانفي 1815، وإثارة القوى الأوروبية ضدها. وفي الصفحات 194 - 201 يذكر حملة نابليون بونابرت ضد مصر 1799 - 1801 التي لم يعيشها المؤلف كونه توفي سنة 1796. في حين عمل بوتان وإن كانت المادة الخام لبوتان، أعاد تحريره فريق عمل بوزارة الحربية الفرنسية حين أعلنت الحكومة الفرنسية نيتها غزو الجزائر.<sup>1</sup>

### ثانيا: الجزائر في كتابات الفرنسيين بداية الاحتلال

الفرنسيون كانوا يطلقون على الجزائر تسمية "إفريقيا" ومنها اشتق جيش إفريقيا الذي هو الجيش الفرنسي بالجزائر، وأسسوا لها مجلة باسمها وهي المجلة الشهيرة "المجلة الإفريقية"، فحسب المؤرخ غزال Gsell الجزائر (L'Algérie) هو الاسم الذي أطلق على هذه القطعة من شمال إفريقيا الموروثة عن العهد العثماني بحدود عشوائية، اجتهدت فرنسا ما في وسعها "بآلة حربية جهنمية" لجعلها وحدة متجانسة وبتحديد حقيقية، وتم ترسيم الاسم سنة 1838.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> مؤلف بوتان أعيد صياغته عن طريق كوكبة من العسكريين المنظرين للحملة العسكرية على الجزائر، وفي الصفحة رقم 199 يقر أن المعلومات المدرجة في الكتاب ما أذن بنشره ولا اعتبارات يسهل تفهمها لا يمكننا الخوض في وسائل الهجوم العسكري. وهي إشارة أن هذه المصادر كثيرا ما تم تحوير مضمونها زيادة أو نقصا بما يخدم المهام المنوط بها. فنجدها مثلا في مسألة المؤسسات الخيرية والوقفية "Etablissements de bienfaisance" يقول المؤلف لم يجد أي مصدر يتكلم عن هذا الأمر بل يجهل إن كانت توجد مثل هذه المؤسسات بالجزائر، لكن الأوقاف كانت أول ما حصده حملتهم وبالتالي فتركها في عالم المجهول يخدم هذه الفكرة، علاوة على وجود صفحات ناقصة كالصفحة 173. لتوسع عن المنشآت العمرانية والأوقاف الجزائرية في العهد العثماني ينظر:

Albert Devoulx, *les édifices religieux de l'ancien Alger*, Typographie Bastide, Alger, 1870.

مصطفى أحمد بن حموش، المدينة والسلطة في الإسلام "نموذج الجزائر في العهد العثماني"، ط1، دار البشائر، دمشق، 1999.

<sup>2</sup> Stéphane Gsell et Autres, *Histoire et Historiens de l'Algérie*, Librairie Félix Alcan, Paris, 1931, p2. وينظر كذلك: مصطفى عبيد، التأثير الفرنسي في الحضارة الشرقية من خلال موسوعي وصف مصر واستكشاف الجزائر العلمي دراسة تاريخية تحليلية مقارنة، رسالة دكتوراه في التاريخ المعاصر، غير منشورة، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2013-2014، ص59.

عند احتلال مدينة الجزائر أطلقت مئة طلقة في سماء باريس معلنة سقوط الجزائر بأيدي الفرنسيين<sup>1</sup>، وانطلقت معها مئات أقلام الفرنسيين تغوص في اتجاهات متعددة تنبش في ماضي وحاضر الجزائر، وتتطلع إلى مستقبل هذا البلد الذي وقع في قبضتهم، فأعادوا نشر الكتابات الفرنسية القديمة وبعض المصادر العربية عن الجزائر مثل كتابات هايدو ورونودوت وفانتور دي بارادي، وكتبا لمؤرخين عرب كابن خلدون وغيره، ومذكرات وتقارير القناصل والجواسيس أمثال دوبوا، بوتان، ورجعوا إلى الوثائق العثمانية.<sup>2</sup>

وأنشأوا اللجان العلمية باسم استكشاف الجزائر العلمي بأمر من الوزارة الحربية سنة 1837<sup>3</sup>، ينشرون أعمالهم عن التاريخ المحلي، اللهجات، السكان والزوايا... الخ. وكذلك ظهور الصحف مع أول نزول لهم بسيدي فرج منذ 26 جوان 1830 والمكتبات والمتاحف.<sup>4</sup> تولى كتابة تاريخ الجزائر في هذه الفترة مؤرخون عسكريون، عرفوا بـ "المدرسة الجزائرية القديمة 1830-1880"<sup>5</sup>، فهم كتّاب عسكريون بالمهنة أو تراجمة عسكريون، أمثال كاريت وبيليسي دي رنو، فالحكم الفرنسي في الجزائر كان حكما عسكريا بالنسبة للجزائريين في جميع مراحلهم، والعسكريون كانوا على صلة مباشرة بالجزائريين وتولوا كتابة تاريخ محكومهم.<sup>6</sup>

يذكر جورج ايفر سنة 1931 بمناسبة مئوية الاحتلال أن كتابات الفرنسيين التاريخية والتي تعالج بموضوعية بداية الاحتلال قليلة جدا وقيمتها ضعيفة، لكنه يشير إلى مصدرين

<sup>1</sup> مع دوي المدافع يسارع البارون d'Haussez وزير البحرية الخطى إلى الملك شارل العاشر وكله فرح وسرور، ليجد الملك مندفعاً نحوه خارفا بروتوكولات القصر، وفي العادة ينحني الشخص للملك مقبلاً يديه، وإذا بالملك مندفعاً فاتحا ذراعيه صارخاً لا... لا... اليوم الجميع يتعانق، الجزائر أصبحت ملك لفرنسا. لكنها فرحة لم تدم إلا سبعة عشر يوماً وتحديداً يوم 22 جويلية 1830 تقوم عليه ثورة تزحجه من العرش، فقد وصل الازدياء بالملك لدى الشعب ليردد مقولة "صانع الفحم هو سيد في أهله، فكن أنت سيد في قصرك"، ليعش في منفاه يتجرع مرارة وطن وعرش مفقودين وإنجاز لم يشفع له، ليلقى حتف أنفه بوباء الكوليرا يوم 6 نوفمبر 1836. ينظر:

Luis Blanc, Op Cit, pages 17-19,874

<sup>2</sup> William Marçais et Autres, **Histoire et Historiens de l'Algérie**, Op Cit, pp 161.162.

<sup>3</sup> Stéphane Gsell et Autres, Op Cit, p7. & William Marçais et Autres, Op Cit, p145 .

<sup>4</sup> أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص14.

<sup>5</sup> Stéphane Gsell et Autres, Op Cit, p8.

<sup>6</sup> أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص20.

مهمين وضعًا ونسقًا بطريقة منهجية وموضوعية مجمل المعلومات المتناثرة لمختلف الكتابات عن احتلال الجزائر الأول لـ ألفريد نتمونت، **تاريخ احتلال الجزائر**، باريس، 1856 " Alfred Nettement, **L'histoire de la conquête d'Alger** البدايات الإمبراطورية احتلال الجزائر، باريس، 1929 " Esquer Gabriel, **la prise d'Alger Les commencements d'un empire**"<sup>1</sup>.

وقد بنى على ضوء هذين المؤلفين أبو قاسم سعد الله مؤلفه محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال، وقد أشار إلى أن المصادر التي تعطي وجهة النظر الجزائرية عن موضوع الحملة لا تكاد توجد، وحتى حمدان خوجة في كتابه المرأة لا يخصص إلا عشر صفحات لأسباب الحملة<sup>2</sup>، في حين أن المؤلف كاميل روسي<sup>3</sup>، **احتلال الجزائر**، باريس، 1879 "Camille Rousset, **la conquête d'Alger**" ما هو إلا تجميع لما ورد لدى نتمونت وبيليسي دي رونو<sup>4</sup>.

### 1. تآزم العلاقات الجزائرية الفرنسية وبداية الحملة.

ظلت العلاقات الجزائرية الفرنسية على العموم ودية وطيبة طيلة العهد العثماني بالجزائر ثم أخذت منحى خطيراً مطلع القرن التاسع عشر، وقد تعقدت وضعية الحكومة الجزائرية داخليا وخارجيا، ففي الداخل لم يعد لها سند شعبي لا من الكراغلة<sup>5</sup> ولا من

<sup>1</sup>Georges Yver et Autres, **Histoire et Historiens de l'Algérie**, Librairie Félix Alcan, Paris, 1931, p-p 267-269.

<sup>2</sup> أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث "بداية الاحتلال"، ط3، الشركة الوطنية لنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص13.

<sup>3</sup> كاميل فليكس ميشال روسي Camille Félix Michel Rousset (1821-1892) أستاذ ومؤرخ فرنسي، سنة 1864 يعين كإستوغرافي لدى الوزارة الحربية الفرنسية ومحافظ مكتبة هذه الأخيرة. ينتخب سنة 1871 كعضو في الأكاديمية الفرنسية. ينظر:

Gustave Vapereau, **Dictionnaire Universel des Contemporains**, Librairie Hachette et Cie, Paris, 1870, p1588.

& catalogue.bnf.fr/ark:/12148/cb14444224r, consulté le 04/12/2022 à 14 :05

<sup>4</sup>Georges Yver et Autres, op Cit, p270.

<sup>5</sup> الكراغلة مند محاولتهم الأولى للاستيلاء على الحكم وطرد الأتراك سنة 1630 منعوا من المشاركة في السلطة رغم احتفاظهم بأجورهم، وتشكل حاجز عدم الثقة بينهم وبين الأتراك. ينظر: حمدان بن عثمان خوجة، المرأة، المصدر السابق، ص116 وما بعدها.

السكان<sup>1</sup>، تحكمها هواجس الربية والشك اتجاههما. وخارجيا باستفادة بعض اليهود من الوضع المتردي والمتعفن بالتحكم في التجارة الخارجية للجزائر ورهن القرار السيادي للدولة في يد تجار عائلة بكري وبوشناق<sup>2</sup> تحديدا.

وللتدليل على كيفية جمع هذه الثروات الكبيرة لهؤلاء التجار اليهود يذكر صاحب المرآة أنهم بنوا ثروتهم على حساب السكان باحتكار سوق القمح والأفضلية في السعر، وهو ما كان ممنوعاً على الجزائريين.<sup>3</sup> لتتشابك المصالح وتتداخل وتتعدد بين الإيالة وفرنسا فهذه الأخيرة مدينة لليهود وهؤلاء مدينين للجزائر نجم عنه صراع طويل حول ديون، انتهى بحصار بحري سنة 1827 على الجزائر ثم حملة عسكرية سنة 1830.

لكن مبررات الحملة لها عدة دواخل أخرى ألفت بسدولها على الحكومة الفرنسية داخليا وخارجيا، فالمعاهدات التي فرضت على فرنسا سنة 1815<sup>4</sup> تركت جروحاً غائرة، نتج عنه مطالبات بتغيير جذري فكانت دعاوي حقوق الإنسان تلهب المجتمعات الغربية بشغف وحرارة لا تقاوم فضلا عن صراع ما بين البرجوازية الملكية فيما بينها والجمهوريين من جهة أخرى. وصراع دولي محموم خصوصا مع انجلترا وروسيا، فهذه الأخيرة كانت المستفيد الأكبر من

<sup>1</sup> السكان ازدادت عزلتهم خصوصا بعد ثورات ابن الأعرش بالشرق والدرقاوة بالغرب. ينظر: ناصر الدين سعيدوني، وركات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، المرجع السابق، ص 263 وما بعدها.

<sup>2</sup> مات سنة 1805 بضربة من جندي إنكشاري، فقد جر اليهود الحكومة وراءهم في مسألة الدين علاوة على تدخلهم في شؤون البلد السياسية وشراء المناصب حتى عد "ملك الجزائر". ينظر: أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث "بداية الاحتلال"، المرجع السابق، ص ص 16-17.

<sup>3</sup> قصة ثراء اليهود يروي حمدان خوجة واقعة يفسر الكيفية السريعة التي بنى بها هؤلاء تلك الثروات، ملخصها أن باي قسنطينة أتى إلى الجزائر وأراد تقديم هدية ثمينة إلى زوجة الداوي فتوجه إلى اليهودي بوجناح فأحضر له صرماطا مرصع بالماس بسعر (300000 فرنك) وبما أن الباوي لا يستطيع دفع هذا المبلغ فاتفق مع اليهود على دفع قيمته قمح بسعر (4 فرنكات) للكيلة الواحدة (الكيلة وزن 40 كلغ)، فشحنت مراكبهم كمية من القمح قدرها خمسة وسبعون ألف كيلة نقلت إلى فرنسا أثناء الحصار الإنجليزي باعوها بخمسين فرنك (50 فرنك) للكيلة الواحدة لم تكلفهم سوى 4 فرنكات، فانظر حجم الربح الخيالي الذي قدر ب ثلاثة ملايين وسبعمائة وخمسين ألف فرنك، لهدية لم تكلف سوى 30000 فرنك عند شرائها أول مرة من فرنسا. ينظر: حمدان بن عثمان خوجة، المرآة، المصدر السابق، ص ص 121 وما بعدها.

<sup>4</sup> معاهدة الاستسلام التي وقعها الفرنسيون أنهت حروب نابليون التوسعية بعد معركة واترلو وأرغمتهم على اقتطاع أجزاء واسعة من أراضيهم.

معركة نافرين سنة 1827 بحيث كانت منطلقا لعلمياتها التوسعية على حساب الإمبراطورية العثمانية في أوروبا وآسيا<sup>1</sup>.

فرنسا وجدت نفسها مرغمة إن لم تسابق الزمن أمام قوة روسية إنجليزية متصاعدة سوف تعيش غصة حسرتها إلى الأبد، فلم تعد معها تقر إلا بقانون التنافس الحتمي "inévitable rivalité" ورفض المستحيل، إذا فالمبادرة لا تحتاج نظرة من فوق أو من بعيد "La restauration ne voyait ni de haut, ni de loin"، أصبح معها القيام بتحريك توسعي اتجاه الجزائر إحدى الحلول العابرة والغامضة<sup>2</sup>. هذه الخلاصة التي توصلت إليها القيادة الفرنسية من وزراء والملك شارل العاشر وقاموا بترسيمها. بقي الآن إيجاد مبررات هذا الغزو سياسيا وإعلاميا وعسكريا وحشد الرأي العام<sup>3</sup>.

## 2. الأرشيف العثماني ومصيره مع الحملة

تشكل المصادر الأرشيفية التاريخية الإرث غير المادي الذي طالته أيادي الاحتلال منذ الوهلة الأولى بالعبث، وترك لعامل النسيان والإهمال تتال منه<sup>4</sup>. في حين كان الإرث المادي خزينة الدولة، العقارات الوقفية وغيرها أولى الغنائم التي تكالب عليها العسكريون الفرنسيون<sup>5</sup>. وقد شملت هذه الثروة غير المادية:

<sup>1</sup>Luis Blanc, Op Cit, pp 8.9.

<sup>2</sup>يمكن مراجعة الصراعات البرلمانية حول حملة الجزائر وكذلك حول الاحتفاظ أو التخلي عنها ومحاولة إلحاقها بمحمد علي أو أحد بايات تونس، الليبراليين الفرنسيين توجسوا من هذه الحرب معترضين عليها، شهدتها نقاشات على صفحات الجرائد الفرنسية. ينظر:

Alfred Nettement, **L'histoire de la conquête d'Alger**, Librairie Jacques Lecoffre, Paris, 1867, p-p 184-228

<sup>3</sup>Luis Blanc, op Cit, pp 9.10.

<sup>4</sup> ضاع جزء منها بفعل الفوضى التي أعقبت دخول الجيش الفرنسي مدينة الجزائر وانهيار الإدارة المحلية القائمة على هذه الدفاتر (1830م)، وقيام بعض قادة الجيش الفرنسي فيما بعد على إتلاف بعض السجلات رغبة منهم في المحافظة على ما استحوذوا عليه من ودائع وثروات الخزينة. يكفي أن ألبير دافو Devoulx Albert المكلف بالإشراف عليها يتصرف فيها وكأنها ملكية خاصة، فيهدي نسخ من السجلات لضيوف الإدارة الاستعمارية بالجزائر، منهم محمد باي تونس سنة 1858 وخليفة محمد الصادق باي سنة 1861 يتسلم 62 وثيقة. ينظر ناصر الدين سعيدوني، وراقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، المرجع السابق، ص 87.

<sup>5</sup> التعطش إلى الثروة الذي استهوى الفرنسيين في الجزائر قد نفى عنهم كل حذر وكل تعقل، فأصبحو صما عميا لا يبصرون، فهم أشبه بالعملاق يدفعه العطش للشرب الماء المالح لحوض المدينة الصغيرة، كلما شرب ازداد عطشا، ويجف

1. سجلات بيت المال: تتضمن معلومات حول الأملاك الموقوفة وعوائد المؤسسات الخيرية المشرفة عليها وأمانات وودائع بيت المال، وقوائم الأملاك العقارية أقدمها يعود إلى 1699م.

2. دفاتر البيك: أغلبها تقايد الأملاك الموقوفة "الوقفيات"، وجداول لنفقات ومداخل الخزينة تخص مدينة الجزائر، وأوطان دار السلطان القريبة من الجزائر القليعة، البليدة، شرشال... الخ. وجلها يرجع إلى أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر الميلادي.

3. وثائق المحاكم الشرعية: غالبيتها عقود شرعية وأحكام قضائية تتعرض لقضايا الملكية والمعاملات المتعلقة بها من بيع وشراء، عقود الزواج والطلاق، الإرث والهبة والشفعة. جمعت هذه الوثائق من المحاكم الجزائرية الحنفية والمالكية وفي مقدمتها محاكم مدينة الجزائر، من طرف الإدارة الفرنسية بالجزائر في الثلاثين سنة الأولى من الاحتلال 1860-1930، لصالح مصلحة الأملاك العقارية "الدومين"<sup>1</sup>.

لحظة احتلال الجزائر وُجد لدى مصالح الإيالة حسابات، عقود، دفاتر، وثائق إدارية باللغة العربية والتركية، بعضها فُقد في الفوضى التي سادت بداية الاحتلال. سنة 1848 عين السيد ألبر دوفو Devoulx Albert محافظاً للأرشيف العربي، ولم يكن محافظاً بمعنى الكلمة، إذ وجدت عدة وثائق لدى الباعة ورزم أوراق معروضة للبيع، ووثائق مهمة مصدرها المخزون الأساسي للوثائق الموضوعة تحت حمايته. ويتحمل جزءاً من المسؤولية عن الحالة التي آلت إليها الوثائق المبعثرة وغير المنظمة.<sup>2</sup>

الحوض ولكن العطش لا يزول. يكفي أن الفرنسيين استولوا على 100 مليون فرنك نقلت إلى لندن حيث تقاسمها لويس فليب وتاليران وبعض أعوانهما. ينظر: حمدان بن عثمان خوجة، المرأة، المصدر السابق، ص 75، 98.

<sup>1</sup> جمعت لحاجة السلطة الفرنسية آنذاك إلى التعرف على كل ما يتصل بالملكيات الخاصة أو ما يتعلق بالأوقاف، بهدف انتزاع ملكيتها وإلغاء أحكامها وتسهيل إجراءات الاستحواذ عليها عملاً بتعليمات قانون نابليون الثالث المعروف بسيناتوس كونسولت (Sénatus consulte) 22 أبريل 1863، القاضي بإلغاء الملكية الجماعية وتحديد الملكية الخاصة وتصفية الأوقاف لفائدة المعمرين الفرنسيين في الجزائر. ينظر ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، المرجع السابق، ص 88.

<sup>2</sup>William Marçais et Autres, Op Cit, p163.

فكانت لدوفو مطلق الحرية للتحكم بهذه الوثائق ولمدة 25 سنة، فتصرف فيها كملكية خاصة، لكن ما يمكن قوله، أن ضميره قد استفاق على أهمية الوثائق، فانكب على التققيب واستغلال واستخلاص ونشر كثير من المواد لهذا المخزون الهائل، والتي ملأت تحت توقيعه الأعداد الخمس وعشرون الأولى للمجلة الإفريقية، وكثير من المؤلفات باسمه منها:

"Les Tachrîfât, Recueil de note historiques sur l'administration de l'ancienne régence d'Alger, Le registre des prises maritimes, Les édifices religieux de l'ancien Alger...etc."<sup>1</sup>

حيث مُنحت له جائزة سنة 1870 لأعماله الأثرية من أكاديمية الجزائر. بعد موت دوفو سنة 1876 بقيت أرشيفات العهد العثماني بالجزائر مهملة، ولم يكلف أحد نفسه عناء إلقاء نظرة عليها ما يقارب نصف قرن، إلى سنة 1921 حيث ابتدر دوني J. Deny إحياء الدراسات التاريخية للعهد العثماني بالجزائر.<sup>2</sup>

وهناك مصادر بقيت إلى حد ما بعيدة عن عبث الإدارة الاستعمارية ويوصي أغلب المؤرخين الفرنسيين بالاعتماد عليها بالدرجة الأولى أمثال مارسي Marçais، غزال Gsell، قوتيي Gautier وغيرهم منها:

1. وثائق الأرشيفات التركية: مرتبط بالدولة العثمانية، مثل خزانة قصر توكابو وخزانة الباب العالي الرئيسية وخزانة الخارجية التركية. لم تطلها أيدي عبث الاحتلال فهي ذخيرة حية محفوظة.<sup>3</sup>

2. وثائق الأرشيفات الأوروبية: كانت نتيجة للعلاقات السياسية والاقتصادية النشطة والاتصالات الدبلوماسية، قام بها رجال دين وقناصل وأسرى أوروبيون وتجار موانئ البحر الأبيض المتوسط مع مدينة الجزائر، مثل أرشيف الغرفة التجارية بمرسيليا.

<sup>1</sup> William Marçais et Autres, Op Cit, pp 163.164.

<sup>2</sup> Ibid, p164.

<sup>3</sup> تصريح لمدير أرشيف إستانبول (فيار كيرغان) لجريدة المجاهد بتاريخ جانفي 1977: "هناك العديد من الوثائق المحفوظات التركية تهم الجزائر، وهي من الكثرة والتنوع ما يتطلب إعادة تنظيمها وفهرستها مدة قد تصل إلى عشر سنوات".

3. المصادر المعاصرة للفترة العثمانية: تعتبر مصادر مكملة للوثائق الأولية الأرشيفية، فمن النصوص التاريخية التي وضعت باللغة العربية أو التركية نذكر بعضها: بييري ريس، التامقروتي، ابن زاكور الفاسي، أبي القاسم الزياني، ابن عمار الجزائري، ابن ميمون الجزائري، ابن حمادوش الجزائري، عبد الله بن الشويحات وحمدان خوجة صاحب المرأة... الخ. والمصادر باللغة الأجنبية نذكر بعضها: هايدو، الأب دان، الفارس دارفيو، دابير، لوجي دي تاسي، مورقان، القس راينال، فانثور دي بارادي، بوتان، شالير... الخ.<sup>1</sup>

---

<sup>1</sup> ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، المرجع السابق، صفحات 91، 92، 96، 98.

# الفصل الأول

تقرير إحصائي كمي لكتابات الفرنسيين إبان القرن 19م

حول الأمير عبد القادر

دراسة لعينات

- 1- جدول كمي لكتابات الفرنسيين عن الأمير عبد القادر إبان القرن التاسع عشر.
- 2- مخطط بياني لحجم كتابات الفرنسيين عن الأمير عبد القادر (عينة شملتها الدراسة).
- 3- مخطط بياني لحجم كتابات الفرنسيين عن الأمير عبد القادر (ذكورا وإناثا)
- 4- مخطط بياني لحجم كتابات الفرنسيين عن الأمير عبد القادر (حسب التخصصات الوظيفية والمهنية للمؤلفين)
- 5- مخطط بياني عن حجم كتابات الفرنسيين عن الأمير عبد القادر (حسب انتماء الكتاب للمناطق الفرنسية)

شغلت شخصية الأمير عبد القادر مكانة بارزة في معظم كتابات الفرنسيين على تعدد مشاربهم وتباين توجهاتهم إبان القرن التاسع عشر، وظلت معلما بارزا في كثير من كتابات الفرنسيين سواء العسكرية، السياسية، الأدبية والفكرية. وامتدت المساحة الزمنية لهذه الكتابات منذ احتلال الجزائر إلى نهاية القرن التاسع عشر، بل ظلت تتراكم كتابات الفرنسيين المخددة لهذه الشخصية على امتداد القرن العشرين، ونحن اليوم على مشارف الذكرى المئوية الثانية لمبايعته بعد 10 سنوات وكتابات الفرنسيين تثري المكتبة الأميرية.

### 1. حجم كتابات الفرنسيين إبان ق19م التي تناولت الأمير عبد القادر:

كثيرة هي كتابات (مؤلفات الفرنسيين) التي اجتهدت في جمعها وترتيبها وهي عينة شملتها الدراسة ولا تعبر تماما عن كل ما كتب عن الأمير عبد القادر، وتعددت هذه الكتابات منها المتخصصة والتي أفردت له حيزا معتبرا ضمن دراسة تاريخية، أو في إطار تاريخ الجزائر العام كمستعمرة، أو في سياق سرد تاريخ فرنسا ونشأة إمبراطوريتها الاستعمارية، وعلى العموم لم تخل كتابات الفرنسيين في القرن التاسع عشر من التعرّيج على هذه الشخصية المحورية (الأمير عبد القادر) سواء قليلا أو كثيرا.<sup>1</sup>

إن الدراسات والأبحاث التي ألفت بظلالها على سيرة الأمير في كتابات الفرنسيين المعاصرة يمكن الرجوع بالخصوص لأعمال إريك جوفروا Eric Geoffroy وكذلك برونو إيتين Bruno Étienne وما أثاره في الملاحق من شروحات ببليوغرافية تخص أعماله عن الأمير

<sup>1</sup> القسم الأكبر من المصادر الفرنسية إبان ق19م تم تحميلها من موقع BNF Gallica. وهو موقع لمكتبة وطنية فرنسية رقمية افتراضية بدأت نواتها في عهد الرئيس الفرنسي فرانسوا ميتران سنة 1988، تتيح للباحثين تصفح كم هائل من الوثائق عن طريق الحاسوب، وفي منتصف تسعينيات القرن الماضي مع انبعاث الوسائط المعلوماتية ومواقع الأنترنت فتحت Gallica مع نهاية 1997 موقعها الإلكتروني، حيث يمكن للمتصفح الاطلاع على ملايين الوثائق من كتب ومستندات وصور وخرائط وشرائط فيديو وغيرها، يكفي أنه في الفترة ما بين 2010 و2014 انتقل مخزون الموقع من واحد مليون إلى ثلاثة مليون وثيقة، والعملية مستمرة ويساهم فيها "شركاء" لأكثر من 90 مكتبة لها روابط تعريفية بالموقع، وتتيح للمتصفح تحميل الوثائق كليا أو جزئيا حسب حقوق النشر، توفر للطلبة الباحثين انشاء مكتبة خاصة بهم. ينظر:

gallica.bnf.fr/edit/und/a-propos, consulté le 12/01/2023 à 4 :08.

عبد القادر<sup>1</sup>. كما يمكن الرجوع إلى أعمال يوسف مناصرية في فصل من كتابه خصه عن الأمير عبد القادر في الكتابات الفرنسية<sup>2</sup> والتي تزخر بمصادر ومراجع متنوعة.

وارتأينا في هذه الدراسة أن نقدم أولاً محاولة جرد عددية لهذه الكتابات في الجدول اللاحق مرتباً أبجدياً حسب ألقاب الكتاب الفرنسيين لـ 180 عنواناً مشتملاً (اسم المؤلف، عنوان الكتاب، الناشر، المدينة والسنة) وأرفقنا بالملاحق نسخة لجميع هذه الكتابات (مؤلفات الفرنسيين) محفوظة في قرص مضغوط على صيغة PDF يمكن الرجوع إليها.

كما حاولنا إعطاء قراءة للمساحة الزمنية لحجم هذه الكتابات على مدار القرن التاسع عشر ميلادي (1830-1900) في شكل منحنى بياني، والتي جاءت على ثلاث مراحل متباينة لكل منها خصوصيتها سواء في كثرة هذه الكتابات أو ندرتها.

كذلك عالجنا توزيع هذه الكتابات بين الجنسين الرجال والنساء وحقل الاهتمامات التي عالجت بها النساء سيرة الأمير عبد القادر، والطابع الذي غلب عليها سواء الديني أو القومي مما حاد بها عن معالجة تاريخية وازنة، وإن كان هذا الأمر لا يقتصر عليهن فقط، بل يشترك فيه كثير من الكتاب الرجال.

أضف إلى ذلك قدمنا دراسة عن التوزيع الجغرافي للكتاب الفرنسيين من حيث أصولهم التي يرجعون إليها والمناطق الأكثر استحواداً على الكتابات التي خصت الأمير عبد القادر، كما حاولنا إعطاء نظرة عن التخصصات المهنية والوظيفية للكتاب الفرنسيين، وهذه الخلفية تنتج تبايناً واضحاً في معالجة سيرة الأمير عبد القادر كما هو الحال مثلاً ما بين العسكري والسياسي أو الأديب ورجل الدين وغيرهم.

وإلى جانب ذلك اجتهدت في تقديم وعرض بعض الكتابات (حوالي ربع هذه الكتابات في الفصل الثاني والثالث والرابع) كانت محل دراسة مستفيضة بالتعريف بالكاتب وبعض نوازه الفكرية التي ألفت بظلالها على كتاباته. ثم محتوى الكتاب وأهم العناصر المتطرق إليها والتي تناولت بالخصوص شخصية الأمير عبد القادر ومقارنة بعضها ببعض، إرتأينا فيها التنوع ما

<sup>1</sup>Bruno Étienne, **Abdelkader Isthme des isthmes (Barzakh al- barazikh)**, Hachette Livre, Paris, 1994, p-p 427-451.

<sup>2</sup> يوسف، مناصرية: دراسات وأبحاث في المقاومة والحركة الوطنية الجزائرية 1830-1954، دار هومة، الجزائر، 2014، صص 27-42.

الفصل الأول: تقرير إحصائي كمي لكتابات الفرنسيين إبان القرن 19 م حول الأمير عبد القادر  
دراسة لعينات

بين العسكري والسياسي والديني والأدبي، وكذلك التنوع في الرؤى والمواقف المخددة لهذه الشخصية.

علاوة على ذلك حاولنا استثمار باقي الكتابات في معالجة الفصول (الخامس والسادس) للاستفادة أكثر بأكبر حجم من هذه الكتابات على تنوعها سواء في سيرته الجهادية ضد الاستعمار أو القلمية، كما حرصنا على إدراج أسماء جديدة أو بالأحرى مغمورة لمؤلفين فرنسيين تناولوا حياة الأمير عبد القادر، رغبة في استكشاف رؤى جديدة سواء في موقفها من الاحتلال أو المقاومة أو الأمير عبد القادر على الخصوص، أو أنها أعادت استنساخ ما جمعه الآخرون.

في حين حرصنا قدر المستطاع التنوع في انتقاء كتابات الفرنسيين لسياسيين، عسكريين، مؤرخين، أدباء، رحالة وغيرهم، وما يجب الإشارة إليه أن بعض الكتابات لم تتناول الأمير عبد القادر، لكنها أدرجت ضمن البحث كونها تقدم دراسة مساعدة للموضوع مثل كتابات التوزع الجغرافي السكاني للجزائريين في عهد الأمير عبد القادر.

### 1.1 جدول كمي لكتابات الفرنسيين عن الأمير عبد القادر إبان ق19م

N°	Auteur	Titre	éditeur	Ville	Année
1	Abbé Henry	Sidi Brahim 23, 24 & 25 Septembre 1845	Imprimerie Renvé- Lallement	Paris	1899
2	Alby Ernest	Histoire des prisonniers français en Afrique depuis la conquête	Tome I, Desessart. Editeur	Paris	1847
3	Alby Ernest	Histoire des prisonniers français en Afrique depuis la conquête	Tome II, Desessart. Editeur	Paris	1847
4	Alpinus	Quelques pages sur Léon Roches	Imprimerie Allier frères	Grenoble	1898
5	Andrieu Henri	Petite Histoire de l'Algérie suivie d'un panthéon Algérien, à l'usage des écoles primaires	Imprimerie A Legendre éditeur	Miliana	1894
6	Andry Félix	L'Algérie promenade historique et topographique	Librairie de J. lefort Imprimeur-éditeur	Paris	1894
7	Arlanges Joseph	Lettres du général d'Arlanges à M le président de la Chambre des députés en réponse au discours de M le rapporteur de la commission des crédits supplémentaires	Imprimerie de Bourgogne et Martinet	Paris	1837

8	Aumal le Duc	Notice sur l'expédition qui s'est terminée par la prise de la smala d'Abd El Kader le 16 mai 1843	Vinchon Imprimeur des musées royaux	Paris	1843
9	Ayral J-L de la Lozère	Histoire de la guerre d'Afrique, ou Conquête de l'Algérie par les français : contenant le détail des expéditions... depuis 1830 jusqu'à 1843...	P. Veirun Imprimeur-Libraire	Alais	1843
10	Ballesteros Luis	L'émir Abd-el-Kader et l'Algérie	Ancien Maison E. Dujardin	Paris	1865
11	Barail F-C	Mes souvenirs	Librairie Plon	Paris	1897
12	Baraudon Alfred	Algérie et Tunisie récits de voyage et études	E Plon Nourrit et Cie		1893
13	Barbier Jean	Itinéraire historique et descriptif de l'Algérie	Librairie de L hachette et Cie	Paris	1855
14	Barrère Joseph (L'abbé)	Le Général de Tartas	Dentu Libraire-éditeur	Paris	1860
15	Baudens Lucien	Relation historique de l'expédition de Tagdempt	Germer-Baillièrre Libraire-éditeur	Paris	1841
16	Baudicour Louis	La guerre et le gouvernement de l'Algérie	Sagnier et Bray Libraires-éditeurs	Paris	1853
17	Bellemare Alex	Abd-el-kader sa vie politique et militaire	librairie hachette et cie	Paris	1863
18	Bérard Victor	Indicateur général de l'Algérie, description géographique, statistique et historique de toutes les localités comprises dans les trois provinces	Bastide Libraire-Editeur	Alger	1867
19	Berbrugger Adrien	Négociations entre Monseigneur l'évêque d'Alger et Abd el Qader pour l'échange des prisonniers	Delahaye. J éditeur	Paris	1844
20	Berbrugger Adrien	Relation de l'expédition de Mascara	Delaunay Libraire Palais-royal	Paris	1836
21	Berbrugger Adrien	Voyage au camp d'Abd-el-Kader, à Hamzah et aux montagnes de Wannourhah (province de Constantine), en décembre 1837 et janvier 1838	Imprimerie d'Eugène Aurel	Toulon	1839
22	Bertieul Arsène	L'Algérie française	Tome 1, Dentu Libraire-éditeur	Paris	1856

23	Bertieul Arsène	L'Algérie française	Tome 2, Dentu Libraire-éditeur	Paris	1856
24	Bertherand Émile	Médecine et hygiène des Arabes	Germer Baillièrre	Paris	1855
25	Berthet André	La femme du Kaïd épisode des guerres d'Afrique 1837-1848	marc Barbou & Cie Imprimeurs-Libraires	Limoges	1890
26	Bertrand Hermès	La smalah	Saint-Anand Imprimerie de Destenay		1866
27	Blanc Achille- Hippolyte	De l'Algérie Système du duc de Rovigo en 1832 Moyens d'affermir nos possessions en 1840	Imprimerie de Bourgogne et Martinet	Paris	1840
28	Blanc Achille- Hippolyte	Notes sur le théâtre des opérations militaires dans le centre de l'Algérie	Imprimerie de Bourgogne et Martinet	Paris	1840
29	Blanc Alphonse- Michel	Récit d'un officier d'Afrique	Alfred Mame et Fils Editeur	Paris	sans date
30	Blanc Alphonse- Michel	Souvenirs d'un vieux zouave	Tome I, G Téqui Libraire-éditeur	Paris	1880
31	Blanc Alphonse- Michel	Souvenirs d'un vieux zouave	Tome II, G Téqui Libraire-éditeur	Paris	1880
32	Blanc Louis	Histoire de dix ans (1830-1840)	F. D Jeanmaire éditeur	Paris	1882
33	Bongrain Maurice	Les captifs de la Deïra d'Abd-el- Kader Sidi-Brahim et Sidi- Moussa (1845-1846) souvenirs de la vie militaire en Afrique	Librairie de L. Lefort	Paris	1864
34	Bouville Carlos	France et Algérie	Chenu Imprimeur- éditeur	Loiret	1850
35	Brossard Amédée Hippolyte	Mélanges sur l'Afrique	Imprimerie de Jean Baptiste-Alzine	Perpignan	1838
36	Brossard Amédée Hippolyte	Quatre-vingt-deux jours de commandement de la province d'Oran	Imprimerie de Jean Baptiste-Alzine	Perpignan	1838
37	Bugeaud Thomas- Robert	Biographie du Maréchal Bugeaud	Imprimerie d'Emile Grugy	Bordeaux	1849
38	Bugeaud Thomas- Robert	de la colonisation de l'Algérie	A Guyot Imprimeur du Roi	Paris	1847
39	Bugeaud Thomas- Robert	Gouvernement de M. le maréchal duc d'Isly en Algérie (ses circulaires)	Imprimerie Administrative de Paul Dupont	Paris	1848

40	Bugeaud Thomas-Robert	Mémoire sur notre établissement dans la province d'Oran par suite de la paix	Gaultier-Laguionie Imprimeur	Paris	1838
41	Bugeaud Thomas-Robert	Œuvres militaires du maréchal Bugeaud	Librairie Militaire de L. Baudoin et Cie	Paris	1883
42	Bugeaud Thomas-Robert	Simple Document sur l'Afrique	Imprimerie de L-E Herhan et Bimont	Paris	1838
43	Buret Eugène	Question d'Afrique	Ledoyen Libraire	Paris	1842
44	Cabasse Charles-Jules	Relation Médico-chirurgicale de la captivité des prisonniers Français chez les Arabes	Rignoux	Paris	1848
45	Carette Ernest & Warnier Auguste	Description et division de l'Algérie	librairie de L. Hachette et Cie	Alger	1847
46	Cavaignac Eugène	La Régence d'Alger notes sur l'occupation	Victor Magen éditeur	Paris	1839
47	Cerfberr Auguste-Édouard	Combat d'Aïn-Taguin. Prise de la Smala d'Abd-el-Kader	Aurillac, Imp de Pieut	Paris	1843
48	Christian Pitois	L'Afrique Française	A. BARBIER éditeur	Paris	1851
49	Civry Eugène	Napoléon III et Abd-el-kader charlemagne et Witikind	P. Martinon, libraire- éditeur	Paris	1853
50	Cortambert Richard	Aventures d'un artiste dans le Liban	E Maillet Libraire- éditeur	Paris	1864
51	Courcelle-Seneuil. Jean-Léopold	Les massacres du Liban	Ch Albessard et Bérard Libraires- éditeurs	Paris	1860
52	Curez Léopold	Massacres d'Afrique hymne funèbre	Montlouis éditeur	Lyon	1839
53	D'Ardeuil Fumeron Marie Louis Maurice	Nouvelles observations sur la situation et l'avenir de nos possessions d'Afrique	Belin et Comp Imprimeurs	Paris	1840
54	D'Aubignosc L-P Brun	Alger De son occupation depuis la conquête en 1830, jusqu'au moment actuel. Appel au public impartial	Delaunay Dentu Au Palais Royal	Alger	1836
55	Daumas Eugène & Fabar Paul Dieudonné	La Grande Kabylie études historiques	librairie de L. Hachette et Cie	Paris	1847
56	Daumas Eugène	Mœurs et coutumes de l'Algérie	librairie de L. Hachette et Cie	Paris	1853

57	Daumas Eugène	Renseignements historiques sur la Zmala d'Abd-el-Kader, tombée au pouvoir de S. A. Mgr le duc d'Aumale dans la ghazia exécutée le 16 Mai 1843 à Taguine	Imprimerie Lange Lévy et Compagnie	Paris	1843
58	De Castellane Sophie	Compagnes d'Afrique 1835-1848	Librairie Plon	Paris	1898
59	De Grieu René	Le Duc D'Aumale et L'Algérie	Blériot et Gautier, Libraire-Editeur	Paris	1884
60	De La Fruston F	Le maréchal Bugeaud considéré comme tacticien et stratéliste didactique	Librairie militaire de leneveu	Paris	1861
61	De Lesseps Ferdinand	Souvenirs de quarante ans	Tome I, Nouvelle Revue	Paris	1887
62	De Lesseps Ferdinand	Souvenirs de quarante ans	Tome II, Nouvelle Revue	Paris	1887
63	De Lyon César	Six année en Afrique combats, victoires et revers du 17me léger	Imprimerie de Boursy	Lyon	1841
64	De Montrond Maxime	Le Général de La Moricière	Libraire de L Lefort Imprimeur-éditeur	Paris	1866
65	De Saint Arnaud	Lettres du Marechal de Saint Arnaud	Tome I Michel Lévy frères, Librairie-Editeurs	Paris	1855
66	De Saint Arnaud	Lettres du Marechal de Saint Arnaud	Tome II Michel Lévy frères, Librairie-Editeurs	Paris	1855
67	De L De C	Vie de La Moricière Esquisse biographique	Eugène Ardant et Cie éditeur	Limoges	1878
68	Decamps Alexandre	Le Maroc en face de L'Europe	Chez Tous les Marchands De Noueaés	Paris	1849
69	Depont Octave & Coppelani Xavier	Les confréries religieuses musulmanes	Typographie et Lithographie Adolphe Jourdan	Alger	1897
70	Derrien Isidore	Les Français A Oran Depuis 1830 jusqu'au nos jours	Imprimerie J. Nicot	Oran	1886
71	Desjobert Amédée	La Question d'Alger politique colonisation commerce	P. Dufart libraire	Paris	1837
72	Desjobert Amédée	L'Algérie en 1838	P. Dufart libraire	Paris	1838

73	Desjobert Amédée	L'Algérie en 1844	Guillaumin Libraire-Editeur	Paris	1844
74	Desjobert Amédée	L'Algérie en 1846	Guillaumin Libraire-Editeur	Paris	1846
75	Desmichels Louis Alexis	Oran sous le commandement du général Desmichels	Librairie Militaire D'Anselin	Paris	1835
76	Dieuzaide Victor-Amédée	Histoire de l'Algérie de 1830-1878	Tome I Imprimerie de l'association ouvrière	Oran	1880
77	Dieuzaide Victor-Amédée	Histoire de l'Algérie de 1830-1878	Tome II Imprimerie de l'association ouvrière	Oran	1883
78	Drohojowska Antoinette-Joséphine-Françoise-Anne	L'Histoire de l'Algérie racontée à la jeunesse	A.Allouard Libraire-éditeur-Commissionnaire	Paris	1848
79	Dugat Gustave	Le livre d'Abd-el-Kader intitulé Rappel à l'intelligent avis à l'indifférent	Benjamin Duprat Libraire de L'Institut	Paris	1858
80	Dupanloup Félix	Oraison funèbre du Général Lamoricière		Nantes	1865
81	Dupont Auguste	La Clémence impériale et l'émir Abd-el-Kader	Imprimerie Baily et Divry Cie	Paris	1852
82	Dupuch Antoine-Adolphe	Abd-el-Kader au château d'Amboise	Imprimerie et Lithographie de H Faye	Bordeaux	1849
83	Estancelin Louis	Coup d'œil sur la conquête et la possession d'Alger	Félix Malteste et Cie Imprimeurs-éditeurs	Paris	1838
84	Esterhazy Louis-Joseph-Ferdinand Walsin	Notice historique sur le maghzen d'Oran	Typographie de Guerrier	Oran	1849
85	Esterhazy Louis-Joseph-Ferdinand Walsin	De la domination turque dans l'ancienne régence d'Alger	Libraire de Charles Gosselin	Paris	1840
86	Fabar Paul Dieudonné	L'Algérie et l'opinion	J. Corréard éditeur d'Ouvrages Militaires	Paris	1847
87	Fallet Céline	Conquête de l'Algérie	Mégard et Cie Imprim-Libraires	Rouen	1856
88	Faucon Narcisse	Livre d'or de l'Algérie	Challamel et cie éditeurs	Paris	1889
89	Filleul de Pétigny Clara	L'Algérie	B. Pornin et Cie Imp-Libraires-éditeurs	Tours	1846

90	Filleul de Pétigny Clara	Souvenirs de voyage dans l'Asie, le Nord de l'Afrique Syrie, Algérie, Tripoli, Tunis, Etc	Eugène Ardant et cie éditeurs	Limoges	1884
91	Fillias Achille	Campagne du Maroc Tanger, Isly, Mogador, 1844 Récits militaires	Typographie et Lithographie A Bouter	Alger	1881
92	Fillias Achille	Histoire de la conquête et de la colonisation de l'Algérie (1830-1860)	Arnaud du Vresse Libraire-éditeur	Paris	1860
93	Fontaine de Resbecq Adolphe	Alger et les côtes D'Afrique	Gaume Frères Libraires	Paris	1837
94	Fourmestraux Eugène	Les budgets de l'Algérie et de la Tunisie	Imprimerie et librairie Administratives Paul Dupont	Paris	1882
95	G N	Etude sur les réguliers d'Abdel-Kader	Imprimerie Destouches	Meaux	1884
96	Gaffarel Paul	L'Algérie	Librairie de Firmin-didot et Cie	Paris	1883
97	Galibert Léon	Histoire de L'Algérie Ancienne et moderne	Furne et cie Libraire-éditeur	Paris	1843
98	Gastu François Joseph	Le peuple Algérien	Challamel aîné, éditeur	Paris	1884
99	Giroton L	Observations historiques politiques et militaires sur l'Algérie et sur sa colonisation	Chez Madame Leneveu	Paris	1840
100	Gourmez Jule	Stances à Napoléon III, sur la mise en liberté d'Ab-el-Kader	Imprimerie centrale de Napoléon et Cie	Paris	1852
101	Guérin Victor	Discours prononcé à la distribution générale des prix du lycée d'Alger le 27 juillet 1851	Typographie Bastide	Alger	1851
102	Guilbert Aristide Mathieu	De la Colonisation du Nord de L'Afrique	Paulin Libraire-éditeur	Paris	1839
103	Hennequin Amédée	La conquête de l'Algérie	Charles Douniol Libraire-éditeur	Paris	1857
104	Henri IV Loge	Initiation de L'Emir Abd-el-kader	typographie D'Alexandre Lebon	Paris	1865
105	Henri Jacob	Le Songe d'Abd-el-Kader	Gaffney Imprimeur	Ingouville	1844

106	Henry	Notice biographique sur les cavaliers de la plaine qui exécutent la fantasia au Champ-de-Mars	Imprimerie Centrale de Napoleon Chaix et Cie	Paris	1851
107	Hérisson Le Comte Maurice	La chasse à l'homme guerres d'Algérie	Paul Ollendorff, éditeur	Paris	1891
108	Hugonnet Ferdinand	Français et Arabes en Algérie	Imprimerie de L. Tinterlin et Cie	Paris	1860
109	Ideville Comte Henry	Le Maréchal Bugeaud d'après sa correspondance intime et des documents inédits (1784-1849)	Tome I, Librairie de Firmin-Didot et Cie	Paris	1881
110	Ideville Comte Henry	Le Maréchal Bugeaud d'après sa correspondance intime et des documents inédits (1784-1849)	Tome II, Librairie de Firmin-Didot et Cie	Paris	1885
111	Jobin Abbé	La Syrie en 1860 et 1861	L. Lefort Imprimeur-Libraire	Lille	1862
112	Kloch Elie	Portrait-légende sur Abd-El-Kader	Chez Fiquet Libraire-éditeur	Paris	1848
113	Kohn-Abrest Frédéric	En Algérie Trois mois de vacances	Librairie Ch. Delagrave	Paris	1884
114	L'Abbé Laurent De Saint-Aignan Valentin-Philippe	La Terre-Sainte Syrie Égypte et Isthme de Suez	C. Dillet Libraire	Paris	1868
115	Ladimir François et Moreau E	Campagnes, triomphes, revers, désastres et guerres civiles des Français de 1792 à la paix de 1856	Tome 6, Librairie Populaire des villes et des Campagnes	Paris	1856
116	Ladimir Jules François	Les guerres d'Afrique, depuis la conquête d'Alger par les Français jusques et compris l'expédition de Kabylie en 1857	B Renault et Cie Libraires Editeurs	Paris	1859
117	Lallemand Charles	L'Ouest de l'Algérie Réseaux exploités par la compagnie de l'Ouest-Algérien	Challamel et Cie éditeurs	Paris	1891
118	Langlois Hippolyte	Souvenirs d'un prisonnier d'Abdel-Kader	Henri Plon Imprimeur-éditeur	Paris	1859
119	Lapène Edouard	Tableau historique de la province d'Oran, depuis le départ des Espagnols en 1792, jusqu'à l'élévation d'Abdel-Kader en 1831	Imprimeur de l'Académie	Metz	1842

120	Lavayssière Le Sergent	Le combat de Sidi-Brahim et le sergent Lavayssière (23, 24, 25 septembre 1845)	Typographie De delattre -Lenoel	Amiens	1883
121	Laveille Auguste	Lamoricière un soldat chrétien	Desclée de Brouwer et Cie	Paris	1895
122	Lavigerie Charles	L'armée et la mission de la France en Afrique	Librairie A Jourdan éditeur	Alger	1875
123	Le Marquis De La Tour-Du-Pin	Dernières opérations de l'armée d'Afrique	Poethel Imprimerie de Beauvarlet	Paris	1846
124	Le Pays De Bourjolly. Jean-Alexandre	Considérations sur l'Algérie ou les faits opposés aux théories	chez tresse Libraire	Paris	1846
125	Le Saint L	Fastes de l'Algérie ancienne et moderne	Eugene A rdant et Cie éditeur	Limoges	1873
126	Leblanc De Prébois François	Bilan de l'Algérie à la fin de l'an 1864	Imprimerie de l'Akhbar	Alger	1865
127	Leblanc De Prébois François	Lettre sur l'Algérie, à MM. les membres de la Chambre des Députés	Imprimerie de Boehm et Cie	Montpellier	1840
128	léonce André	Les Campagnes d'Afrique Récits populaires et anecdotes	P. Lebigre-Duquesne Libraire-éditeur	Paris	1868
129	Loyer Charles	La vérité sur l'échange des prisonniers français et des prisonniers arabes	Challamel Aîné Libraire-éditeur	Paris	1870
130	Marin Jean-Charles-Joseph	Rapport de l'expédition de Tlemcen à Aïn-Temouchet du 26 au 27 septembre 1846	Typographie Félix Malteste et Cie	Paris	1847
131	Martinval E	Bou-Maza scheriff des Ouled-Yonnes prisonnier des français	Chez Tous les Libraires	Paris	1847
132	Masqueray Émile	Formation des Cités chez les populations sédentaires de l'Algérie	Ernest Leroux, Editeur	Paris	1886
133	Maurin A E	Lithographe Abd-el-Kader D'après un dessin fait au fort Lamalgue	Bibliothèque nationale de France	Paris	sans date
134	Minard Alphonse	Épisodes de la guerre d'Afrique de 1843 à 1849	J Brosseron Libraire	Chartres	1882
135	Mornand Félix	La vie arabe	Michel Levy Frères	Paris	1856

136	Nazarieux Charles-Pierre	Mémoire historique géographique et politique sur l'Algérie	Imprimerie de Worms	Paris	1840
137	Obert Henri & Carle Jule	Aperçu général sur la colonisation de L'Algérie	Imprimerie de Vassale Frères	Paris	1843
138	Orleans Ferdinand-Philippe	campagne de l'armée d'afrique 1835-1839	Michel Lévy frères éditeur	Paris	1870
139	Orleans Ferdinand-Philippe	Récits de campagne 1833-1841	Calmann Lévy éditeur	Paris	1890
140	Paris Roch	De la Situation de l'Algérie depuis les massacres du 20 novembre, ou des Moyens de combattre la puissance d'Abd-El-Kader, et d'arrêter la ruine de notre colonie	Imprimerie de Bourgogne et Martinet	Paris	1840
141	Pègues Jacques-Louis	Combat de Sidi-Brahim	Impremerie Baldachino-macon-viguiier	Alger	1887
142	Pélion M D	Considérations politiques et militaires sur l'Algérie	P Baudouin Libraire-éditeur	Paris	1838
143	Pellissier de Reynaud Edmond	Annales Algériennes	Tome I, Librairie bastide	Alger	1854
144	Pellissier de Reynaud Edmond	Annales Algériennes	Tome II, Librairie bastide	Alger	1854
145	Pellissier de Reynaud Edmond	Annales Algériennes	Tome III, Librairie bastide	Alger	1854
146	Perret Eugène	Les Français en Afrique	Bloud et barral	Paris	1886
147	Pichon Jules	Abd El Kader, sa jeunesse son rôle politique et religieux son rôle militaire sa captivité, sa mort (1807-1883)	Henri Charles-Lavauzelle	Paris	1899
148	Plée Léon	Abd-el-Kader, nos soldats, nos généraux et la guerre d'Afrique	Gustave Barba libraire-éditeur	Paris	1874
149	Poisle-Desgranges	Récit succinct d'une exploration sur le littoral d'Algérie suivi de l'Immortelle Défense de Mazagran	Chez Violet éditeur	Paris	1841
150	Ponroy Arthur	Le Maréchal Bugeaud récit des champs des camps et de la tribune	Michel Lévy Frères éditeurs	Paris	1849

الفصل الأول: تقرير إحصائي كمي لكتابات الفرنسيين إبان القرن 19 م حول الأمير عبد القادر

دراسة لعينات

151	Puech Hippolyte (fils)	Le barde sur le mont Atlas ou quelques épisodes de la gloire Française	Imprimerie de la veuve gaude	Nimes	1844
152	Quesnoy Ferdinand	L'armée d'Afrique depuis la conquête d'Alger	Jouvet et Cie éditeur	Paris	1888
153	Rastoul Alfred	Le général de Lamoricière	Lefort Imprimeur-éditeur	Paris	1894
154	Renard Jules	Histoire de l'Algérie racontée aux petits enfants	Librairie Classique Adolphe Jourdan	Alger	1884
155	Renard Jules	Les Etapes d'un Petit Algérien dans la province d'Oran	Librairie Hachette et Cie	Paris	1888
156	René De Saint-Félix	le voyage de S M l'empereur Napoléon III en Algérie	Grande Libraire Napoléonienne	Paris	1865
157	Reuss Louis Jean Max	A travers l'Algérie	Librairie Générale de Vulgarisation	Paris	1884
158	Richard Ch	Etude sur l'insurrection du Dahra (1845-1846)	Typographie A. Besancenez	Alger	1846
159	Rinn Louis	Marabouts et khouan étude sur l'islam en Algérie	Adolphe Jourdan Libraire-éditeur	Alger	1884
160	Roches Léon	Dix ans à travers l'islam 1834-1844	librairie académique didier	Paris	sans date
161	Roches Léon	Trente-deux ans à travers l'Islam (1832-1864)	TomeI Librairie de Firmin-Didot et Cie	Paris	1884
162	Roches Léon	Trente-deux ans à travers l'Islam (1832-1864)	TomeII Librairie de Firmin-Didot et Cie	Paris	1885
163	Rousset Camille	La conquête d'Alger	E. Plon et Cie Imprimeur-éditeur	Paris	1879
164	Rousset Camille	L'Algérie de 1830 à 1840 : les commencements d'une conquête	Tome I, E. Plon, Nourrit et Cie Imprimeur-éditeur	Paris	1887
165	Rousset Camille	L'Algérie de 1830 à 1840 : les commencements d'une conquête	Tome II, E. Plon, Nourrit et Cie Imprimeur-éditeur	Paris	1887
166	Roy Just-Jean-Étienne	Histoire de l'Algérie depuis les Temps les plus reculés jusqu'à nos jours	Alfred Mame et Fils éditeur	Tours	1880
167	Rozey Armand-Gabriel	Cris de conscience de l'Algérie	Amédée Gratiot et Cie Imprimeurs du Collège Royal de France	Paris	1840

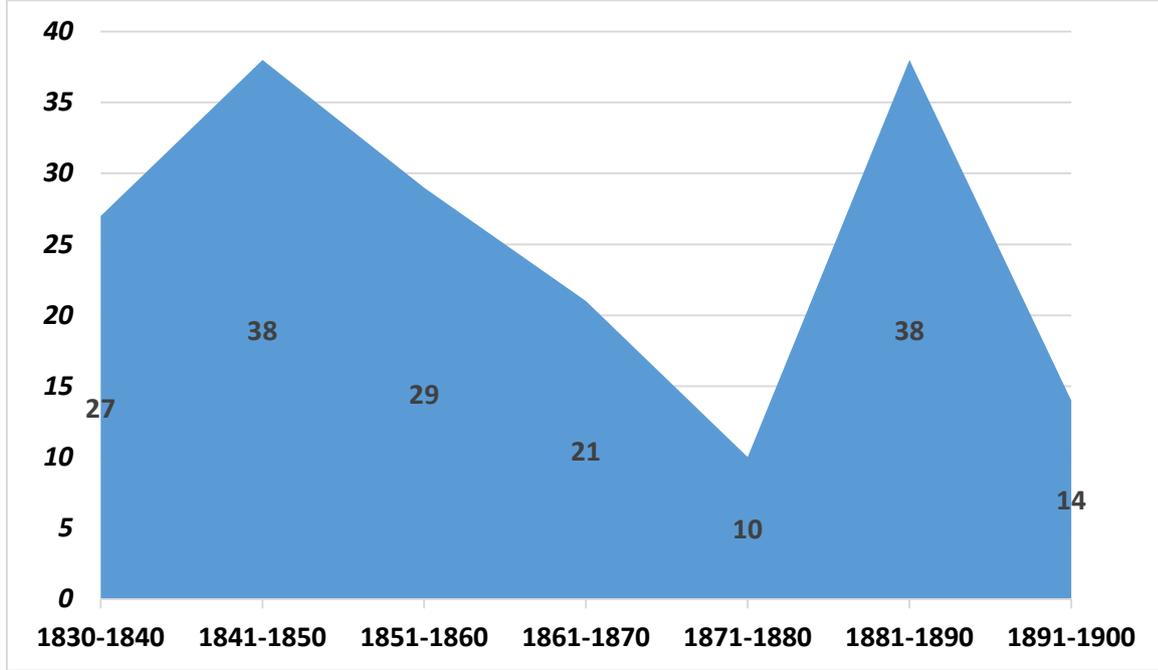
الفصل الأول: تقرير إحصائي كمي لكتابات الفرنسيين إبان القرن 19 م حول الأمير عبد القادر

دراسة لعينات

168	Séjour Victor	Les massacres de la Syrie drame en huit tableaux	J Barbré Libraire-éditeur	Paris	1860
169	Suchet Jacques (L'Abbé)	Lettres édifiantes et curieuses sur L'Algérie	Ad Mameet Cie Libraire-Editeur	Tours	1840
170	Touchet Stanislas	L'Anniversaire de Sidi-Brahim discours prononcé dans l'église de la Madeleine à Besançon le 21 Septembre 1891	Imprimerie et Lithographie Dodivers	Besançon	1891
171	Trumelet Corneille	Bou-Farik: une page de l'histoire de la colonisation algérienne	Adolphe Jourdan Libraire-éditeur	Alger	1887
172	Trumelet Corneille	Histoire de l'insurrection dans le sud de la province d'Alger en 1864	Typographie Adolphe Jourdan	Alger	1879
173	Trumelet Corneille	Les français dans le désert, journal historique, militaire et descriptif d'une expédition aux limites du Sahara algérien	Challamel Ainé éditeur	Paris	1885
174	Vallée Oscar	Pages d'histoire récits de campagne du duc d'Orléans	E de Soye et Fils Imprimeurs	Paris	1890
175	Veillot Louis	Les Français en Algérie souvenirs d'un voyage fait en 1841	Alfred mame et Fils éditeurs	Tours	1888
176	Villebois-Mareuil Félix	Hommage à la mémoire du général de Lamoricière	Angets imp P. Lachèse	Paris	1865
177	Voisin Georges	L'Algérie pour les Algériens	Michel Lévy frères, Librairie- Editeurs	Paris	1861
178	Wahl Maurice	L'Algérie	Libraire Germer Baillièrre et Cie	Paris	1882
179	Warnier Auguste	L'Algérie devant L'empereur pour faire suite à l'Algérie devant le sénat et à l'Algérie devant l'opinion publique	Challamel ainé, libraire-éditeur	Paris	1865
180	William Chevalier	L'Émir Abd-el-Kader	Chez Les Libraires et Chez l'Auteurs	Paris	1866

## 2. مخطط بياني لحجم كتابات الفرنسيين عن الأمير عبد القادر (عينة شملتها الدراسة)

ونحاول هنا تبيان حجم هذه الكتابات وتوزيعها الزمني خلال القرن التاسع عشر ميلادي



### الشكل رقم 1: التوزيع الزمني لكتابات الفرنسيين في كل عقد من ق19م

حسب المخطط البياني فإن كتابات الفرنسيين عن الأمير عبد القادر في القرن التاسع عشر ميلادي قد تميزت من حيث العدد: (وهي عينة شملتها الدراسة وليس كل ما كتب عن الأمير عبد القادر)

أولاً: أنها شملت الفترة الزمنية بكليتها؛ فلم يخل عقد من كتابات جديدة أرخت للأمير عبد القادر ومنها للجزائر أو العكس أرخت للجزائر ومنها للأمير عبد القادر وهذه الخصوصية التاريخية لم يحفل بها سواه في تاريخ الجزائر، حيث اعتبر رمزا متينا لا يستطيع أي مؤرخ يكتب عن تاريخ الجزائر تجاوزه، فالأمير عبد القادر هنا يصنع تاريخ الجزائر الوطني.

ثانياً: إن الكتابات التي خصت الأمير في العقدين الأولين وهي مرحلة المقاومة كانت إلى حد ما كثيرة ومتنوعة وأغلب الكتاب عايشوا مراحل المقاومة الأولى في حين تناقصت نسبياً في العقدين المواليين وهي مرحلة السجن والهجرة وأحداث الشام. كان الحظ الأوفر فيها

من نصيب العسكريين بالدرجة الأولى والتراجمة العسكريين وبعض السياسيين والقسيسين.<sup>1</sup>  
أمثال: أميدي هيبوليت بروصارد Amédée Hippolyte Brossard، توماس روبير بيجو  
Thomas-Robert Bugeaud، لويس ألكسيس دي ميشال Louis Alexis Desmichels، أوجان  
دوماس Eugène Daumas، برين دوبينيوسك L-P Brun D'aubignosc، لويس جوزيف فردناد  
ولسن إستيرازي Louis-Joseph-Ferdinand Walsin Esterhazy، ألكس بلمار Alex  
Bellemare، لويس بليستروس Luis Ballesteros، ادموند دي رينو بيليسي Edmond de  
Reynaud Pellissier، ليون روش Léon Roches، أوغست فارنيي Auguste Warnier، وليام  
شوفاليي William Le Chevalier، أنطوان أدولف دويوش Antoine-Adolphe Dupuch،  
أميدي ديسجوبير Amédée Desjobert، أوجان سيفري Eugène Civry، أرسن برتاي Arsène  
Berteuil، أدريان بيربروجير Adrien Berbrugger، جول لاديمير Jules Ladimir، ...  
وغيرهم.

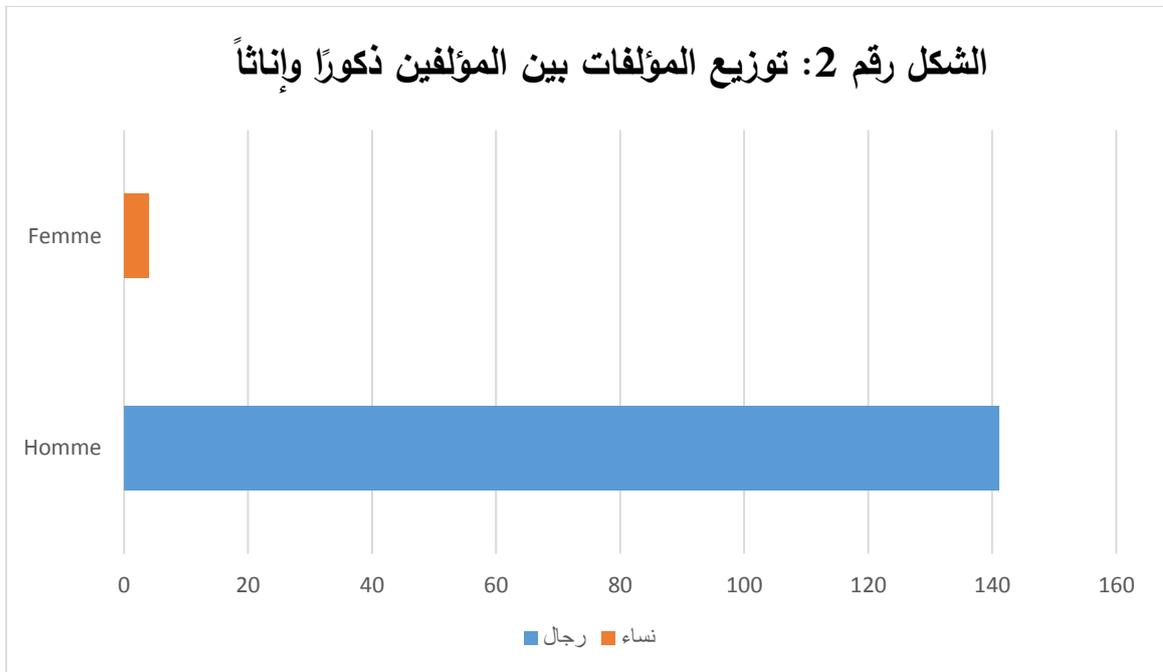
ثالثا: ما يمكن ملاحظته أن الكتابات الفرنسية قد انتعشت من جديد في العقد ما قبل  
الأخير وهذه المرحلة طُبعت بحدثين مهمين أحدهما وطني والآخر مغربي، ففي سنة 1880  
صدر قانون إنشاء (المدارس العليا) في الجزائر وهي التي أصبحت بعد حوالي ثلاثين سنة  
(1909) جامعة الجزائر، فتكاثفت جهود أساتذة التاريخ مع رؤساء الجمعيات التاريخية والأثرية،  
وكتاب الدوريات العلمية، نتج عنها اهتمام خاص بتاريخ الجزائر. وتصادف ميلاد جامعة  
الجزائر أيضا مع احتلال فرنسا تونس واهتمامها بقضية المغرب الأقصى، وبذلك اتسعت رقعة  
البحث لدى مؤرخي هذا العهد وأصبحوا يتناولون في كثير من الأحيان تاريخ شمال إفريقيا

<sup>1</sup> يسميها المؤرخ الجزائري أبو القاسم سعد الله عهد المؤرخين العسكريين 1830-1880 ويطلق عليها ستيفان غزال المدرسة  
الجزائرية الكلاسيكية ذلك أن الذين تولوا كتابة تاريخ الجزائر الاقتصادي والسياسي والإداري خلال هذا العهد هم كتاب  
عسكريون بالمهنة أو مترجمون عسكريون وبالتالي لا نستغرب أن يتولى العسكريون وهم الذين كانوا على صلة مباشرة  
بالجزائريين كتابة تاريخ محكومهم ورغم أنهم لم يكونوا مهتمين بالدراسات الجزائرية غير أن وحدة الهدف ووحدة العمل، وكذلك  
الزمالة، جعلتهم يتكاثفون وينتجون. ينظر: أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج1، عالم المعرفة، الجزائر،  
2016، ص ص19-22. وأيضا: Stéphane Gsell et Autres, **Histoire et Historiens de l'Algérie**, Librairie Félix Alcan, Paris, 1931, pp Introduction, 8.

بصفة عامة ويربطون بين مصالحي فرنسا والأقطار الثلاثة<sup>1</sup>. ومن كتاب هذه المرحلة: لويس بلان Louis Blanc، أشيل فلياس Achille Fillias، نرسييس فوكون Narcisse Faucon، فكتور أميدي دوزايبيد Victor-Amédée Dieuzaide، جول بيشون Jules Pichon، كورناي تروملي Corneille Trumelet، لويس فويو Louis Veillot، ليون بليي Léon Plée، كاميل روسي Camille Rousset، لويس رين Louis Rinn، أسكار فالي Oscar Vallee، ... وغيرهم.

### 3. مخطط بياني لحجم كتابات الفرنسيين عن الأمير عبد القادر (ذكورا وإناثا)

نحاول هنا تبين حجم هذه الكتابات وتوزعها بين الرجال والنساء إبان القرن التاسع عشر



حسب المخطط البياني فإن ما يميز كتابات الفرنسيين عن الأمير عبد القادر في القرن التاسع عشر ميلادي من حيث توزعها بين الذكور والإناث (وهي عينة شملتها الدراسة)، أنها

<sup>1</sup> ينعتها المؤرخ الجزائري أبو القاسم سعد الله بعهد المؤرخين الاختصاصيين 1880-1954 عهد جديد من كتابة تاريخ الجزائر عند الفرنسيين بتأسيس النواة الأولى لجامعة الجزائر بعد احتلال تونس والاستعداد للمغرب، وكانت الأبحاث تهدف إلى خدمة الإدارة الاستعمارية سواء في الجزائر أوفي غيرها من أجزاء إفريقيا. ينظر: أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج1، المرجع السابق، ص ص19-22. وأيضا: Stéphane Gsell et Autres, op Cit, pages Introduction, 9 et suivre.

كانت حkra على الرجال في حدود مائة وواحد وأربعون (141) كاتبا، مقابل أربعة (04) فقط من نصيب النساء وهن على التوالي:

1. Drohojowska Antoinette-Joséphine-Françoise-Anne
2. Fallet Céline
3. Filleul de Pétigny Clara
4. de Castellane Beaulaincourt Marles Sophie

وكانت أنطوانيت جوزفين فرانسواز آن دروهوجسكا (1822-1890) المولودة سيمون دي لاتريش Symon de Latreiche والتي اكتسبت لقب الدوقة دروهوجسكا بعد زواجها، تعد أديبة من بين نساء الأدب الفرنسي، ألفت في عدة فنون منها حول أدب الرحلة، وكتب التاريخ وعدة روايات وكذلك كثيرا من المنشورات التعليمية والتربوية والدينية الموجهة خصيصا للفتيات.<sup>1</sup>

ولها كتاب "تاريخ الجزائر يُروى للشبيبة" " L'Histoire de l'Algérie racontée à la jeunesse " صدر سنة 1848 (378 صفحة) مقسم إلى ثلاثة أجزاء كبرى، تناولت في جزئه الأول منذ العهود السحيقة إلى دخول المسلمين، والثاني الفتح الإسلامي تسميها الكاتبة "السيطرة العربية" وبعدها السيطرة العثمانية، وفي الجزء الثالث الاحتلال الفرنسي إلى يومنا هذا. ضمن هذا الجزء الأخير خصت سيرة الأمير عبد القادر في الفصل رقم 44، وأحداث المقطع في الفصل 45، ومعركة مزهران وسقوط الزمالة في الفصلين 49 و50، ووقائع سيدي إبراهيم ومقتل الأسرى الفرنسيين بالدائرة في الفصلين 54 و55، وأحداث الأمير عبد القادر والملك عبد الرحمن في الفصل 60. غير أن ما يميز هذا الكتاب له نسخة ثانية صدرت سنة 1853 عن دار نشر أخرى مبتورة من جميع فصوله (27 صفحة) عدا ثلاثة فصول فقط، حوت فصلين جديدين هما رقم 61 يحمل عنوان حملة على القبائل (جرجرة) ورقم 62 بعنوان عبد

<sup>1</sup>Gustave Vapereau, **Dictionnaire Universel des Contemporains**, Librairie Hachette et Cie, Paris, 1870, p562.

<sup>2</sup> Antoinette-Joséphine-Françoise-Anne Drohojowska, **L'Histoire de l'Algérie racontée à la jeunesse**, A.Allouard Libraire-éditeur-Commissionnaire, Paris, 1848.

القادر بفرنسا بعد إطلاق سراحه،<sup>1</sup> بالإضافة لفصل تكميلي رقم 63 عن المصالح والتنظيمات المنشأة في الجزائر مثبت في النسخة الأولى.<sup>2</sup>

**سيلين فالي (1820-1895):** رغم عدم وجود معلومات كثيرة عن حياتها، لكنها ارتبطت مسيرتها المهنية بدار النشر "Mégard & Cie" ب Rouen وبلغ إنتاجها الفكري على مدار 1850-1900 خمسة وسبعين (75) مؤلفا أصدرت منهم 1.1 مليون نسخة، تبرز أهمية هذه الكاتبة الروائية (وتقدر نسبة مشاركة النساء في الكتابة لدى دار النشر المذكورة أعلاه في هذه الفترة حوالي 20%)، وتتنوعت في عدة فنون تاريخية والقصص الأخلاقية ومؤلفات تعليمية، لكن من حيث الكتابة التاريخية وتلتحق بها كذلك **كلارا فيال دي بتيني** يمكن عدُّهما ضمن "**الكتاب الهواة**" حيث يمتزج التاريخ بالخيال في كتابتهما بنسب متفاوتة، وتلقى كتابتها رواجاً لدى الجمهور الكاثوليكي خصوصاً في مرحلة الإمبراطورية الثانية، إذ يمكن اعتبارها كاتبة للتاريخ بنزعة كاثوليكية تستهدف الفتيان.<sup>3</sup>

صدر لها كتاب بعنوان "**احتلال الجزائر**" "**Conquête de l'Algérie**"<sup>4</sup> (208 صفحة) سنة 1856 في سبعة عشر فصلاً، المظاهر المناخية للجزائر وأصول المجتمع الجزائري في الفصلين الأول والثاني، السيطرة العثمانية واحتلال الجزائر في الفصلين الثالث والرابع، حملات المدينة وبعض قادة الاحتلال في الفصلين الخامس والسادس، خصت حياة الأمير عبد القادر في الفصل السابع والأحداث المرتبطة به والأحداث التي عرفت الجزائر في الفصول الموالية منها سقوط الذراع الأيمن لجيش الأمير سيدي مبارك في الفصل الثالث عشر، مقتل أسرى الدائرة في الفصل الخامس عشر، وفي الفصلين الأخيرين أحداث القبائل والزعاطشة والأوراس

<sup>1</sup> Antoinette-Joséphine-Françoise-Anne Drohojowska, **L'Histoire de l'Algérie racontée à la jeunesse, Chez L'Auteur, Paris, 1853.**

<sup>2</sup> عرض وتقديم الكتاب في الفصل الثالث ص ص 140-142.

<sup>3</sup> Nicole Pellegrin et autres, **Histoires d'historiennes**, Publication de l'Université de Saint-Etienne, Saint-Etienne, 2006, pp 285.286.

<sup>4</sup> Céline Fallet, **Conquête de l'Algérie**, Mégard et Cie Imprim-Libraires, Rouen, 1856.

وأخيرا الاستيطان في الجزائر.<sup>1</sup> يتصدر كتابها صورة لمبايعة الأمير عبد القادر وجثو والد محي الدين على ركبتيه كأول المبايعين له.<sup>2</sup>

**كلارا فيال دي بتيني (1822-1878)** اشتهرت كرسامة وكاتبة لعدة مؤلفات لحساب الأطفال وكذلك كانت لها بصمة في أدب الرحلة، زارت منذ صغرها عدة بلدان شملت الأرجنتين والشيلي وفلسطين، وكذلك الجزائر وتونس والمغرب. لكن الكتابات الممجة للاستعمار والموجهة للناشئة كانت كثيرا ما يلتبس عليها كيفية تقديم المشروع الاحتلالي، وهو ما اثارته الكاتبة من وجهة نظرها أن الإدارة الفرنسية لم تعتمد إلى مشروع احتلال عقلائي، إذ ظل وضع المستوطن الفرنسي بائسا. بالمقابل ظل وضع الجزائريين على نسق القول الدارج "هُزِموا لكنهم لم يخضعوا" إذ ظلوا يقاومون بكل إباء في عزلتهم السلبية إذ تقول "ما بين المسيحيين والمسلمين حاجز معنوي لا يكمن تجاوزه، نعم يمكن هزيمتهم لكن ولفترة طويلة لن يخضعوا".<sup>3</sup>

صدر لها كتابان عن الجزائر؛ الأول سنة 1846 ويحمل عنوان "الجزائر" "L'Algérie"<sup>4</sup> (283 صفحة)، والثاني بعنوان "ذكريات رحلة إلى آسيا وشمال إفريقيا" "Souvenirs de voyage dans l'Asie, le Nord de l'Afrique"<sup>5</sup> (240 صفحة) سنة 1884، لكن الملاحظ أن الكتاب الثاني هو نسخ حرفي للكتاب الأول مع فارق زمني كبير حوالي (38 سنة) فالكتابان محتواهما واحد والعناوين الفرعية كذلك، مع اختلاف في العنوان الرئيسي للكتابين وكذلك دار النشر ومدينة النشر وسنة النشر.

<sup>1</sup> عرض وتقديم الكتاب في الفصل الثالث ص ص 142-145.

<sup>2</sup> ينظر الملحق رقم 6، ص 283.

<sup>3</sup>Bénédicte Monicat, *Itinéraires de l'écriture au féminin voyageuses du 19e siècle*, Rodopi, Amsterdam, 1996, pp 18.19.

Clara Filleul de Pétigny, *Souvenirs de voyage dans l'Asie, le Nord de l'Afrique, Syrie, Algérie, Tripoli, Tunis, Etc*, Eugène Ardant et Cie éditeurs, Limoges, 1884, p 166.

perche-gouet.net/histoire/personne.php?personne=8240, consulté le 11/08/2022 à 18 :00.

<sup>4</sup>Clara Filleul de Pétigny, *L'Algérie*, B. Pornin et Cie Imp-Libraires-éditeurs, Tours, 1846, pp 274 et suivre.

<sup>5</sup>Clara Filleul de Pétigny, *Souvenirs de voyage dans l'Asie, le Nord de l'Afrique, Syrie, Algérie, Tripoli, Tunis, Etc*, Eugène Ardant et Cie éditeurs, Limoges, 1884.

تناولت في الفصل الأول والثاني رحلتها إلى اسكندرية وقسطنطينية وطرابلس وتونس، في الفصل الثالث والرابع تخصصه للجزائر وكذلك التعريف ببعض مدنها مثل معسكر، في الفصل الخامس والسادس بعض الأحداث التاريخية التي عرفت الجزائر وعادات المجتمع، لكن الفصل السابع تخصصه للأمير عبد القادر، والفصل الثامن والأخير أحداث جامع الغزوات وتخص هنا بالذكر معركة سيدي إبراهيم بين الأمير عبد القادر ومونتانيك والرجة التي أحدثتها لدى كثير من القبائل، عجلت بمغادرة الكاتبة ومرافقها للجزائر. ونجد حيثيات هذه المغادرة هو الجزء المفقود في نسخة الكتاب الثاني طبعة سنة 1884.<sup>1</sup> يتصدر كتابها صورة للأمير عبد القادر.<sup>2</sup>

روث شارلوت صوفي دي كستلان الملقبة بالدوقة بولنكور مارل (1818-1904):  
أدبية عرف عنها إدارة محافل أدبية تجمع شخصيات بارزة من الرجال والنساء على حد سواء من الطبقة الراقية (النبلاء) من المجتمع ويحضرها الأدباء والشعراء والمفكرون، يتبادلون فيها الحديث عن مجمل المسائل والقراءات الأدبية والفنون الجميلة "على شاكله نادي ثقافي". ابنة الماريشال صاحب الرسائل.<sup>3</sup>

أصدرت مؤلف "حملات إفريقيا 1835-1848" "Compagnes d'Afrique 1835-1848" وهو عبارة عن ذخيرة أرشيفية لمجموعة من الرسائل كان يتبادلها الضباط العاملين بالجزائر مع والدها الماريشال دو كستلان، إذ عمل هذا الأخير لفترة طويلة (14 سنة) كقائد للوحدات العسكرية المرابطة على الحدود الفرنسية الإسبانية ومقرها مدينة Perpignan، وحين اشتداد مقاومة الأمير عبد القادر استدعت فرنسا كثيرا من هذه الوحدات لحربها على الجزائر وأصبح كثير من ضباطها الصغار قادة في الجيش الفرنسي وكانت تربطهم أواصر محبة وتقدير لمعلمهم الأكبر والمشرف عليهم الماريشال دو كستلان،

<sup>1</sup> يمكن الاطلاع على عرض وتقديم هذا الكتاب في الفصل الرابع، ص ص 176-179

<sup>2</sup> ينظر الملحق رقم 4، ص 281.

<sup>3</sup> catalogue.bnf.fr/ark:/12148/cb10747765d, consulté le 01/09/2022 à 17 :36  
wikipedia.org/wiki/Sophie\_de\_Castellane, consulté le 11/08/2022 à 18 :00.

أمثال (شنغرنبيه Changarnier ، أرنو Arnaud ، كومب Combes ، فالي Valée... وكثير من أساطين الاحتلال).<sup>1</sup>

والكتاب عبارة عن مجموعة من الرسائل مؤرخة ومرقمة من 1 إلى 253 رسالة، مرتبة ترتيباً كرونولوجياً من سنة 1835 إلى سنة 1848، تبادلها أغلب الماريشالات والجنرالات والضباط العسكريين العاملين بالجزائر مع أبيها، وجاءت هذه الرسائل لتأريخ لهذه المرحلة الدقيقة من تاريخ الجزائر، خصوصاً العمليات العسكرية ضد الأمير عبد القادر، ونجد بعض هذه الرسائل الطوال يمكن عدها كتقارير عسكرية ميدانية عن مجريات العمليات العسكرية بالجزائر للجيش الفرنسي. وفي الأخير تفرد رسالتين غير مرقمتين من الأمير عبد القادر إلى الماريشال دوكستلان الأولى من بروصة سنة 1853 والثانية سنة 1861.<sup>2</sup> وتدرج نسخة لرسالة بخط يد الأمير تصدرت كتابها مؤرخة سنة 1860 عقب أحداث الشام.

وعلى العموم فإن الكتابات عن الأمير عبد القادر من طرف الجنسين بينها فارق واضح خصوصاً وأن الكتابات في معظمها هي لعسكريين في المقام الأول ثم لسياسيين مما يرجح كفة الرجال على النساء. ثم إن معظم النساء اتجهن إلى الفن القصصي والروائي تحديداً أو التي تكون مادة لمناهج تعليمية، لكن في تخصص التاريخ فهي تتدرج سواء ضمن أدب الرحلة أو رحالة أو ذات صبغة ثقافية تستهدف تكوين الشبيبة، لكن في معظمها يغلب عليها الطابع الديني المسيحي أو المغالاة بالافتخار بالقومية الفرنسية والتاريخ الروماني مما يحيد بها وفي أحيان كثيرة عن العمل التاريخي الموضوعي.<sup>3</sup>

يبقى أن نشير أنه لو أخذنا بالحسبان تقديرات دار النشر "Mégard & Cie" بـ Rouen في القرن التاسع عشر ميلادي فإن نسبة مشاركة النساء في الكتابة لدى دار النشر المذكورة في هذه الفترة حوالي 20%، وبالتالي تعطينا فكرة عن حجم مشاركة المرأة الفرنسية في الكتابة عموماً والتي لا ترق إلى الخمس، خصوصاً إذا كانت هذه النسبة يقصد بها حجم الكتابات وليس تعداد المؤلفين، لأنه قد يكون لكاتبة واحدة حجم كتابات يعادل كتابات إثنين أو ثلاث

<sup>1</sup>Sophie De Castellane, **Compagnes d'Afrique 1835-1848**, Librairie Plon, Paris, 1898, p-p 1-10.

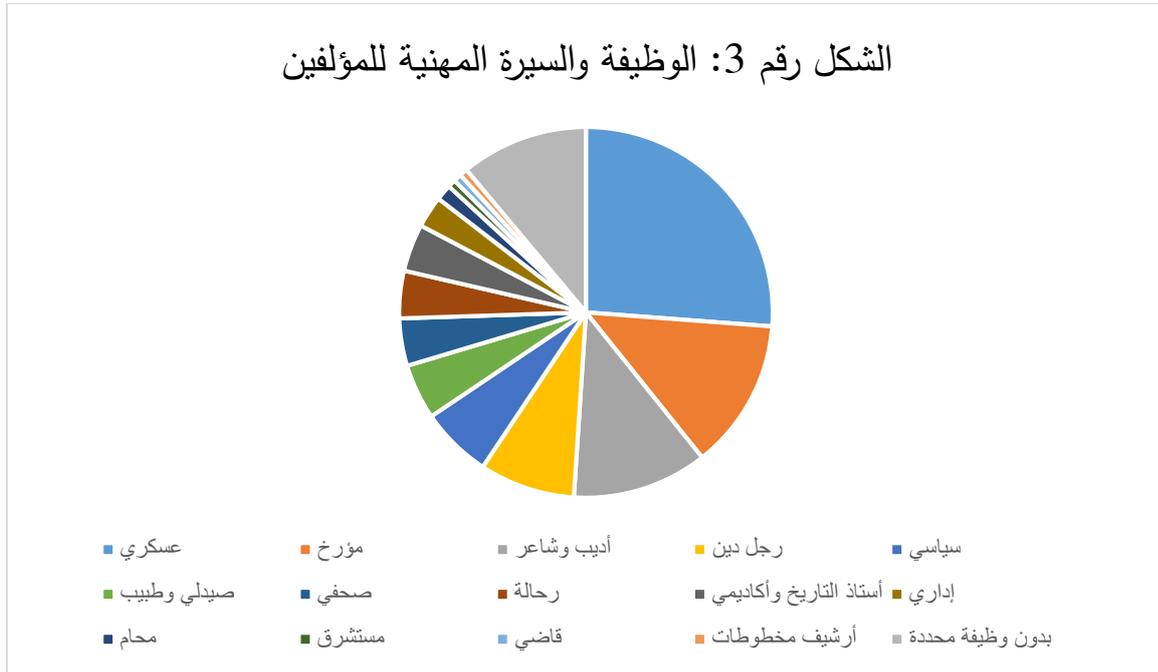
<sup>2</sup>Ibid, pp 443.444.

<sup>3</sup>Nicole Pellegrin et autres, op Cit, pp 285.286.

أو أكثر من المؤلفين مجتمعين وقد رأينا أن سيلين فالي لوحدها أصدرت 1.1 مليون نسخة. ومن النادر جدا وجود مؤرخة فرنسية في القرن التاسع عشر خصوصا إذا أخذنا بعين الاعتبار التفريق بين الهاوي والمتخصص، ومعيار الدراسة الجامعية للنساء، فنجد أغلبهن ينتمين إلى النصف الثاني من القرن العشرين.<sup>1</sup> كما يظهر لنا الشكل 3 توزع وظائف النساء على تخصصين فقط (أديبة أو رحالة) وأغلب الكتاب غابت عليهم الخلفية العسكرية.

#### 4. مخطط بياني لحجم كتابات الفرنسيين عن الأمير عبد القادر (حسب التخصصات الوظيفية والمهنية للمؤلفين)

ونحاول هنا تبيان حجم هذه الكتابات وتوزعها على التخصصات الوظيفية والمهنية للكتاب خلال القرن التاسع عشر ميلادي، وقد توزعت هذه الكتابات على مائة وخمسة وأربعين (145) كاتب تنوعت سيقات كتاباتهم في اتجاهات مختلفة حسب تنوع وظائفهم.



ما تجدر ملاحظته حول مجمل هذه الوظائف للمؤلفين الفرنسيين إبان القرن التاسع عشر أنها تجمع بين: (الصحفي والعسكري، الصحفي والسياسي، المؤرخ والسياسي والعسكري،

<sup>1</sup>Nicole Pellegrin et autres, op Cit, pp 9.10.

الطبيب والعسكري، الأديب والسياسي...الخ) وإن حاولنا في المخطط إطلاق الصفة الغالبة على السيرة المهنية للكاتب.<sup>1</sup>

كما أن الغلبة لـ"الخلفية العسكرية" لمعظم المؤلفين الفرنسيين، فاحتلال الجزائر كان إنجازا للجيش الفرنسي فلا غرابة أن من كتب تاريخ الجزائر في هذه المرحلة هم العسكريون، ويكفي أن كل شؤون الجزائر كانت تدار من دار وزارة الحربية لوحدها،<sup>2</sup> وهم الذين كانوا على صلة مباشرة بالجزائريين وتولوا كتابة تاريخ محكومهم. فمثلا بيتوا كريستيان<sup>3</sup> Pitois Christian مؤرخ وسكرتير خاص لبيجو، فرانسوا جول لاديمير<sup>4</sup> Jules François Ladimir مؤرخ عسكري، أوجان فورمسترو<sup>5</sup> Eugène Fourmestraux أديب عسكري، شارل جول كباس Charles-Jules Cabasse ولوسيان بودان Lucien Baudens وفردناند كيسنوي Ferdinand Quesnoy أطباء عسكريين، أرسن برتاي Arsène Bertieul صيدلي عسكري، أغوست فارنيي Auguste Warnier وفرانسوا لو بلان دو بريبو Leblanc De Prébois François سياسي وعسكري.

<sup>1</sup> أغلب السير الوظيفية والمهنية للكتّاب الفرنسيين ثم رصدها من موقع BNF Catalogue Général. ينظر تعريف بالموقع في نفس الفصل، ص23.

<sup>2</sup> Eugène Buret, **Question d'Afrique, De la double conquête de l'Algérie par la guerre et la colonisation**, Ledoyen Libraire, Paris, 1842, p294.

<sup>3</sup> Pitois Christian 1811-1872 : مؤرخ وبيبلوغرافي وصحفي فرنسي، انتدب لدى مكتبة وزارة التعليم، وعمل كسكرتير الخاص للمارشال بيجو، عرف بعدة أسماء مستعارة : Christian Paul، Pitois Jean-Baptiste، Christian Jean- Baptiste، Christian Pierre، Moreau Charles. بعد إقامة طويلة بالجزائر ترسخت لديه قناعة أن الاحتلال يفتح أمام فرنسا مستقبلا مجيدا من الرخاء والازدهار والتخلي عنها سيكون عاراً وكارثة. ينظر :

Pitois Christian, **L'Afrique Française**, Barbier A éditeur, Paris, 1851, p 2.  
&catalogue.bnf.fr/ark:/12148/cb12327453r. Consulté le 03/12/2022 à 19 :05.

<sup>4</sup> فرانسوا جول لاديمير Jules François Ladimir (1812-1892) مؤرخ عسكري وكاتب درامي وبيبلوغرافي فرنسي.  
ينظر :

catalogue.bnf.fr/ark:/12148/cb103168147. Consulté le 03/12/2022 à 21 :38

<sup>5</sup> أوجان فورمسترو Eugène Fourmestraux (1814-1888) أديب، شغل منصب كاتب عام لدى محافظة الجزائر سنة 1880 ومحاسب عسكري بالجزائر. ينظر :

catalogue.bnf.fr/ark:/12148/cb132084150. Consulté le 03/12/2022 à 22 :00.

وفي تقديري حتى المؤلفين الذين لم تحدد وظائفهم تغلب عليهم "الخلفية العسكرية" فلا يمكن مثلا سرد حملات إفريقيا والمعارك وانجازات الفرق العسكرية المشكلة للجيش الفرنسي وسير القادة العسكريين دون أن يكون للكاتب هذا الرابط المهني بشكل أو بآخر.

وعلى العموم حسب المخطط البياني استحوذت كتابات (العسكري، المؤرخ، الأديب والشاعر، رجل الدين، والسياسي) على ما يقارب الثلثين من هذه الكتابات في حين توزعت مجمل الوظائف الأخرى على الثلث الآخر، ومما يمكن ملاحظته كذلك أن كتابات المؤرخين كان لها دور بارز بعد العسكريين وقد أشارنا سابقا كيف كان الاحتلال الفرنسي للجزائر مبعثا للمستكشفين والدارسين لتاريخها، ونجد أحد أعمدتهم إميل مسكراي<sup>1</sup> Émile Masqueray فهو مؤرخ وعالم آثار وعالم اجتماع لعب دورا بمساعدة عدة مؤلفين للكتابة عن الجزائر والأمير عبد القادر بالخصوص كما فعل مع نرسييس فوكون Narcisse Faucon في مؤلفه<sup>2</sup> فضلا عن دوره كأول من نظم التعليم العالي بالجزائر وقد شغل مدير المدرسة العليا للأدب بالجزائر وهو الحدث كما اشرنا سابقا الذي تضافرت فيه جهود الباحثين في استكشاف الجزائر مست جميع حقول المعرفة.

<sup>1</sup> Émile Masqueray 1843-1894 : عالم آثار ومؤرخ ولغوي واثنوسوسيولوجي. في شهر أكتوبر 1872 أثار مسكراي ثانوية الجزائر على ثانوية فرساي، ليتعلم اللغة العربية ويقوم بعدة مهمات استكشافية في عدة مناطق منها القبائل والأوراس وآثار تيمقاد هذه الأخيرة قضى بها سنتين وكذلك بني ميزاب. أول من نظم التعليم العالي في الجزائر وشغل سنة 1880 منصب كرسي التاريخ القديم لإفريقيا بمدرسة الآداب، ساهم بفعالية في الدراسات اللغوية البربرية التي أولى لها الفرنسيون عناية خاصة وعدها إحدى المغامرات العلمية للاحتلال، وأصدر القاموس الفرنسي الطوارق، فضلا عن دراسات تاريخية لمجتمعات المغاربية والطرق الإسلامية خلص فيه أن "تاريخ شمال إفريقيا هو في الأساس تاريخ ديني" وحاول إيجاد رابط بين إفريقيا القرون الوسطى (إسلامية) وإفريقيا الرومانية، وينعت المسلمين الفاتحين بجحافل العرب "الوهابيين" ويشبههم بالدوناتيين Donatistes الذين أطاحوا قديما بإفريقيا الرومانية في القرن الرابع الميلادي، والتي أدت بانحسار قبائل البربر (قبائل جرجرة، الشاوية ومزابيين) وستكون هذه التجمعات السكانية ضمن أيقونة تاريخية لأطروحاته "تشكل المدن لدى المجتمعات المستقرة بالجزائر" **Formation des Cités chez les populations sédentaires de l'Algérie**. ينظر:

Auguste Bernard, Émile Masqueray, in-*Revue Africaine*, Adolphe Jourdan libraire-éditeur, Alger, 1894, p-p 350-373.

catalogue.bnf.fr/ark:/12148/cb11914966f. Consulté le 04/12/2022 à 11 :03

<sup>2</sup>Narcisse Faucon, **Livre d'or de l'Algérie**, Challamel et Cie éditeurs, Paris, 1889, p XVIII.

وللسيرة المهنية للكاتب بصمتها الواضحة في التشابه والاختلاف سواء في كتابة تاريخ الجزائر والاحتلال عموماً أو عن الأمير عبد القادر خصوصاً، نجد ذلك مثلاً عند المؤرخ العسكري إدموند بيليسي دي رينو صاحب "الحواليات"<sup>1</sup> في مواجهة السياسي البرلماني أميدي ديسجوبير والسجال الذي دار بينهما.<sup>2</sup> وبعض الوقائع والحقائق التي وثقها المؤرخ لويس بلان<sup>3</sup> ومنها التي وثقها الأديب أندري بيرتي<sup>4</sup> André Berthet بخصوص نوعية وتركيبية الجيش الفرنسي والجرائم المرتكبة التي لا تجد لها أثراً لدى الكتاب العسكريين بل أحياناً كثيرة تجد إشادة بأعمالهم مثلما فعل دي ميشال.<sup>5</sup>

وأجمعت معظم كتابات الفرنسيين في زعم مقصود ووصف ملفق وصم به الجزائريين بالتعصب، وتحكم الأسطورة والخرافات في معتقداتهم الدينية والمدنية،<sup>6</sup> توارثوها عن كتّاب فرنسيين قبل الاحتلال كما رأينا في الفصل التمهيدي أمثال: راينال Raynal، دارفيو d'Arvieux، فانتور دي برادي Venture de Paradis، رونودوت Renaudot وبتان Boutin.

ويجمع المؤرخون الفرنسيون كذلك على هذا العنوان الذي يصبغونه على احتلالهم للجزائر تحت بند الإنجاز الحضاري في الجزائر، فتجد مثلاً المؤرخ ليون غالبيير<sup>7</sup> Léon Galibert

<sup>1</sup>Adrien Berbrugger, **Notice sur M. Pellissier**, in-*Revue Africaine*, Volume 2, A. Jordan Libraire-éditeur, Alger, 1857-1858, p-p 419-426.

<sup>2</sup>Alphonse-Marius Gossez, **Un adversaire de la colonisation en Algérie**, *Revue d'Histoire du XIXe siècle*, Tome 27, Numéro 132, Frédéric Rieder & Cie éditeurs, Paris, Mars-avril-mai 1930, p-p 26-42.

<sup>3</sup>Louis Blanc, **Histoire de dix ans (1830-1840)**, F. D Jean maire éditeur, 1882, p 885.

<sup>4</sup>André Berthet, **La femme du Kaïd épisode des guerres d'Afrique 1837-1848**, marc Barbou & Cie Imprimeurs-Libraires, Limoges, 1890, p104.

<sup>5</sup>Louis Alexis Desmichels, **Oran sous le commandement du général Desmichels**, Librairie Militaire D'Anselin, Paris, 1835, pages 11,15,54 .

<sup>6</sup> في وصم الجزائريين بالتعصب ينظر على سبيل المثال لا الحصر:

André Léonce, **Les Campagnes d'Afrique**, P. Lebigre-Duquesne Libraire-éditeur, Paris, 1868, p-p 195-200.

Eugène Buret, **Question d'Afrique, De la double conquête de l'Algérie par la guerre et la colonisation**, Ledoyen Libraire, Paris, 1842, pp 375.376.

Charles Lavigerie, **L'armée et la mission de la France en Afrique**, Librairie A Jourdan éditeur, Alger, 1875, p-p 31-56.

<sup>7</sup> ليون غالبيير Léon Galibert (1803-1865) مؤرخ وأديب وصحفي فرنسي، له عدة مؤلفات منها تاريخ جمهورية البندقية، تاريخ البرتغال، تاريخ رحلات موليير. ينظر:

يستفتح كتابه "تاريخ الجزائر القديم والحديث" " *Histoire de L'Algérie Ancienne et moderne* " بهذه العبارة "فرض الحضارة على هذه الأراضي التي لم تنتمي لها قط".<sup>1</sup> وعلى شاكلته نهج كثير من الكتاب الفرنسيين دون تقديم ولو تعريف بسيط لهذه الرسالة الحضارية لفرنسا. هذه الحضارة التي تعجب منها زميلهم دوبينيوسك D'Aubignosc بمرارة تعقيا على حملات دموية للجيش الفرنسي إذ يسجل: "ثم نقول حملنا الحضارة لهذه الشعوب!" وإن كان يبرئ ساحة الجيش الفرنسي ويجعلها في رقبة أفراد أمثال كلوزل ويوسف المملوكي.<sup>2</sup>

وتجد أحيانا كثيرة مفارقة كبيرة في التأريخ لأحداث تاريخية بين ما سجله مثلا العسكري لويس ألكسيس دي ميشال Louis Alexis Desmichels عن الحملات العسكرية التي كان يقوم بها خارج وهران ويسجلها بفخر في كتابه ويذكر أسماء ضباطه المشاركين فيها، يلخصها لنا المؤرخ إدموند بيليسي دي رينو Edmond Pellissier de Reynaud كان الجيش يمتن النهب والسلب والقتل والعزوف عن مواجهة مباشرة مع الأمير عبد القادر، وكذلك تضارب كبير بينهما في توثيق بنود الاتفاقية المبرمة (اتفاقية دي ميشال).<sup>3</sup>

كما تبين أيضا السيرة المهنية للكاتب نماذج لازدواجية الخطاب لدى الكاتب الواحد وخير مثال عن ذلك الصحفي والفيلسوف أوجين بوري Eugène Buret فهو نموذج متكرر لكثير من الكتاب وأدباء القرن التاسع عشر، الذي يسعى لسعادة ورفاهية العنصر الأوروبي المشدود إلى الثقافة والقيم الأوروبية دون سواها، إذ رافع هذا الكاتب ضد مشاكل اقتصادية من فقر وحرمان وظروف العمال السيئة للأوروبيين.<sup>4</sup> لكنه لا يتورع في إعادة استنساخ حرب الرومان في شمال

---

Gustave Vapereau, *Dictionnaire Universel des Contemporains*, Librairie Hachette et Cie, Paris, 1870, p725.

& catalogue.bnf.fr/ark:/12148/cb126877749, consulté le 03/12/2022 à 15 :00.

<sup>1</sup>Léon Galibert, *Histoire de L'Algérie Ancienne et moderne*, Furne et Cie Libraire-editeur, Paris, 1843, p 1.

<sup>2</sup>Brun L-P D'Aubignosc, *Alger, De son occupation depuis la conquête en 1830, jusqu'au moment actuel, Appel au public impartial*, Delaunay Dentu Au Palais Royal, Alger, 1836, p-p 60-63.

<sup>3</sup>Edmond Pellissier de Reynaud, *Annales Algériennes*, Tome Premier, Librairie bastide, Alger, 1854, pages 347-350 et 369-371.

<sup>4</sup> André Cochut, *Du Sort des classes Laborieuses*, in-*Revue des Deux Mondes*, Volume 32, Au Bureau de la revue des Deux Mondes, Paris, 1842, p-p 26-41.

افريقيا، بقطع شريان الحياة الاقتصادية لدى الجزائريين، وتعتبر الفلاحة النشاط الأساسي الذي يثقله الجزائريون، فيشيد بتحطيم هذا المورد الاقتصادي الهام لإجبارهم على الخضوع للاحتلال، ويثني الكاتب على عراب هذا الخراب وهذه الجرائم الماريشال بيجو.<sup>1</sup>

في حين اصطف رجال الدين خلف العسكريين بعدما انخرطت الكنيسة في المشروع الاستعماري في الإشادة بالرسالة الحضارية والدينية للجيش الفرنسي وتخليد أمجادهم سواء في خطاباتهم أو أشعارهم وتمجيد القادة العسكريين، أمثال الكاردينال لا فيجري في مؤلفه "الجيش ومهمة فرنسا بإفريقيا" "L'armée et la mission de la France en Afrique"<sup>2</sup> والقس هنري في احياء ذكرى معركة سيدي إبراهيم مشيرا في هذا الصدد أنه لدى الكنيسة الماضي لن يمضي.<sup>3</sup>

لكن الملاحظ بعض كتابات رجال الدين اعتدلت في موقفها من الأمير عبد القادر خصوصا القس دوبوش Dupuch<sup>4</sup> الذي جاء مؤلفه ليجلّي كثيرا من الحقائق ضمن كتابه "الأمير عبد القادر بقلعة أمبواز" "d'Amboise Abd-el-Kader au château" سنة 1849 (130 صفحة) وكتابه هذا عبارة عن مرافعة دفاع عن الأمير لتخليصه من أسره وحث

Judith Lyon-Caen, *Le romancier, Lecteur du social dans la France de la Monarchie de juillet*, in-*Revue d'histoire du XIXe siècle*, Volume 24/2005, La Société de 1848, Paris, 1 juin 2002, p-p 15-32.

<sup>1</sup>Eugène Buret, Op Cit, p32.

<sup>2</sup>Charles Lavigerie, *L'armée et la mission de la France en Afrique*, Librairie A Jourdan éditeur, Alger, 1875.

<sup>3</sup>Henry Abbé, *Sidi Brahim 23, 24 & 25 Septembre 1845*, Imprimerie Renvé-Lallement, Verdun, 1899, pp 3.4.

<sup>4</sup> Antoine-Adolphe Dupuch 1800-1856 : عرف عليه بعد انضمامه إلى الكنيسة بجهوده الخيرية خصوصا مع اليتامى بفرنسا، يروى عنه أنه أنفق ثروة كبيرة (200 ألف فرنك) لم يبق منها سوى (15 ألف فرنك) حين قدم إلى الجزائر. يعد من الأوائل وأحد أعمدة النظام الكنسي الذي أقامه الاستعمار الفرنسي بالجزائر، كان يقول "على الراهب أن تكون له القدرة على محاورة العرب وممارسة نوع من التأثير عليهم"، عين في 25 أوت 1838 كأول أسقف للجزائر، أثرت حوله كثير من الشبهات بفساد مالي كادت أن تؤدي به إلى السجن بعد توليه هذا المنصب، رافع كثيرا عن الأمير عبد القادر. للتوسع أكثر ينظر:

Gabriel Vauthier, *Le premier évêque d'Alger*, in-*La Révolution de 1848 et les révolutions du XIXe siècle*, Tome 26, Numéro 130, septembre-octobre-novembre 1929, p-p 414-420.

& persee.fr/doc/r1848\_1155-8806\_1929\_num\_26\_130\_1156. Consulté le 15/01/2023 à 13 :10.

الفرنسيين على الوفاء بعهدهم له، جاء مقسم على ستة فصول في الفصل الأول الثقة تستلهم من وفاء الأمير، في الفصل الثاني السنوات الأولى لظهور الأمير عبد القادر وعلاقاته بالفرنسيين إزاء الحكومة منذ بداية المقاومة الشرسة ونتائجها، في الفصل الثالث أسرى الأمير، أما عن الفصل الرابع بعنوان حلقة من مأساة الأسرى الفرنسيين، ثم أسر الأمير سنة 1847 وفي الفصل الخامس بوتري عن الأمير عبد القادر، ويقيد كتابه بملاحظات مهمة.

لكن الكاتب بعد طبع كتابه وردته رسالة من الأمير وقد مر عليه ثمانية أشهر في الأسر سنة 1849 أدرجها مترجمة من طرف القس **Rotu** في آخر كتابه وما يعانیه الأمير وأصحابه من ألم الأسر، وعدم وفاء فرنسا له بعهدها، حتى مناخ تلك الديار فاقم من محنتهم، أثرت كثيرا في الكاتب ليعقب على ذلك بكل أسف شديد يجب أن يوفى له بحقه وفي الحال، وفي حال ترك الأمير عبد القادر يلقي حنقه وراء جدران أمبواز فستكون وصمة عار على جبين الفرنسيين وجرح غائر في قلوب جميع الجزائريين. ويثبت في الأخير رسالة ودية بخط يد الأمير يشكر صنائع المعروف للكاتب مع الأمير وأصحابه.<sup>1</sup>

فهذا القس خَبُر بعض تعاملات الأمير في عز سلطانه وقوته بعد تبادل الأسرى مع خلفاء الأمير سنة 1841 رفقة بيربروجير.<sup>2</sup> قام دوبوش بزيارة مطولة له بسجنه في فرنسا وهو يؤكد على التزام الأمير عبد القادر بمواقفه بل يذهب دوبوش إلى الالتزام المبدئي للأمير عبد القادر بكلمته منذ بداياته الأولى ولازال إلى يومنا هذا، فهو حين عقد تلك المعاهدة الأولى مع الجنرال دي ميشال وتم نقضها (دوبوش نقب في الوثائق المحايدة لتلك المرحلة، وشهادات الذين كانت لهم علاقة مباشرة بالأمير وشهادة الأمير نفسه) الإجابات كانت موحدة: قطعاً لم يكن نقضها من طرف الأمير عبد القادر، والأمر سيان بالنسبة للمعاهدة الثانية "التافنة" فلا المنشآت العسكرية التي أنشأها أنتت ثمارها ولا المصانع اكتملت ولا تجهيزاته العسكرية، فكيف له بعد ذلك أن يكون هو من أعلن الحرب؟<sup>3</sup>

<sup>1</sup> Antoine-Adolphe Dupuch, **Abd-el-Kader au château d'Amboise**, Imprimerie et Lithographie de H Faye, Bordeaux, 1849, p-p P-S 1-9.

<sup>2</sup>Adrien Berbrugger, **Négociations entre Monseigneur l'évêque d'Alger et Abd el Qader pour l'échange des prisonniers**, Delahaye. J éditeur, Paris, 1844, p5.

<sup>3</sup> Antoine-Adolphe Dupuch, Op Cit, p-p 1-4.

يقدم دوبوش تبريرات واقعية تبرئ ساحة الأمير من نقض المعاهدتين، وهو عكس ما ذهب إليه المؤرخ بول غفاريل<sup>1</sup> Gaffarel Paul حين حاول طمس هذه الحقيقة في مؤلفه<sup>2</sup> "الجزائر" "l'Algérie".<sup>3</sup>

ويستشف من السيرة المهنية للمؤلفين صراع خفي بين الكتاب الفرنسيين في تبني كثير من الكتابات أو نسبتها إلى أحدهم، رأينا ذلك حين اشتكى مثلا إدموند بيليسي دي رينو Edmond Pellissier de Reynaud، من سطو المؤرخ ليون غالبيير Léon Galibert في كتابه "تاريخ الجزائر القديم والحديث" "Histoire de L'Algérie Ancienne et moderne" عن أجزاء من كتابه.<sup>4</sup> ونفس الشيء قام به جول بيشون Jules Pichon مع المؤرخ العسكري ألكس بلمار Alex Bellemare في سرد سيرة الأمير عبد القادر.<sup>5</sup> ويأخذ الصيدلي العسكري أرسن برتاي Arsène Bertieul صفحات كاملة عن المؤرخ أرسنيد ماتيو جليبار Aristide Mathieu<sup>6</sup> Guilbert ونفس الأمر يصدق على المؤرخ كاميل روسي Camille Rousset حيث يحمل مؤلفه إلا تجميع ما ورد لدى بيليسي دي رونو<sup>7</sup>. في حين يوثق مثلا الرحالة فريديريك كون

<sup>1</sup> Paul Gaffarel 1843-1920 : مؤرخ ومترجم وأستاذ التاريخ بجامعة ديجون Dijon ومن بعدها جامعة اكس مرسيليا Aix-Marseille، شغل منصب نائب رئيس الجمعية الجغرافية لمارسيليا. ينظر:

data.bnf.fr/fr/12326549/paul\_gaffarel. Consulté le 15/01/2023 à 13 :15.

& wikipedia.org/wiki/Paul\_Gaffarel. Consulté le 03/12/2022 à 15 :33

<sup>2</sup> يمكن الرجوع إلى عرض وتقديم الكتاب في الفصل الرابع، ص ص 184-186.

<sup>3</sup> Paul Gaffarel, **l'Algérie**, librairie de Firmin-Didot et Cie, Paris, 1883, pp 199.200.

<sup>4</sup>Edmond Pellissier de Reynaud, **Annales Algériennes**, Tome Premier, Librairie bastide, Alger, 1854, p-p VI-2.

<sup>5</sup> Alex Bellemare, **Abd-el-Kader sa vie politique et militaire**, librairie hachette et Cie, Paris, 1863, pp 16.17.

& Jules Pichon, **Abd El Kader, sa jeunesse son rôle politique et religieux son rôle militaire sa captivité, sa mort (1807-1883)**, Henri Charles-Lavauzelle, Paris, 1899, p 13.

<sup>6</sup> Arsène Bertieul, **L'Algérie Française**, Dentu Libraire-éditeur, Paris, 1856, p 11.

& Aristide Mathieu Guilbert, **De la Colonisation du Nord de L'Afrique**, Paulin Libraire-éditeur, Paris, 1839, p173.

<sup>7</sup>Georges Yver et Autres, **Histoire et Historiens de l'Algérie**, Librairie Félix Alcan, Paris, 1931, p270.

أبرست Frédéric Kohn-Abrest في مؤلفه ما أخذه عن أستاذ التاريخ موريس وال Maurice Wahl بخصوص تاريخ البلد القديم.<sup>1</sup>

كما نسجل توافقا كبيرا أو النسج على شاكلة واحدة لكوكبة من الكتاب الفرنسيين للحط من قيمة الأمير عبد القادر بخصوص حصار عين ماضي، أمثال أشيل فلياس<sup>2</sup> Achille<sup>3</sup> Fillias، بيتوا كريستيان Pitois Christian<sup>4</sup>، جول فرانسوا لاديمير Jules François Ladimir<sup>5</sup>، كورناي تروملي Corneille Trumelet<sup>6</sup>، ويلتحق بهم الصيدلي العسكري أرسن برتاي Arsène<sup>7</sup> Bertieul فيجعل منها عنوانا لملاحظاته (وكأن بعضهم نقل عن بعض وهو ما حدث بالفعل إذ يكررها لاديمير نصا وحرفا عن كريستيان)، ملخصها أن الأمير عبد القادر استولى على مدينة عين ماضي عن طريق "الخيانة". هذا الفعل الشنيع بعيد عن خلق الأمير عبد القادر دحضه زميله ألكس بلمار Alex Bellemare في مؤلفه.<sup>8</sup>

لكن الملاحظ من ذلك تجد المؤرخ جول فرانسوا لاديمير Jules François Ladimir يصدر مؤلفه رفقة زميله أ مورو Moreau E سنة 1856 بعنوان "حملات انتصارات نكسات الحروب الأهلية الفرنسية 1792-1856" "Campagnes, triomphes, revers, désastres"

<sup>1</sup> Frédéric Kohn-Abrest, **En Algérie Trois mois de vacances**, Librairie Ch. Delagrave, Paris, 1884, p 17.

& Maurice Wahl, **L'Algérie**, Librairie Germer Baillière et Cie, Paris, 1882, p48.

<sup>2</sup> Achille-Étienne Fillias 1885-1821 : مؤرخ وجغرافي، خريج المدرسة العسكرية ب سان سير، شارك في مختلف حملات استكشاف مقاطعات الجزائر ليعود إلى فرنسا سنة 1848 ليخوض في الحركة السياسية ومحرر في عدة جرائد سواء باسمه أو تحت اسم مستعار Charles Besson، له دراسات كثيرة عن الجزائر. ينظر:

Gustave Vapereau, **Dictionnaire Universel des Contemporains**, Librairie Hachette et Cie, Paris, 1870, p674.

catalogue.bnf.fr/ark:/12148/cb13762667f, Consulté le 03/12/2022 à 16 :33.

<sup>3</sup> Achille Fillias, **Histoire de la conquête et de la colonisation de l'Algérie (1830-1860)**, Arnaud du vresse Libraire-éditeur, Paris, 1860, p 243.

<sup>4</sup> Pitois Christian, **L'Afrique Française**, Barbier A éditeur, Paris, 1851, p 98.

<sup>5</sup> Jules François Ladimir, **Les guerres d'Afrique**, B Renault et Cie Libraires Editeurs, Paris, 1859, p 199.

<sup>6</sup> Corneille Trumelet, **Histoire de l'insurrection dans le sud de la province d'Alger en 1864**, Typographie Adolphe Jourdan, Alger, 1879, p 111.

<sup>7</sup> Arsène Berteuil, Op Cit, p 341.

<sup>8</sup> Alex Bellemare, Op Cit, p-p 192-194.

**et guerres civiles des Français de 1792 à la paix de 1856** " (388 صفحة)، يحوي على ثلاثين فصلا يبدأها بلمحة تاريخية عن إيالة الجزائر، وفي الفصل الثاني جذور الصراع الجزائري الفرنسي ثم الحملة الفرنسية وبعض تطوراتها في الفصلين الثالث والرابع، استيلاء على خزينة الدولة والتنظيمات الإدارية الفرنسية وكذا المواجهات الأولى في الفصلين الخامس والسادس، البدايات الأولى للتوسع الاستعماري في الفصلين السابع والثامن، فتعريج على أحداث الجيش الفرنسي بالبرتغال في الفصل التاسع. لكن في الفصل العاشر يتكلم عن عبد القادر الذي رفع لواء الجهاد والمواجهات الأولى ضد الفرنسيين، ثم ينتقل بنا الكاتب في الفصلين الحادي عشر والثاني عشر للحديث عن احتلال بجاية، وفي الفصلين الثالث عشر والرابع عشر وقائع حملة معسكر ومواجهات حوض التافنة انتهت بمعاهدة التافنة مع الأمير عبد القادر. أما في الفصلين السادس عشر والسابع عشر يتطرق لحملة قسنطينة الأولى والثانية، ويعرج على حملة الجيش الفرنسي بالأرجنتين في الفصل السابع عشر، في الفصلين الثامن عشر والتاسع عشر استكشاف على الصحراء ومواجهات الأمير مع التيجاني وعبور الجيش الفرنسي للبيبان، في الفصل عشرين يعرج على علاقات فرنسا مع إنجلترا. ثم في الفصول الواحد وعشرون والثاني وعشرون والثالث وعشرون نقاشات غرفة البرلمان بخصوص المسألة الجزائرية لتبدأ بعدها المواجهة المفتوحة مع الأمير عبد القادر والاحتلال الكلي للبلد، في الفصل الرابع وعشرون سقوط الزمالة وخليفة الأمير بن علل، في الفصل الخامس وعشرون بعض المعارك بالشرق الجزائري. في الفصلين السادس عشر والسابع عشر الوضع العسكري الفرنسية اتجاه المغرب وما ترتب عنها بتحديد الأمير عبد القادر. في الفصل الثامن وعشرون ظهور بومعزة وأحداث مرتبطة بمعركة سيدي إبراهيم بقيادة الأمير عبد القادر، وفي الفصل التاسع وعشرون آخر جهود الأمير عبد القادر قبل توقيف القتال، في الفصل الثلاثون والأخير استسلام أحمد باي وحملات الزعاطشة والقبائل وإطلاق سراح الأمير عبد القادر من الأسر.<sup>1</sup>

<sup>1</sup> François Ladimir et E Moreau, **Campagnes, triomphes, revers, désastres et guerres civiles des Français de 1792 à la paix de 1856**, Tome 6, Librairie Populaire des villes et des Campagnes, Paris, 1856.

غير أن الكاتب يعيد نشر نفس الكتاب سنة 1859 (بنفس العناوين الفرعية لإحدى وثلاثون فصلا) بعنوان رئيسي مغاير "حروب إفريقيا منذ احتلال الجزائر إلى حملة القبائل سنة 1857" " Les guerres d'Afrique, depuis la conquête d'Alger par les Français jusques et compris l'expédition de Kabylie en 1857" وعن دار نشر جديدة باسمه الخاص جول فرانسوا لاديمير، لم يضاف للمحتوى الأول سوى فصلا واحدا في الأخير يحمل رقم اثنان وثلاثين بعنوان حملة الفرنسيين على القبائل سنة 1857، وتجد مقاسات الطباعة والكتابة نفسها وكأن الكتاب لم يتغير منه إلا صفحة الواجهة وترتيب اسمه الأول، فيضع فرانسوا في الأول وجول في الثاني.<sup>1</sup>

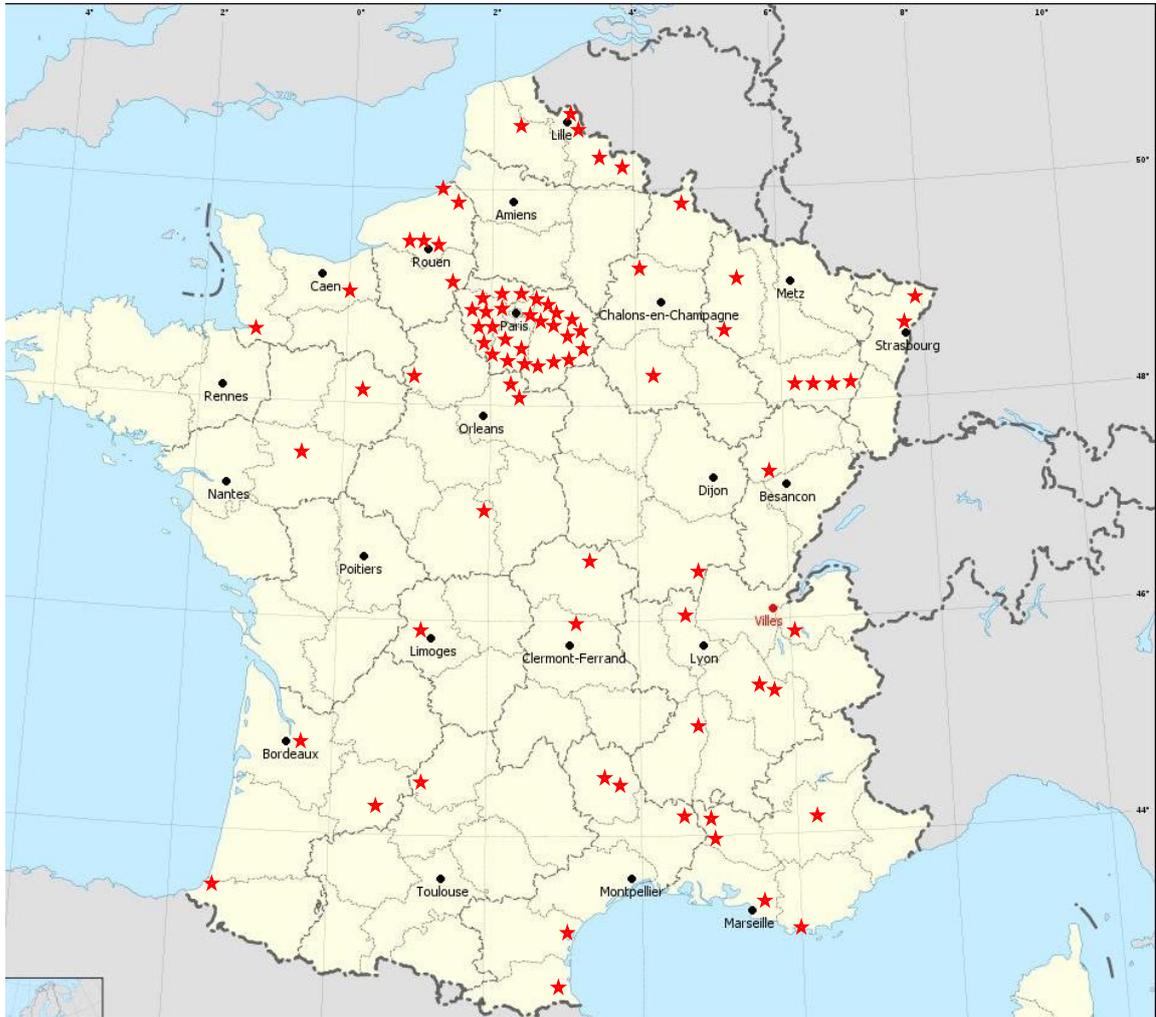
---

<sup>1</sup> Jules Ladimir, **Les guerres d'Afrique, depuis la conquête d'Alger par les Français jusques et compris l'expédition de Kabylie en 1857**, B Renault et Cie Libraires Editeurs, Paris, 1859.

## 5. مخطط بياني لحجم كتابات الفرنسيين عن الأمير عبد القادر (حسب انتماء الكتاب للمناطق الفرنسية):

ولتبيان التوزيع الجغرافي للكتاب الفرنسيين والمناطق الأكثر استحواذاً على الكتابات التي خصت موضوع الأمير عبد القادر رصدت الخريطة التالية.

الشكل رقم 4: التوزيع الجغرافي للكتاب الفرنسيين حسب أصولهم (المولد بفرنسا)



★ توزيع الكتاب الفرنسيين حسب أصولهم

● بعض المدن الفرنسية الرئيسية

بناءً على العينة التي شملتها الدراسة لمائة وخمسة وأربعين كاتباً تظهر الخريطة واحداً وثمانين كاتباً أصولهم فرنسية منهم سبعة وعشرون كاتباً من المنطقة الباريسية، وأربعة وخمسون لباقي المدن الفرنسية، وتسعة كتاب آخرين من خارج فرنسا منهم اثنان ولدوا بالجزائر وهما المحامي لويس بليستروس Luis Ballesteros والعسكري من مدينة سيدي بلعباس جول بيشون Jules Pichon.

وتظهر الخريطة استحواد الناحية الباريسية العاصمة "متروبول" لدورها السياسي والثقافي وكذا الاقتصادي، وتمارس نوعاً من الهيمنة الثقافية على كل فرنسا، وما يعزز هذا الطرح أننا نجد (حسب الجدول الكمي لكتابات الفرنسيين السابق الذكر) من أصل مائة وثمانين مؤلفاً يوجد منها 127 صدرت عن مدينة باريس لوحدها أي ما يفوق 70% من الكتابات. وهو ما عبر عنه Alpinus ضمن مؤلفه "ورقات حول ليون روش"<sup>1</sup> "Quelques pages sur Léon Roches" في محاولة لإبراز أعلام منطقتهم، أن التاريخ الفرنسي استحوذت عليه -حسب تعبير الكاتب ابتلعته وافترسته- الجهة الباريسية.<sup>2</sup>

والملاحظ أن كثير من المؤلفين الفرنسيين (خمسة وخمسون كاتباً) في القرن التاسع عشر لم نجد لهم لا تاريخ ميلاد ولا مدينة الميلاد ضمن قاعدة بيانات "BNF Gallica, Catalogue Général"، وهو الأمر الذي يمكن تجاوزه لولا المؤاخذه الكبيرة التي يطنب دائماً عليها المؤرخون الفرنسيون أن العرب والمسلمين عموماً لا يهتمون كثيراً بتحديد وبدقة تواريخ أعلامهم (مثل تاريخ ميلاد الأمير عبد القادر لدى جول بيشون Jules Pichon في مدخله).<sup>3</sup>

<sup>1</sup> يمكن الرجوع إلى الفصل الرابع للتعريف بهذا الكتاب، ص ص 164.165

<sup>2</sup> Alpinus, *Quelques pages sur Léon Roches*, Imprimerie Allier frères, Grenoble, 1898, p14.

<sup>3</sup> Jules Pichon, *Abd El Kader, sa jeunesse son rôle politique et religieux son rôle militaire sa captivité, sa mort (1807-1883)*, Henri Charles-Lavauzelle, Paris, 1899, p 11.

# الفصل الثاني

الأمير عبد القادر في كتابات الفرنسيين إبان القرن 19م  
عرض وتقديم لنماذج  
مرحلة المقاومة 1830-1847

1- أميدي ديسجوبير Amédée Desjobert

2- لويس ألكسيس دي ميشال Louis Alexis Desmichels

3- أدولف فنتان دو ريباك Adolphe Fontaine de Resbecq

4- لويس فليبير برين دوبينيوسك Louis-Philibert Brun D'Aubignosc

5- أوجين بوري Eugène Buret

6- أدريان بيربروجير Adrien Berbrugger

7- أميدي هيبوليت بروسارد Amédée Hippolyte Brossard

8- أشيل هيبوليت بلان Achille-Hippolyte Blanc

كتابات الفرنسيين في هذه المرحلة من المقاومة وإن كانت تعزى للعسكريين بالدرجة الأولى، لكننا حاولنا التنوع بالتنقيب عن كتابات أخرى لها رؤية غير نمطية على شاكلة "الافتخار بالجيش الفرنسي وانجازاته" تترك لنا ومضات مغايرة للاتجاه العام لكثير من الكتابات خصوصا لدى كتاب سير العسكريين والاحتلال، ونجد في مقدمتهم السياسي والبرلماني ديسجوبير، والراجح -رغم عدم زيارته للجزائر- أنه كان يجد في كتابات بعض القادة العسكريين أمثال دي ميشال ما يعزز به طرحه، ملخصها أنه مهما بلغت قوة الأمير فلن تشكل مصدرا خطيرا على الفرنسيين بالمقابل تضمن لهم تعاملات ندية يستفيد منها الطرفان.

هذه الكتابات وإن تعارضت إلى حد الاصطدام الحاد بينها-في موقفها من الأمير بإبرام سلم معه أو القضاء عليه-، إلا أنها كانت تصب كلها من أجل مصلحة فرنسا العليا لتحقيق وتمكين وتمتين وجودها بالجزائر دون أن تتضرر مصالحها العليا كل من وجهة نظره، وخير مثال عن ذلك كتابات بروسارد.<sup>1</sup> وكذلك استغلال الأساقفة لإنجاز تبادل الأسرى من وجهة إنسانية دينية دون أن تكون لها تبعات سياسية مع الأمير عبد القادر في كتابات بريروجير.<sup>2</sup> كما يمكن اعتبار هذه المصادر وثائق مرجعية ومصدر إدانة لفرنسا الاستعمارية، تدين الأعمال الإجرامية التي قام بها الجيش الفرنسي ضد الجزائريين في تلك المرحلة.

<sup>1</sup> ينظر على سبيل المثال لا الحصر:

Amédée Desjobert, **La Question d'Alger, politique, colonisation et commerce**, P. Dufart libraire, Paris, 1837, pp vj.vij.

\_\_\_\_\_, **L'Algérie en 1838**, la Librairie de P. Dufart, Paris, 1838, p180.

Amédée Hippolyte Brossard, **Mélanges sur l'Afrique**, Imprimerie de Jean Baptiste-Alzine, Perpignan, 1838, pp 12.13.

Brun L-P D'Aubignosc, **Alger, De son occupation depuis la conquête en 1830, jusqu'au moment actuel, Appel au public impartial**, Delaunay Dentu Au Palais Royal, Alger, 1836, pp 25.26.

<sup>2</sup>Adrien Berbrugger, **Négociations entre Monseigneur l'évêque d'Alger et Abd el Qader pour l'échange des prisonniers**, Delahaye. J éditeur, Paris, 1844, p5.

1. أميدي ديسجوبير Amédée Desjobert (1796-1853)

ولد ب أورساي Orsay؛ سياسي فرنسي بدأ حياته السياسية كرئيس بلدية ريو Rieux، وبرلماني لفترة ما يقارب عشرين سنة متواصلة (1833-1852)، إذ عد حينها أكثر النواب جرأة وشراسة ضد غزو واحتلال الجزائر، وتشهد له بذلك مجمل منشوراته ومدخلاته البرلمانية سنوات 1837، 1838، 1844، 1846، 1847 اصطفت ضد احتلال الجزائر والسياسة الفرنسية المتبعة في تسييرها.<sup>1</sup>

له أربعة مؤلفات هي كالتالي:

1. Amédée Desjobert, **La Question d'Alger, politique, colonisation et commerce**, P. Dufart libraire, Paris, 1837. (343 pages)
2. Amédée Desjobert, **L'Algérie en 1838**, la Librairie de P. Dufart, Paris, 1838. (184 pages)
3. Amédée Desjobert, **L'Algérie en 1844**, Guillaumin Libraire-éditeur, Paris, 1844. (164 pages)
4. Amédée Desjobert, **L'Algérie en 1846**, Guillaumin Libraire-éditeur, Paris, 1846. (82 pages)

يعتبر أميدي ديسجوبير من القلائل الذين كانت لهم وجهة نظر مغايرة تجاه احتلال الجزائر، ولم يكن يشاطره الرأي كثير من أهل الرأي والسياسة بحجة أنه لم يذهب إلى الجزائر، ومع ذلك كان يرى هذه الأخيرة ضمن منظور مصالح فرنسا العليا فقط، وألا تتضرر سياستها الاقتصادية ولا العسكرية ولا صورتها الحضارية<sup>2</sup>. ومن الضروري الإشارة إلى أن الاحتلال الكلي للبلد لم يكن يلقى معارضة سوى داخل قبة البرلمان<sup>3</sup>.

<sup>1</sup>Alphonse-Marius Gossez, **Un adversaire de la colonisation en Algérie**, in-*Revue d'Histoire du XIXe siècle*, Tome 27, Numéro 132, Frédéric Rieder & Cie éditeurs, Paris, Mars-avril-mai 1930, p-p 26-42.

Adolphe Robert & Gaston Cougny, **Dictionnaire des Parlementaires Français 1789-1889**, Bourloton éditeur, Paris, 1890, pp 355.356.

<sup>2</sup>Amédée Desjobert, **La Question d'Alger, politique, colonisation et commerce**, op Cit, pp vj.vij.

<sup>3</sup>Christian Schefer, **La Conquête total de L'Algérie 1839-1843**, Valée, Bugeaud et Soult, Edouard Champion, Paris, 1916, p17.

يتوجه **ديسجوبير** في مؤلفه الأول الذي يحمل عنوان "مسألة الجزائر" " **La Question d'Alger**" صدر سنة 1837 (343 صفحة) إلى الرأي العام الفرنسي معترضا على مجمل ادعاءات مروجي أو المنتفعين من الاحتلال في الفصل الأول، وبعد أن يقدم نبذة عن إيالة الجزائر ولمحة عن السياق التاريخي للحملة الفرنسية ومصاعب الاحتلال في الفصول الثاني والثالث والرابع، يشرح وضعية الاحتلال في الفصلين الخامس والسادس، والمأمول من الاحتلال بإقامة علاقات تجارية وخط بحري بين البلدين في الفصل السابع والثامن، واعتراضه على الاحتلال الكلي وكلفتة المالية في الفصلين التاسع والعاشر، والنقاشات البرلمانية بخصوص المشاريع المتخذة والوسائل المقترحة للاحتلال في الفصلين الحادي عشر والثاني عشر، وفي الفصل الأخير الخلاصة في إقامة نظام وطني جزائري.

ينتقد **ديسجوبير** الإجراءات العقابية للجيش الفرنسي اتجاه الجزائريين سواء بالنفي أو الإبادة، وإن كانت الأولى تمويه على الثانية، وفي الحالتين استحالة بلوغ ذلك لدى مجتمع فلاحي مرتبط ارتباطا وثيقا بالأرض، فلا يمكن مقارنته بشعوب الهنود الحمر بأمريكا (مجتمع قائم على الصيد والتنقل) ومع ذلك تحت ضغط النفي والمطاردة تكوّن لدى شعوب الهنود إحساس بتقارب جماعي وحاربت لمدة ثلاثمائة سنة، والنتيجة أن الصراع يبقى قائما، فالاحتلال الفرنسي يبحث على طرد الجزائريين إلى الصحراء، وهم على طرد الاحتلال إلى البحر.<sup>1</sup> ليعقب الكاتب على ذلك: "...لن نصل إلى نتيجة، وأكبر حرج ألحقه بنا الأمير عبد القادر أنه حشرنا في زاوية اضطررنا أن نمثل كل ما هو وحشي وخراب، في حين كان هو يمثل كل ما هو قيم ونظم أخلاقية..."<sup>2</sup>

كان **ديسجوبير** يطرح أسئلة واقعية بخصوص الاحتلال سنة 1837، لم تكن فرنسا تملك إلا الأماكن التي تحت أقدام جنودها، غير ذلك فالوضع غير مستقر، تكاليف الاحتلال العسكرية والاقتصادية، ولمحة عن النظام العثماني الذي يمكن لفرنسا اعتماده، وما هو موقع الأهالي في كل ذلك، وما هو النظام المراد تطبيقه؟ وتعقبا على التجربة الأولى في اتصال

<sup>1</sup>Amédée Desjobert, **La Question d'Alger, politique, colonisation et commerce**, op Cit, p-p 90-93.

<sup>2</sup>Ibid, p309.

دي ميشال مع الأمير عبد القادر والمعاهدة المنجزة بينهما، الذي عد كحل ظرفي للمأزق الفرنسي بالجزائر، عده ديسجوبير كحل استراتيجي لفرنسا.<sup>1</sup>

ويستقيض في التنظيمات والأسس التي بنى عليها الأمير عبد القادر قاعدة حكمه (العدالة، الجباية، الصناعة مع انفتاح على النظم التشريعية والعسكرية الفرنسية لتطوير بلاده)<sup>2</sup> ويلقى كل ذلك صدى طيبا لدى الجزائريين في كامل أرجاء الوطن.<sup>3</sup>

يثبت ديسجوبير وفاء الأمير عبد القادر بعهوده: "...في كل مراسلات الفرنسيين للكونت ديرلون Comte d'Erlon وكذلك أقرها ولوسكي Walewski مع الأمير عبد القادر، أن هذا الأخير اجتهد وبذل ما في وسعه لتثبيت الاتفاق..."<sup>4</sup> وفي تعرضه للجزائريين يشير إلى تجانس كل أطراف المجتمع فيقول: "...إن العرب وقبائل جرجرة يتقاسمون تقريبا نفس العادات ونفس الصفات والأحكام وموقفهم منا واحد، وقد تجعلهم تحت تسمية واحدة العرب..."<sup>5</sup> بل يوصي الكاتب قومه: "...التعرف على الوطنية الجزائرية بدل خنقها..."<sup>6</sup>

النتيجة التي خلص إليها ديسجوبير: "...أن البلد يجب أن يساس بأهله، والأمير استوعب هذا الأمر وتجمع فيه خصال تسيير دفة القيادة (الصلاح، الشجاعة، مهارة في القيادة، يلقي قبولا وإجماعا ويخضع للشريعة الإسلامية في كل أحكامه)..."<sup>7</sup>

ثم تجد نفس هذه الأفكار يدافع عنها ديسجوبير في مؤلفه "الجزائر سنة 1838" "L'Algérie en 1838" (184 صفحة) إن لم نقل أعادها نفسها تقريبا على مدار خمسة فصول،

<sup>1</sup>Amédée Desjobert, *La Question d'Alger, politique, colonisation et commerce*, op Cit, pages 38, 120,235-361,280-304,310-314.

<sup>2</sup>- للتوسع في الهيئات والتنظيمات التي أقرها الأمير عبد القادر الجزائري ينظر: محمد دراغو، معمر العايب، "منطلقات الأمير عبد القادر السياسية والعسكرية في المقاومة وبناء الدولة الوطنية"، في مجلة الدراسات التاريخية والاجتماعية، العدد 47، جامعة نواكشوط العصرية، موريتانيا، 2020، الصفحات 70-90.

<sup>3</sup>Amédée Desjobert, *La Question d'Alger, politique, colonisation et commerce*, op Cit, p-p 315-319.

<sup>4</sup>Ibid, p320.

<sup>5</sup>Ibid, p324.

<sup>6</sup>Ibidem.

<sup>7</sup>Ibid, pp 325.326.

في الأول استعراض الحالة، ثم النظام العثماني وإمكانية استتساخ نموذج الاداري في تسيير البلد مرة أخرى في الفصل الثاني، وفي الفصل الثالث والرابع النظام الاستعماري الفرنسي ونتائجه، وفي الأخير النظام الوطني الجزائري وأتى المؤلف تقريبا على نفس نسق محتوى الكتاب الأول "مسألة الجزائر" "La Question d'Alger".

يسرد ديسجوبيير نفس الفرضيات التي طرحها من قبل في كتابه "مسألة الجزائر" بخصوص المعوقات الأساسية التي تجابه الاحتلال، وهي على شقين الاستحالة والضرورة، استحالة حكمهم بطريقة مباشرة أو غير مباشرة من طرف الفرنسيين فنجده يوثق ذلك: "...ضرورة تسيير شؤون البلد من طرف أهله، فالجزائر أعادت تشكيل وطنية عربية قوية لها جذور عميقة في هذا البلد، وسيكون حظنا سيء إن سعينا وراء المستحيل وتركنا الضرورة، ونكون كمن أطال الأزمة فقط، في بلد يقدر عدد سكانه في حدود 2.800.000 نسمة، ستكشف دائما عن رجل في المواقف الدقيقة والمراحل الحاسمة، يعبر عن كيانها السياسي والديني، ويترجم مشاعرها الحية، ويجسد تطلعاتها..."<sup>1</sup>

والملاحظ يعيد ديسجوبيير نصا وحرفا ما قاله عن الأمير في كتابه الأول "مسألة الجزائر": "...يقول البعض فرنسا أخطأت حين جعلته يبرز على الساحة وساهمت بقدر ما لتصدره المشهد السياسي الجزائري، لكن أخطاءنا لم تكن لتعطيه مركزه الاجتماعي ولا خصاله الشخصية الفذة..."<sup>2</sup> ويثني الكاتب على الأمن والأمان الذي كرسه الأمير عبد القادر في دولته: "...الأمير عبد القادر يحرز تقدما ملحوظا بعد 1835 للنظام والأمان الذي أقامه، وبدأت تتوجه إليه الأنظار من كل نواحي البلد، سلطته وصلت إلى البيبان، ونوغة ومجانة، وبسكرة، وإن لم يكن تعلقا بالأمير فنصرة لدينهم..."<sup>3</sup>

وحسب ديسجوبيير أنت نتائج المعاهدات مع الأمير على غير المأمول منها إذ يقول: "...المعاهدات المبرمة مع الأمير عبد القادر نتج عنها مخرجات مغايرة لإرادتنا سواء في مسألة الحدود، التسيير الإداري للسكان، العلاقات تجارية، مع ذلك الوزير برنار Bernard

<sup>1</sup>Amédée Desjobert, *L'Algérie en 1838*, la Librairie de P. Dufart, Paris, 1838, pp 154.155.

<sup>2</sup>Ibid, pp 156.157.

<sup>3</sup>Ibid, p-p 162-165.

يصرح: يبدو أن الأمير عبد القادر لم يفهم حرية التجارة التي نصت عليها معاهدة التافنة، في حين لم يذكر الوزير كيف فهمها هو؟ إذ نعترض على فرض الأمير لحقوق جمركية 5 % والسلطات الفرنسية تفرض 15%...<sup>1</sup> ويثبت الكاتب في سياق آخر موقفه من استقلالية الوطنية الجزائرية المتشعبة بروح الاسلام كما في كتابه الأول: "...إذا أرادت الوطنية الفرنسية ألا تعمل للقضاء على الوطنية الجزائرية، فإنه يتعين عليها أن تكون حرة، تشكل من ذاتها ولذاتها دون تدخل منا، ولا يمكن دمج عرقين، في مجتمع يهيمن القرآن فيه على كل مناحي الحياة وهو الدستور الوحيد، فالقائد بالضرورة تجتمع لديه القدرة القيادية والشخصية الدينية، والأمير عبد القادر اجتمعت فيه هذه الخصال، بالإضافة إلى نزعة ثورية ونهضة علمية...<sup>2</sup>

والملاحظ يرسم لنا ديسجوبير موقفه من الأمير عبد القادر والاحتلال على حد سواء بما يخدم مصالح بلاده ويعيد طرح حلّه الأول الذي ذكره في كتابه "مسألة الجزائر" ملخصه: "...الأمير عبد القادر رجل وطن، ولا يموت إلا مع وطنه، والوطن لا يقضى عليه بسهولة، والاحتلال عليه الاحتفاظ بالنقاط البحرية الرئيسية، والاستفادة من مزايا تجارية حصرية مع الجزائر، وفي حالة الحرب يمكن تزويد قواتنا وتكون على شاكلة ما قام به الإنجليز بجبل طارق، فعوض الدخول معهم في حرب، ندخل معهم في تحالف يستفيد منه الطرفان...<sup>3</sup>

فالكاتب يقدم تصورا ليس حبا في الجزائريين، ولكن يرى فيه أيسر السبل لحفظ مصالح فرنسا العليا، فهو مدرك أن رأيه هذا لا يلق شعبية، ولكنه يعارض شعبية قائمة على أسى شعوب أخرى، وأن الشعوب يجب أن تحترم لذاتها وليس لتكون في خدمة شعوب أخرى.<sup>4</sup>

في مؤلفه "الجزائر سنة 1844" "L'Algérie en 1844" (164 صفحة) يعود ديسجوبير هذه المرة من حيث وظيفته كنائب برلماني وكان في اللجنة المكلفة بفحص طلب تعزيزات عسكرية إلى الجزائر (15000 عسكري)، وجاء مؤلفه مرة أخرى على نفس نمط سابقه ولم يتغير محتواه شكلا ومضمونا مع توسع واضافات في بعض الأحداث بتتوير الرأي العام

<sup>1</sup>Amédée Desjobert, L'Algérie en 1838, op Cit, p-p 166-169.

<sup>2</sup>Ibid, p-p 170-173.

<sup>3</sup>Ibid, p-p 174-176.

<sup>4</sup>Ibid, p 180.

بخصوص مسألة الجزائر في الفصل الأول، ويعزز تصويره لاحتلال بخلق نوع من المقارنة للصراعات الاستعمارية في العالم مثل الصراع القوقازي الروسي ويسقطه على وضعية الاحتلال بالجزائر في الفصل الثاني، ثم يطرح معوقات الاحتلال الكلي، وعدم قدرة الاحتلال في توطين العساكر في الفصل الثالث والرابع والخامس، ثم معوقات بعض المشاريع الاستيطانية الأخرى في الفصلين السادس والسابع، وفي الفصل الثامن يقدم حوصلة عن التعاملات التجارية، ثم يشرح وضعية جيش الاحتلال بالجزائر في الفصل التاسع، والموازنات المالية المرصودة للاحتلال سنة 1843 في الفصل العاشر، وفي الفصل الأخير يقدم حوصلة لمخرجات تصورات معززا بأراء سياسيين وعسكريين.

يتصدر مؤلف **ديسجوبير** رسالة مؤرخة في ديسمبر 1843 من تلمسان لجندي يروي إحدى مجازر الجيش الفرنسي بالحدود الغربية والساحلية الغربية (ندرومة، أنجاد، رشقون) ملخصها: "...هجوم فرقتنا العسكرية مع تباشير الصبح على السكان العزل تمنع فيهم قتلا وحرقا ونهباً للمخازن، شيء مؤسف أن تجد النساء حافيات وعلى ظهورهن أبنائهن أخذوا أسرى إلى تلمسان ويتوعددهم القائد العسكري بأنهم لن يعودوا إلى أراضيهم، بسبب رفض السكان للضريبة، هذه المشاهد المروعة، سيكون الجزائري بدون قلب إن لم يطلب لها الانتقام..."<sup>1</sup>

يُشرِّح **ديسجوبير** وضعية الاحتلال ويبدأه بتصريح كلوزل سنة 1836: "...يتباهى كلوزل في صلف باستطاعته القضاء على الأمير عبد القادر ب 22.920 عسكري، اليوم -أي سنة 1844- ارتفع تعداد الجيش 90.000 عسكري والوضع على حاله..."<sup>2</sup> ويقدم عرضاً عن الصراع القوقازي الروسي ويقارنه بما يحدث على أرض الجزائر، رغم أفضلية الجيش الفرنسي إذ دفع بنخبة جيشه في حربه ضد الجزائريين، وهو ما ليس متاح للجيش الروسي.<sup>3</sup> وعن صعوبة مهمة الجيش الفرنسي أمام مقاومة الأمير يقول: "...فالأمير عبد القادر رغم مئات الحملات المسيرة ضده للقضاء عليه، لكنه يظهر من جديد دائماً، والجنرال الذي خاطب بعد الاستيلاء على بجاية سنة 1833، أن مهمة الجند فلاحيه أكثر منها حربية، وحمل الفأس

<sup>1</sup>Amédée Desjobert, *L'Algérie en 1844*, Guillaumin Libraire-éditeur, Paris, 1844, pp VI.VII.

<sup>2</sup>Ibid, p 28.

<sup>3</sup>Ibid, pp 29.30.

والمجرفة أكثر من البندقية، نعم حملوها لكن لدفن يوميا جنودنا، وطلب تعزيزات لإخضاع القبائل المنتشرة بجرجرة...<sup>1</sup> وعطفاً على قوة المقاومة الجزائرية وشدة بأسها، يتساءل **ديسجوبير**: "...ما هو حال أية دولة أوروبية لا نستطيع قهرها وقمعها باستعمال نفس القوة التي استخدمناها ضد الجزائريين (90.000 عسكري وطلب 15.000 أخرى) ونسبها لها نفس وسائل دفاع الجزائريين؟"<sup>2</sup>

ليخلص **ديسجوبير** إلى النتيجة التالية: "...وجود وطنيتين فرنسية وعربية لم يعد ممكناً، والنتيجة عمد الاحتلال إلى مبدأ الإبادة التامة، والتهجير الكلي للسكان، ولم يتورع وزير الحربية **Bernard** أن يصرح أمام البرلمان أن الجيش الفرنسي محكوم عليه باستخدام وسائل، أصبحت يوماً بعد يوم مشينة في حق الشعوب المتحضرة، وتحطيم الفلاحة التي هي النشاط الاقتصادي الوحيد الذي يتقنه الجزائريين، فالوسيلة الوحيدة للقضاء عليهم ودفنهم للاستسلام بتأجيج الدمار القاتل والمجازر الدموية، وهذه المذابح لو أنجزنا لها جدولاً سيطول سردها..."<sup>3</sup>

لكن الملاحظ ونظراً لإطلاع **ديسجوبير** على المنشورات والتقارير الرسمية التي يخولها له منصبه، جعلته يرصد هذا الهديان الجامح من القتل والدمار الذي لحق الجزائريين، منها ما وثقه الجنرال **دوفيبي Duvivier** يقول عنها: "...ستبقى إلى الأبد كوثائق تديننا " pièces accusatrices" وستلطح سمعتنا كما لطخت رفقاء **كورتيز Cortez** و **بيزار Pizarre**، ويصف المجازر في حق الجزائريين التي كانت بدافع التسلية وتمضية الوقت دون أن ندري ماذا نريد؟ "par pur passe-temps...jamais su ce que nous voulions" وستصدر في حقنا الأجيال القادمة أحكام الخزي والعار..."<sup>4</sup>

يفصل **ديسجوبير** في استراتيجية بيجو المبنية على الاستيطان الأوروبي والاستيطان بواسطة العسكريين، مبيناً أنه: "...رغم الامتيازات الممنوحة، والمراسيم المؤطرة للاستيطان، لم تساهم إلى هذه اللحظة في كلفة الاستعمار 100 مليون فرنك سنوياً، وكل شيء قائم على

<sup>1</sup>Amédée Desjobert, *L'Algérie en 1844*, op Cit, pages 31,38-39.

<sup>2</sup>Ibid, p41.

<sup>3</sup>Ibid, p-p 42-44.

<sup>4</sup>Ibid, pp 44.45.

وجود جيش الاحتلال، فعوض أن نملك الجزائر، فالجزائر هي من امتلكتنا...<sup>1</sup> ويرصد لنا الحالة الصحية للجيش الفرنسي حيث تقول الأرقام الرسمية حسب ما يوثقه الكاتب: "...دخول أكثر من نصف عدد عساكره المستشفيات، وبعضها تقول إن عدد العساكر الذين دخلوا المستشفيات يفوق عدد المجندين على اعتبار بعض الجنود دخلوا عدة مرات (90.524 دخلوا المستشفيات في حين عدد المجندين 80.000)...<sup>2</sup>، ليختم بالتصريح التالي: "...صحيح أن إنجلترا اعتبرت يوم امتلاكنا الجزائر حداً، لكنها الآن راضية بهذا الثوب الذي يحرق جوانحنا...<sup>3</sup>

المؤلف الأخير ل **ديسجوبير "الجزائر سنة 1846" "L'Algérie en 1844" (82 صفحة)**

يوصل في استعراض رؤوس أقلام ما ذكره من قبل، ولم يخرج محتوى كتابه عن السياق العام لمحتوى كتاباته السابقة وبعض أفكاره والمسائل المدرجة مكررة، فهو إلى حد ما حوصلة لما سبق. فيعيد تشريح وضعية الاحتلال والعساكر في الفصل الأول والثاني، ويعيد سرد نماذج تاريخية لمثل هاته الصراعات لم تنجح، رغم القضاء على قائد المقاومة في الفصل الثالث، ثم عبئ الموازنة المالية للاحتلال على الخزينة الفرنسية في الفصل الرابع، وفي الفصل الخامس يفصل في مشاريع الاحتلال منها مشاريع بيجو، لاموريسبير، اللجنة الإفريقية، غرفة البرلمان، وأخيراً حكومة جزائرية في الفصل السادس والسابع. والملاحظ ظل ديسجوبير يدافع على نفس أفكاره طيلة تلك الفترة تقريباً حوالي عشر سنوات.

حسب **ديسجوبير** استمرار الاحتلال الفرنسي بالجزائر مرتبط: "...ببقاء دائم لجيش قوامه 100.000 عسكري، قليل من العساكر من يسقط بالنيران فهي نوع من "مطاردة الإنسان" لفارق القوة بيننا وبينهم، لكن المستشفيات من ابتلعت الجنود...<sup>4</sup> لكنه يعقب على هذه القوة الضخمة المسخرة مع ذلك ظلت جذوة المقاومة ملتهبة فجنده يقول: "...ظل الأمير عبد القادر بقوات صغيرة يجابه هذا الوضع الشاذ، لأنه وجد كل مشاعر التعاطف من الجزائريين التي سكنت وجدانهم روح الوطنية والدين، والدفاع عن أملاكهم وعوائلهم، والأمير يترجم على الواقع

<sup>1</sup>Amédée Desjobert, *L'Algérie en 1844*, op Cit, pages 72,129,142 .

<sup>2</sup>Ibid, p135.

<sup>3</sup>Ibid, p159.

<sup>4</sup>Amédée Desjobert, *L'Algérie en 1846*, Guillaumin Libraire-éditeur, Paris, 1846, p-p 9-11.

هذه المشاعر، لذا موت الأمير عبد القادر لا يغير الوضع لنا أو لهم، سنظل أعداء لدينهم ووطنيتهم، وسيخرج آخرون يعبرون عن نفس هذا الوجدان...<sup>1</sup> ويجمل ديسجوبير للسياق التاريخي لهذه الروح المتقدة لدى الجزائريين، في مقولة أحد القادة المجاهدين الجزائريين للفرنسيين: "...لو تم غلي رأسي ورأسك في قدر واحد، لأنفصل مرقي عن مرقتك..."<sup>2</sup>

## 2. لويس ألكسيس دي ميشال Louis Alexis Desmichels (1779-1845)

جنرال فرنسي ولد ب ديينيه Digne جنوب شرق فرنسا، شارك في حملة مصر، بعث إلى الجزائر سنة 1833 ليتولى إدارة مقاطعة وهران، اخضع مستغانم وأرزيو، ونتيجة صمود الجزائريين عقد اتفاقا في 26 فيفري 1834 (معاهدة دي ميشال مع الأمير عبد القادر) اعتبرت لدى كثير من الأوساط الفرنسية "إضرارا بالمصالح الفرنسية وأساءت لسمعته"<sup>3</sup>.  
ترك ألكسيس كتابا حمل عنوان:

5. Louis Alexis Desmichels, **Oran sous le commandement du général Desmichels**, Librairie Militaire D'Anselin, Paris, 1835. (256 pages).

"وهران تحت قيادة الجنرال دي ميشال" (256 صفحة) يعد وثيقة أساسية عن فترة مهمة من مقاومة الأمير عبد القادر، بحكم أن له سجلات كثيرة مع الأمير حريا وسلما على القطاع الوهراني، وجاء مؤلفه على شقين القسم الأول حروبه مع الأمير عبد القادر تطرق فيه على مدار ستة فصول إلى مجمل المواجهات العسكرية وإخضاع بعض المدن وانجازاته العسكرية، في القسم الثاني أحداث اتفاق السلم المبرم بينهما والتي انتهت بمعاهدة عرفت باسمه تطرق فيه على مدار ستة فصول كذلك عن ضرورة عقد اتفاق سلام مع أحد القادة الجزائريين ولماذا وقع اختياره على الأمير عبد القادر في الفصل الأول، وعن سرعة صيرورة المفاوضات وتبادل الوفود بينهما في الفصل الثاني، في الفصل الثالث حسن استقبال الأمير لوفد دي ميشال، في الفصل الرابع والخامس يتطرق فيه دي ميشال إلى حروب الأمير الداخلية لفرض سلطته

<sup>1</sup>Amédée Desjobert, **L'Algérie en 1846**, op Cit, pp 12.13.

<sup>2</sup>Ibid, p16.

<sup>3</sup>Marie-Nicolas Bouillet, **Dictionnaire universel d'histoire et de géographie**, 26eme édition, Librairie Hachette et Cie, Paris, 1878, p522.

Charles Mullié, **Biographie des célébrités Militaires**, Tome premier, Poignavant et Cie éditeurs, Paris, sans date précise (18..), pp 420.421.

والقبائل التي واجهته، في الفصل السادس والأخير سعي دي ميشال لمشروع تهدئة عامة بالجزائر على نمط ما قام به بمقاطعة وهران ثم تحييته وتعويضه ب تريزل.

وصل دي ميشال إلى وهران يوم 23 أبريل 1833 يقول عن الجزائريين في القطاع الوهراني: "...بأسهم شديد في الحرب ولا يعترفون سوى بخيولهم وسلاحهم، وأذكيا بما كان إحداث تقارب معهم...".<sup>1</sup> استطاع منذ وصوله على رأس عمله صد هجومات الأمير عبد القادر على وهران في 27 ماي 1833، وفي شهر جويلية احتلال أرزيو، واستغل دي ميشال تحركات الأمير نحو تلمسان وأخرى ناحية شليف ليقوم أيام 27، 28، 29، من نفس الشهر باحتلال كل من "مزعران، مطمور، مستغانم" دون مقاومة جدية عدا بعض المناوشات الطفيفة، هذه الأخيرة كانت تحت سلطة قائد الكراغلة، ليأتي رد الأمير عبد القادر مباشرة بهجوم ومحاصرة مستغانم أيام 3-9 أوت وينتهي بانسحاب الجزائريين.<sup>2</sup>

كانت أولى خطوات دي ميشال بفتح قناة اتصال مع القبائل الجزائرية والتي لم تكن على وفاق تام مع الأمير عبد القادر مثل "الدوائر والزماله" المتمركزة بنواحي وهران، قبائل البراجية نواحي أرزيو وقبائل مهاجر نواحي مستغانم، غرضه منها تعمل كمراكز استخباراتية لكل ما يقع في القطاع الوهراني وتنقله إليه، ويمونون الحاميات الفرنسية بما تحتاج إليه من مؤن، وذلك بالتحايل على مراكز المراقبة للقبائل الموالية للأمير المحاصرة لوهران مثل (الغراية وهاشم)، فدي ميشال يلعب على وتر الطموح لدى رؤساء قبائل، والتنافس بينهم ولما لا الدفع بهم إلى حد الاقتتال.<sup>3</sup>

معارك دي ميشال Desmichels مع الأمير وإن كانت تُنبئ عن شجاعة نادرة لدى الجزائريين إلا أنها لم تكن لتحدث فارقا كبيرا خصوصا في خسائر العدو، لثلاث ركائز أساسية للجيش الفرنسي اعتمدها دي ميشال: "...سلاح المدفعية يعطينا التفوق في قوة النيران تحصد الجزائريين حصدا، المتاريس والخنادق التي تم انشاؤها توفر الحماية تامة من نيران المجاهدين،

<sup>1</sup>Louis Alexis Desmichels, *Oran sous le commandement du général Desmichels*, Librairie Militaire D'Anselin, Paris, 1835, pp 3,6.

<sup>2</sup>Ibid, pages 14,26.27, 36-59.

<sup>3</sup>Ibid, pages 62, 65,74-75,96.

وأخيرا تفرغ الجيش يوميا للتدريبات العسكرية الرماية تحديدا (Tir à la cible) ...<sup>1</sup> وهي كلها مزايا الجيش النظامي

محاولات دي ميشال بفتح قنوات اتصال وتفاهم مع الجزائريين لم تتوقف إذ استغل وقوع 4 جنود أسرى فرنسيين بيد الأمير عبد القادر، لتكون منطلقا لمراسلات بين دي ميشال والأمير عبد القادر في أكتوبر يقودها عن الأمير ميلود بن عراش وعمار موردخاي، وكان دي ميشال مقتنعا بأن: "...الأمير عبد القادر هو الوحيد من القادة الجزائريين في ذلك الوقت من يمكن أن نصل معه إلى تهدئة لخصاله: فكر راقى، قوة الشخصية، تأثير كبير على الجزائريين، من الشرفاء وأحد مرابطي الطريقة صوفية، وأبوه له احترام كبير في أعين الشعب، وأخيرا له قوة لفرض سلطته..."<sup>2</sup>

تستمر المراسلات والمفاوضات إلى جانفي 1834، وفيها أكد الأمير عبد القادر بعد استشارة رؤساء القبائل والمرابطين: "...كل الترتيبات المتفق بين الطرفين تكون محل وفاء منا ولم أكن لأخلف وعدا أبدا..."<sup>3</sup>، في حين دي ميشال يعطي مبررات جنوحه للسلم بقوله: "...آثرت السلام لأنه يضمن وبكل قوة السيطرة الفرنسية بدلا من حرب لا طائل منها وبدون فوائد، ليتم في 26 فيفري 1834 صك بنود الاتفاق..."<sup>4</sup>

بعد مكرمة الأمير عبد القادر بإطلاق الأسرى الفرنسيين الأربعة، يعلق دي ميشال على هذه اللفتة الذكية من الجزائريين جعلته يعترف لهم ببعض الفضل ويوثقها في كتابه: "...إن الرأي الشائع عنهم غير دقيق، بجعل هذه الشعوب لا تمثل سوى العنف وعديمة الإيمان..."<sup>5</sup> وعلاوة على ذلك كانت لاستضافة قبيلة الغرابة وهي أكثر القبائل الموالية للأمير بسالة وجسارة في حرب الفرنسيين لوفد دي ميشال يقول عن هذه القبيلة: "...أكرمونا أشد الكرم وفي منتهى العناية لدرجة صراحة أنسوننا ما كان بيننا وبينهم..."<sup>6</sup>

<sup>1</sup>Louis Alexis Desmichels, op Cit, pages 23, 83-87.

<sup>2</sup>Ibid, pages 77-80, 96,98.

<sup>3</sup>Ibid, pages 97, 108-109.

<sup>4</sup>Ibid, p110.

<sup>5</sup>Ibid, p117.

<sup>6</sup>Ibid, p140.

وعن الاتفاق المبرم رغم تحفظ بعض رؤساء القبائل المناوئة للأمير، يكتب **دي ميشال**:  
"...لا يمكنني أن أنكر التزام الأمير عبد القادر التام بكل بنود الاتفاق..."<sup>1</sup> مخرجات هذا الاتفاق لقي صدى طيب في كل الإقليم التيطري إلى قسنطينة، وما كان يُعد حينها أمنيات، أصبح حقيقة ملموسة وستدخل كامل الجزائر تحت لوائه، هذه الظروف المستجدة شغلت كثيرا فكر **دي ميشال** وحاول انتهازها لصالح فرنسا.<sup>2</sup> عمل **دي ميشال** على وضع تصور لتهدئة عامة يشمل كل القطر الجزائري وطرحه على الحاكم العام ملخصه: "...يصبح الأمير عبد القادر صاحب سلطة مطلقة للبلد، ومع ذلك لن يخلق تحديا كبيرا للفرنسيين، لأنه في ذروة قوته لم يستتفر في حربنا سوى 12 ألف محارب في إقليم يحصي حوالي 100.000 مسلح أي العشر من مجموع المقاتلين المحتملين، فاحتلالنا للمناطق الداخلية يستتفز قدرتنا دون فائدة كبيرة ترجى منه..."<sup>3</sup>

لكن الملاحظ أن السلطات الاستعمارية لم تكن على وفاق تام مع ما ذهب إليه **دي ميشال** واستبداله بطريقة مريبة حيث يقول: "...رفض الكونت **ديرلون Comte d'Erlon** مشروعي، وتم استدعائي بسرعة غير معهودة للإجراءات المتبعة في الجيش، مع استعجال ترحيل إلى فرنسا على نفس السفينة التي أقلت **تريزل Trézel** ليستلم مكاني قيادة فرقة وهران، دون علم مسبق، على شاكلة ما يفعل المراقب المالي مع المحصل الخائن..."<sup>4</sup>

وفي ملحقه الأخير يبرز **دي ميشال** ثلاث مسائل أساسية نوجزها كالآتي:

1. يثبت رأيه المعلن باستقامة الجزائريين عكس ما يعتقد كثير من الأوروبيين أنهم أشرار وعنيفون، نبل الجزائريين والتزامهم بعهد أميرهم بعدم التعرض للأوروبيين، إذ يجوبون البلاد بأمان أكثر منه بفرنسا ومع مرشد عربي واحد، ومن ضاعت منه حاجته أرجعت له دون أن ينقص منها شيء.<sup>5</sup>

<sup>1</sup>Louis Alexis Desmichels, op Cit, p146.

<sup>2</sup>Ibid, pp 167.168.

<sup>3</sup>Ibid, p-p 170-173.

<sup>4</sup>Ibid, p-p 183-186.

<sup>5</sup>Ibid, pp 196.197.

2. محاسن السلم لدى دي ميشال والنجاح الذي جناه بالسلم أكبر مما كسبه بالسلاح، وأن النموذج الذي صنعه مع الأمير بالغرب هو في الحقيقة ضمان للاحتلال، ورواجا للتجارة، وفتح لأفاق للتعاون والتقارب بين شعبيين متضادين في التقاليد والخصائص والدين، وهو الوسيلة الوحيدة للوصول إلى الهدف دون نفقات كبيرة ودون إراقة دماء الفرنسيين، وجلب تهدئة عامة.<sup>1</sup>

3. الأعمال والمنشآت المنجزة والتي أشرف عليها دي ميشال بنفسه: منها مطحنة تفي بحاجيات الجيش، تمهيد لطريق ساحلي بين وهران ومرسى الكبير، الدفاعات العسكرية، مراكز حراسة، مخازن... الخ.<sup>2</sup>

### 3. أدولف فنتان دو ريباك Adolphe Fontaine de Resbecq (1813-1865)

رئيس مكتب المستخدمين بوزارة التعليم العالي الفرنسية، تخصص في دراسة القوانين والنظم والمراسيم المنظمة للتعليم العالي، واسهامات علمية أخرى.<sup>3</sup>

له مؤلف:

6. Adolphe Fontaine de Resbecq, **Alger et les côtes d'Afrique**, Gaume Frères Libraires, Paris, 1837. (236 pages)

"الجزائر والسواحل الإفريقية" (236 صفحة) يستعرض في مدخله دواعي خوضه في الكتابة عن الموضوع والتي استقاها من العسكريين المشاركين في الحملة أو المندوبين لدى الهيئات الإدارية المدنية، في الفصل الأول يتكلم عن الحملة الفرنسية سنة 1830 ودواعي قيام فرنسا بها، ثم جغرافية الجزائر في الفصل الثاني، ومميزات البلد الطبيعية (الحيوانية) في الفصل الثالث، النباتية، ومختلف أعراق المجتمع ولمحة تاريخية عن الجزائر في الفصلين الرابع والخامس، ويخص الفصلين السادس والسابع بآثار والكنائس البلد، ويتطرق في الفصلين الثامن والتاسع القرصنة والعبيد على العهد العثماني، غير أنه يدرج فصلا مستقلا وهو الفصل العاشر سماه "أسرى الأمير عبد القادر"، ويفرد توصيفا لمدينة الجزائر وضواحيها في الفصل

<sup>1</sup>Louis Alexis Desmichels, op Cit, p-p 200-218.

<sup>2</sup>Ibid, p-p 237-252.

<sup>3</sup>Adolphe Fontaine de Resbecq, **Notice sur le doctorat en droit**, Auguste Durand Libraires, Paris, 1857.

الحادي عشر، أما الفصل الثاني عشر والثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر تقسيمات الايالة ومقاطعات البايات وحكومة الايالة ودار السلطان وايرادات الدولة والداي، في الفصل السابع عشر يخصصه للاستيطان، ويختم كتابه بإدراج رسالة أرسلها داي طرابلس لداي الجزائر مؤرخة يوم 17 ماي 1830.

يستقي الكاتب ما ذكره في كتابه بخصوص الأمير عبد القادر، من أحد الأسرى مكث 5 أشهر لدى الجزائريين وهو م فرونس M de France وظروف معاشته لهم، وملاقة الأمير عبد القادر وكذلك زيارته لمناطق لم تكن معروفة لدى الفرنسيين في حينها.<sup>1</sup>

يسرد الكاتب حيثيات أسر فرونس حيث يروي: "...كان ضمن طاقم سفينة ذات الصاريتين لواري "Le brick le Loiret" رست على سواحل أرزيو يوم 11 أوت 1836، في تمرين عسكري عن دقة القاذفات المدفعية من السفينة إلى الساحل. في الغد تريد الفرقة البحرية معاينة مسار ودقة قذائف الليلة الماضية دون الابتعاد كثيرا عن الحامية العسكرية، لتقع في كمين أوقع فيهم قتلى وأسرى..."<sup>2</sup>

يروى دائما على لسان فرونس: "...أنه كان ضمن المأسورين ونجا بأعجوبة من الموت المحتم، حين صدح فيهم أحد أعوان الأمير عبد القادر سيدفع فيه الكثير حيا منه ميتا، وأنه تلقى إهانات وشتائم في طريقه ومنع حتى من شرب الماء..."<sup>3</sup> ثم يذكر حين وصل الأسير إلى معسكر الأمير عبد القادر بنواحي القلعة على الطريق الرابط بين مستغانم ومعسكر، أُدخل على الأمير بخيمته معلما إياه هذا الأخير: "...ما دمت إلى جانبي لا تخشى لا سوء معاملة أو حيف..."<sup>4</sup> وبعد أن تلقى الأسير عناية من طعام وكسوة، يعطي توصيفا لهيئة الأمير: "...إذ تجد عليه ملابس بسيطة إلى أقصى الحدود لا مذهبة ولا مطرزة..."<sup>5</sup>

<sup>1</sup>Adolphe Fontaine de Resbecq, *Alger et les côtes d'Afrique*, Gaume Frères Libraires, Paris, 1837, p923.

<sup>2</sup>Ibid, p-p 115-118.

<sup>3</sup>Ibid, pp 119.120.

<sup>4</sup>Ibid, pp 121.122.

<sup>5</sup>Ibid, p 123.

وفي وصفه للأمير عبد القادر يسجل الكاتب: "...ذكي، نشيط، شجاع، يثير في قومه مشاعر التعصب الديني، وهو اليوم سلطانهم وهو الرجل الوحيد القادر على قيادة الجزائريين ضدنا، وبدونه لا يمكنها إلا أن تخضع لنا..."<sup>1</sup> لكن الكاتب يؤكد على فكرة أساسية فحواها: "...أن حسن معاملة الأسرى لا تكون سوى من الأمير فقط، في حين أتباعه لا يشبهونه البتة، وأن القيم الأخلاقية للأمير ليست إلا طفرة عارضة في مجتمع بربري، وأوامره لا تحترم إلا بحضوره..."<sup>2</sup>

في حين يذكر الكاتب وعلى لسان فرونس: "...لم يمنع وهو في الأسر من صنع رقعة للشطرنج وأوراق اللعب، وفرت لهم فترات من الترويح والتسلية، وأن يكون القائم على خزائن الأمير أثناء مسير الجيش، لأن بن فاخة وجد فيه الثقة والأمانة على خلاف بعض العساكر..."<sup>3</sup> وعرض عليه الأمير الإسلام، ولم يجبه إلى ذلك، وعاد أخيرا سالما معافى إلى أهله.<sup>4</sup>

يرى الباحث أن الكاتب **de Resbecq** وكثير من كتابات الفرنسيين تقر بالخصال الحميدة للأمير عبد القادر دون غيره من القادة والجنود، وبالتالي تجعل منه طفرة عارضة صنع الاستثناء، وهي حالة ما فتى بعض الكتاب على التأكيد عليها في عدة مواقف تخص الأمير عبد القادر تحديدا، وإن كانت بعض الكتابات فندت هذه الصورة الخاطئة المرسومة عن الجزائريين في أذهان الفرنسيين مثل ما فعل **دي ميشال**.

#### 4. لويس فليبير برين دوبينيوسك **Louis-Philibert Brun D'Aubignosc** (1774-1848)

عسكري شارك في الحملة الفرنسية على الجزائر سنة 1830 برتبة مترجم عسكري من الدرجة الأولى، أرسل ضمن وفد إلى تونس قبل الحملة لجس نبض الباي والتأثير على السكان لخلق قطيعة مع الجزائر، وفي أبريل 1830 يرسل تقريرا مستفيضا سياسيا، اقتصاديا واحصائيا لـ **دوبورمون De Bourmont** بخصوص موقف الباي ومعلومات استخباراتية عن سيدي فرج

<sup>1</sup>Adolphe de Fontaine de Resbecq, **Alger et les côtes d'Afrique**, op Cit, p125.

<sup>2</sup>Ibid, pp 128.129.

<sup>3</sup>Ibid, pp 139.140.

<sup>4</sup>Ibid, p141.

وبرج الإمبراطور، شغل بعد سقوط الجزائر منصب عضو الهيئة الحكومية برتبة فريق على الشرطة.<sup>1</sup>

له مؤلف:

7. Brun L-P D'Aubignosc, **Alger, De son occupation depuis la conquête en 1830, jusqu'au moment actuel, Appel au public impartial**, Delaunay Dentu Au Palais Royal, Alger, 1836. (91 pages)

"الجزائر، في احتلالها منذ 1830، نداء للجمهور المحايد" (91 صفحة) هذا المؤلف صاحبه عاصر الاحتلال مند اللحظة الأولى سنة 1830، وكانت له ملاحظات سجلها طيلة الست سنوات التي قضاها بالجزائر. قسم مؤلفه على أربع محاور دون عناوين محددة، فكرته الأساسية انتقاد القائد كلوزل، عرض في الأول تفاصيل الوضعية الحالية للاحتلال، في الثاني بعد رجوعه إلى فرنسا مع بقاءه على اضطلاع بأحداث الجزائر خصوصا تتبع أخبار القادة العسكرية، وفي القسم الثالث يواصل انتقاداته اللاذعة لكلوزل، وفي القسم الرابع يعالج ما أشيع عن المؤامرة الكبرى لأعيان الجزائر. وهو إلى حدّ ما يسير على نهج ديسجوبيير وإن كان هذا الأخير ينتقد السياسة الاستعمارية إلا أن الأول ينتقد القادة العسكريين وبالأخص كلوزل.

يوجه دوبينيوسك في مستهل كتابه انتقادات شديدة لكلوزل بالخصوص حيث يقول: "...ليس من أجل الجدل أو أحمل عدااء للماريشال كلوزل، لكنه استغل وتعسف في استعمال السلطة الممنوحة له ليغالط فرنسا عن وضعية أملاكه بالجزائر، وعوض أن تسلط عليه القوانين الصارمة، تحول إلى محارب يلقي التبجيل والثناء على أخطائه وتجاوزاته"<sup>2</sup>. ويصف أفعال كلوزل ضمن فظائع الطغاة الدمويين المشهورين بجرائمهم، وعلى العكس ما حملته الثورة الفرنسية من الحقوق العامة والخاصة، فكلوزل يمارس أساليب قذرة مثل ما يطلق عليه المؤامرة

<sup>1</sup>Narcisse faucon, **Le livre D'or de L'Algérie**, op Cit, p-p 22-24.

لكن هذه السيرة ينسخها حرفيا عن شارل فيرو انظر:

Charles-L Féraud, **Les Interprètes de l'Armée D'Afrique**, A Jourdan Libraire-éditeur, Alger, 1876, p-p 185-188.

<sup>2</sup>Brun L-P D'Aubignosc, **Alger, De son occupation depuis la conquête en 1830, jusqu'au moment actuel, Appel au public impartial**, Delaunay Dentu Au Palais Royal, Alger, 1836, pp V.VI.

الجزائرية، والكاتب يحاول تنوير الرأي العام الفرنسي عن أحداث الجزائر كشاهد عيان، ويتحدى كلوزل بأنه لا يجرؤ أن يقدمه للعدالة<sup>1</sup>.

يعري **دوبينيوسك D'Aubignosc** كلوزل أمام الرأي العام، كما عايشه وخبره، وليس كما يحاول الترويج له ويجرده من تلك الهالة التي أسدلت عليه لدى العوام، ويثبت عليه: "...حصول كلوزل على عمولات مالية ضخمة من باي وهران لتمكينه من الهجرة إلى المشرق، وأسرها هذا الأخير لحمدان خوجة الذي أصدرها في نشرية بباريس سنة 1833، وتعرض خوجة على إثرها للإفلاس..."<sup>2</sup>

أما عن موقف **دوبينيوسك** من الأمير عبد القادر، فالكاتب يشيد برأيه فيه حيث يقول: "...في الوقت الذي كان فيه الانبهار بالأمير عبد القادر يفوق الحدود، كان **دوبينيوسك** يصرخ بملء فيه ويحكم دراسته الشرقية، من خطر ظهور زعامات وطنية، سريعا ما تصبح صعبة المراس ويُخشى منها..."<sup>3</sup> لذا كتب قبل سنة من معركة المقطع: "...لا اتفاق سوى مع السكان وليس مع الرؤساء، أي تجنب الأشخاص كي لا يزداد شأنهم وتأثيرهم ويستقووا على منافسيهم، وترتد قوتهم إلى نحور الفرنسيين، ولا يمكن بأي حال أن تخول السلطة في يد رجل واحد..."<sup>4</sup>

في الجزء الثاني من الكتاب، يعتمد **دوبينيوسك D'Aubignosc** إلى تشريح ذهنية القيادة الفرنسية التي حكمت الجزائر، فيقول عن اللجنة التي حلت بالجزائر لتقصي الحقائق: "...على كثير من أعضائها أحكام قضائية بشبهة فساد، فكيف بفساد يحقق مع فاسد مثله..."<sup>5</sup> وعن موقف الكاتب من الاتفاق الذي عقده الأمير عبد القادر مع دي ميشال فيذكر: "...استعمل الأمير عبد القادر اليهودي بن دوران وتحايل على الفرنسيين وعقد اتفاقا بنديّة مع دي ميشال، جعله في منصب أمير المؤمنين (خليفة المسلمين)، وهو ما يوحي في مخيال الشعوب الشرقية منصبا أعلى من ملك الفرنسيين..."<sup>6</sup>

<sup>1</sup>Brun L-P D'Aubignosc, op Cit, pp VII.VIII.

<sup>2</sup>Ibid, pp 20.21

<sup>3</sup>Ibid, p25.

<sup>4</sup>Ibid, pp 25.26.

<sup>5</sup>Ibid, p31.

<sup>6</sup>Ibid, p32.

ويستمر الكاتب في توجيه أصابع الاتهام ضد كلوزل الذي ينظر للمستعمرة التي يسيرها كأنها ملك خاص، ويتعامل بتعسف مطلق، فما راعى ولا بند من بنود اتفاق الاستسلام 05 جويلية 1830 منها: "...الاستلاء على إيرادات الأوقاف، استعمال المساجد كمخازن، تدنيس المقابر، استعمال الآجر والرخام في بناءات جديدة، ومساكن صودرت من أصحابها وسلمت للعساكر، والتلاعب بالمباني والعقارات، تهديم المباني دون أن يعرض أصحابها"<sup>1</sup>. ويعقب على هذه المحن والنكبات التي لحقت الجزائريين: "...زرع بذورها المارشال كلوزل تحت حكمه وجزء كبير من حاشيته، يحرقون البلد من أجل مصالحهم الخاصة هذه هي مهمة كلوزل"<sup>2</sup>.

يعود في الجزء الثالث **دوبينيوسك** إلى استعراض الحكام العاميين الذين خلفوا كلوزل بحيث لم يتمكن أحد منهم أن يكون في مستوى هذا المنصب، خصوصا أن الذين ملأوا الوظائف في الإدارة الاستعمارية هم على شاكلة كلوزل إذ اعتبروا المستعمرة إقطاعا حكرا عليهم، لذا تعالت أصواتهم على إسم كلوزل من جديد، كحل لهذه المشكلة الشائكة، لأنه من الأصوات الداعية للحفاظ على المستعمرة عوض التخلي عنها<sup>3</sup>.

اعتبر **دوبينيوسك** نكسة المقطع على الجيش الفرنسي بالفرصة التي أعادت كلوزل على رأس الإدارة السياسية في الجزائر ويثأر للجيش الفرنسي يكون له صدى قويا في فرنسا، بالقضاء بضرية واحدة على الأمير عبد القادر وإنهاء ثوران القطاع الوهراني، لذا سيرت حملة رُصد لها عشرة آلاف عسكري وعتاد ضخمة<sup>4</sup>. لكن **دوبينيوسك** يعقب على هذه الحملة "...لم تأت بنتيجة سوى فرض ضرائب كبيرة قدرت ب 94000 فرنك على حلفائنا كراغلة تلمسان، رفعت من أسهم الأمير عبد القادر في نظر أتباعه..."<sup>5</sup>.

ويقدم **دوبينيوسك** معطى مغايرا للحملة العسكرية على قسنطينة إذ يقول: "...أن حملات كلوزل على معسكر، تلمسان والمدية ليس لها أية قيمة عسكرية، لكن إغراء الضريبة المالية

<sup>1</sup>Brun L-P D'Aubignosc, op Cit, p38.

<sup>2</sup>Ibid, p39.

<sup>3</sup>Ibid, p-p 45-49.

<sup>4</sup>Ibid, p50.

<sup>5</sup>Ibid, p53.

التي حصل عليها من تلمسان، هيج فكرة غنيمة جديدة بقسنطينة، وإن كان باي أحمد وأعوانه أخذوا احتياطاتهم بأن جعلوا كل مدخراتهم بأقصى الجنوب...<sup>1</sup>

وتأتي شهادة **دوبينيوسك** لتوثق أهداف وغايات الحملات العسكرية الفرنسية يقول عنها: "...مجازر دموية يحصل منها الجنرالات على نياشين ومكافآت، ثم نقول حملنا الحضارة لهذه الشعوب! لدرجة انقلبت الموازين في حين يحرص الجزائريون كل الحرص على بقاء أسرارنا أحياء، نقوم نحن بالتتكيل بالجنث ونقدم مكافئات على الرؤوس المقطوعة...".<sup>2</sup> لكن الملاحظ يرصد هذه الأفعال بمنأى عن الجيش الفرنسي، ويحمل وزرها لأفراد أمثال الجنرال يوسف من لا وطن ولا عائلة ولا دين لهم.<sup>3</sup>

يشيد **دوبينيوسك** بجسارة خليفة الأمير وقوات حجوط على نواحي الجزائر في التصدي لمشاريع كلوزل التوسعية<sup>4</sup>، ويُرجع ما لحق الجزائريين وما جرى لهم من مصائب الاستعمار فقط للتسيير السيء لكلوزل، الذي رصدت له قوات عديدة ضخمة وعتاد معتبر لكن دون نتائج تُذكر، عدا احتلال مدن لساعات ثم يعود الوضع بسرعة لنقطة البداية<sup>5</sup>، فلم تحقق حملات كلوزل سوى تخريب الأراضي وحرق الأكواخ والاستحواذ على قطعان الماشية وبعض النساء والأطفال، والعودة بسرعة إلى المعسكرات وتحرير تقارير عن حملات لا تفضي إلى أي شيء، سوى وجبة دسمة مما غنموه.<sup>6</sup>

في هذا الجزء بالذات (الجزء الثالث) يجلي **دوبينيوسك** بعض النقاط التي تخص الأمير عبد القادر، واصفا إياه: "...بالبنية القوية، والعقيدة الراسخة، والفكر الثاقب الخصب، ومزايها المركز الاجتماعي كأحد أحفاد المرابطين لهم اعتبار ومكانة في كل القطاع الوهراني، سطم

<sup>1</sup>Brun L-P D'Aubignosc, op Cit, p56.

<sup>2</sup>Ibid, p60.

<sup>3</sup>Ibid, p-p 61-63.

<sup>4</sup>Ibid, p70.

<sup>5</sup>Ibid, pp 73.74.

<sup>6</sup>Ibid, p75.

نجمه أكثر بعد معركة المقطع، ولم يكلف نفسه عناء إبطال الوعود الفرنسية إذ استثمر في أخطاء الفرنسيين مع حلفائهم...<sup>1</sup>

في الجزء الرابع يعطي دوبينيوسك مبررات نشره لهذا الكتاب، ويبدأها بقصة معبرة: "...لجندي في معركة بلغ منه الإعياء والجوع مبلغه، سقط أمامه حصان منهك لم يكن في مقدوره أن يخطو خطوة واحدة، الجندي اقترب من الحصان، ملاحظاً له كما يفعل معه صاحبه، جميل...لطيف... جميل وهو يمسح عليه ليأمن الحصان، وفي لحظة استل سيفه وينزل عليه بوابل من الطعنات ليتقوى به على جوعه...<sup>2</sup>، ليعقب دوبينيوسك على هذه القصة "...أن حالة الحصان هي حالة الجزائريين مع الفرنسيين مع فارق هنا الدافع هو أبشع أنواع الجشع".<sup>3</sup> يصور دوبينيوسك الضرر الذي لحق الأعيان من الجزائريين ومنهم من خدم تحت لوائها، حين اعترضوا بالطرق القانونية التي تكفلها فرنسا، نكل بهم، وعذبوا، نهبت ممتلكاتهم، مع إهانة كل ما هو مقدس لديهم، ديانتهم، تقاليدهم وأعرافهم العريقة، ومآثر أجدادهم، ليخلص ثم نستغرب أنهم يكرهوننا<sup>4</sup>. ويخص بالذكر حمدان بن خوجة يقول عنه: "...بعد سجال قضائي طويل بباريس دون أن يسترد حقه، واستنفد كل مدخراته ليغادر إلى قسطنطينية مفلساً، ويُرمى بتهمة المؤامرة كونه سرب معلومات للأمير عبد القادر، ليجرم أمام الرأي العام الفرنسي...<sup>5</sup>

#### 5. أوجين بوري Eugène Buret (1810-1842)

صحافي وفيلسوف واقتصادي فرنسي، له مؤلف شهير كان محل عدة دراسات واستلهم منه عدة كتاب معاصرين في تشخيص واقع العمال بعنوان 'بؤس الطبقة العاملة في إنجلترا وفرنسا' يدعو فيه للنهوض بواقع الطبقة الشغيلة وتطرق لمشاكل الفقر والحرمان وظروفها

<sup>1</sup>Brun L-P D'Aubignosc, op Cit, pp 76.77.

<sup>2</sup>Ibid, pp 83.84.

<sup>3</sup>Ibid, p84.

<sup>4</sup>Ibidem.

<sup>5</sup>Ibid, p-p 86-88.

السيئة، وينزل بنفسه لتقصي أوضاع هذه العائلات المعوزة التي ليس لها إلا ما يبقي على حياتها.<sup>1</sup>

وفي تقديري أن أوجين بوري يمثل نموذجا متكررا لكثير من الكتاب وأدباء القرن التاسع عشر الذي يسعى لسعادة ورفاهية العنصر الأوروبي المشدود إلى الثقافة والقيم الأوروبية دون سواها، لكن ماذا سيخبئ للجزائريين في كتابه "المسألة الإفريقية" محل الدراسة؟ وكيف سيمجد جرائم الجنرال بيجو ويظهر سروره والموافقة التامة عليها.

له مؤلف بعنوان:

8. Eugène Buret, **Question d'Afrique, De la double conquête de l'Algérie par la guerre et la colonisation**, Ledoyen Libraire, Paris, 1842. (396 pages)

"مسألة إفريقيا، الغزو المزدوج للجزائر بالحرب والاستيطان" (396 صفحة) وهو من الكتابات المنظرة للاستعمار التي حاولت تشريح الوضع وإيجاد الوسائل والحلول الممكنة لتثبيته وتقويته والاستفادة منه لصالح فرنسا، وتقديم وجهة نظر جديدة لما طرح من قبل ورؤية مستقبلية، وكانت الجزائر إلى تلك الفترة تمثل ورشة مخبرية حقيقية لمجمل الطروحات السياسية والعسكرية لدى الساسة والعسكريين الفرنسيين، والكاتب يساهم في تنوير أعضاء البرلمان الفرنسي بغرفتيه لاتخاذ القرارات الصائبة والكف عن سياسة متذبذبة ومتردة، وطرح حلول ممكنة لمشكلات عويصة قد تقوض الاحتلال الفرنسي بالجزائر.<sup>2</sup>

ينطلق المؤلف من فرضية أولية وهي إيجاد حل فوري لمسألة الجزائر "الثائرة والتي مثلت مستودع غداء لأوروبا أو خزان أوروبا"، فيتطرق في القسم الأول للحرب والتمكين للاحتلال وعلاقته بالجزائريين، وفي القسم الثاني للاستيطان وضرورته بإيجاد الظروف والوسائل الممكنة للعنصر الأوروبي لتعمير الأرض وزراعتها وامتلاكها، وفي القسم الأخير فحص تقييمي

<sup>1</sup> André Cochut, **Du Sort des classes Laborieuses**, in-*Revue des Deux Mondes*, Volume 32, Au Bureau de la revue des Deux Mondes, Paris, 1942, pages 31 et suivantes.

Judith Lyon-Caen, **Le romancier, Lecteur du social dans la France de la Monarchie de juillet**, in-*Revue d'histoire du XIXe siècle*, Volume 24/2005, La Société de 1848, Paris, 1 juin 2002, p-p 15-32.

<sup>2</sup> Eugène Buret, **Question d'Afrique. De la double conquête de l'Algérie par la guerre et la colonisation**, Ledoyen Libraire, Paris, 1842, p-p I-vij.

لتوجهات الحكومة والأقلية الأوروبية من المستوطنين (الكولون). والملاحظ على هذا المؤلف وإن أوجز بالتعرض للأمير عبد القادر في ومضات قليلة جدا، لكن في خاتمة الكتاب أطنب عليه كثيرا.

ففي توصيفه للشعب الساكن لهذه البلاد حسب الكاتب: "...يعيش في تنقل دائم، خصوصيته ودينه وعاداته، ترفض بكل قوة التحضر، تجمعها الأحقاد وتتنازعنا منذ إحدى عشرة سنة هدوء المدن التي سيطرنا عليها..."<sup>1</sup> وعن السكان فيصفهم: "...معرفة بآسهم الشديد، والميزة الأساسية لهذا المجتمع هو التعصب الديني والعروبة، يسرون خلف ابن مرابط بسيط استغل الفراغ السياسي ليصح أميرا ومن بعدها سلطانا، مصمم على مشروع يؤسس لاستقلال الجزائر، وقف كجلمود صخر ومنذ إحدى عشرة سنة، أمام قوة الأمة التي قهرت أوروبا..."<sup>2</sup> وعن سلطته فيذكر في الجزء الأول: "...الأمير عبد القادر سياسي فطن قبل أن يكون رجل حرب، عرف كيف يستفيد من نقاط ضعفنا ويستثمر ذلك لصالحه، فلا أحد ينسى أن معاهدة دي ميشال حولته من مرابط بسيط إلى أمير المؤمنين، وأضعفنا بهذا الاتفاق موقف القبائل المناوئة له، والآن أصبح يوغرطة العصر الذي تخشاه فرنسا، فرض علينا ويلات الحرب، وأجبرنا على إرسال جيش عرمرم، دون أن نتمكن منه، أتعب وأنهك فرقنا في ملاحقته، يسلبنا حتى نشوة بعض الانتصارات، لا نغتم منها سوى الضنك والجوع والعطش، وطالما ظل واقفا صامدا، فكل منشأة أوروبية على سواحل إفريقيا ستكون غير ممكنة..."<sup>3</sup>

يصف **أوجين بوري** المواجهة العسكرية مع الأمير على النحو التالي: "...للفرنسيين التفوق في الانضباط، والسلاح، والمناورة وكثير من القوة مع ذلك يلزمنا كثير من المهارة وكثير من المثابرة لتحقيق النصر على خصم إلى حد ما ضعيف مع ذلك يظل بعيد المنال، سلس في حركته كالمسائل يظهر في أي مكان دون أن تظفر به، كل قوتهم في حركتهم، وسقوط المدن في أيدي الفرنسيين ليس له أي أثر يذكر على باقي البلد..."<sup>4</sup>

<sup>1</sup> Eugène Buret, op Cit, pp 22.23.

<sup>2</sup> Ibid, pp 24.25.

<sup>3</sup> Ibid, pp 26.27.

<sup>4</sup> Ibid, p-p 28-30.

يستقي أوجين بوري من التاريخ الروماني نجاحاته العسكرية ويسقطها على واقع الاحتلال الفرنسي فيقول: "...من حسن حظ الفرنسيين، أن ما نجح قديما يمكن تكراره حديثا، بإعادة استنساخ حرب الرومان مع شمال إفريقيا، تقصد المصلحة الوحيدة الثابتة لدى السكان، بقطع شريان الحياة الاقتصادي لديهم، الفلاحة خصوصا في مرحلتي البذر والحصاد، يصبح موقفهم صعب، وبئس ويرغمون على الخضوع لنا، وهذه هي شروط النصر في حرب إفريقيا..."<sup>1</sup>

لم يخف الكاتب سروره بالموافقة التامة على كل مشاريع بيجو والتي تنفذ كما يقول بفعالية كبيرة، مع ضمان وضع حد لهذه المقاومة غير المنتهية والمستميتة<sup>2</sup>، ويتوافق أوجين بوري مع كارلوس بوفيل Carlos Bouville بعبثية احتلال النقاط البحرية فقط فيذكر: "...إذا بقينا محصورين ضمن قلاع محصنة، سيكون مألنا ما آل إليه الإسبان سابقا..."<sup>3</sup>

ويكرر فكرته السابقة المستوحاة من التجربة الرومانية بشمال إفريقيا قائلا: "...استطاع النسر الروماني بتطبيق الاحتلال المزدوج (الحرب والاستيطان) أن يبسط جناحيه على كامل البلد والاستفادة من خيبراته الوفيرة<sup>4</sup>، وأنه في حالة ما بقيت العساكر الفرنسية محصورة في المدن أو بعض النقاط المبعثرة، ستكون إقامتهم أشبه بسجون أو مستشفيات أو قبور لهم<sup>5</sup>، وأن الطريقة الوحيدة لإنهاء أمر السكان، بالهجوم على الأراضي وتدمير محاصيلهم ومراعيهم<sup>6</sup>

عن المآسي التي لحقت الجزائريين والمجازر التي ارتكبت في حقهم فهي تفاصيل غير مهمة حسب أوجين بوري إذ يقول: "...لا يهم التفاصيل الدقيقة لتطبيق مشروع بيجو، وإنما يكتفي بالإطار العام المراد بلوغه..."<sup>7</sup> ويرسم ثلاثة أوجه لعلاقة الفرنسيين مع الجزائريين يحددها كالاتي: "...رغم اختلاف العرق، التقاليد، الدين، اللغة والعادات، أولا: الموالين للفرنسيين طوعا أو كرها (سكان المدن، وبعض القبائل الموالية)، ثانيا: القبائل الخاضعة أو المسالمة لنا سواء لبعدها أو لعدم مبالاتها، ثالثا: الجزائريين المقاومين لنا سواء لتعصب ديني

<sup>1</sup> Eugène Buret, op Cit, pp 31.32.

<sup>2</sup> Ibid, p32.

<sup>3</sup> Ibid, p35.

<sup>4</sup> Ibid, p36.

<sup>5</sup> Ibid, p52.

<sup>6</sup> Ibid, p54.

<sup>7</sup> Ibid, pp 64.65.

أو لنفورهم من كل سلطة<sup>1</sup>، ويعطي إشارة يستقيها من جزائري أن كل سهول بسكرة تعاضد التيجاني ضد الأمير عبد القادر...<sup>2</sup>

لكن هذه العلاقة ليست إلا في مصلحة طرف واحد وهم الفرنسيون فيوثق مثلاً: "...لم يكن الفرنسيون أمناء بقدر ما كانوا مخادعين مع الجزائريين حتى الموالين منهم، تجدهم بين النقيضين يوماً تقارب وغداً اكراه وتضييق عليهم وعزلهم..."<sup>3</sup>، ليقصدهم نهائياً من الساحة بعد أن فصل في دور الجزائريين وطبيعة أعمالهم ليخلص أن: "...الاستيطان المفيد للفرنسيين يجب أن يتم بالعنصر الأوروبي..."<sup>4</sup>، ويقر الكاتب بهذه الحقيقة ويوثقها مرة أخرى: "...الإدارة الاستعمارية تعتبر الشعب الجزائري كحفنة من الناس أو حشد، وليس كمجتمع له قوانين وهياكل، عوض القانون تجد الأوامر، وبعض المجالس المحلية أو البلديات اسمية فقط..."<sup>5</sup>

والملاحظ مما سبق يسجل لنا **أوجين بوري**: "...ظلت شؤون الجزائر كلها تدار من قبل وزارة الحربية ومن اختصاصها لوحدها، بحيث ليس لحكومة باريس نفسها ومن ورائها الرأي العام الفرنسي احاطة بأوضاع الجزائر إلا ما يُسرب من هذه الوزارة وفي أغلب الأحيان ما يراد له أن يُسرب..."<sup>6</sup>، هذه الوزارة التي كانت تخوض حرباً في الجزائر على الطريقة الرومانية أتت ثمارها وسقف النتائج كان أكبر من المأمول، أثلجت صدر الكاتب **أوجين بوري** فيقول: "...يكفي سنة أخرى من الحرب، والمقاومة المنظمة التي كانت أكبر عائق أمامنا، سيتم القضاء عليها لتخضع لنا كثير من القبائل المهمة، وتسقط كثير من النقاط لهذا الخط من التعصب القومي، الذي أنشأه الأمير عبد القادر بكل مهارة ضد الفرنسيين، ونبرهن بتلك الضربات القوية أننا سنبقى نحكم البلد بالحديد والنار..."<sup>7</sup>

والملاحظ كذلك أن الكاتب يقلل من قيمة ركائز الدولة التي أقامها الأمير عبد القادر ودوره الجهادي ويجعل منه جابي ضرائب ليبرر فعل بعض أعوان الاحتلال إذ يذكر: "...أن

<sup>1</sup> Eugène Buret, op Cit, pp 70.71.

<sup>2</sup> Ibid, p96.

<sup>3</sup> Ibid, p72.

<sup>4</sup> Ibid, p122.

<sup>5</sup> Ibid, p294.

<sup>6</sup> Ibid, p294.

<sup>7</sup> Ibid, pp 375.376.

القبائل التي خضعت ودخلت في عهد الفرنسيين، وتقاتل تحت رايتهم مثل الشهير مصطفى بن إسماعيل، فالأمير عبد القادر لم يمثل لهم سوى مفتش ضرائب دون أن يوفر لهم بالمقابل الحماية والغنيمة...<sup>1</sup> وكذلك يقلل من قيمة الشعب الجزائري وجهاده ودينه إذ يعبر عن سعادته لما آلت إليه الوضعية ابتداء من سنة 1842، خصوصا نظرة السكان مبنية على التسليم لمشية القضاء والقدر والتي تعد أحد أركان الإيمان، والكاتب يقصد بذلك مشية قبول الجزائريين سلطة الفرنسيين.<sup>2</sup>

ويثني **أوجين بوري** على موقف الملك الفرنسي في افتتاح الدورة التشريعية لسنة 1842 "هذه الأراضي ستبقى من الآن فصاعدا ولأبد فرنسية" عده الكاتب ليس ضرورة فقط بل واجب،<sup>3</sup> ليعقب **أوجين** على ذلك: "...الاحتفاظ النهائي بالجزائر لا يكون إلا بشرط إخضاع جميع قبائل الجزائرية بالقوة، والسيطرة على الأراضي بالمستعمرات الفلاحية، غير ذلك وخارج هذين الشرطين، لا يكون وجود الفرنسيين بالجزائر إلا بشكل مؤقت وعابر..."<sup>4</sup>

ويعترض الكاتب على كل ما يراه يقف حجرة عثرة أمام نهج بيجو، فيعتبر تعيين الجنرال **روميني Rumigny** ما هو إلا مؤشر على تغيير الحاكم العام بالجزائر، وبالتالي تعويضه في هذا الطرف ما هو إلا تفويض للجهود والنتائج المحققة على الأرض، والأمير عبد القادر لازال يمني القبائل المنهكة، بالسلم وقرب استدعاء الجنرال بيجو،<sup>5</sup> وقد اعتبره **أوجين بوري** غلطة كبيرة حيث كتب: "...إذا كان تحضيرا لاتفاقية جديدة ثالثة، تمنح الأمير عبد القادر الوسائل للنهوض من جديد..."<sup>6</sup> ويدافع الكاتب على نهج بيجو: "...وفي حالة ما إذا تمت اتفاقية أو هدنة أخرى، فنكون كمن أرجأ مسائل لم تكن لنا الشجاعة لحلها على مستقبل مجهول، ويكون حجم الانفاق الذي بلغ لحد الساعة 130 مليون في مهب الريح، وتضطر معها فرنسا لدفع أضعاف هذه التضحيات في الرجال والأموال فقط لنعود للحالة التي هي عليها اليوم..."<sup>7</sup>

<sup>1</sup> Eugène Buret, op Cit, p377.

<sup>2</sup> Ibid, p378.

<sup>3</sup> Ibid, p379.

<sup>4</sup> Ibid, p380.

<sup>5</sup> Ibid, p-p 381-384.

<sup>6</sup> Ibid, p-p 384-386.

<sup>7</sup> Ibid, p387.

وعلى نسق باقي الكتاب الفرنسيين في الربط بين الاحتلال والحضارة يقول: "...الاحتلال المنجز ليس في صالح المجد الفرنسي وحده بل الحضارة كلها، وأن العناية الإلهية اختارت الفرنسيين لتنفيذ هذا العمل الكبير، ومنتظر من الله الجزاء أو العقوبة..."<sup>1</sup>

#### 6. أدريان بيربروجير **Adrien Berbrugger** (1801-1869)

يعتبر من الأوائل الذين وقفوا على حيثيات ووقائع الاحتلال في عقوده الأولى، وساهم فيه بقلمه وفكره وأدواره الطلائعية برحلاته وكتاباته، قدم إلى الجزائر رفقة المارشال كلوزل كسكرتير خاص، رافق عدة حملات عسكرية إلى داخل الجزائر -منها حملة كلوزل إلى معسكر- استطاع من خلالها جمع عدد كبير من المخطوطات العربية الخاصة والعامة من المساجد والزوايا، ترأس تحرير جريدة المرشد الجزائري **Moniteur Algérien** شغل منصب محافظ لمكتبة ومتحف الجزائر. وكان يمثل لدى الإدارة العسكرية بنك معلومات ضخم عن دقائق البلد والمجتمع، تشهد له صفحات المجلة الإفريقية التي ترأسها إلى وفاته (1856-1869) كيف استثمر هذا الأرشيف الذي بحوزته لمقالات عديدة بها، وترجمات لعدة مؤلفات قديمة تخص الجزائر. كانت له زيارتان مشهورتان إلى مناطق سيادة الأمير عبد القادر الأولى في فترة معاهدة التافنة أواخر 1837 وبداية 1838 إلى وانوغة (برج حمزة) وأخرى بعد الحرب الشرسة سنة 1841 إلى مقاطعة مليانة لتبادل الأسرى أشرف عليها أسقف الجزائر **Dupuch**.<sup>2</sup>

له ثلاث مؤلفات:

9. Adrien Berbrugger, **Relation de l'expédition de Mascara**, Delaunay Libraire Palais-royal, Paris, 1836. (96 pages)

10. Adrien Berbrugger, **Voyage au camp d'Abd-el-Kader, à Hamzah et aux montagnes de Wannourhah (province de Constantine), en décembre 1837 et janvier 1838**, Imprimerie d'Eugène Aurel, Toulon, 1839. (80 pages)

11. Adrien Berbrugger, **Négociations entre Monseigneur l'évêque d'Alger et Abd el Kader pour l'échange des prisonniers**, Delahaye. J éditeur, Paris, 1844. (59 pages)

<sup>1</sup> Eugène Buret, op Cit, p394.

<sup>2</sup> ينظر عنه أكثر:

Auguste Cherbonneau, **Nécrologie**, in-**Revue Africaine**, Volume 13, A. Jordan Libraire-éditeur, Alger, 1869, p-p 319-324.

في مؤلفه الأول "وقائع حملة معسكر" (96 صفحة)، أتى دون فصول أو عناوين فرعية وفي سرد متواصل، وفي تصديره يشير أنه سجل وقائعها كشاهد عيان، إذ كان ضمن هيئة الأركان كلوزل طوال الحملة سنة 1835. واجتمعت قوات كبيرة (أربع كتائب وخامسة كاحتياط) في نوفمبر 1835 بوهران والتي أتت لرد الاعتبار لنكسة المقطع، ولا يخفي حرصه على جمع أكبر قدر من المعلومات تخص الأمير عبد القادر والصعوبات التي واجهته في ذلك، كترديد الجزائريين لكلمة "بزاف" مثلا والتي تعني الكثرة دون تحديد رقمي واضح لها في محاولاته لمعرفة تعداد قوات الأمير.<sup>1</sup> في إشارة واضحة لدوره الاستخباراتي.

يروى أدريان بيربروجير **Adrien Berbrugger** على لسان الأمير عبد القادر بعض التصريحات الحماسية مثل ذلك: "...يتشدد أمام أنصاره ويزعم أنه إذا كان ملك فرنسا يلزمه ستة أشهر ليجمع عشرة آلاف عسكري، فإن الأمير يكفي أن يلوح بيده لتجتمع لديه عشرون ألف محارب في ميدان المعركة، ورغم بعض النكسات فإنه في الأخير النصر سيكون حليفنا ونصنع من عظام المسحيين معلما..."<sup>2</sup>

وعن سير حملة كلوزل يقول عنها: "...لم تلق إلا مناوشات قليلة وغير مكلفة للجيش، وكانت تطلق يد بعض فرق الدوائر والزمالة وكذا للقائد إبراهيم من الأهالي للبحث عن مطامر القمح وقطعان الأغنام لاستحواذ عليها، في حين كان فريق من الجيش يعمل على جمع ورصد وتدوين كل آثار قيمة أو مخطوطات أو كما سماها (الاحتلال بالقلم) ..."<sup>3</sup> وهو ما يعطي إشارة عن نوعية هذه المهمة الموكلة إلي صاحب المؤلف، في حين يجعل صفة النهب والسلب قوات الجزائريين من نصيب القبائل الموالية لهم وبنأى بها عن الجيش الفرنسي.

ويحاول بيربروجير اظهار الأمير عبد القادر يستجدي السلم من الفرنسيين حيث يقول: "...أثناء مسير الجيش تلقى عدة رسائل من الأمير عبد القادر بخصوص السلم على نمط ما فعله مع دي مشال لم تكن لتلقى قبول من القائد العام..."<sup>4</sup>، مع ذلك لم ينكر الكاتب المواجهة

<sup>1</sup>Adrien Berbrugger, *Relation de l'expédition de Mascara*, Delaunay Libraire Palais-royal, Paris, 1836, pages 9, 11,14.

<sup>2</sup>Ibid, p16.

<sup>3</sup>Ibid, p24.

<sup>4</sup>Ibid, p29.

الشرسة التي أبداها جيش الأمير عبد القادر وبسالته رغم المدافع وفارق القوة النارية أجبرت الجيش الفرنسي على التراجع إلى معسكره بسيق، مع بعض الخسائر التي أوقعها فيهم،<sup>1</sup> لكن حسب بيربروجير يقر بالمغزى الحقيقي من هذه الحملة فيقول: "...كلوزل لا تهمة الخسائر والمعارك بحد ذاتها بقدر ما يهمه أن يستمر في عمل عسكري يجني منه نتائج سياسية، كدخول القوات الفرنسية عاصمة الأمير معسكر لذا سيخلي معسكره على سيق رغم ما أنفق فيه ويتخذ طريقا آخر رغم بعده لكنه يمكنه من تحريك جيشه بأكمله..."<sup>2</sup>، وعلى هذا الأساس لم يكن أمام كلوزل لبلوغ هذا الغرض سوى المسير في كتلة واحدة مغلقة تؤمن الحماية القصوى للجيش ولا تحيده عن بلوغ مبتغاه.<sup>3</sup>

لم يخف بيربروجير إعجابه بخطة الأمير ومهارته العسكرية إذ يذكر: "...توقع الأمير بمسار الجيش الفرنسي وسرعة تنفيذه تكتيكاته الحربية، إذ بعد المواجهة الأولى عمد إلى نصب كمين للجيش الفرنسي على مرتفعات الجبلية القريبة من الولي الصالح سيدي مبارك..."<sup>4</sup>

ولا يتردد بيربروجير في تسجيل كل نقيصة تخص الجزائريين سواء الموائية لهم أو المقاومة فيصف الأولى "...قوات كولوغلي والسكان المحليين التي تحارب إلى جانبهم بأنها لا تفقه في الحسابات الاستراتيجية،<sup>5</sup> في حين تردد قوات المقاومة على مسمع الفرنسيين كلمات نابية مثل (حلوف، طحان) خنزير وعديم الأصل..."<sup>6</sup>

ويؤكد بيربروجير على حرص كلوزل بمسير الجيش في كتلة واحدة رغم بطئه، بحيث تصبح معه مناوشات جيش الأمير غير مجدية من أية جهة للجيش المتقدم، الذي لا تهمة المواجهة بقدر ما يريد بلوغ معسكر بأقل الخسائر،<sup>7</sup> ويعزي الكاتب نهب المدينة إلى فرسان الأمير عبد القادر قبل دخول الجيش الفرنسي خصوصا اليهود، وأنه في وسط هذه الفوضى

<sup>1</sup>Adrien Berbrugger, *Relation de l'expédition de Mascara*, op Cit, p-p 32-36.

<sup>2</sup>Ibid, p-p 37-40.

<sup>3</sup>Ibid, p41.

<sup>4</sup>Ibid, p47.

<sup>5</sup>Ibid, p56.

<sup>6</sup>Ibid, p58.

<sup>7</sup>Ibid, p62.

حتى منزل الأمير نهب، والنار التهمت كثيرا من المنازل.<sup>1</sup> ويؤكد على دخول كلوزل يوم 6 ديسمبر 1835 إلى معسكر، ليخرج على جنوده في اليوم الموالي بالتصريح التالي: "...سلطة الأمير عبد القادر انهارت، والتي قدمت لنا على أنها قوية، لكن كما أثبتت الأحداث ليس لها أية قواعد صلبة..."<sup>2</sup> بيربروجير يقر أن المدينة: "...حَوَتْ عددا كبيرا من المخطوطات حول منها أربعين مخطوطا إلى مكتبة الجزائر، منها قواميس وكتب فقهية وعدة كتب أخرى متنوعة..."<sup>3</sup> وعن مصير المدينة وتعرضها للمتفجرات والحرق إذ يقول: "...إنها شملت مؤسسات الأمير العسكرية ومخازنه، وأن اليهود وعرب الدوائر قاموا بإحراق منازلهم حتى لا يستفيد منها الأمير وأعوانه..."<sup>4</sup>

والراجح أن الغرض الحقيقي من هذه الحملة، أراد كلوزل تمرير رسالة إلى الرأي العام الفرنسي أن سلطة الأمير انهارت ولم تمكنه حتى من حماية مدينته، لكن الأمير عبد القادر لم ينشأ أية مؤسسات عسكرية بالمدينة! ثم كيف أحرق بيت الأمير الذي أقام فيه كلوزل!؟

وإن كان سجل لنا بيربروجير الإخلاء الفوري والمسرع للمدينة لكنه لم يعط المبررات لذلك.<sup>5</sup> ويعطي رقما كبيرا عن احتياطي خزينة الأمير، استقاه من المزابي الذي تحول من أغا الأمير عبد القادر إلى معسكر الفرنسيين: "...قبل معاهدة دي مشال لم يكن مع الأمير سوى أربعة آلاف فرنك في حين بعد المعاهدة تجمعت لديه ثروة قدرت بحوالي واحد مليون فرنك..."<sup>6</sup>

أدريان بيربروجير في مؤلفه "رحلة إلى معسكر الأمير عبد القادر بحمزة وجبال ونوغة" (80 صفحة) وهي اليوم مناطق تعرف بـ "البويرة"، أصدرها بمجلة العالمين في 15 أوت 1838 ثم إصدار جديد بعد ثمانية أشهر في أبريل 1839. في تصديره لهذا المنشور الذي طبع لنشره على نطاق ضيق وليس للبيع، يمكن لرفاقه الاستفادة منه على فرضية خوض حملة على حمزة، ومن أجل هذا الغرض حُرر لبلوغ هذه الغاية. وهو الآخر جاء في سرد متواصل

<sup>1</sup>Adrien Berbrugger, *Relation de l'expédition de Mascara*, op Cit, p71.

<sup>2</sup>Ibid, p73.

<sup>3</sup>Ibid, pp 76.77.

<sup>4</sup>Ibid, p78.

<sup>5</sup>Ibid, p79.

<sup>6</sup>Ibid, p89.

كرونولوجي دون فصول أو عناوين فرعية.<sup>1</sup> ويلحق مؤلفه بمقاطع تاريخية لمؤلفين قدماء مثل بيسونال Peysonnel سنة 1725، ديسفونتان Desfontaines سنة 1785، شاو Shaw سنة 1727 في وصف المنطقة وتحديد مسافات الأماكن، وكأنه يحاول أن يطابق ما أورده القدماء مع ما جمعه من معلومات والتدقيق في أسماء المناطق والوديان. والراجح جاء هذا الكتاب لجمع أكبر كم من المعلومات تمهيدا للحملة المراد خوضها بقيادة المارشال فالي وابن الملك أورلينز المشهورة بـ(عبور أبواب الحديد).

يستهل بيربروجير مؤلفه بذكر تركيبة الوفد: "...في 28 ديسمبر 1837 يخرج أعضاء الوفد الذي ضم غرافيني قنصل الولايات المتحدة، وطبيب، ومحامي، وكاتب، ومفاوض، ومترجم وصاحب المؤلف وثلاثة من الأهالي ويهوديين. يرافقهم أربعة من خيالة الأمير عبد القادر، ويضطر الوفد لحط رحاله للمبيت ليلته الأولى بمكان يسمى خشنة، تجنباً للتوقف لدى الزواتة (قبيلة على واد الزيتون نواحي الأخضرية) مدينة للأمير عبد القادر بضريبة ثمان سنوات متأخرة وعليها غرامة كبيرة تقدر بـ مائتي ألف فرنك لتعاونهم مع الفرنسيين..."<sup>2</sup>

والملاحظ أن بيربروجير يوثق للحدود الشرقية التي رسمتها معاهدة التافنة حين يذكر: "...بوصول الوفد إلى واد قدارة (مصبه يحمل واد بودواو) الذي يمثل الحدود الشرقية التي رسمتها معاهدة التافنة للفرنسيين وأقام الأمير ما وراء هذا الواد سلطته على جميع القبائل بتتصيب القادة وجمع الضرائب..."<sup>3</sup>

ويسجل بيربروجير توصياته: "...بالاستثمار في قبائل المخزن مثل الزواتة وأضرابهم من قبائل مخزن وهران بخلق حليف للفرنسيين لا يكلف كثيرا وله فوائد جمة..."<sup>4</sup> وعلى العموم ما يمكن ملاحظته: "...أن كل القبائل التي مر عليها الوفد إلا وتقدم واجب الضيافة بقدر ما

<sup>1</sup>Adrien Berbrugger, *Voyage au camp d'Abd-el-Kader, à Hamzah et aux montagnes de Wannourhah (province de Constantine), en décembre 1837 et janvier 1838*, Imprimerie d'Eugène Aurel, Toulon, 1839, pp 3.4.

<sup>2</sup>Ibid, pp 5.6.

<sup>3</sup>Ibid, pp 7.8.

<sup>4</sup>Ibid, p13.

تستطيع،<sup>1</sup> والأمير عبد القادر يعطي أهمية كبيرة لبرج حمزة لموقعه الاستراتيجي ونقطة حدودية لثلاث مقاطعات الجزائر قسنطينة والتيطري...<sup>2</sup>

بوصول فريق الكاتب إلى معسكر الأمير إلى جنوب حمزة، يبدأ في توصيف جيش الأمير تعداده وقواته وذخيرته والأطر المنظمة له (في حدود خمسة آلاف عسكري)، لكن ما يميزه أنه يمثل كل مقاطعات الجزائر.<sup>3</sup> ويذكر بيربروجير: "...أن الشيخ عبد السلام بن المقراني والذي كانت قبائله تتحكم في ممر الببيان منذ عهد العثمانيين دخل في طاعة الأمير عبد القادر جبرا، ففي حين كان يُدْفَع له حقوق العبور أبواب الحديد أصبح هو من يَدْفَع للأمير وكثير من قبائل تلك النواحي، ويطمع الأمير في الحصول على قسنطينة، وأصبحت معه خزينة دولة الأمير تحوي إيرادات ضخمة..."<sup>4</sup>

وعن رأيه في الأمير عند أول لقاء يقول بيربروجير: "...ليس بالضرورة أن تكون لك فَرَاة كبيرة، من النظرة الأولى تعلم أن الأمير متعصب طموح، يملك مهارة كبيرة للتأثير على شعبه..."<sup>5</sup> وبعد تلمس الجهود التي بذلها الأمير عبد القادر بتلك المقاطعات خرج بيربروجير بنتيجة: "...أن الأمير لن يكون تابعا للفرنسيين ولن يعترف لهم بسيادتهم في الجزائر، وأنه إن فعل ذلك فستتفرضُ عنه جموع الجزائريين، وعلى هذا الأساس تأتي جهوده بإنشاء خط دفاعي ثالث يشمل الصحراء كقواعد خلفية للجيش، بالإضافة لخط المدن وخط القلاع، فضلا عن حصار المدن الساحلية (الحجوط مع الجزائر، الغرابة مع وهران)..."<sup>6</sup>

وينوه بيربروجير بجهود أحد أفراد طاقم الرحلة السيد راببي Rabier (كاتب المحكمة العليا) الذي أعاد رسم صورة زيتية للأمير أكثر واقعية مما كان متداول من صور له بفرنسا هي الآن ملك للكونت كلاري Le comte Clary، لكن الكاتب ارتسمت في ذهنه ذلك الانطباع السيء عن

<sup>1</sup>Adrien Berbrugger, *Voyage au camp d'Abd-el-Kader*, op Cit, p18.

<sup>2</sup>Ibid, p24.

<sup>3</sup>Ibid, p-p 33-35.

<sup>4</sup>Ibid, p-p 36-38.

<sup>5</sup>Ibid, p40.

<sup>6</sup>Ibid, pp 42.43.

هندام المسلمين، والأمير عبد القادر على شاكلتهم، إذ لا يفكون على ضبط لباسهم (برنوس) في كل حين، ويعطيه بعض الشبه مع الجنرال يوسف.<sup>1</sup>

بيبروجير يشيع عن الأمير: "...لقب قاطع رؤوس المسيحيين في سبيل الله، وأهدى للأمير مخطوط جميل (دليل الخيرات) حصل عليه من حملة قسنطينة تلقاه الأمير بامتنان كبير، وفي محاورته للأمير وجد فيه نكاء وسرعة بديهية لدرجة تزدهم الأفكار لديه ويريد أن يعبر عنها في نفس الوقت..."<sup>2</sup> وبعد هذه الهدية لم يتردد الكاتب في طلب الإذن من الأمير عبد القادر برحلة إلى الجنوب، تملص منها الأمير عبد القادر من اجابته بأن لن تجد إلا الحجر وقبائل لا تحب الأجانب، لكن يعقب بيبروجير على ذلك أن كبرياء الأمير منعه من قول ليس له إلا سلطة اسمية على المناطق الصحراوية.<sup>3</sup>

وعن ردة فعل الأمير عبد القادر لهذه الطلبات يقول بيبروجير: "...لإقناع الأمير عبد القادر بطبيعة رحلتي العلمية أعلمته بأنه تجمع لدي من معسكر عدة عقود ملكية منها ما تخص الأمير نفسه، وكم كان الأمير يضحك بملأ فيه من طلب الفرنسيين لهذه الرحلات الاستكشافية لدراسة الحجر والشجر والحيوان..."<sup>4</sup>

وفي لفتة غير متوقعة ودون مقدمات يشير بيبروجير إلى محاولة أحد أفراد الوفد: "...إثارة مسألة استعادة أحد الفرنسيين لجأ إلى الأمير عبد القادر يسمى عمر الروش Léon Roches بحكم أن أباه يطلبه فكان رد الأمير بالرفض القطعي كونه أتى بإرادته وأصبح مسلماً والآن هو سكرتيره الخاص..."<sup>5</sup> ويعود الوفد إلى الجزائر في 5 جانفي 1838.<sup>6</sup>

أدريان بيبروجير في مؤلفه "مفاوضات بين السيد أسقف الجزائر وعبد القادر لتبادل الأسرى" سنة 1843، (59 صفحة)، وكذلك كسابقيه أتى هو الآخر في سرد متواصل دون فصول أو عناوين فرعية. يروي دوافع هذه الرحلة، ولم وقع الاختيار على أسقف الجزائر لتوكل

<sup>1</sup>Adrien Berbrugger, *Voyage au camp d'Abd-el-Kader*, op Cit, pp 48.49.

<sup>2</sup>Ibid, pp 50.51.

<sup>3</sup>Ibid, p52.

<sup>4</sup>Ibid, pp 53.54.

<sup>5</sup>Ibid, p55.

<sup>6</sup>Ibid, p57.

له هذه المهمة، كون بيجو الحاكم الجديد للجزائر حاول تبني خيار يخدم به غرضه السياسي في الحصول على أسرى فرنسيين دون الدخول في تفاهات سياسية مع الأمير عبد القادر، والحرص على أن تبقى عملية تبادل الأسرى تحمل طابعا انسانيا دينيا بين زعيمين روحيين المرابط الأمير عبد القادر والأسقف دوبوش.<sup>1</sup>

وبالتالي تتأى الحكومة الفرنسية بشكل جلي عن كل التزامات التي يتوصل لها الطرفان وكان أغلب العسكريين والسياسيين الفرنسيين على قناعة تامة بعد المعاهدتين السابقتين ورغم ما قيل فيهما، فقد خدمتا الأمير عبد القادر إلى أقصى حد.

لكن الملاحظ أن **بيربروجير** يسوق التوصيف التالي لغرض الأمير من تبادل الأسرى: "...الأمير عبد القادر أرهفته ويلات الحرب التي يخوضها منذ سنة رأى في فتح ملف تبادل الأسرى إمكانية الدخول في مفاوضات جديدة تفضي إلى أشياء أخرى وليس مجرد تبادل الأسرى..."<sup>2</sup> وهنا الكاتب يرمي إلى أن الأمير يستعجل معاهدة سلام ثالثة مع الفرنسيين.

وعن سياق الرحلة يكتب: "...بعد وصول أمان من خليفة الأمير على مليانة في 29 مارس 1841، يسير الوفد الذي عينه دوبوش **Dupuch** أو الحاكم العام بيجو، ومن أعضائه الكاهن **Italter**، **بيربروجير Berbrugger** عضو اللجنة العلمية الجزائرية **توستان دو مانوار Toustain Dumanoir** مترجم اداري وأحد الأهالي يدعى كريمو (عبد الكريم)..."<sup>3</sup> وتعقبيا على مهمة الوفد المحددة بتبادل الأسرى دون مناقشة المسائل السياسية يشير الكاتب: "...فقد أوكل الأمير عبد القادر مهمتها إلى خليفته على مليانة..."<sup>4</sup>، لكنه يردف في مجرى حديثه عن نقاشات مع الجزائريين: "...أن الصراحة الواضحة لا يتقبلوها إلا قليلا..."<sup>5</sup>

وفي 19 ماي 1841 يحضر دوبوش **Dupuch** بحوالي 150 أسيرا عربيا إلى لقاء **خليفة الأمير** على مليانة ومعه حوالي 128 أسيرا فرنسيا بنواحي بوفاريك لتبادل الأسرى.<sup>6</sup>

<sup>1</sup>Adrien Berbrugger, *Négociations entre Monseigneur l'évêque d'Alger et Abd el Qader pour l'échange des prisonniers*, Delahaye. J éditeur, Paris, 1844, p5.

<sup>2</sup>Ibid, p 4.

<sup>3</sup>Ibid, p5.

<sup>4</sup>Ibid, pp 47.48.

<sup>5</sup>Ibid, p50.

<sup>6</sup>Ibid, pp 57.58.

## 7. أميدي هيبوليت بروسارد Amédée Hippolyte Brossard

(1784-) جنرال فرنسي شارك في حملة احتلال الجزائر سنة 1830 عرف عنه بانتقادات لاذعة وإن كانت صائبة لقادة الاحتلال منهم الدوق ريفيقو في تسيير المستعمرة، وسيستمر على نفس المنوال مع الجنرال بيجو حين عقد معاهدة التافنة واستولى على جميع صلاحيات الجنرال بروسارد وهو حاليا قائد مقاطعة وهران، وكال لبيجو اتهامات بتلاعبات مالية، لم ينكرها أمام المحكمة وتُتلف كثير من المستندات التي تدين بيجو، لينتقم منه هو الآخر ويتهم بروسارد بالاختلاس والخيانة أدت إلى محاكمته سنة 1839 أماما محكمة بيرينيون Perpignan بُرئت ساحته وأحيل على التقاعد.<sup>1</sup>

له مؤلفان عنوانهما:

12. Amédée Hippolyte Brossard, **Mélanges sur l'Afrique**, Imprimerie de Jean Baptiste-Alzine, Perpignan, 1838. (84 pages)

13. Amédée Hippolyte Brossard, **Quatre-vingt-deux jours de commandement de la province d'Oran**, Imprimerie de Jean-Baptiste Alzine, Perpignan, 1838. (60 pages)

المؤلف الأول يحمل عنوان "مزيج عن الجزائر" (84 صفحة) كان يود أن يكون شاملا وموسعا بالقدر الكافي، لكن سرعة الأحداث وزخمها فرضت عليه إخراجها على حاله حتى لا يفقد أهميته دون كثير انتظار. جاء كتابه عبارة عن مجموعة من التقارير غير مرقمة ولها عناوين فرعية فنجده في الأول يكتب عن عجز السياسة الفرنسية بالجزائر، في الثاني بعنوان مشاريع الأمير عبد القادر، في الثالث وضعية الجزائر مع نهاية سنة 1837، رابعا تنظيمات الجيش الفرنسي بإفريقيا، خامسا وسائل نقل الجيش وسادسا التقارير العسكرية والسياسية لناحية مستغانم. ويحاول بروسارد في هذا السرد تقديم إحصاءات وجداول مدعمة بتقارير رفعها إلى

<sup>1</sup>Amédée Hippolyte Brossard, **mémoire présenté à M Duc de Dalmatie**, Anselin Successeur de Magimel, Paris, 1833, avant-propos

Marcel Emerit, **L'Algérie à l'époque d'Abd-el-Kader**, Editions Larose, Paris, 1951, pp 129.130.

Gustave Vapereau, **Dictionnaire Universel des Contemporains**, Librairie Hachette et Cie, Paris, 1870, p285.

رؤسائه عن مجمل العمليات المرتبطة بوظيفته وكأنه يرافع عن نفسه من التهم التي نسبت إليه.

بروسارد لا يتحرج في افتتاح كتابه بوصف السياسة الفرنسية بالجزائر بعد ست سنوات من الاحتلال بالعجز، ويعطي رؤيته في حكم البلد: "...اجبار سكان السهول على السلام بقوة السلاح، إعطاء استقلالية للمدن تحت الحماية الفرنسية، خلق الشقاق بينهم (القبائل ضد العرب)، منح حماية لليهود لضمان تجارة الداخل..."<sup>1</sup> ويردف على ذلك بقوله: "...دون المساس بتقاليدهم الاجتماعية ومشاعرهم الدينية مع ربطهم بالمصالح العامة والقوانين الفرنسية، يضمن مستقبلا زاهرا لفرنسا لأكثر من قرن، لكنها أخطاء فرنسا أكثر منه عبقرية الرجل، جعلت من الأمير عبد القادر عظيما وقويا، الويل لمن يشخذ سكين عدوه ليرتد إلى نحره..."<sup>2</sup>

في تصديره لمقالة عن مشاريع الأمير عبد القادر يورد مقطعا من تقرير بيرتيزان Berthezène عن بأس وشدة المحاربين الجزائريين: "...بدون كثير حاجيات، ويقتنون ملابس قليلة وبسيطة، مع ذلك لا يكولون في إصرار وتكشف مدهش، قليل من الماء والتين الشوكي يكفي كزاد، لو استطاع أحدهم توحيدهم تحت رايته لارتجت لهم أوروبا..."<sup>3</sup>

لكن شهادة أميدي هيبوليت بروسارد وهو أحد القادة الكبار الذين خَبروا حروب الجزائر، في الأمير عبد القادر جاءت نوعا ما مختلفة: "...بغض النظر عن مدى عبقرية الرجل، لا يمكن أن تقاس من الوهلة الأولى بما يمكن أن تسمح به قواه القيام به، فالأمير من طينة الأمراء من لديهم ملكة قيادية تشربها منذ الطفولة وتتمر على ممارستها فاق بها كثيرا من الأمراء الأوروبيين،<sup>4</sup> فعبد القادر عربي وطني، مسلم ملتزم أبعد عن التعصب، ويتمتع بطموح كبير، يسعى لاستقلال ومجد الشعب الجزائري..."<sup>5</sup>

<sup>1</sup>Amédée Hippolyte Brossard, *Mélanges sur l'Afrique*, Imprimerie de Jean Baptiste-Alzine, Perpignan, 1838, pp 9.10.

<sup>2</sup>Ibid, pp 12.13.

<sup>3</sup>Ibid, p14.

<sup>4</sup>Ibidem.

<sup>5</sup>Ibid, p15.

ليخلص إلى النتيجة التالية: "...لا نستخف بمشاريع الأمير عبد القادر، فلنستعد على محاربتها وجهضها في مهدها، مادام لدينا متسع من الوقت..."<sup>1</sup>، فالأمير عبد القادر حسب الكاتب: "...يقبل بكل الترتيبات السياسية والاقتصادية، لكن حكم السكان لا نقاش فيه، وفرنسا الخيار بين حرب طويلة مدمرة مشكوك في نتائجها أو اتفاق يضمن الهدوء والمزايا التجارية..."<sup>2</sup>، وعن صعوبة المواجهة مع الأمير عبد القادر لحد الآن (1838) والتي مازال عليهم مواجهتها يقول: "...يجب أن نعترف أنه تحول من مرابط بسيط مغمور لإحدى القبائل، إلى أمير له سيادة على حيز جغرافي واسع (ثلاث مقاطعات الغرب والوسط وتطري) أكثر مما لدى سلطان تونس والمغرب..."<sup>3</sup>

وعن الأوضاع الجزائر مع نهاية سنة 1837، وهي الظروف التي أعقبت معاهدة التافنة والتي أنت حسب لتؤكد مشاريع السالفة الذكر للأمير عبد القادر وتعزز من سلطته، وينتقد اتفاق التافنة برمته فيسجل: "...أشعر بأسف عميق على من يعتبر موقفني هذا نابع عن دافع شخصي ازاء بيجو، لكني قدمت أولاً مشاريع الأمير عبد القادر ثم سلبيات عقد اتفاق سلام معه، من وجهة نظر مصالح بلادي فقط، وبيجو يعي ذلك جيداً..."<sup>4</sup> فحسب بروسارد: "...هذا الاتفاق اعتراف بسلطة مستقلة للأمير، أجازها الجنرال بيجو وأنكر السيادة الفرنسية، وكذلك نصوص المواد لا تشير لمواد يرجع لها في حالة نزاع أو خلاف، هذا فضلاً عن امداده بالسلاح، كل هذا من أجل هدوء يخيم على ممتلكاتنا بالجزائر..."<sup>5</sup>

وعلاوة على ذلك فإن هذا الاتفاق كانت مخرجاته في صالح الأمير حسب الكاتب: "...منح سلطة الأمير مناطق شاسعة من حدود المغرب إلى مقاطعة قسنطينة، وهكذا تملك الأمير الوسائل المادية لحرينا، وكذلك حق إعلان الحرب، وما كان حلماً أصبح حقيقة، وسيكون على فرنسا تجييش مائة ألف مقاتل أو التوقيع على فشلها..."<sup>6</sup> ليلخص بروسارد في ملحقه

<sup>1</sup>Amédée Hippolyte Brossard, *Mélanges sur l'Afrique*, op Cit, p15.

<sup>2</sup>Ibid, p17.

<sup>3</sup>Ibid, pp 18.19.

<sup>4</sup>Ibid, p20.

<sup>5</sup>Ibid, pp 23.24.

<sup>6</sup>Ibid, p-p 27-29.

إلى ثلاثة احتمالات في التعامل مع الأمير عبد القادر: "...التخلي عن كل مسلمي الجزائر لحكم الأمير مع ضمان مصالح متبادلة معه، التحصن بالمناطق المحتلة وتوقع حرب لا مفر منها في المستقبل القريب، وأخيرا تسيير حملات الآن بدءا من ربيع سنة 1838 والمواجهة الفورية للأمير قبل أن يستفحل أمره وتتعاظم قوته، والخيار الأخير هو الذي يوصي به والمشرف والأمن لفرنسا ومستقبل مستعمراتها بالجزائر، لذا يجب المسير والمسير الفوري..."<sup>1</sup>

في مؤلفه الثاني "اثنان وثمانون يوما في قيادة مقاطعة وهران" "Quatre-vingt-deux jours de commandement de la province d'Oran" (60 صفحة) والتي كان فيها بروسارد على قيادة وهران من 14 جانفي 1837 إلى 6 أبريل من نفس السنة، مبادرا ومسجلا: "...كل ما كتب هنا هو الحقيقة كل الحقيقة ومن يقول العكس فهو مفترٍ أفاك..."<sup>2</sup> وعلى مدار أربع فصول يفصل في الوضعية العسكرية والإدارية للجيش الفرنسي بتلك المقاطعة مطلع سنة 1837 في الفصل الأول، في الفصل الثاني عرض الترتيبات الإدارية المتخذة من جانفي 1837 إلى أبريل من نفس السنة، عرض للعمليات العسكرية والشؤون السياسية لمقاطعة وهران في نفس الفترة في الفصل الثالث، وفي الفصل الرابع لمحة سياسية وعسكرية لإيالة الجزائر وخصوصا مقاطعة وهران في أبريل 1837، وفي الأخير خاتمة.

يبدأ بالإشارة الحالة المزرية التي كانت تمر بها المراكز الفرنسية إذ تعاني من حصار خانق فضلا عن صعوبة تسيير الأرتال التموينية لكل من تلمسان ورشقون، وهذه الحالة تعاني منها كل المراكز حيث أفرغت المخازن عقب حملة قسنطينة.<sup>3</sup> وعن استراتيجية الأمير عبد القادر في حصار المراكز الفرنسية يقول: "...عمد إلى خلق فراغ سكاني حول المراكز الفرنسية بقدر ثلاثة أيام مسير، أصبحت معه الحاميات الفرنسية عاجزة عن المسير لقلة التموين والعكس صحيح ولا تستطيع التموين لعدم القدرة على المسير المكلف..."<sup>4</sup>، لكنه يشير إلى الدور المحوري الذي لعبته الدواير والزمالة: "...تشبه إلى حد ما النظام الإقطاعي بأوروبا، ضعيفة

<sup>1</sup>Amédée Hippolyte Brossard, *Mélanges sur l'Afrique*, op Cit, post-Scriptum p-p 6-8.

<sup>2</sup>Amédée Hippolyte Brossard, *Quatre-vingt-deux jours de commandement de la province d'Oran*, Imprimerie de Jean-Baptiste Alzine, Perpignan, 1838, p4.

<sup>3</sup>Ibid, pp 11.12.

<sup>4</sup>Ibid, p18.

التدين، تتحد حول سلطة شيخها صاحب أربع وثمانين عاما لكن في همة الشباب مصطفى بن إسماعيل، محاولا جعلها حليفا دائما ووفيا وجيشا نظاميا رديفا للجيش الفرنسي...<sup>1</sup>

بروسارد بعد أن فصل في الوضعية الحرجة لمقاطعته يقدم في الفصل الثالث تصور أو تبريرات لسياسته اتجاه الأمير والجزائريين عموما واصفا المعاملة التجارية التي قام بها مع بن دوراند وكيل الأمير عبد القادر لتموين تلمسان عن طريق مفاوضات: "...تمت دون التزامات مباشرة مع الأمير عبد القادر، أملت الظروف الصعبة التي يعيشها الجيش الفرنسي...<sup>2</sup> فهي حسب بروسارد "...دون أن يقوم بالسلم استنقاد من كل منافعه، ليأتي بيجو قائد الفرق النشطة عوض الدخول في حملات ضد الأمير، يقلب الوضع تماما وكانت أولى خطواته إخلاء مركز التافنة...<sup>3</sup>

بروسارد يعطي تفصيلا في الفصل الرابع والأخير على وجه المقارنة بين مقاومة أحمد باي بالشرق والأمير عبد القادر بالغرب: "...فالأولى تمثل استمرارا للحكم العثماني في حين الثانية يسير الأمير بخطوات كبيرة نحو خلق وطنية عربية...<sup>4</sup> وعليه فإن سياقات تعامل الفرنسيين معهم وإن كانت عسكريا واحدة فإنها سياسيا مختلفة، ويعبر عن ذلك: "...في حالة عقد اتفاق أو معاهدة مع أحمد باي فإنها تخصه هو شخصا دون تأثير على بقية الشعب، لكن في حالة الأمير عبد القادر فإن الاتفاق باسم شعبه، ففوة الأمير هي قوة معنوية، ولل قضاء عليها يجب التصرف حيال قناعات الناس، وهنا مكن خطر قوته...<sup>5</sup>

لذا نجد بروسارد يقدم اقتراحات بخصوص السلم المراد عقده مع الأمير يتمحور على نقاط أساسية أهمها: "...أن سيادة الأمير لا تكون إلا على مقاطعة وهران وتكون في عقبه من

<sup>1</sup>Amédée Hippolyte Brossard, *Quatre-vingt-deux jours de commandement de la province d'Oran*, op Cit, pp 32.33.

<sup>2</sup>Ibid, pp 35.36.

<sup>3</sup>Ibid, pp 37.38.

<sup>4</sup>Ibid, p41.

<sup>5</sup>Ibid, p42.

بعده، مع بقاء مدن كثيرة تحت حكم السلطة الفرنسية مباشرة، بيلك التيطري تحت حكم باي مليانة سيدي مبارك لكن بسلطة مستقلة تماما عن الأمير عبد القادر...<sup>1</sup>

وفي الخاتمة لم يستغ بروسارد بعد الجهود التي بذلها في المراقبة الدقيقة لتحركات الأمير عبد القادر وتنوير حكومته عن كل مشاريعه المستقبلية، فضلا عن تموين المراكز العسكرية وجعلها في حالة استعداد وجاهزية قصوى لخوض حملات عسكرية، كيف تمّ نزول بيجو -وان كان لا يذكره باسمه ولكن بمنصبه- في 6 أبريل 1837 على مقاطعته بصلاحيات واسعة تجاوزته كما تجاوزت الحاكم العام نفسه، بأمر ملكي، ويحذف من مراسلاته كلمة "النشطة" ويبقي على قائد فرقة وهران. ويضطر معها بروسارد لمغادرة الجزائر للمرة الثانية بعد ملاحظات يسميها بالجائرة، الأولى لدوق روفيقو وإن كان يعتذر له، الثانية من طرف (يضع نقاط ولا يسمى بيجو باسمه) لكنه يعقبه باليهودي بن دوراند أو أي شخص آخر.<sup>2</sup>

#### 8. أشيل هيبوليت بلان Achille-Hippolyte Blanc

أحد الضباط العسكريين برتبة كولونيل، شهد عدة معارك لمدة ثماني سنوات في ثلاث مقاطعات من الجزائر، مكنته من التعرف الجيد على البلد خصوصا حوض شليف وإنجاز خريطة تحضيراً للحرب التي أعقبت معاهدة التافنة، وهي ملاحظات عسكرية كان قد نشرها بجريدة "المشاهد العسكري".<sup>3</sup>

له مؤلفين:

14. Achille-Hippolyte Blanc, **Notes sur le théâtre des opérations militaires dans le centre de l'Algérie**, Imprimerie de Bourgogne et Martinet, Paris, 1840. (25 pages)

15. Achille-Hippolyte Blanc, **De l'Algérie, Système du duc de Rovigo en 1832, Moyens d'affermir nos possessions en 1840**, Imprimerie de Bourgogne et Martinet, Paris, 1840. (15 pages)

<sup>1</sup>Amédée Hippolyte Brossard, **Quatre-vingt-deux jours de commandement de la province d'Oran**, op Cit, pp 46.47.

<sup>2</sup>Ibid, p-p 54-60.

<sup>3</sup>Achille-Hippolyte Blanc, **Notes sur le théâtre des opérations militaires dans le centre de l'Algérie**, Imprimerie de Bourgogne et Martinet, Paris, 1840, pp 3.4.

في مؤلفه الأول "ملاحظات حول مسرح العمليات العسكرية بوسط الجزائر" (25 صفحة) الذي جاء على شكل منشور عسكري، حاول فيه استخلاص مجمل الملاحظات التي يجب أن يتخذها الجيش الفرنسي بالجزائر. حددها في أربع عناصر فرعية: الأولى توصيف لمقاطعة الجزائر، الثانية يذكر استراتيجيات السيطرة العسكرية لهذه المقاطعة، يعقبها بالعمليات الهجومية الواجب رصدها مكانا وزمانا، أحسن النظم لمواجهة الأمير عبد القادر، وأخيرا تفصيل لهذه العمليات ضد أهم المدن الجزائرية. وفي الأخير أنجز خريطة لمقاطعة الجزائر.

يتطرق الكاتب إلى توصيف مقاطعة الجزائر والوضعية التي أعقبت معاهدة التافنة وحصرت الفرنسيين ما بين نهر قدارة شرقا والشفة غربا، فيقترح انشاء قناة مائية تجمع بين واد الحراش ومزفران كحد طبيعي لمدينة الجزائر، وتموضع المراكز العسكرية وتعدادها والوقت المناسب للعمليات العسكرية (للفرنسيين ماي وجوان، للعرب يكون بعد الحصاد جويلية، أوت، سبتمبر).<sup>1</sup>

أما عن العمليات العسكرية للقضاء على مقاومة الأمير عبد القادر فيقترح الكاتب أحد النظامين: "...الأول السير وراءه وملاحقته وتدمير قواته، والثاني احتلال أهم المراكز التي هي أساس قوته، فالخيار الأول ينم عن صعوبات كبيرة، أمام عناصر قوة الأمير عبد القادر والمتمثلة أساسا في الفضاء الرحب خصوصا الصحراء، سرعة الظهور والانسحاب أمام قواتنا، والمعرفة الدقيقة للمحيط الطبيعي والمناخ الجغرافي وكذا الاجتماعي والاقتصادي والسياسي وحتى التاريخي، والأمير عبد القادر يعرف ذلك جيدا وينقل على لسانه (لكم البحر وبعض المدن ولنا داخل الوطن والصحراء) ..."<sup>2</sup>

وحسب أشيل هيبوليت بلان فالخيار الثاني غير مجدي لأن: "...المدن بالجزائر ليس لها نفس الأهمية كمدن أوروبا، ففي الجزائر المدن ليس لها تأثير على البوادي، بل القبائل المحيطة بها من لها كلمتها وعبد القادر يمتلك هذه الأفضلية..."<sup>3</sup>، ويوجز خياراته العسكرية

<sup>1</sup>Achille-Hippolyte Blanc, **Notes sur le théâtre des opérations militaires dans le centre de l'Algérie**, Op Cit, p-p 5-10.

<sup>2</sup>Ibid, pp 13.14.

<sup>3</sup>Ibid, p15.

على مطلبين هما القاعدة والهدف: "...فالقاعدة تكمن في تأمين المواقع العسكرية وحرية الحركة ومن وإليها أي مجال المناورة العسكرية، في حين الهدف احتلال المدينة ومليانة وهما مدينتين مهمتين للأمير، ثم الدور على حمزة ومعسكر، وتبقى تأقمت في حالة دفعنا بالحرب على أقصى حد..."<sup>1</sup>

الملاحظ أن **أشيل هيبوليت بلان** يوثق بخريطة توضيحية لمقاطعة مدينة الجزائر وبعض المدن المرتبطة بها ويظهر فيها مركز الأمير عبد القادر المسمى "بوخرشوفة" جنوب غرب مدينة مليانة على الضفة اليمنى لنهر شلف.<sup>2</sup>

في مؤلفه الثاني "الجزائر، نظام الدوق روفيجو سنة 1832 لتوطيد الاحتلال" "De l'Algérie, Système du duc de Rovigo en 1832, Moyens d'affermir nos possessions en 1840" (15 صفحة) **أشيل هيبوليت بلان** يختصرها في ثلاث نقاط أساسية: القضاء على قوة الأمير، حكم الجزائريين بقيادات محلية منهم، الاستيطان في السهول الواسعة مثل متيجة، وهران وعنابة.

يستفتح الكاتب بشهادته في الدوق روفيجو وبنافح عن مشاريعه الاستعمارية بالجزائر، ويعتبر موته أكبر خسارة لفرنسا.<sup>3</sup> وكانت رؤية الدوق روفيجو حسب الكاتب تتمثل: "...في احتلال محطات بحرية وبرية، في حين يجب استثمار في سلطة واسعة لشيخ القبائل الكبرى تدير شؤون البلد، وبالرجوع للتاريخ فهذه المقاربة هي نفسها التي كيفتها روما لإخضاع الأقاليم الإفريقية، فمنذ سقوط يوغرطة العدو اللدود لروما عملت على تقسيم البلد إلى دويلات صغيرة متناحرة، مع بقاء المدن الساحلية تحت سيطرتها العسكرية المباشرة، ولم تلحقها بحكم مباشر إلا بعد 150 سنة مع الإبقاء على نفس نمط الحكم فيما يخص القبائل..."<sup>4</sup>

<sup>1</sup>Achille-Hippolyte Blanc, **Notes sur le théâtre des opérations militaires dans le centre de l'Algérie**, Op Cit, p16.

<sup>2</sup>Ibid, p25.

<sup>3</sup>Achille-Hippolyte Blanc, **De l'Algérie, Système du duc de Rovigo en 1832, Moyens d'affermir nos possessions en 1840**, Imprimerie de Bourgogne et Martinet, Paris, 1840, p3.

<sup>4</sup>Ibid, p4.

وانطلاقاً من هذه المقاربة التاريخية المستوحاة من النظام الروماني القديم يصبح معه المحتلين في نظر الكاتب: "...جباة ضرائب أي يمثل دور الجمركي للموانئ المحتلة، وتغدو جميع المناطق حتى البعيدة منها تخضع لمراقبة صارمة بالتحكم في تسويق منتجاتها، ويحافظ هؤلاء الرؤساء (شيوخ القبائل القوية وشيوخ الزوايا المرابطين) على حالة الهدوء مقابل حصة من الضرائب، ويوم تجد فرنسا أن أركان الاحتلال قائمة بهذا البلد تتجاوز هؤلاء الرؤساء كما فعلت روما قديماً..."<sup>1</sup>

وللوصول لهذا الهدف يوصي أشيل هيبوليت بلان: "...أولا القضاء على قوة الأمير عبد القادر، ثانياً حكم السكان بأنفسهم مع الاستثمار فيهم للتضييق على الأمير، ثالثاً البدء في الاحتلال..."<sup>2</sup>

وهذه النماذج لكتابات الفرنسيين لهذه المرحلة وثقت لرأى مختلفة في مواقفها من الأمير سلماً وحرماً، والأطر المنظمة للتعاملات الواجب اتخاذها اتجاهه، بما يخدم مصالح فرنسا بالجزائر فقط.

<sup>1</sup>Achille-Hippolyte Blanc, *De l'Algérie, Système du duc de Rovigo en 1832, Moyens d'affermir nos possessions en 1840*, Op Cit, pp 5.6.

<sup>2</sup>Ibid, p7.

# الفصل الثالث

الأمير عبد القادر في كتابات الفرنسيين إبان القرن 19م  
عرض وتقديم نماذج

مرحلة الأسر والمنفى (بورصة والشام) 1848-1883

- 1-أرنست كاريت وأوغست وارنيي Ernest Carette & Auguste Warnier
- 2-ببليسيي دي رينو Henri-Jean-François-Edmond Pellissier de Reynaud
- 3-لويس بلان Louis Blanc
- 4-كارلوس بوفيل Carlos Bouville
- 5-ألكس بلمار (Alexandre) Alex Bellemare
- 6-لويس بليستروس Luis Ballesteros
- 7-ريتشارد كورتوبير Richard Cortambert
- 8-أندري ليونس André Léonce
- 9-أنطوانيت جوزفين فرانسواز آن دروهوجسكا Drohojowska Antoinette-  
Joséphine-Françoise-Anne
- 10-سيلين فالي Céline Fallet
- 11-مختارات لكتابات أخرى

اتجهت كتابات الفرنسيين في هذه المرحلة على حسب زعم أصحابها عموماً نحو ترسيم وتثبيت الإنجاز الكبير للاحتلال بعد تجاوز العقبة الصعبة بالقضاء على مقاومة الأمير عبد القادر، وآليات استفاضة الفرنسيين من هذا الاحتلال بطرح دراسات وخطط ومشاريع مستقبلية تخص السكان والبلد، وفرص تمكينه وديمومته على حد سواء، منها محاولة استغلال اسم الأمير عبد القادر في الترويج لمشاريع استعمارية خالصة كما أوصى بذلك لويس بليستروس. كما طرحت دراسات جديدة وعميقة ووازنة تمس مناحي حياة الجزائريين والأمير عبد القادر بالخصوص لمؤرخين وكتاب، أمثال بيليسي دي رينو وبلمار خصوصاً بعد أحداث الشام، والفرق الكبير الذي صنعه بكل اقتدار وعبقريّة الأمير عبد القادر فاق جميع المنافسين والمناوئين، وقد تجد أقوالاً ممجدة للأمير مثل كتابات رتشارد كورتويير ودور الجوايسيس الفرنسيين في تحييد قوته، وكذلك كتابات أخرى تدم الأمير مثل كتابات أندري ليونس رغم اقرارها بشدة مقاومته.

### 1. أرنست كاريت و أوغست فارنيي Ernest Carette & Auguste Warnier

أرنست كاريت: (1808-1890) هو ضابط وإعلامي اشتغل ضمن اللجنة العلمية للاستكشاف الجزائر سنوات 1840، 1841 و 1842، تدرج في عدة رتب عسكرية، وله عدة مؤلفات ومنشورات حول الجزائر منها ما تخصص في أبحاث عن السكان والقبائل وتوزعها الجغرافي.<sup>1</sup> أهم أعماله نذكر: "الاستكشاف العلمي للجزائر أبحاث في أصول وهجرات أهم القبائل الجزائرية"<sup>2</sup>، "موجز تاريخي وأثري عن عنابة وضواحيها"<sup>3</sup>، وعدة خرائط منها "الرقعة الجغرافية للقسم الشمالي لإيالة الجزائر وتونس"<sup>4</sup>، "تقسيم الجزائر حسب القبائل"<sup>5</sup>

<sup>1</sup>Narcisse faucon, *Le livre D'or de L'Algérie*, op Cit, pp 151.152.

<sup>2</sup>Ernest Carette, *Exploration scientifique de l'Algérie, Recherches sur l'origine et les migrations des principales tribus de l'Afrique septentrionale et particulièrement de l'Algérie*, Imprimerie Impériale, Paris, 1853.

<sup>3</sup> \_\_\_\_\_, *Précis historique et archéologique sur Hippone et ses environs*, Imprimerie Lange Leyy et Compagnie, Paris, 1838.

<sup>4</sup> \_\_\_\_\_, *Cartographe, Canevas géographique de la partie méridionale des régences d'Alger et de Tunis*, L. Bouffard-lith. LemerCier, Paris, 1843.

<sup>5</sup> \_\_\_\_\_, *Carte de l'Algérie divisée par Tribus*, L. Bouffard , Paris, 1846.

أوغست فارنبي: (1810-) زاول دراسة الطب وأصبح جراحا دون شهادة، سنة 1834 يرسل إلى الجزائر بعد استفحال وباء الكوليرا في الجنود الفرنسيين، ساعدته معرفته للغة العربية ومهنته في خلق اتصال بالمرابطين والسكان على العموم ومعرفة دقيقة بعادات وتقاليد العرب ترجمتها كتاباته، أقام بمعسكر أثناء معاهدة التافنة واستطاع من خلالها رصد جميع القبائل المؤيدة للأمير عبد القادر وعمل على مداواة جرحى عين ماضي وكذلك أسرة الأمير، لكن شهادة الطب لفارنبي عليها علامات استفهام كبيرة، (في 2 أوت 1839 يحصل على شهادة البكالوريا علمية وبعد 22 يوما فقط أي في 24 أوت 1839 يحصل على شهادة طبيب من جامعة مونتبلييه (Montpelier) ليعود إلى الجزائر سنة 1840 ويكون ضمن اللجنة العلمية لاكتشاف الجزائر في قسمها التاريخي والجغرافي، انتدبته الحكومة على الأسرى العرب بعد سقوط الزمالة، استغلها في استقصاء كثير من المعلومات حول الطرق الصوفية، وخلال سنوات 1852-1861 قام بدراسات حول شبكة السكة الحديدية واستصلاح الأراضي الزراعية، ودراسات حول الصحراء والطورق، ويعد فارنبي من أشد المدافعين عن حقوق الكولون في امتلاك أراضي الجزائريين ليكافئ كمحافظ لمدينة الجزائر سنة 1870، وبعد فارنبي من غلاة الاستعماريين إذ ساهم بقوة في فرض غرامة على الجزائريين في انتفاضة 1871 كتعويض للكولون.<sup>1</sup>

لهما كتاب بعنوان:

16. Ernest Carette & Auguste Warnier, **Description et division de l'Algérie**, librairie de L. Hachette et Cie, Alger, 1847. (45 pages)

هذا المؤلف "وصف وتقسيم الجزائر" (45 صفحة) وإن كان صغيرا في حجمه ولا يتناول حياة الأمير عبد القادر، إلا أنه يعد وثيقة مرجعية لتوصيف جغرافية الجزائر وطبيعة التوزع السكاني (القبائل المكونة للنسيج الديموغرافي) فيها مع بداية الاحتلال.<sup>2</sup> عمدا فيها عُنوي اللجنة العلمية الجزائرية (كاريت وفارنبي) على رسم لوحة للجزائر وأهم مميزات التضاريس

<sup>1</sup>Narcisse faucon, op Cit, p-p 631-638.

<sup>2</sup> للاطلاع على خريطة الجزائر مقسمة على القبائل من انجاز Carette و Warnier تصفح الموقع: gallica.bnf.fr/ark:/12148/btv1b72002410#, consulté le 21/01/2023 à 8 :15.

الطبيعية، ثم التوزيع السكاني حسب كل بيئة وخصوصيتها الاجتماعية الاقتصادية والسياسية في الفترة الأولى للاحتلال. تكشف هذه الدراسة التركيبية البنيوية للمجتمع الجزائري عن خصوصيات دقيقة متباينة في تركيبته، وكذا الولاء للسلطة الحاكمة في المقاطعات الثلاث الكبرى (الجزائر، قسنطينة، وهران)، نجم عنه تباين واضح في مقاومة الاحتلال من منطقة إلى أخرى وخير مثال عن ذلك (مقاومة أحمد باي والأمير عبد القادر) فضلا كانت منطلقا لإنجاز خريطة للجزائر وتوزع القبائل المشكلة لها.<sup>1</sup>

ويقدم المؤلفان صورة عن المجتمع الجزائري إذ يوثق: "...أن التقسيم الجغرافي للمقاطعات الثلاث لا يرتكز على النمط الطبيعي للبلد فحسب وإنما كذلك على النمط المعنوي أو الضمير الجمعي الذي يحكم المجتمع، ففي مقاطعة وهران تجد سلطة تيوقراطية "دينية" يتحكم فيها المرابطون وشيوخ الزوايا، في حين مقاطعة قسنطينة لها خصوصية "أرستقراطية" العائلات الغنية والتي شكلت نوعا من عصبه سياسية قوية، أما مقاطعة الجزائر تنقسم إلى نطاقين الأول أجزائها الغربية سلطة دينية في حين النطاق الشرقي والجنوبي لمقاطعة الجزائر لها نظام مثل قسنطينة..."<sup>2</sup>

ويرصد المؤلف التقسيم السياسي للجزائر على معطيات أساسية: الأولى اختلاف المصالح والميولات السياسية بين الشرق والغرب، ثانيا تشابك المصالح والاحتياجات المعاشية (القمح والتمر) بين سكان الجنوب والشمال<sup>3</sup>، وتشهد الجزائر توزعا سكانيا على الأرض ضمن تجمعات لها روابط توحيدها وبأطر تحدد وجودها، يحصرها كاريت ضمن ثلاث شرائح متباينة:

1. سلالات عائلية توارثت السيادة وترتبط بها مصالح القبائل التابعة لها، وهذه الخصوصية نجدها بمقاطعة قسنطينة مثل (مجانة، بلازمة، فرجيوة، زواغة، الزيبان...)<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> خريطة استراتيجية الأمير عبد القادر الدفاعية والقتالية من انجاز الطالب الباحث: ملحق رقم 1، ص 278.

<sup>2</sup>Ernest Carette & Auguste Warnier, *Description et division de l'Algérie*, librairie de L. Hachette et Cie, Alger, 1847, p14.

<sup>3</sup>Ibid, p16.

<sup>4</sup>Ibid, p17.

2. تجمعات اتحادية أو بما يعرف بالفيدرالية وهي عكس الأولى إذ ترتبط كل العائلات بعهد يوحدتها ضمن قبيلة واحدة قائمة على التآزر والتعاون فيما بينها، في صورة دويلات صغيرة، يتقاسم أفرادها الأدوار المنوطة بهم سواء الدينية أو الدنيوية، يتصدرها المرابطون لذا لها صبغة دينية، نجدها بمقاطعة وهران مثل فليطة وهاشم -قبيلة الأمير عبد القادر-<sup>1</sup>.

3. إدارية حيث يكون المكون السكاني ضمن منطقة أو دائرة على رأسها قائد أو باي، مرتبط مباشرة بمركز السلطة العليا للدولة، وهو الحال بمقاطعة الجزائر مثل (فحص الجزائر، سبت، بني خليل، بني موسى، سباو) وكذلك مقاطعة التيطري، وتجد له أمثلة مشابهة بمقاطعتي قسنطينة ووهران مثل (مخزن وهران الدواير والزماله)<sup>2</sup>.

كما يشير المؤلف إلى ملاحظة دقيقة: "...بأن القبائل الجزائرية سواء كانت مقيمة أو رحالة، تسكن المنازل أو الخيام، في السهول أو الجبال أو في الصحراء، فإنه يحكمها النشاط الاقتصادي: الزراعة والرعي والتبادل التجاري على وجه الخصوص، تضبط مجالها الحيوي ضمن نطاق جغرافي محدد لا يتغير، والقبائل الرحالة حركتها دورية ثابتة على مدار السنة صيفا وشتاء، أي لها وطن خاص بها..."<sup>3</sup> وعلى هذا الأساس فلا توجد في الجزائر قبائل من ليس لهم وطن أو بما يعرف بالغجر لدى الأوروبيين، وهي عكس ما يردده أغلب المؤرخين الفرنسيين بخصوص حالة المجتمع الجزائري باعتباره قبائل رحالة لا موطن لهم ليس صحيح.

وحقيقة الأمر حسب كاريت: "...هجرة القبائل لا تكون إلا في حدود ضيقة نتيجة حروب أو ظروف اقتصادية صعبة، أو لقبائل تابعة للسلطة تحرس الطرق الرئيسية وعلى الأسواق الكبرى في البلد (الأمن والجباية)، أو حالة قبائل مُحَكِّمة خصوصا للمرابطين تستقر بين قبيلتين متخاصمتين لدرأ فتيل النزاع..."<sup>4</sup>

ويقدم الكاتب تصوراً على التباين بين مقاومة الشرق والغرب الجزائري قائلاً: "...حالة شاذة عرفتها مقاطعة قسنطينة باستحواذ الدولة على أراضي شاسعة تقدر مساحة بعضها عشرة

<sup>1</sup>Ernest Carette & Auguste Warnier, op Cit, p18.

<sup>2</sup>Ibid, p-p 18-20.

<sup>3</sup>Ibid, p-p 22-24.

<sup>4</sup>Ibid, p-p 27-37.

آلاف هكتار، تعرف بالعزل، تستغل مباشرة عن طريق خماس "Quintenier"<sup>1</sup> أو تاجر للقبائل الرعوية، الرحالة، ويعود لسكان المدينة (قسنطينة) دور تحصيل ريعها، ولا يكون فيها سكان الريف سوى أجزاء، في حين مقاطعتي الجزائر ووهران تجد أراضي وأملاك الدولة على مساحات محدودة جدا وأغلب الأراضي هي ممتلكات عينية أي لأصحابها، وضمن هذه الروابط يمكن تفسير الخضوع الكامل للمقاطعة الشرقية التي تشغلها أراضي العزل بسقوط مدينة قسنطينة...<sup>2</sup>

## 2. بيليسي دي رينو Henri-Jean-François-Edmond Pellissier de Reynaud

(1858-1798) اختلفت المصادر الفرنسية في اسمه الأول وإن أجمعت على اسم إدموند، مؤرخ احتلال الجزائر حيث شارك كضابط في قيادة الأركان للحملة الفرنسية على الجزائر وأقام بها إلى سنة 1842. شغل سنة 1834 منصب مدير للمكتب العربي بمدينة الجزائر ثم مديرا للشؤون العربية إلى غاية 1839 حيث يستقيل من منصبه في عهد الحاكم العام فالي. كان ضمن حملة كلوزل على معسكر وتلمسان (1835-1836)، اختارته الوزارة الحربية كعضو للجنة العلمية أواخر سنة 1839. ساهمت كتاباته العديدة من أجل الاحتفاظ بالجزائر، وخاض سجالات في ذلك خصوصا ضد كتابات وتصريحات ديسجوبيير Desjobert. تقلد دي رينو وظائف دبلوماسية ممثلا لبلاده بعدة قنصليات بتونس، طرابلس، مالطا، وبغداد. اشتغل بعدها سنوات (1852-1857) على كتابة "تاريخ الدبلوماسية الفرنسية بالشرق وبلاد البربر 1792-1848". لقي حتفه في ماي 1858 عقب آخر مهمة دبلوماسية قام بها لترسيم الحدود الروسية التركية، أصيب إثرها بمرض خطير جراء المستنقعات الغير صحية على الضفاف الغربية للبحر الأسود. ترك مؤلف يحمل عنوان "حوليات جزائرية" في ثلاثة أجزاء، بدأها سنة 1836 وأعاد إصدارها مرة ثانية مزيدة ومنقحة إلى حين سقوط الأمير عبد القادر سنة 1847، ويعد مصدرا لتاريخ خمس عشرة سنة الأولى من احتلال الجزائر، نقل عنه

<sup>1</sup> خماس "Quintenier": عامل في الفلاحة يرتبط بعقد شفوي مع صاحب الأرض بحيث يحصل مقابل زراعة الأرض على خمس الغلة أو المحصول الزراعي في حين يعود باقي المحصول لصاحب الأرض، وهذا الأخير يوفر البذور والماء وأدوات الفلاحة. ينظر:

Amara Allaoua, *L'organisation foncière du Maghreb Central (VIIe-XIVe siècle)*, in-Al-mawaqif, Numéro 05, Université Emir Abdelkader, Constantine, 2010, p-p 53-65.

<sup>2</sup>Ernest Carette & Auguste Warnier, op Cit, pp 44.45.

كثير من المؤرخين الفرنسيين، مثل غالبيير Galibert في كتابه "تاريخ الجزائر القديم والحديث".<sup>1</sup> مؤلفاته:

17. Edmond Pellissier de Reynaud, **Annales Algériennes**, Tome Premier, Librairie bastide, Alger, 1854. (478 pages).

18. Edmond Pellissier de Reynaud, **Annales Algériennes**, Tome Deuxième, Librairie bastide, Alger, 1854. (517 pages).

19. Edmond Pellissier de Reynaud, **Annales Algériennes**, Tome Troisième, Librairie bastide, Alger, 1854. (535 pages)

في جزئه الأول من كتابه "حوليات جزائرية" (478 صفحة)، قدم في الفصل الأول لمحة جغرافية وتاريخية عن الجزائر وأسباب الحملة الفرنسية وخروج الحملة، ثم تطورات الحملة إلى سقوط الجزائر في الفصل الثاني، في الفصل الثالث والرابع بعض الأحداث الأولى التي أعقبت الاحتلال مثل مصير خزينة القصب والوعود المطمئنة للسكان وبعض الهيئات الإدارية للاحتلال، وأولى العمليات العسكرية، في الفصل الخامس والسادس فترة حكم الجنرال كلوزل Clauzel، ثم فترة حكم بيرتيزان Berthezène وجهوده لفتح قنوات اتصال مع الجزائريين وظهور محي الدين على رأس الجزائريين بالغرب في الفصلين السابع والثامن، أما الفصلين التاسع والعاشر خصصه لفترة حكم روفيقو Rovigo وجهوده في انشاء القرى النموذجية وسياسته مع الجزائريين وارتكابه لمجازر العوفية، في الفصل الحادي عشر خلق المكاتب العربية وكذلك تشكيل الصبايحية، أما في الفصل الثاني عشر أغلب المواجهات العسكرية التي قام بها الجزائريين في نواحي متيجة (بني خليل، الحجوط، دويرة، بوفاريك) إلى شرشال والتيطري. ليأتي الفصل الثالث عشر ليفصل في مجريات أحداث القطاع الوهراني بين دي ميشال والأمير عبد القادر، ثم الفصل الرابع عشر والخامس عشر عن مجمل الإجراءات الإدارية والعسكرية للسلطات الاستعمارية بالجزائر في عهد فوارول Voirol ثم خليفته ديرلون d'Erlon،

<sup>1</sup>Edmond Pellissier de Reynaud, **Annales Algériennes**, Tome Premier, Librairie bastide, Alger, 1854, p-p VI-2.

Narcisse faucon, **Le livre D'or de L'Algérie**, op Cit, pp 492.493.

Adrien Berbrugger, **Notice sur M. Pellissier**, in-Revue Africaine, Volume 2, A. Jordan Libraire-éditeur, Alger, 1857-1858, p-p 419-426.

في حين جاء الفصل السادس عشر عن تجدد المواجهات خصوصا تحت لواء الأمير عبد القادر في كل من التيطري ومعركة مولاي إسماعيل ونكسة المقطع.

في الجزء الثاني من "حوليات جزائرية" (517 صفحة) يواصل بيليسي سرد وقائع الاحتلال ويحتفظ باستمرارية ترقيم الفصول، فيبدأها في الفصل السابع عشر بعودة كلوزل وحملة معسكر، وفي الفصل الثامن عشر حملة تلمسان وبعض المواجهات التي شهدتها، وكذلك المواجهات التي شهدها حوض التافنة منها معركة السكاك في الفصل التاسع عشر، في الفصل العشرين والواحد وعشرين وقائع حملة قسنطينة الأولى، ثم بعد الترتيبات الإدارية الاستعمارية. في الفصل الثاني والعشرون بعض الأحداث المرتبطة بتوقيع اتفاقية التافنة، فحملة قسنطينة الثانية وبعض التنظيمات الإدارية التي أعقبتها في الفصل الثالث والعشرون والرابع والعشرون، وجاء الفصل الخامس والعشرون يحمل في طياته بعض الأحداث المرتبطة بالأمير عبد القادر مثل تحركه ضد الزواتنة وارساله سفارة إلى باريس في عهد ماريشال فاله Valée، وحملة عين ماضي وامتداد سلطة الأمير إلى مقاطعة قسنطينة في الفصل السادس والعشرون، وفي الفصلين السابع والعشرون والثامن والعشرون على التوالي حيثيات أحداث تخص الشرق الجزائري منها احتلال ميلة وجيجل وكذلك حملة البيبان ونقض معاهدة التافنة، والفصلين التاسع والعشرون والثلاثون مجمل المواجهات العسكرية التي أعقبت نقض معاهدة التافنة إلى حين استدعاء فاله. ثم حملات بيجو كحاكم عام والتي أسقطت أغلب القلاع في الفصل الواحد والثلاثون، والفصل اثنان وثلاثون أحداث شهدها الشرق الجزائري في نفس الفترة.

أما الجزء الثالث من "حوليات جزائرية" (535 صفحة) يواصل بيليسي في سرد كرونولوجي أحداث سقوط مدن وقلاع الأمير عبد القادر في الفصول الثالث والثلاثون والرابع والثلاثون، فسقوط الزمالة واستشهاد بن علال ولجوء الأمير عبد القادر إلى الأراضي المغربية في الفصل الخامس والثلاثون، انشاء القرى الأوروبية بالمقاطعة الشرقية بعد خضوع أغلب المناطق في الفصل السادس والثلاثون، في الفصل السابع والثلاثون توغل الحملات الفرنسية إلى مغنية على الحدود الغربية وبسكرة على الجهة الجنوبية الشرقية، أما الفصل

الثامن والثلاثون تطورات الأحداث بين الاحتلال الفرنسي والمملكة المغربية والتي انتهت بمعركة إزلي وتوقيع معاهدات بين الطرفين. وفي الفصل التاسع والثلاثون محاولات الأمير للنهوض بالجهاد في الجزائر وانتفاضة الظهرة والتي انتهت بمعركة سيدي إبراهيم، ومحاولات جنرالات الاحتلال في تتبع أثر الأمير عبد القادر ومقتل الأسرى الفرنسيين بالدائرة في الفصل الأربعون، في الفصلين الواحد والأربعون والثاني والأربعون تحليل لمجمل القوانين المؤطرة للهيئات الإدارية والتي تخص الجزائريين والكولون. في الفصل الثالث والأربعون والأخير احتدام الصراع بين الأمير عبد القادر والمغرب، ثم توقيف القتال وإرساله إلى فرنسا. وفي الأخير ملحق لمخلص تاريخي يشمل الأحداث السياسية والعسكرية بعد سقوط الأمير عبد القادر إلى سنة 1854.

يعود بيليسي في الجزء الأول من كتابه "حوليات جزائرية" إلى المرحلة الأولى لمبايعة الأمير عبد القادر كأمر بعد اعتذار أبيه لتولي هذا المنصب، وفي تقديري جرت العادة قديما وحديثا لدى الكتاب الفرنسيين إذ تستهويهم كثيرا أساطير وخرافات ونوادير حكايات الجزائريين، والتي تروى على لسان فقراء أو دراويش أو شيوخ المرابطين ويحاولون اثباتها في الحق المجتمع وسلطته، وبيليسي أدلى بدلوه هو الآخر حين يسجل مثلا قيامه سلطة الأمير عبد القادر مبينة على بشارات أحلام المرابطين منها: "...رؤية المرابط جبريل يعلمه أن إرادة الله اختارت عبد القادر ليحكم الجزائر، ويعتقد فيها الأتباع كثيرا كأحد شروط الإيمان..."<sup>1</sup>

يتفق ما أورده بيليسي في حولياته وأحيانا بنفس الترتيب وبنفس العناوين لما كتبه دي ميشال في كتابه عن تكوين الأمير عبد القادر كأحسن ما يكون القائد، وذكر للمواجهات الأولى للأمير عبد القادر في القطاع الوهراني.<sup>2</sup> وفي تقديري فإن بيليسي أخذ عن دي ميشال بحكم أن الأول لم يزر وهران، لكن بيليسي بحكم قربه من صناعة القرار في الجزائر أورد عدة ملاحظات مهمة غفلها أو غفلها أو أخفاها دي ميشال في كتابه منها:

<sup>1</sup>Edmond Pellissier de Reynaud, *Annales Algériennes*, Tome Premier, op Cit, pp 264.265.

<sup>2</sup>Ibid, pp 347 & suivantes.

1. الحملات العسكرية خارج وهران التي كان يقوم بها دي ميشال ويسجلها بفخر في كتابه وأسماء ضباطه المشاركين فيها، يوردها ببليسيي ما هي إلا هجوم ليلي مباغت على بعض الدواوير المعزولة يأسر بعض الرجال والنساء، ويستولي على قطعان الماشية توفر له مؤونة لجيشه كانوا في أمس الحاجة إليها، ويصف حملات الجيش الفرنسي بأنها تمتهن النهب والسلب والقتل.<sup>1</sup>

2. العزوف عن خوض المواجهة المباشرة مع الأمير عبد القادر، إذ يكفي دي ميشال بالتخندق وراء خط دفاعي من الحواجز الترابية تحجب الرؤية عن الجزائريين وتوفر للجيش الفرنسي المتحصن وراءها الحماية والقدرة على توجيه النيران خصوصا المدفعية التي تعطيهم التفوق. ويسجل مناورة دي ميشال في 2 ديسمبر 1833 عند رجوعه من حملة سلب ونهب على إحدى الدواوير، تواجهه قوات الأمير، فيضطر إلى إطلاق سراح النساء والأطفال في حركة أراد بها تثبيط المقاتلين عن هدفهم في ملاحقة قواته، ليخوض دي ميشال حرب انسحاب إلى وهران، وكان لسلاح المدفعية دائما الدور المحوري كذلك في نجاة كتيبة الجنرال، ورغم ذلك لاحقتهم قوات الأمير عبد القادر إلى مشارف وهران.<sup>2</sup>

3. تسجيل اختلاف جوهري في بنود اتفاقية 26 فيفري 1834 مضمونا وصياغة، ففي حين يورد دي ميشال البند الرابع مبهما: "السوق تكون حرة"، لكن ببليسيي يكشف عن معطى في غاية الدقة لشروط الأمير عبد القادر والتي وافق عليها الجنرال دي ميشال وختمها بطابعه، فجاء محتوى البند الأول يحمل في مضمونه: "للجزائريين مطلق الحرية للتزود بكل الذخائر الحربية"، أما البند الثاني: "تكون تجارة مرسى أرزيو وبالخصوص تصدير القمح تحت سلطة الأمير عبد القادر، في حين تحصل المدينتين وهران ومستغانم وهما تحت إدارة السلطة فرنسية على ما يلبي احتياجاتهما فقط"، اضطرت ببليسيي يعقب على ذلك: "...لظروف لا أريد أن أخوض فيها بنود اتفاق (شروط الفرنسيين) هي ما تم إعلام الحكومة بها..."<sup>3</sup> والبنود التي ذكرها دي ميشال في كتابه أعاد تثبيتها ببليسيي كذلك.

<sup>1</sup>Edmond Pellissier de Reynaud, *Annales Algériennes*, Tome Premier, op Cit, pp 347.348.

<sup>2</sup>Ibid, pages 349.350 et 365.366.

<sup>3</sup>Ibid, p-p 369-371.

4. أنكر دي ميشال وجود هذا الاتفاق المتنازع عليه بعد ما أراد فوارول Voïrol استيضاح أمر حصرية تصدير القمح من طرف الأمير عبد القادر، لكن دوراند Durand ممثل الأمير بالجزائر يعلم الكونت ديرلون Comte d'Erlon أن الاتفاق مع دي ميشال يقضي باحتكار الأمير تجارة القمح بأرزيو، ويضع بين يديه الاتفاق المبرم، ليقوم على الفور باستدعاء دي ميشال وتعيين تريزل Trézel مكانه<sup>1</sup>. وهذه الوثائق تناقض تماما ما ذهب إليه دي ميشال في كتابه بأن سبب عزله كان رفض مشروعه القائم على تثبيت تهديئة شاملة بكل الجزائر<sup>2</sup>.

5. استيلاء دي ميشال على مستغانم بما فيها مزغران ومطمور في ثلاثة أيام، وإحيائه حفلا عسكريا أطلقت فيه المدافع 21 طلقة، وتفاخره بذلك<sup>3</sup>، فلم يذكر أنها قدمت له على طبق من ذهب، لكن بيليسي يذكّر أن قائد الحامية التركية "القائد إبراهيم" يسلم المدينة للفرنسيين ليدخلها دي ميشال يوم 28 جويلية 1833، وأمر حتى بعض قادة الأبراج والحصون التي عزمت على المقاومة بالتسليم، وكان هذا الأخير قد رفض الدخول في عهد الأمير عبد القادر، ومدينته محصنة وتحوي على عدد لا بأس به من المدافع من العيار الكبير، بمقدورها رد حملة دي ميشال بكل سهولة، لكنه يقدمها لقمة سائغة ودون قتال يذكر للفرنسيين<sup>4</sup>.

وفي تقديري تبرز كثير من كتابات الفرنسيين القوى المناوئة وترصد كل كبيرة أو صغيرة من أخطاء بعض القبائل اتجاه الأمير عبد القادر كنوع من عدم الاجماع على سلطته وبالتالي تطعن في شرعيته كحاكم للجزائر، فنجد بيليسي يعدد لكل القوى المناوئة لسلطة الأمير الناشئة: "...سيدي لعريبي على شليف، مصطفى بن إسماعيل رئيس الدوائر، قدور بن مخفي رئيس البراجية، الغماري على أنجاد، سيدي حمادي على تلمسان، فضلا على قلعتها كولوغلي المشور، بل ناوآته حتى القبائل التي بايعته مثل بني عامر التي رفضت أداء العشور "الزكاة" بحكم الصلح المبرم (معاهدة دي ميشال) يرفع عنها هذا الأداء..."<sup>5</sup> لكن بيليسي يردف على

<sup>1</sup>Edmond Pellissier de Reynaud, *Annales Algériennes*, Tome Premier, op Cit, pp 373,446.

<sup>2</sup>Louis Alexis Desmichels, *Oran sous le commandement du général Desmichels*, op Cit, p183.

<sup>3</sup>Ibid, pp 44.45.

<sup>4</sup>Edmond Pellissier de Reynaud, *Annales Algériennes*, Tome Premier, op Cit, p 357.

<sup>5</sup>Ibid, p-p 373-377.

ذلك بالإقرار التالي: "...في ظرف سنة واحدة مارس 1834-مارس 1835 كانت سلطته فضلا عن مقاطعة وهران، تمتد إلى مقاطعة التيطري مليانة والمدية، بل إلى مشارف مدينة الجزائر (حجوط وبني خليل)..."<sup>1</sup>

يرصد لنا بيليسي نوايا الفرنسيين بنقض معاهدة دي ميشال: "...تريزل Trézel ينفخ على وتر النعرات لدوائر وزمالة ومن والها لتدخل في حلف الفرنسيين، ليعقد معها اتفاقا يوم 16 جوان 1835-كان الأمير على علم بكل تفاصيله-، تعترف فيه بالسيادة الفرنسية وتحفظ بامتيازاتها كما كانت لها سابقا في عهد العثمانيين، ثم يتقدم بقواته جنوبا إلى واد تليلات، معلما الأمير بالوضع الجديد، وبأنه غير ملزم بالتعهدات السابقة..."<sup>2</sup>

كانت خطوات تريزل ممهدة لمعركة المقطع الشهيرة، يقول عنها بيليسي: "...تتجمع قوات الأمير على مشارف سيق، وفي يوم 26 جوان تدخل أرتال الجيش الفرنسي غابة مولاي إسماعيل، وعلى الساعة الثامنة صباحا كان هجوم الأمير ليوقع فيهم خسائر بالغة، تريزل ممتعض جدا من عدد قتلاه وجرحاه يقضي يوم 27 جوان بسهل سيق، ويوم 28 يعود قافلا ناحية أرزيو، الأمير علم بمساره، فقطع عليه الطريق عند مضيق الهبرة إلى خليج المستنقعات -يحمل اسم المقطع- ليوقع بهم خسارة جسيمة، كان من نتائجها أطاحت بمناصب القادة تريزل يعوض بالجنرال دارلنج D'Arlanges ويغادر الكونت ديرلون Comte d'Erlon الجزائر..."<sup>3</sup>

كما يقدم الجزء الثاني من كتاب "حوليات جزائرية" أخبارا عن معركة المقطع كما رآها صاحب الكتاب: "...تعيين كلوزل من جديد كحاكم عام في 10 أوت 1835، وبدأها بتصريحه الشهير (خلال شهرين لم يعد لحجوط وجود)، في عمل ممدد للانتقام لإهانة المقطع، وحملات تحمل طابع السلب والنهب والحرق، ودمار لم يبق حجر فوق حجر وحرقت لكل شجر (تخريب كل المنازل ومخازن التبن والمؤن)، بالمقابل يفرض على القبائل بايات موالية للفرنسيين، سياسة

<sup>1</sup>Edmond Pellissier de Reynaud, *Annales Algériennes*, Tome Premier, op Cit, pages 378, 450-453.

<sup>2</sup>Ibid, p-p 456-459.

<sup>3</sup>Ibid, p-p 460-469.

كلوزل لم تكن لتطمس حقيقة قساوة المواجهة العسكرية مع الجزائريين لدى الضباط الفرنسيين...<sup>1</sup> لذلك جاء تعليق بيليسي على بأس المقاومة الجزائرية كالتالي: "...كانت استراتيجية العسكرية للأمير عبد القادر في التصدي لحملة كلوزل تلقى اعجاب لدى جنرالات فرنسا...<sup>2</sup>

رغم ذلك لا يتورع بيليسي في تقزيم جهاد الجزائريين، حين وصف مقاومة القبائل تحت لواء الأمير عبد القادر ب "ممارسة للصوصية ضد الحاميات الفرنسية" في الفصل الخامس والعشرون، ومحاولة بسط الأمير سيادته على الشرق الجزائري بالتوصيف التالي "السطو على سلطة مقاطعة قسنطينة" في الفصل السادس والعشرون.<sup>3</sup> كما لا يتردد بيليسي في نقد بعض الخرجات العسكرية للجيش الفرنسي ووصف الأشياء بمسمياتها فيعطي رأيه الصريح مثلا في عبور الجيش الفرنسي بقيادة أورليانز d'Orléans أبواب الحديد "البيبان" لم تكن له نتائج عسكرية ملموسة على أرض الواقع ويقول عن ذلك: "...رحلة الأمير أورليان، أعطيت لها رمزية سياسية كإنجاز عسكري تكفل فالي بالترويج له واطهاره كأن الاحتلال أحكم قبضته على الطريق البري بين قسنطينة والجزائر...<sup>4</sup>

في الجزء الثالث من "حوليات جزائرية" يستمر في سرد الوضعية العسكرية إلى انتهاء مقاومة الأمير، ومحاولاته الحثيثة في استعادة مبادرة المقاومة، ضمن الفصول التاسع والثلاثين والأربعين والواحد والأربعين والفصل الأخير الثالث والأربعين بانتهاء القتال وأخذه إلى فرنسا.

### 3. لويس بلان Louis Blanc (1822-1811)

ولد بمدريد، صحفي ومؤرخ فرنسي، عُرف بكرهه للثورة الفرنسية التي حملت جده إلى المقصلة وكادت أن تطيح برأس أبيه لولا تدخل أحد السياسيين، عضو الحكومة الفرنسية المؤقتة سنة 1848، شارك بمقالات عدة بجريدة 'الاتجاه الصحيح Le bon sens' وانتقد فيها سياسية نابوليون الثالث، ألف 'تاريخ الثورة الفرنسية' أكمله بالمنفى، ليعود إلى فرنسا بعد هزيمة

<sup>1</sup>Edmond Pellissier de Reynaud, *Annales Algériennes*, Tome Deuxième, op Cit, pages 2-6,10.

<sup>2</sup>Ibid, p 24.

<sup>3</sup>Ibid, pages 247, 271-273.

<sup>4</sup>Ibid, pp 333.334.

1870 ويصبح ممثلاً في المجلس الوطني سنة 1871 ثم نائبا (1876-1882) يناضل عن حرية مطلقة للصحافة، وحقوق غير محدودة للتجمع والجمعيات، وفصل الكنيسة عن الدولة.<sup>1</sup> له مؤلف:

20. Louis Blanc, **Histoire de dix ans (1830-1840)**, F. D Jean maire éditeur, Paris, 1882.(1042 pages)

"تاريخ عشر سنوات 1830-1840" مؤلف ضخم من 1024 صفحة وعلى مدار 27 فصلا يؤرخ لفترة حساسة من تاريخ فرنسا، والصراع على السلطة بين الملكية، رجال الكنيسة، النبلاء، البرجوازيين والليبراليين، وثورة 22 جويلية على الملك شارل العاشر وتداعياتها، وتعريف دقيق للنظام السياسي الفرنسي وعلاقاته الداخلية والخارجية خلال هذه العشرية. وفي الأخير يفرّد قسم للوثائق التاريخية من مراسيم ملكية، خطابات، ووثائق دبلوماسية. ففي الفصول 1، 2، 3، 4 و 5 حكومة بولينياك والسياسة الخارجية الفرنسية، أحداث متعلقة بالدوقة بيري Berri، وفساد الأعراف عن الصراعات التي عرفتھا باريس، السياسة الخارجية الفرنسية اتجاه الشرق وحملة سفوا. في الفصول 6، 7، 8، 9 و 10 السمة العسكرية لليون، وضعية السفارة الفرنسية بسانت بطرسبرغ، انتخابات 1834، محاكمة الإرهاب الملكي وحكومة 11 أكتوبر. في الفصول 11، 12، 13، 14 و 15 محاكمة أفريل، التدخل الفرنسي في اسبانيا، مكائد البلاط وسقوط الحكومة، محاكمة بعض الشخصيات، ردود الأفعال الدولية على ثورة جويلية. في الفصول 16، 17، 18، 19 و 20 اعتداء 1836، الحكومة الفرنسية تتحالف مع السياسة القارية، قدوم حكومة مولي Molé، لمحة عامة عن شؤون الجزائر، توسيع نطاق مساجين هام Ham. في الفصول 21، 22، 23، 24 و 25 اعلان زواج الدوق أورليان ومناقشة مسألة الجزائر، شؤون الجزائر معاهدة التافنة وسقوط قسنطينة، موقف الحزب الديموقراطي، الأعمال التشريعية لسنة 1838، محاكمة هوبير Hubert. الفصول 26 و 27 أولى المداولات بين أقطاب الائتلاف الحكومي، المسألة الشرقية محمد علي بمصر وخاتمة.

<sup>1</sup>Adolphe Robert & Gaston Cougny, **Dictionnaire des Parlementaires Français 1789-1889**, Tome premier, Bourolton éditeur, Paris, 1890, p-p 335-338.

يعرج لويس بلان على بعض الأحداث التي تخص الجزائر، حيث يفرد في المدخل حيزاً للظروف والتحضيرات والعوامل الفعلية، وكذا السياق الدولي للاحتلال الجزائري، في القسم يحمل رقم 49 (XLIX) الحملات التوسعية الأولى وقيامه الأمير عبد القادر وحروبه مع الفرنسيين، وتقديم تبريرات لفشل المحاولة الأولى لسقوط قسنطينة، في القسم يحمل رقم 52 (LII) معاهدة التافنة وسقوط قسنطينة. ويلحق في الأخير ضمن الوثائق التاريخية اتفاقية السلم بين الجنرال دي ميشال والأمير عبد القادر، يذكر فيها شروط الجزائريين والفرنسيين. واتفاقية التافنة بين الجنرال بيجو والأمير عبد القادر.<sup>1</sup> ويرى الباحث هي نفس البنود التي ذكرها بيليسي دي رينو في حولياته.

وعن سياق هذا الغزو يذكر لويس بلان "...أن فرنسا كان وضعها الداخلي والعالمي قد تغيراً تغييراً جذرياً بعد ثورة 1789، إذ أصبحت معه دولة صناعية بالدرجة الأولى وقوتها التنافسية لم تعد تسمح لها إلا بعقد اتفاقات قارية، غير أن مغامرتها التوسعية السابقة النابليونية في أوروبا أوصلتها إلى نتائج كارثية، وتركت بنود معاهدات 1815 آثاراً حارقة يجب محوها، بالقيام بتحريك توسعي يستهدف الجزائر..."<sup>2</sup>

كما يورد لويس بلان الصراعات العنيفة وغير المنتهية على رأس السلطة وعلى أشدها، بين سلطة الملك وسلطة البرلمان: "...عزم شارل العاشر وحسب تفكيره بأن حرب الجزائر ستجعل من ملكه خارج مجال الخطر، في حين كانت القوى الليبرالية معترضة عليها والبرجوازية بأقل حدة، ومهولين للرأي العام من أمرها ومشككين في نتائجها، شهدتها مناقشاتهم على صفحات الجرائد، لدرجة أن دي بورمون De Bourmont كان يحمل معه خفية مرسوماً يمنحه سلطة قيادة القوات البرية والبحرية معاً، بعد عزوف أغلب أميرالات البحرية قيادة أسطول الاحتلال وتردد دوبيري Duperré هو الآخر..."<sup>3</sup>

<sup>1</sup>Louis Blanc, *Histoire de dix ans (1830-1840)*, F. D Jean maire éditeur, 1882, Documents Historiques, p 46.

<sup>2</sup>Ibid, p-p 8-10.

<sup>3</sup>Ibid, p-p 11-14.

وعن سياق الحملة وتلقي نبأ سقوط الجزائر على يد الجيش الفرنسي يقول: "...لم تكن مائة طلقة مدوية بسقوط الجزائر وفرح الملك شارل العاشر بمعاينة البارون d'Haussez خارقا بروتوكولات القصر، لتشفع له، إذ تلقته القوى الليبرالية والبرجوازية بفرح ممزوج بمرارة وجلب الحزن لنصف فرنسا، فقد كانت المعارضة تتحين أي غلطة لسقوطه، ومع ذلك راحت سهام الانتقادات توجه إلى دي بورمون وصيرورة الحملة، واعترضوا حتى على لقب (نبيل) الذي منح له، ولم يسلم الملك من الإشاعات وتجد من ينفخ فيها إذ يصل الازدراء به على ترديد مقولة (بائع الفحم هو سيد في أهله فكن أنت سيدا في قصرك)..."<sup>1</sup>

لكن يسجل لويس بلان إشارة دقيقة عطا على الانتقادات التي وجهت لهذه الحملة: "...أن التقرير المالي لسيد شابرول Chabrol يعلن سنة 1831 عن فائض في الخزينة العمومية ب 3 ملايين، بعد أن بسطت فرنسا سيطرتها على ثلاث مدن فقط (الجزائر وهران وعنابة)..."<sup>2</sup> في القسم التاسع والأربعون (49) يرجع لويس لتقديم لمحة عن أحوال الجزائر مستفتح بالمهمة التاريخية لفرنسا بالجزائر وبياهي بالحروب الصليبية: "...الشعب الفرنسي هو الجدير بتحرير البحر الأبيض المتوسط من القراصنة، وفرنسا استعادت بكثير من الإشعاع الحضاري وبأقل من التزمت التقاليد الكبرى للحروب الصليبية، وحمت مرة أخرى الحضارة..."<sup>3</sup> وفي تقديري أن الحضارة لا تذكر في كتابات الفرنسيين إلا نعتا للأوروبي عموما والفرنسي تحديدا وكأنها حkra عليهم، وليس لمفهوم تطور مادي وعلمي وثقافي يرتبط بالإنسان عموما. ولا يجدون في الشعوب المقاومة لهم إلا صفة "البربري" "Barbare"، وفي الشعوب الأقل عداوة وربما بحكم تقاسمها معهم للحيز الجغرافي الأوروبي مثل الروس، لقب "نصف بربري" "Demi-Barbare"<sup>4</sup>.

ويحاول الكاتب استلهم تجربة حكم العثمانيين مع لمسة فرنسية إذ يقول: "...في مجتمع فلاحي بالدرجة الأولى تمكن العثمانيون من إيجاد تركيبة ذكية لحكمهم قائمة على الشدة

<sup>1</sup>Louis Blanc, op Cit, pp 17.18.

<sup>2</sup>Ibid, p 18.

<sup>3</sup>Ibid, p 876.

<sup>4</sup>Ibid, p 9.

والحيله (الولاء للخلافة الإسلامية وخلق تفرقة وتناحر بين القبائل) لتكون لهم اليد العليا كحامي للديار ووحدتها، في حين العبقرية الفرنسية صاحبة النزعة المسيحية تفتقت عن حل عوض إفنائهم، يتم إخضاعهم ضمن إمبراطورية معنوية، وأن الاحتلال العسكري لا يكون إلا في شمال الجزائر وفي حال خضوعه يكون الجنوب بين أيدينا، لاعتماده على الشمال في تصريف منتجاته وتأمين حاجياته المعيشية خصوصا القمح...<sup>1</sup>

والملاحظ أن الكاتب حسب زعمه يجعل من أرض الجزائر وشعبها حقلًا لتجارب مفكرهم ومنظريهم بعد أن عرج على المأمول من الحملة العسكرية الفرنسية على الجزائر حيث يقول: "...ندخل على الجزائريين سلطة توحدهم، وإشعاع حضاري لفنون وتقاليد رفيعة، بالمقابل توفر البيئة الجديدة حقلًا واسعًا لتطبيق نظرياتهم، واختبار تجاربهم بخصوص إصلاح المجتمع بدون مخاطرة، على عكس بيئة أوروبا القديمة، لكن سلطات الاحتلال الفرنسي لم تكن ترى في الجزائر إلا ميدانًا لمعركة، وأن خطأها الأول عدم تسخير موارد كافية لهذا الاحتلال، وكان يجب الضرب بقوة تردع هذا الشعب الذي لا يؤمن إلا بالقوة..."<sup>2</sup>

لم تكن لسياسة القوة ولا لسياسة الاحتواء بتعيين بايات موالين للفرنسيين النجاح إذ يعلق لويس بلان: "...جهود كلوزل (سبتمبر 1830-فيفري 1831) في تطبيق نظام الحكم العثماني، والاحتفاظ ببايات موالية لفرنسا، بإزاحة باي التيطري بومرزاق وتعويضه بمصطفى بن عمر، منح وهران لإحدى بايات تونس زادت الوضع تدهورًا، ولم تكد لتنتهي سنة 1831 حتى انتهى معها كل ما عول عليه كلوزل، وتنتهي فترة خليفته برتيزان Berthezène الذي بالكاد استطاع تخليص باي المدينة من انتفاضة القبائل الثائرة (سيدي سعدي، بن عيسى، بن زعموم، وابن الباي السابق بومرزاق)، وظلت فترة الدوق دو روفيغو Duc de Rovigo إلى مارس 1833 على حالها عدا إبادة قبيلة العوفية، وظل الاحتلال منحصرًا فقط في (عناية، الجزائر والضواحي، وهران ومرسى الكبير)..."<sup>3</sup>

<sup>1</sup>Louis Blanc, op Cit, p 877.

<sup>2</sup>Ibid, pp 877.878.

<sup>3</sup>Ibid, pp 879.880.

يُشرح لويس بلان الوضعية السياسية للجزائر في هذه الفترة والتي لها صبغة سياسية بالشرق، ونمط إقطاعي بالجنوب، أما بالغرب هي عبارة عن سلطة دينية يتزعمها المرابطون، ويخص الأمير بهذا الوصف: "...الأمير عبد القادر ينحدر من هذه الخصوصية الأخيرة، ساهمنا (الفرنسيون) في تأسيس قوة الخصم، مع ذلك كان جدير بالدور المنوط به كقائد ومحرم للبلاد، ولم تكن تنقصه الموهبة، طموح ممزوج بالحدز، سيد في صنع قراراته، رجل دين ودولة..."<sup>1</sup>

يعلق لويس بلان على معاهدة دي ميشال: "...في الوقت الذي كان يجب فيه ملاحقة الأمير والقضاء عليه، يعتقد الجنرال Desmichels بضرورة التفاوض معه على السلام وهو ما ثم في 26 فيفري 1834، وحتى يمتن هذا الاتفاق يرسل للأمير 100 بندقية و 500 كيلوغرام من البارود على شكل هدايا..."<sup>2</sup> ويضيف لويس بلان: "...أبرم الاتفاق على أساس ندية، والأمير عبد القادر السيد الأعلى في كل مخرجاته، عزز من سلطته أمام المنافسين أمثال مصطفى بن إسماعيل، وأرسى القواعد لإحياء وإنشاء وطنية عربية، من جهة أخرى كانت السلطات العليا الاستعمارية متأرجحة ومتذبذبة، فقد خرجت توصيات اللجنة الإفريقية التي زارت الجزائر مطلع سبتمبر 1833 بالآتي في الأمر الصادر يوم 22 جويلية 1834 (الشرف ومصلحة فرنسا يستوجب المحافظة على ممتلكاتنا بالجزائر..."<sup>3</sup>

وعن نتائج معاهدة دي ميشال يقول لويس بلان: "...استثمر الأمير السلم المبرم في بسط سيطرته على مليانة والمدية، ولاقى فيها الدعم والمؤازرة من طرف السكان، غير أن الدوائر والزمالة شذت عن هذا الإجماع الوطني، وأقامت تحالفا مع الجنرال ترزل Trézel، وهي الأحداث التي مهدت لمعركة المقطع الشهيرة 26 جوان 1835، والانتصار الكبير الذي حازه الأمير تردد صداه، وذاقت طعم مرارته كل ناحية بفرنسا، لم يكن ينادى معها سوى على اسم واحد المارشال كلوزل لرد الاعتبار..."<sup>4</sup>

<sup>1</sup>Louis Blanc, op Cit, p880.

<sup>2</sup>Ibid, p881.

<sup>3</sup>Ibid, p882.

<sup>4</sup>Ibid, p883.

يوثق لويس بلان لحملات الجيش الفرنسي: "...كان لحملة كلوزل على معسكر نهاية 1835 هدف واحد، محو من أعين الجزائريين النصر المجيد الذي تُوج به الأمير في المقطع، وحملة أخرى في جانفي 1836 على تلمسان، فرض على حلفائه ضريبة أثارت اتهامات عنيفة ضده...<sup>1</sup> ويقدم التوصيف الآتي لهذه الحملات الاجرامية وجنودها: "...لم تترك سوى بصمات من الخراب، ومطاردة مستمرة للإنسان وبشكل مأساوي، لیتساءل عن جدوى وحقيقة هذا الاحتلال؟ وما هي اللوحة المراد رسمها غير حملات تفترس كالوحوش! وأعطت للجنود تكوين الوحوش الضارية، فغنائم قبيلة العوفية بيعت بباب عزون (أقراط ملطخة بالدماء، وأساور مربوطة لأيدي مقطوعة)، ووصل الجشع باستغلال عظام الموتى، وحجارة القبور للمباني، على نسق ما تفعله العصابات المغامرة والنهمة، والتي جعلت **Desjobert** و **Passy** يتندر من مآل هذه المشاريع...<sup>2</sup>"

من جهة أخرى يعرض لويس بلان كيفية معالجة الغرفة البرلمانية هذه المجازر: "...عوض إثارة هذه القضايا وأبعادها الخطيرة، راحت تعمل على تحديد الاعتمادات المالية، وتلح على تقليص تعداد القوات، وكأنها تقايض مع هذا الاحتلال على هذا الظلم والفوضى.<sup>3</sup> لتأتي معركة السكاك يوم 5 جويلية 1836 لتُرسِم فكرة الاحتلال الكلي وغير المحدود، وكان عراب الإمبريالية والاستعمار تيار **Thiers** لا يرى في الجزائر سوى مشئلة جنود أشداء.<sup>4</sup> ليفصل بلان في حيثيات حملة قسنطينة الأولى الفاشلة بقيادة كلوزل في نوفمبر 1836، ويعطيها عدة مبررات سواء قلة الاعتمادات والقوات المرصودة لهذه الحملة، طقس الشتاء القارس، ورغم محاولات حثيثة للقوات الفرنسية لم تنجح في دخول المدينة، واضطرت إلى الانسحاب، لتسقط على المارشال كلوزل وابل من الانتقادات الشديدة كانت تنرصدها الطبقة السياسية ومناوئون له.<sup>5</sup>

<sup>1</sup>Louis Blanc, op Cit, p884.

<sup>2</sup>Ibid, p885.

<sup>3</sup>Ibid, p886.

<sup>4</sup>Ibid, pp 886.887.

<sup>5</sup>Ibid, p-p 887-893.

في القسم الثاني والخمسين يستعرض لويس بلان الوضع في المقاطعة الغربية: "...يمارس بيجو سلطة شبه مستقلة في القطاع الوهراني عن الحاكم العام دامريمون Damrémont مما أثار حفيظته، وعوض مطاردة الأمير يدخل معه في محادثات بخصوص السلم، الذي عقد في جوان 1837...<sup>1</sup>. يسجل لنا بلان تلك النبذة الاستعلامية لبيجو "...مادام السلم معقودا لن تمس محاصيل الجزائريين...", في حين كانت جواب الأمير على السليقة وبكل إباء، "...يمكنك فعل ذلك وبتصريح مكتوب مني إن شئت، فقومي لا ينفذ عنهم القمح...", وبالمختصر خرج بلان بالنتيجة التالية عدا بعض المدن الساحلية المحصورة والمخنوقة، فقد أصبحت كل البلد بيد الأمير عبد القادر.<sup>2</sup> ويشير لويس بلان إلى شبهات حامت حول بيجو وأن بعض بنود الاتفاق لم تكتب، لتمويل بعض أغراضه الانتخابية، غير أن أنظار الفرنسيين كانت موجهة للحملة على قسنطينة والتي كانت الاستعدادات لها على قدم وساق ثارا للحملة الأولى.<sup>3</sup>

#### 4. كارلوس بوفيل Carlos Bouville

عضو الجمعية الشرقية، تحت وصاية وزارة المستعمرات والمشاريع الاستعمارية الفرنسية البلجيكية (1846-1863)، له مذكرتان بخصوص الإمكانيات اللازمة لزيادة النفوذ الفرنسي بغواتيمالا وفوائد إنشاء شركة سكة حديدية فرنسية بلجيكية.<sup>4</sup>

له كتاب بعنوان:

21. Carlos Bouville, **France et Algérie**, Chenu Imprimeur-éditeur, Loiret, 1850. (40 pages)

جاء كتاب "فرنسا والجزائر" في أربعة فصول تشريحا لواقع الاستعمار وسبل تمكينه في الأرض ومن الإنسان على حد سواء. في الفصل الأول يقدم صورة عن الاستعمار خصوصا الكولون (الأوروبي) والعنصر الأهلي (الجزائري)، في الفصل الثاني يفرد لمعتقدات التي تحكم

<sup>1</sup>Louis Blanc, op Cit, p-p 920-923.

<sup>2</sup>Ibid, p923.

<sup>3</sup>Ibid, p924.

<sup>4</sup>Base nominative personnes et familles IREL, Site Archives nationales d'outre-mer (Anom), Consulter le 07/04/2022 à 18 :00.

وجهة نظر الجزائريين إزاء قيادة المقاومة بظهور زعمات تعرف في تاريخ الإسلام ب"المهدي المنتظر"، الفصل الثالث للطرق الصوفية وتنازعها في عرقلة جهود الأمير عبد القادر، والفصل الرابع والأخير صورة عن الحالة الاقتصادية للسكان (حجم معاملتهم التجارية في أسواق مدينة الجزائر سنة 1846).

في الفصل الأول يستعرض الكاتب صورة متقابلة للعنصر الأوروبي والجزائري فيذكر: "...عن العنصر الأول بعد 19 سنة من وجود الفرنسيين بالجزائر، وإنفاق 100 مليون سنويا، لم يرتفع تعداده 120000 أوروبي، رغم أن الكولون الفرنسيين يحصلون على وسيلة نقلهم إلى الجزائر مجانا، فإنهم يتوزعون على أنشطة تجارية بسيطة وديار البغاء، بعضهم يعمل وكثير منهم شغل وقته بالصيد والقنص، إلى حين الحصول على نفقات العودة. في حين العنصر الجزائري مغروس في أرضه، متأقلم مع بيئته، منعزل مع قطيعه، وإذا بقي الوضع على ما هو عليه سيكون مرورنا بالجزائر أقل شأنًا من الأتراك والإسبان، ولا يكون مرورنا إلا كما مر بيار نفار والكاردينال خمينيس إذ لم تكن سوى جولة إسبانية كبيرة..."<sup>1</sup>

يخلص الكاتب حسب زعمه إلى قلب كل العادات والتقاليد المستحكمة في العنصر الجزائري وارتباطه بالأرض: "...بتمليك كل عائلة جزائرية واستقرارها على قطعة أرض في حدود 2 هكتار، كما هو الحال بأوروبا، وبالتالي نصل إلى القضاء على كيان القبيلة وتملكها لمساحات شاسعة "أراض عرش"، ونكون في منأى عن قيام ثورات تصبح معه مقاومتي الأمير عبد القادر وبومعزة مجرد أساطير وأوهام..."<sup>2</sup>

في الفصل الثاني يجلي الكاتب خصوصية مستحكمة في الجزائريين: "...نظرتهم للمستقبل لا تحكمها الحسابات المادية فقط، بل جوانب اعتقادية تصطبغ بكثير من الخرافات والأساطير تتحكم فيها القوى الروحية خصوصا المرابطون والطلبة. وكمثال صارخ لهذا المعتقد قدوم المخلص الإلهي "مول الساعة" أي رجل المرحلة من سلالة الرسول صل الله عليه وسلم يملأ الأرض عدلا بعد أن تكون ملأت جورا وهي قصص كثيرة يحفظها التاريخ الإسلامي..."<sup>3</sup>

<sup>1</sup> Carlos Bouville, **France et Algérie**, Chenu Imprimeur-éditeur, Loiret, 1850, p-p 3-6.

<sup>2</sup> Ibid, pp 6.7.

<sup>3</sup> Ibid, p-p 11-15.

لكنه يعقب على هذا الاعتقاد ويستثني منه الأمير عبد القادر: "...فالأمير عبد القادر يصنع الفارق، وإن كان يستقي نفس الصورة النمطية للنسب الشريف الذي يشترك فيه مع بعض الزعامات الوطنية مثل بومعزة، لكنه الأمير "صاحب الذراع القوية" لأنه كان الوحيد الذي استطاع توحيد الجزائريين، فهذا العملاق حامل لراية الدين والمسلمين..."<sup>1</sup>

ويحاول كارلوس بوفيل وصم معتقد قدوم المخلص بالجزائريين حين يقول: "...ورغم نهاية مقاومة الأمير عبد القادر، مازال الجزائريون ينتظرون قائدا يحمل اسم محمد بن عبد الله وله نسب شريف، ويعيش في وجدانهم هذا الاعتقاد على أمل أن يتحقق في المستقبل..."<sup>2</sup>

في الفصل الثالث يعود كارلوس بوفيل إلى استعراض الطرق الصوفية المنتشرة بكثرة في الجزائر، تتحد في الشعائر العامة للإسلام لكنها تختلف في المسائل الفرعية، لكل منها شيخ ومريدون وأنصار مخلصون لها لدرجة التقديس.<sup>3</sup> وتجتمع لدى شيخ الطريقة كل السلطات الروحية ومجمل الشعائر من أورد وأذكار، والسياسية كإعلان الجهاد، فتجد في كل محلة ممثل عنه يدعى "المقدم" يعمل على بعث روح الجهاد، وتقديم الدعم للمجهود الحربي، وكذا الدعاية والأمن لخدمة الشيخ.<sup>4</sup>

وفي تقديري لا تكف كتابات الفرنسيين عن ترويح لكل اختلاف ولو شكلي يخص المجتمع الجزائري فتأتي شهادة كارلوس بوفيل لتبيان هذا الاختلاف بين أقطاب الطرق الصوفية كصراع أبدي: "...الصراع بين هذه الفرق الدينية لا ينفك، فتجد مثلا طريقة مولاي الطيب التي لها أنصار بالغرب الجزائري أمثال الحاج العربي، تتاكف الأمير عبد القادر لأنه من طريقة مولاي عبد القادر، ويشيع لدى أتباعه أن الأمير عبد القادر ليس بمقدوره محاربة الفرنسيين..."<sup>5</sup> لكن شهادة الكاتب في الأمير عبد القادر جاءت أكثر اتزاناً "...عمل على الأرض أكثر مما فعله منافسوه، نظم دولته وجعلها ثمان مقاطعات، وأنشأ مدناً من العدم (تأقدمت، تازا، سعيدة، بوغار، عريب، سبدو)، واستطاع أن يناور ويشاغل الفرنسيين ردحا من الزمن، في حين كان

<sup>1</sup>Carlos Bouville, op Cit, p-p 16-18.

<sup>2</sup>Ibid, pp 20.21.

<sup>3</sup>Ibid, p23.

<sup>4</sup>Ibid, p24.

<sup>5</sup>Ibid, pp 25.26.

منافسوه حريصين على انتصار فرنسا من انتصار الأمير عبد القادر...<sup>1</sup> ليخلص الكاتب إلى نتيجة مَفَادها: "...أنه في اليوم الموعود الذي ينتظره الجزائريين، كل الفرق الدينية تجتمع حول شخصية قوية، وعندها حتى حلفائنا (موالين لفرنسا) لا نجدهم في صفنا..."<sup>2</sup>

في الفصل الأخير يقدم كارلوس بوفيل لمحة عن الوضع الاقتصادي وحجم مبيعات الجزائريون في مدينة الجزائر ويسقطه على كامل البلد، بعد أن يعطي إحصاءات عن حجم هذه المبيعات يقول: "...ليس للجزائريين ميل إلى استثمار في الثروة فقط تخزينها وانفاقها وفق هواهم، وأن الثروة لا تصنع لديه فارق، وللتدليل على هذا السلوك لدى المجتمعات المسلمة، يقوم بوضع جدول لمختلف السلع التي أدخلها الجزائريون إلى أسواق مدينة الجزائر (عجول، خراف، بغال، حمير، دجاج، قمح، شعير، حطب، فحم، عسل، زيت...الخ) وما يقبضونه مقابلها، فضلا عن مهن متنوعة، وهي حسبه ليست بالرقم الهين سنويا، بالمقابل ماذا اشترؤا لا شيء ولم يقايضوا سلعة بسلعة..."<sup>3</sup> وهذه الحسابات تشمل فقط مدينة الجزائر ومنها يمكننا الحكم على كل ما يقع داخل الجزائر، ليختم في الأخير "...يجب أن نعترف هذا الدخيل المسيحي الأوروبي، لم يترك لديهم خيار..."<sup>4</sup> في إشارة لانغلاق المجتمع الجزائري على نفسه وانعزاله عن الحركية الاقتصادية والسياسية وحتى الاجتماعية الفرنسية.

## 5. ألكس بلمار (Alexandre) Alex Bellemare (1885-1818)

عسكري فرنسي شغل منصب مستشار لدى الحكومة الاستعمارية بالجزائر، وسكرتير مترجم في مديرية شؤون الجزائر، له معرفة واسعة عن الجزائر، وترك عدة مؤلفات تخص مجالات اقتصادية ولغوية منها (قواعد العربية اللهجة الجزائرية، لاستخدامها لدى الجيش والموظفين المدنيين)، والسيرة التي خص بها الأمير عبد القادر، عُدَّت مرجعا لجُلِّ من كتب بعده عن الأمير، ألكس بلمار يسجل في اهداء مألّفه، يتحتم عليّ اظهار الأمير عبد القادر كما كان، كما هو عليه، وكما أراه، وأستلهم روائع أقواله وأجعلها على رأس هذه الصفحات،

<sup>1</sup> Carlos Bouville, op Cit, pp 26.27.

<sup>2</sup> Ibid, p27.

<sup>3</sup> Ibid, pp 28.29.

<sup>4</sup> Ibid, pp 31.32.

واستعادة حقيقة الأحداث إزاءه، فهي وحدها تقدم التفسير لطول وضراوة المقاومة التي خاضها  
ضدنا.<sup>1</sup>

ترك كتابا يحمل عنوان:

22. Alex Bellemare, **Abd-el-Kader, sa vie politique et militaire**, librairie hachette et Cie, Paris, 1863. (462 pages)

هذا المؤلف "عبد القادر حياته السياسية والعسكرية" (462 صفحة) من الكتابات الفرنسية يمكن أن نقول عنها أفردته كاملا لسيرة الأمير عبد القادر، أنجز سنة 1863 ووقفت على كل حيثياتها السياسية والعسكرية، ويقدم هذا العمل كعربون امتنان للحاكم العام للجزائر المارشال الدوق ملاكوف Duc De Malakoff.

والأرجح أن أمرين مهمين دفعت بلمار إلى انجاز هذا المؤلف، أولا: الموقف الإنساني الذي وقفه الأمير عبد القادر بالشام سنة 1860 أعادت هذه الشخصية إلى ساحة الأحداث الفرنسية والدولية، بعد أن انطوت على نفسها في عالم التصوف منذ استقرارها بدمشق سنة 1856، والشاهد أن بلمار يقول إن عمر الأمير اليوم هو 54 سنة، وبتقدير سن ولادته سنة 1808 (أوائل سنة 1223 هجرية)<sup>2</sup> فتكون سنة تحريره لهذه السيرة 1862.

ثانيا: التنقيب في أرشيف هذه الشخصية جعلت بلمار يبدي إعجابا وتقديرا بشخصية الأمير عبد القادر، ونجده يسجل هذا الإعجاب حين يقول: "...خصوصية الأمير تكمن في أنه كيف لرجل بويغ من طرف ثلاث قبائل فقط، وسلطة جد محدودة أو بالأحرى منعزلة، وليس له موارد مالية، يقلع من تحت برنؤوس (سلهائم) في عمل وطني مجابها نفقات حكومة نظامية، كاسرا شوكة المناوئين له، فارضا سلطته على تلتني الجزائر، وأخيرا محاربا لنا لمدة

<sup>1</sup>Alex Bellemare, **Abd-el-Kader sa vie politique et militaire**, librairie hachette et Cie, Paris, 1863, p1.

Le Livre, Revue du Monde Littéraire, **Bibliographie Moderne**, Tome VII, A. Quantin imprimeur-éditeur, Paris, 1885, p551.

<sup>2</sup>Alex Bellemare, op Cit, p10.

خمس عشرة سنة، ألجأ فرنسا إلى رفع تعداد قواتها بالجزائر حد رقم مهول مئة وستة آلاف (106000) عسكري...<sup>1</sup>

غير أن الأستاذ **عابد سلطانة** المتخصص في الدراسات التاريخية عن الأمير عبد القادر ذكر لي أن الذي أثار الفرنسيين لإعادة كتاب تاريخ الأمير عبد القادر -خصوصا مؤلف بلمار- هو المؤلف الإنجليزي **هنري تشرشل** حين نشر سيرة الأمير "حياة الأمير" خصوصا أنه استقاها من الأمير نفسه، وكان الفرنسيون إلى ذلك الوقت يتبنون ويستحذون على تاريخ الأمير عبد القادر.<sup>2</sup>

يقسم **ألكس بلمار Alex Bellemare** مؤلفه إلى عشرين فصلا، بدءاً بمدخل لوضعية الحكومة العثمانية بإيالة الجزائر، في الفصل الأول والثاني نهوض محي الدين للأمر عقب الفوضى التي سادت البلد، في الفصل الثالث والرابع تولية الأمير عبد القادر ومعاودة دي ميشال، في الفصل الخامس والسادس المناوؤون له وتوسيع وفرض سلطته، في الفصل السابع والثامن والتاسع أحداث المقطع ودخول لكوزل معسكر وتلمسان، أما الفصل العاشر والحادي عشر والثاني عشر معاودة التافنة فحملة عين ماضي والتنظيمات التي أقرها الأمير، في الفصل الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر نقض المعاهدة وما ترتب عليها من غزو واحتلال كامل البلد، في الفصل السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر حيثيات مقتل الأسرى الفرنسيين بالدائرة ووصول الأمير وثمانية وثمانين شخصا من حاشيته إلى لامارق ثم بعدها بو وأمبواز، ثم في الفصل التاسع عشر وعشرون والعشرون الأمير عبد القادر بباريس وأخيرا اقمته ببروسه ثم دمشق.

يستهل **بلمار** كتابه بمقولة للمارشال **سولت** سنة 1843: "لا يوجد اليوم في العالم إلا ثلاث شخصيات تستحق وعن جدارة لقب عظيم وثلاثتهم مسلمون: عبد القادر، محمد علي وشميل".<sup>3</sup> أما عن نسبه يذكر **بلمار**: "...عبد القادر ثالث إخوته الستة (محمد السعيد،

<sup>1</sup>Alex Bellemare, op Cit, pp 39.40.

<sup>2</sup> لقاء الطالب دكتورالي مع الأستاذ عابد سلطانة، على هامش الملتقى الوطني "مقاومة الأمير عبد القادر بمنطقة تلمسان، الواقع والتحديات"، مخبر الدراسات الحضارية والفكرية، جامعة تلمسان، 30 أكتوبر 2022.

<sup>3</sup>Alex Bellemare, op Cit, p3.

مصطفى، الحسين، مرتضى) وأخته خديجة (زوج ابن عمته مصطفى بن التهامي خليفة معسكر) من أمه للا الزهرة، ووالده محي الدين له اعتبار ومكانة رفيعة ليس في قبيلته فقط وإنما في كل بيك وهران، فكانت القيطنة قلب روجي لكل نواحي الغرب الجزائري، أولاً لكرمه على الفقراء والمحتاجين والمسافرين، ثانياً كمعهد (زاوية) لتدريس العلوم الشرعية، ثالثاً كمُحَكِّم (قاضي) تؤول إليه كل خصومات الأفراد وكذلك القبائل ليفصل فيها، ويعد حكمه الصادر ملزم لجميع الأطراف لأنه يمثل حكم أو إرادة الله فيهم...<sup>1</sup> ويقدم بلمار دليل على نسب الشريف للأمير عبد القادر: "...سليل عائلة شريفة ترجع أصولها إلى فاطمة الزهراء بنت الرسول صلى الله عليه وسلم، ورغم محاولة البعض الطعن فيه بأنهم نزلوا من الأندلس، غير أن الأمير عبد القادر قدم لدوماس في أسره بتاريخ 23 فيفري 1848 دليل نسبه للأداسة الذين اجتازوا إلى المغرب الأقصى، وحتى من يزعم نسبهم للولي الصالح دفين بغداد عبد القادر الجيلاني، لكن المتفق عليه وفي الحالتين يرجع إلى النسب الشريف فهو من الشرفاء...<sup>2</sup>

يسجل بلمار تسارع الأحداث بعد سقوط مدينة الجزائر السريع مهدت لبروز حنكة الأمير السياسية إذ يقول: "...أسقط في يد الباي حسن صاحب وهران أن الدور عليه، وأنه لا طاقة له بالفرنسيين، سوى طلب الحماية من الرجل القوي صاحب النفوذ بالقطاع الوهراني الشيخ محي الدين، هذا الأخير استشار مجلسه العائلي المصغر في الأمر، وكانت أغلب الآراء تجمع على استحالة رفض لجوء الباي إليهم، والأمير عبد القادر لصغر سنه كان آخر متدخل، وكان رأيه يعبر عن نضج سياسي واع خالف به أغلبية رأي المجلس، لسببين: الأول في ظل الفوضى العارمة والاستياء العام من سلطة هذا الباي، سيكون من الصعب الإيفاء بعهد الأمان له، ثانياً سنكون في نظر الجزائريين إقرار منا وقبول لسوء سيرته مع السكان، وبالتالي نؤلب جميع القبائل ضدنا، وهو القرار الذي وافق عليه والده وتبناه الجميع، ليسلم الباي المدينة للفرنسيين في جانفي 1831...<sup>3</sup>

<sup>1</sup>Alex Bellemare, op Cit, p-p 11-13.

<sup>2</sup>Ibid, pp 13.14.

<sup>3</sup>Ibid, p-p 25-28.

وحسب بلمار فحنكة الأمير عبد القادر أثبتتها في الميدان وليست مجرد شعارات إذ يقول: "...فعبد القادر بعد مبايعة 23 نوفمبر 1832 أعلن عن مبايعة عامة بمسجد معسكر ومنه إلى دار الحكومة حيث اختط بيانه للناس أظهر فيه مهارةً سياسيةً وحنكةً قياديةً، فلم يدعُ القبائلَ لنفسه وإنما إلى الجهاد ويكون الملتقى في جانفي 1833 على أسوار وهران، معركته هذه وإن لم تطرد الفرنسيين فإنها جعلت منه حامل لواء الجهاد وأحكم حصاراً شديداً عليها، وهي حركة سياسية لا يستطيع أي مناوئ له رفضها وإلا عدَّ متخاذلاً وترفع أسهم الأمير لدى عموم الشعب وخطوة إلى الأمام عن كل منافسيه وتجلب لصفه كل تفرعات الفرق الدينية التي لها نفوذ إلى حدود المغرب..."<sup>1</sup>

لكن الملاحظ أكثر ما يسجل لبلمار أنه أماط اللثام عن كثير من ادعاءات الفرنسيين بخصوص مذبحه الأسرى الفرنسيين ومحاولة جعل وزرها على عاتق الأمير عبد القادر<sup>2</sup>، يستهلها أولاً بلمار من ماضي الأمير عبد القادر المشرف لكل مسلم مع الأسرى، إذ يوثق مثلاً ونقلاً عن رسائل أحد الأسرى الفرنسيين التوصيف التالي: "...لقد عاملني الأمير بسُمُو أخلاقيّ رفيعٍ قلماً نجده في الدول الأوروبية الأكثر تحضراً..."<sup>3</sup> وكذلك مراسلات أخرى تثبت وجود الأمير بالصحراء حين وقوع الحادثة.<sup>4</sup> ويلتقي بلمار مع الكونت دوسيفري De Civry وكذلك الأسقف ديبوش تقريباً على نفس الموقف المتسامي للأمير من الأسرى الفرنسيين.

## 6. لويس بليستروس Luis Ballesteros

ولد سنة 1838 بالجزائر، عمل محامياً لدى مجلس الجزائر، يتكلم بلسان حال جمعية فريمي وطالبو "Frémy et Talabot" وهي عصابة رجال المال والسياسة الفرنسية وجدت في الجزائر الأرضية الخصبة لتنفيذ مشاريعها الاستثمارية الكبرى خصوصاً بعد صدور قانون سينتوس كونسلت *sénatus-consulte* الذي فتح لهم المجال لتملك أراضي شاسعة.<sup>5</sup>

<sup>1</sup>Alex Bellemare, op Cit, p-p 43-45.

<sup>2</sup>Ibid, p-p 323-346.

<sup>3</sup>Ibid, p328.

<sup>4</sup>Ibid, p343.

<sup>5</sup>catalogue.bnf.fr/ark:/12148/cb10426069p, consulté le 23/08/20022 à 12:00

له مؤلف:

23. Luis Ballesteros, *L'émir Abd-el-Kader et L'Algérie*, Retaux Frères Libraire-éditeur, Paris, 1865. (30 pages)

جاء كتابه "الأمير عبد القادر والجزائر" في 30 صفحة كمذكرة عامة دون عناوين رئيسية أو فرعية، مقسم على ثلاث أجزاء تناقش وضع البلد في هذه الفترة وتعمل على محاولة استيعاب عنصر الجزائري بالدرجة الأولى والعنصر اليهودي كذلك وتنصيب الأمير عبد القادر حاكما على الجزائر، ضمن المنظومة السياسية الاستعمارية.

في مدخله مباشرة يؤكد بليستروس على رسالة الإمبراطور نابوليون الثالث في 3 فيفري 1863 والتي تؤكد على سياسة مغايرة للفرنسيين بالجزائر فحواها: "...أريد أن أفنع الجزائريين أن قدومنا إلى الجزائر ليس لاضطهادهم ولا لسلب ممتلكاتهم ولكن لنحمل لهم فوائد الحضارة... وأنه إمبراطور الجزائريين كما هو إمبراطور الفرنسيين...<sup>1</sup> ليتحول الكاتب بعد ذلك في القسم الثاني حول ما أثير في جريدة "المرشد" بتنصيب الأمير عبد القادر حاكم للجزائر اعتبره بليستروس: "...بالنسبة لفرنسا استسلام مجاني لجهود 34 سنة من التضحيات...<sup>2</sup> وكانت هذه الإشاعات هي من حملت الكاتب على الرد بقوة على مروجيها كونه من أبناء الكولون الأوائل بالجزائر وكانت لهم حساسية مفرطة اتجاه من يمس مصالحهم، وتثيرهم إطلاق مثل هذه التصريحات خصوصا من الفرنسيين أنفسهم.<sup>3</sup>

يخلص لويس بليستروس إلى الزبدة من كتابه: "...أن الوطنية العربية التي تم القضاء عليها بالجزائر بهذا العمل السياسي الجريء سينتوس كونسلت *sénatus-consulte* ستجد في عودة الأمير عبد القادر ولو كحاكم لجنوب الجزائر -ولن يقبل الأمير بذلك- ما يوقظ مشاعر أربعة ملايين جزائري، ويكفي أن يجيئ لنا مائتا ألف مسلح ليتوقع كل فرنسي نتائج ذلك...<sup>4</sup>

Luis Ballesteros, *L'émir Abd-el-Kader et L'Algérie*, Retaux Frères Libraire-éditeur, Paris, 1865, pp 5,23.

<sup>1</sup>Ibid, p5.

<sup>2</sup>Ibid, pp 15,17.

<sup>3</sup>Ibid, p20.

<sup>4</sup>Ibid, p-p 23-25.

لكن الملاحظ أنه لا يتحرج بأن يوصي حكومته باستغلال الأمير عبد القادر في هذه الفترة (ستينيات القرن التاسع عشر) لصالحها بالجزائر، حيث يقول: "...الدور الوحيد الذي يلعبه الأمير عبد القادر، القيام بدور مبشر ومروج للسياسية الفرنسية، خصوصا مع قبائل الهضاب العليا والجنوب..."<sup>1</sup> ليصل **Ballesteros** إلى النتيجة المتوخاة من كتابه يسجلها كالاتي: "...الهيمنة الفرنسية الكاملة وتشمل كذلك القضاء الإسلامي، ولن يكون للمناطق المنتفضة بالجنوب وعلى الحدود إلا السيف..."<sup>2</sup>

#### 7. ريتشارد كورتومبير **Richard Cortambert** (1884-1836)

ابن الجغرافي الفرنسي **Pierre-François-Eugène**، قدّم كتابات عدة في تخصصه، اشتغل ريتشارد كذلك على سيرة أبيه كسكرتير شرفي لدى الهيئة الجغرافية بالمكتبة الوطنية الفرنسية فضلا على أنه رسام، له عدة مؤلفات منها "مشاعر ياباني بفرنسا سنة 1864" و"مشاهير الرحالة سنة 1866"<sup>3</sup> و"تاريخ الرحلات والاكتشافات الجغرافية الكبرى"<sup>4</sup> وعدة كتابات تعليمية في تخصص الجغرافيا، أخرجته أحداث الشام سنة 1860 من عزلته ليخوض تجربة جديدة تفتح له آفاق دراسة المشرق.<sup>5</sup>

فكان هذا المؤلف بعنوان:

24. Richard Cortambert, **Aventures d'un artiste dans le Liban**, E Maillet Libraire-éditeur, Paris, 1864. (303 pages)

والمؤلف يحمل عنوان "مغامرات فنان بلبنان" (303 صفحة) يروي في طياته أحداث رحلته إلى المشرق يبدأها بمدخل في الفصل 1 ورفقاء الرحلة في الفصل 2، موجز عن القراصنة الإغريق وساحل بيروت والدروز وقضاء أمسية لدى السفير الألماني في الفصول 3،

<sup>1</sup>Luis Ballesteros, op Cit, p25.

<sup>2</sup>Ibid, pp 26.27.

<sup>3</sup>Richard Cortambert, **Les Illustres Voyageuses**, E Maillet Libraire-éditeur, Paris, 1866.

<sup>4</sup> \_\_\_\_\_, **Nouvelle Histoire des Voyages et des Grandes Découvertes Géographiques**, Librairie Illustrée, Paris, SD.

<sup>5</sup> \_\_\_\_\_, **Aventures d'un artiste dans le Liban**, E Maillet Libraire-éditeur, Paris, 1864, p2.

Gustave Vapereau, **Dictionnaire Universel des Contemporains**, Librairie Hachette et Cie, Paris, 1870, p443.

4، 5 و 6. في الفصول 7، 8، مجازر الدروز والمارونيين بلبنان. في الفصول 9، 10، 11، 12 فلسفة كالبن Cahiben، المسير إلى الجبل، تاريخ الشيخ إبراهيم، الهجوم. أما الفصول 13، 14، 15، 16 اللوحة، أكلة أحد المسلمين، مغامرات عمرو، تحضيرات للذهاب إلى جبل. في الفصول 17، 18، 19، 20 و 21 نزهة بالجبل، الشابة ميس، المصير المشؤوم لمرياك، جلاذ غريب، التعيس مرياك كريزوستوم Chrysostôme. أما الفصل 22 و 23 فيخصه للأمير عبد القادر والاعتراف العجيب بخصوص الأمير عبد القادر. في الفصول 24، 25، 26، 27، 28، 29 و 30 ليدي ر، انطلاء الحيلة، ألعاب الخفة، تحيا فرنسا، أصدقائي ببيروت، السيدة كالبن، الماضي والحاضر. وفي الأخير يلحق بعض الرسائل لمهندسين ب نيكارغوا.

يروى الكاتب بعض الأحداث اليومية لمجازر الشام المؤلمة ودور الهيئات والقنصليات الأجنبية في ذلك بما في ذلك احدى الشخصيات النسوية يسميها بكنية ليدي ر \*\*\* Lady R شبيهة ليدي ستانهوب Lady Esther Stanhope، وكيف وقع في يد الدروز وكاد يفقد حياته لولا أنه ادعى الجنون لسابقة معرفته بالخصوصية التي تجعل من عادات المشاركة عدم مس هذه الطائفة بسوء ودور الأمير عبد القادر والجزائريين في انقاذهم.<sup>1</sup>

في الفصل الثاني والعشرون يدرج رتشارد كورتويبير سيرة الأمير عبد القادر يستقيها من أحد أقرباء الأمير، يقول عنه: "...القرآن هو الكتاب الأول والأخير للأمير عبد القادر وهو كتاب مقدس، ويروي تلك البشارات التي أنبأت عن ظهور سلطان الجزائر سواء ببلاد الحرمين أو ببغداد، وكذلك قصة زواجه بلالة خيرة على طريقة الروايات الرومانسية..."<sup>2</sup> وهي تقريبا نفس فحوى الروايات الخيالية والرومانسية التي تداولها معظم كتاب سيرة الأمير عبد القادر من الفرنسيين سواء المتقدمين أو المتأخرين منهم.

ويقدم الكاتب التوصيف الآتي عن سيادة الأمير عبد القادر ومشاعر الجزائريين اتجاهه: "...بعد دخول الفرنسيين شهدت البلاد فوضى عارمة، وظهر موجة بالرغبة في الاستقلال الوطني، اختمرت في الضمائر لكن تتقصها الوحدة، سيكون لها قائد هو الأمير عبد القادر،

<sup>1</sup>Richard Cortambert, op Cit, pp 159,163.

<sup>2</sup>Ibid, pp 173,179.

متميزا بضبط النفس مع جرأة فريدة، يتقدم تحت قصف المدافع، ويظهر شجاعة ترفعه إلى مصاف الأبطال، سمعته لها خاصية الضوء إذ تنفذ في كل مكان...<sup>1</sup>

وعن سياسته يسجل صاحب الكتاب جواب الأمير لأبيه عن كيفية حكمه لقومه: "...سأحكمهم بيد من حديد، وإذا القانون أدان أخي الشقيق، سأنزل به القصاص بكلتا يدي..."<sup>2</sup> وعن خصاله وهيبته فيقول: "...ملابسه جد بسيطة، لكن عليه وقار غير محدود، كل ثروته النقدية أربعة أوقية (1.5 فرنك)، يمازحه أحدهم على ثروته القليلة فيجيب مبتسما (الله أعطاني أشياء أخرى)، خطاباته تثير الحماس في كل السكان وتوحدهم حوله، ويختار خلفائه من أشهر العائلات..."<sup>3</sup>

يعتبر **Richard Cortambert** أنه رغم النكسات وخذلان كثير من القبائل والتي ارتبطت معه بعهد أبدي على الجهاد إلا أنه مازال يثير في أنصاره الحماس، متفرس فيهم بتلك النظرة الجميلة والثاقبة والتي كانت مثار إعجاب ألد أعدائه فيروي على لسان الأمير عبد القادر: "...سيول الفرنسيين ابتلعت الكثير منا، لكن أليس شهداءنا من يرسمون لنا طريق الحرية، انهضوا، سيروا، حاربوا من أجل استقلالكم، العيش في مهانة هو الموت، فلنمت بشرف ليكتب لنا المجد والخلود..."<sup>4</sup>

وينتقي **Cortambert** كثير من الشهادات التي مجدت الأمير عبد القادر المحارب في سبيل الله ومن أجل وطنه ولا يمثل له المجد الشخصي أي شيء لروحه السامية، منها التي يرويها على لسان الجنرال **Duvivier** وهو أحد الخصوم الذين حاربوا الأمير إذ يقول عنه: "...رجل الصحراء ليس له ثروة سوى قرآنه، سبحة وحصانه، أسلحته عبقريته وخطابته، قد يسقط مثل النخلة الباسقة أمام الرياح الحارة والجافة، لكن الأجيال القادمة ستمجد اسمك، ويل لكل من لا يبارك شهداء الحرية..."<sup>5</sup>

<sup>1</sup>Richard Cortambert, op Cit, pp 180.181.

<sup>2</sup>Ibid, p182.

<sup>3</sup>Ibid, pp 183.184.

<sup>4</sup>Ibid, pp 185.186.

<sup>5</sup>Ibid, p188.

لكن الملاحظة الدقيقة التي سجلها كورتوبير أن سبب هذه النكسات هي فعل الخيانة التي أدارها بكل اقتدار أحد جنود الفرنسيين المقتدرين استطاع الولوج إلى محيط الأمير عبد القادر واستطاع تسريب كل أسرار دولته إلى الجيش الفرنسي وتمكن من الفرار واللاحق بالفرنسيين.<sup>1</sup> وفي تصوري هذا التوصيف لا يصدق سوى على الجاسوس ليون روش.

ومما زاد اعجاب صاحب الكتاب بالأمير عبد القادر شموخه رغم أسره إذ يقول عنه: "... طيلة سنوات سجنه ظل الأمير عبد القادر قابعا بحجرته الضيقة، يرتل القرآن، ويحلم بالصحراء، يدافع عنه ديبوش لإطلاق سراحه ولم يتحقق مبتغاه إلا بعد خمس سنوات..."<sup>2</sup> ولا يُخفي كورتوبير فرحته بوصول الأمير عبد القادر وأصحابه في أحداث الشام الدامية والشعور بالأمان الذي تملكهم جعله يصرح للأمير: "...إذا كانت فرنسا تأسف على شيء، فإنها لا تجد رجلا من أبنائها في خصالك..."<sup>3</sup>

وعلى رأي مقولة التراث العربي قديما (ليس من رأى كمن سمع يا مولاي) يوثق كورتوبير شهادته الخاصة في الأمير عبد القادر بعد ملاقاته: "...كثير من الرجال المشاهير يفقد بريقه حين تراه عن قرب، لكنه يعترف وهذا ما لم يحصل مع الأمير عبد القادر، وجهه صارم دون قساوة، شخصية منسجمة، قوة الإرادة، نكاء، مفوه بليغ، قامة معتدلة، يتكلم قليلا وبكل فصاحة ودون تصنع، فهو من مشاهير القرن التاسع عشر جمع بين الجمال الظاهري ونبل المشاعر، ولا ينحدر إلى سفاسف الأمور، وأول ملاحظة تنتابك عند لقائه: هذا الرجل موهوب وصنع للقيادة..."<sup>4</sup>

## 8. أندري ليونس André Léonce

له مؤلف عنوانه:

25. André Léonce, **Les Campagnes d'Afrique**, P. Lebigre-Duquesne Libraire-éditeur, Paris, 1868. (384 pages)

<sup>1</sup>Richard Cortambert, op Cit, p-p 189-192.

<sup>2</sup>Ibid, p193.

<sup>3</sup>Ibid, pp 206.207.

<sup>4</sup>Ibid, pp 208.209.

وجاءت فصول الكتاب ترجمة لعنوانه "حملات افريقيا" في 384 صفحة تذكر مجمل الحملات التي خاضتها فرنسا لإحتلال الجزائر في تسلسل كرونولوجي. ويقسم **André Léonce** كتابه إلى ستة فصول هي: غزو مدينة الجزائر، احتلال الجزائر، قسنطينة، الأمير عبد القادر، الصحراء الجزائرية، وأخيرا القبائل "La Kabylie"، لكن الملاحظ أن الكاتب غلبت عليه الحكايات الشعبية وأقوال الرواة، إذ نجده يعطي لمؤلفه عنوانا مكملا "سرد شعبي ورواية شفوية".

يبدأ **Léonce** سرده التاريخي من حادثة استقبال آخر دايات الجزائر للسفير الفرنسي في 30 أبريل 1827 إذ يقول: "احتدم الجدل بينهما بخصوص الديون المستحقة على فرنسا، وبكلمة نابية رد السفير دوفال **Duval** (هل تفكر أن ملك فرنسا يهتم بالرد على كلب مثلك) أثارت غضب الداى ليلطمه على وجهه.<sup>1</sup> ويفصل بعد ذلك في تعداد وعتاد الحملة العسكرية على الجزائر ومجمل القادة العسكريين، وكانت حسبه بالكثرة والقوة لدرجة أصبحت كل فرنسا جندي مقاتل.<sup>2</sup>

في الفصل الرابع خصه للأمير عبد القادر بحيث لا يذكر فيه سوى المواجهات العسكرية في تسلسل كرونولوجي (بعد موجز لسيرته، فمباشرة إلى معركة المقطع، فمعسكر والسكاك، أبواب الحديد، مواجهات مزهران، موزاية، واد الفضة، سقوط الزمالة، معركة إزلي، سيدي إبراهيم، أسرى الأمير عبد القادر ثم توقيف القتال).

في تمهيده لهذا الفصل الرابع سجل الديباجة التالية: "...حين يختفي شعب عن المشهد العالمي عادة ما يجد أعلاما تنير له الطريق ويحفظها لنا التاريخ كمشاعل بكل فخر واعتزاز، ويسرد نماذج أوروبية وافريقية منها الأمير عبد القادر...<sup>3</sup> لكن في وصف الأمير عبد القادر لم يجد غير قصيدة شعرية يصف بها الأمير عبد القادر وإن لم يذكر كاتبها بعنوان "رجل الصحراء".<sup>4</sup>

<sup>1</sup> André Léonce, *Les Campagnes d'Afrique*, P. Lebigrel-Duquesne Libraire-éditeur, Paris, 1868, p-p 7-10.

<sup>2</sup> Ibid, p-p 25-28.

<sup>3</sup> Ibid, pp 175.176.

<sup>4</sup> Ibid, pp 176.177.

وفي تقديرنا يسجل **Léonce** هذه القصيدة التي مرت معنا في فصل السادس "مؤلفات الأمير عبد القادر في الكتابات الفرنسية" أشرنا فيه أن هذه القصيدة هي ل **فيكتور هيجو Victor Hugo** اتخذ من الأمير عبد القادر مطية لبلوغ مآربه والتشهير بنابليون الثالث الذي كان **هيجو** معارضا له، وينظم قصيدة في شهر نوفمبر 1852 بعد شهر من إطلاق سراح الأمير من سجن أمبواز، يصوره فيها "بالناسك وقاطع الرؤوس". ونجد **أنديري** لا يتورع من استعمال كلمات تنقل من شأن الأمير مثل "الهارب" وبعضها سوقية وإن كان يوردها على لسان بعض المناوئين له مثل مصطفى بن اسماعيل "الراعي ابن الراعي".<sup>1</sup>

لم يشد **أنديري ليونس** على نسج سيرة الأمير كما فعل آخرون منهم بلمار **Bellemare** بإدراج كثير من روايات الدراويش، ورؤيا الولي الصالح عبد القادر الجيلاني المبشرة بظهور سلطان الجزائر.<sup>2</sup> كذلك لا يختلف عن كثير من الكتاب الفرنسيين بأن المعاهدات هي من بواته تلك المرتبة بحيث يقول: "...قبل معاهدة دي ميشال ورغم الحروب التي خاضها لم يكن للأمير عبد القادر سوى لقب الشريف لتأتي هذه المعاهدة وتضعه في مقام السلطان، وبالتالي تكون فرنسا هي من أسست لسلطته القوية والخطرة، وخلصته من مطبات كثيرة..."<sup>3</sup> لكن الملاحظ أن الكاتب يؤكد صراحة عن وجود نسختين لمعاهدة دي ميشال مختلفتين، الأولى التي رفعها إلى حكومته وهي في صالحها والثانية سرية وهي في صالح الأمير.<sup>4</sup>

ينقل صاحب الكتاب عن مؤرخين أمثال **ليون غالبيير Léon Galibert** حيثيات الأحداث التي أعقبت معاهدة دي ميشال: "...بسط الأمير سلطته على كافة مناطق غرب ووسط الجزائر، وتمخضت عنها معركة المقطع التي كان لها صدى من البحر إلى الصحراء، الأمير عبد القادر هزم فرنسا، وأحيت الأمل وأثارت فيهم التعصب، وأصبحت كل نواحي الجزائر والقبايل تصطف وراء أمير المؤمنين..."<sup>5</sup> ليعقب على الحملات التي قادها كلوزل والدوق أورلينز لمحو نكسة المقطع: "...لم يكن لها أي تأثير على قوات الأمير التي تعتمد استراتيجية

<sup>1</sup> André Léonce, op Cit, pp 192, 205.

<sup>2</sup> Ibid, pp 179, 181.

<sup>3</sup> Ibid, pp 185.186.

<sup>4</sup> Ibid, pp 189.190.

<sup>5</sup> Ibid, p-p 195-200.

المواجهة السريعة ثم الانتشار والاختفاء في الفضاء الرحب، لتعود وتتشكل وبسرعة من جديد عند أول إشارة منه والظهور في المكان المحدد...<sup>1</sup>

كما ينقل Léonce عن المؤرخ Pellissier de Reynaud وقائع حصار الأمير عبد القادر لمعسكر دارلنج D'Arlanges على مصب نهر التافنة، ووصول الإمدادات بقيادة بيجو جوان 1836 التي سبقت معركة الالساك في جويلية من نفس السنة.<sup>2</sup> ويعتبر صاحب الكتاب معاهدة التافنة "تكسة" إذ يقول: "...عوض خنق مقاومة الأمير عبد القادر والقضاء عليها نهائيا، أعطيت له فرصة لاسترجاع أنفاسه، وتعزيز سلطته في كامل القطر الجزائري، وميثاق للوطنية العربية، وتصديق رسمي على سيادة مستقلة للأمير عبد القادر، ويسميه نصرا مجانيا...<sup>3</sup> وهو الأمر الذي دفع الحاكم العام دام ريمون Damrémont حسب الكاتب: "...ينتقد هذه المعاهدة التي جعلت من وهران وأرزيو معزولة عن مستغانم ومزگران ويصدق عليها القول بأنهما في حالة حصار...<sup>4</sup>

ولا يتوان Léonce عن الطابع الذي أراده لمؤلفه في تمجيد إنجازات الجيش الفرنسي والخط من قيمة الأمير عبد القادر فيذكر: "...عبور الجيش الفرنسي لأبواب الحديد "البيبان" التي ونقلا عن غالبيير Galibert لم يعبرها أي جيش منذ عهد الرومان، واجتازها الجيش الفرنسي دون قتال...<sup>5</sup> لكن الكاتب يعقب على مضمون رسالة الأمير التي بعثها إلى الحاكم العام فالي بقوله: "...كلمات ساذجة غلفت بطابع ديني وأخلاقي لهذا المرابط المخادع...<sup>6</sup> كما يواصل الإشادة بإنجازات الجيش الفرنسي والموقف البطولي للنقيب لوليفر Lelièvre في الدفاع عن حصن مزگران ضد قوات الخليفة مصطفى بن تهامي، ويجعل من النصر ملحمة لم تشهد مثله فرنسا منذ حروب الإمبراطورية.<sup>7</sup>

<sup>1</sup> André Léonce, op Cit, p 205.

<sup>2</sup> Ibid, p-p 207-209.

<sup>3</sup> Ibid, pp 210.211.

<sup>4</sup> Ibid, p-p 211-213.

<sup>5</sup> Ibid, pp 224.225.

<sup>6</sup> Ibid, p227.

<sup>7</sup> Ibid, p-p 229-234.

ويفصف André مقاومة الأمير عبد القادر الجزائري كالاتي: "...ترتكز على مناوشة الجيوش الفرنسية دون الدخول في مواجهة مباشرة معها، ومع ذلك فإن الآفات والأمراض كانت تضرب بقوة الجيش الفرنسي وتدفع بعضهم للانتحار، ونقلنا عن كستلان Castellane في مذكراته "الحياة العسكرية بإفريقيا" يسجل موت 750 عسكري ودخول 400 آخر المستشفى من أصل فرقة تعدادها 1200 عسكري..."<sup>1</sup> لكن حرب الفرنسيين يقول عنها: "...الحرب الحقيقية ضد الأمير عبد القادر ستبدأ مع بداية سنة 1841 وقدام بيجو بتعزيزات عسكرية كبيرة وجيش قوامه 100 ألف عسكري وبدأت معها سقوط أغلب مدن وقلاع الأمير، وأسلوب نهب وتخريب مخازن قمح الجزائريين "المطامير" ليقوم بحملات بعيدة عن مراكزه..."<sup>2</sup> ويسترسل الكاتب في وصف هذه الحرب بقطع شرايين المقاومة وذلك: "...بتجنيد صف من الموالين لهم من رؤساء القبائل أمثال مصطفى بن اسماعيل والذي يعد من أصدق الرجال المخلصين لفرنسا بهذه الديار، هذا الأخير كان يقول (ليس لي إلا عدوين الشيطان والحاج عبد القادر)..."<sup>3</sup>

ومع ذلك يقر Léonce ببسالة مقاومة الأمير عبد القادر حيث يكتب: "...في الوقت الذي ظن الجيش الفرنسي أن قوات الأمير اندحرت نهائيا في مجاهل الصحراء يخرج عليهم فجأة بنواحي الوردنيس في معركة واد الفضة ضد الجنرال شانغرنينييه Changarnier وهي من أطول وأصعب المعارك التي سجلتها الحوليات الجزائرية..."<sup>4</sup> لكن الكاتب يصر على الطعن في سيرة الأمير عبد القادر فيسجل: "...مع نهاية 1842 الأمير عبد القادر فقد 6/5 من دولته، لكنه مازال يحث القبائل على المقاومة ومن لم يستجب يلقي معاملة عنيفة بخطف نسائه وقتل أطفاله، لكنه كان من النادر اللجوء إلى هذه الأساليب بحكم أن التهدة كانت واضحة للعيان."<sup>5</sup>

كما يقر ويسجل لمشاهد أسطورية من الشجاعة والإقدام والكفاح إلى آخر نفس لقادة جيش الأمير عبد القادر، وهي المعركة التي سقط فيها أصلب مقاتلي الأمير سيدي مبارك محمد بن علال بواد الملاح، وقطعت رأسه حتى لا يشك الجزائريين في موته، ثم يروي معركة

<sup>1</sup> André Léonce, op Cit, pp 239.240.

<sup>2</sup> Ibid, pages 243-244 et 245-246.

<sup>3</sup> Ibid, pages 248 et 252-253.

<sup>4</sup> Ibid, p254.

<sup>5</sup> Ibid, pp 256, 261.

سقوط الزمالة بيد الدوق دومال في 16 ماي 1843 وبقاء جيش الأمير المتحصن بجنوب معسكر دون مؤونة سوى من بعض ثمار البلوط ومع ذلك بعثت الفيالق الفرنسية في أثره ولا أثر سوى لجمر المواعد لازالت دافئة.<sup>1</sup> رغم هذه النكسات إلا أن دور الأمير عبد القادر لم ينته، ولزم فرنسا ثلاث سنوات أخرى من حرب شرسة، والفرق العسكرية الفرنسية في حالة تأهب وطوارئ عامة تجوب البلاد دون توقف.<sup>2</sup>

ولا ينفك **André Léonce** من تعظيم مواقف قادة الجيش الفرنسي حين يروي مثلاً قصة قبعة بيجو وكيف أنه حين كان الهجوم على معسكر الفرنسيين ليلا والفوضى التي عاشها، كان بيجو يصرخ فيهم أين قبعتي ليتردد في كل المعسكر سؤال واحد أين قبعة الجنرال والتي أصبحت مرادفة لجرس الإيقاظ "جرس القبعة".<sup>3</sup> لكن بالمقابل تعمّد تقزيم استنفار الأمير للقبايل للجهاد بوصمه بالكذب: "...فالأمير عبد القادر بدخوله إلى المغرب دعا الشعب إلى قتال الفرنسيين وجاب المقاطعات وبعث الرسل، وذلك بتعميم فتاوى وجُوب الجهاد والأقاويل الكاذبة تثير فيهم التعصب وانتفاضة كل سكان الريف..."<sup>4</sup>

يشيد بمعركة ازلي للجنرال بيجو ثمانية آلاف ضد أربعين ألفاً من الجيش المغربي (5 مقابل 1) حصل بها على لقب دوق ازلي مع رفضه دائماً بدفع 18000 يدين بها للضرائب، ليقوم جوانفيل بقصف أغادير، كانت كافية بهدوء جبهة المغرب والذي عده بيجو التجسيد الحقيقي للاحتلال، ولم يبق مع مطلع 1845 إلا هذه الكلمة الشهيرة "فرنسا غنية بما يكفي لدفع ثمن مجدها".<sup>5</sup> مع ذلك حسب الكاتب: "...فالجزائر هزمت لكنها لم تخضع، ولازالت تتأجج في النفوس والمرابطين مقاتلة الفرنسيين، بظهور قائد جديد يقود المعركة -مول الساعة- أو رجل المرحلة مثل الشيخ بومعزة في الظهر، ليشعل عاصفة التعصب الذي لا يعرف الحدود..."<sup>6</sup>

<sup>1</sup> André Léonce, op Cit, pages 264 et 267-270.

<sup>2</sup> Ibid, p270.

<sup>3</sup> Ibid, pp 273.274.

<sup>4</sup> Ibid, p276.

<sup>5</sup> Ibid, p-p 284-286.

<sup>6</sup> Ibid, pp 287, 290.

يقدم أندري ليونس التوصيف التالي لجهود العقداء أمثال (بيليسيي **Pélissier**، سانت أرنو **Saint Arnaud**، لادميرو **Ladmirault** وبورجلي **Bourjelly**: "... بعدما كلوا وملوا من تتبع بومعزة ولم يجدوا له أثرا، يفرغوا حقدهم على السكان العزل المتحصنين بالمغارات ومطاردة الإنسان مثل الثعالب وخنقهم بالنيران لوضع حد لهذه المطاردة..."<sup>1</sup> ويقدم بعد ذلك لوحة لمشاهد رهيبة: "...ثمانمائة من جنث النساء والشيوخ والأطفال مع أغنامهم ومعزهم مختنقين بالدخان..."<sup>2</sup> ليعقب صاحب الكتاب على هذه المجزرة: "...انتقم لهم الأمير بسيدي إبراهيم حيث أباد كتيبة مونتانيك **Montagnac** وأخرى بنواحي تموشنت بأسر 200 جندي ألقوا السلاح دون مقاومة..."<sup>3</sup> لتشتعل المقاومة من جديد رصدت لها فرنسا تعزيزات جديدة مع بيجو ليطلق هذا الأخير 14 من أرتال العسكرية تمشط البلاد في أثر الأمير عبد القادر والشيخ بومعزة.<sup>4</sup>

لكن الملاحظ ودائما على نفس النسق يطعن أندري ليونس في موقف الجزائريين والأمير اتجاه الأسرى الفرنسيين: "...إحسان الأمير عبد القادر للأسرى لم يكن إلا لريح الوقت أو لحفظ هيئته، وأن معاملة الأسرى الفرنسيين لدى الجزائريين كانت قاسية، ويروى على لسان أحد الأسرى دوفرونس **De France** كيف عذبت إحدى القبائل شليف زميله..."<sup>5</sup> بالمقابل يشيد **Léonce** بالموقف الفرنسي بإطلاق سراح الأمير فيقول: "...تكرمت فرنسا بإطلاق سراحه، والأمير عبد القادر تعزى له المعاملة الحسنة للأسرى، فقد أجمعت له عدة شهادات على إحسانه للأسرى منها للأسير اسكوفيي **Escoffier**..."<sup>6</sup> ورغم الموقف الشهم للأمير عبد القادر في أحداث الشام سنة 1860 نال به إعجاب أوروبا وتقدير فرنسا بحماية المسيحيين من مجزرة حقيقية فيصفه كآلتي: "...تدخله ضد التعصب الذي مارسه بفضاعة من قبل، ونسيان الماضي، نبيل المشاعر هذه أكدت أن الأمير الممثل الأعلى للوطنية العربية..."<sup>7</sup>

<sup>1</sup> André Léonce, op Cit, pp 292.293.

<sup>2</sup> Ibid, p295.

<sup>3</sup> Ibid, p-p 300-304.

<sup>4</sup> Ibid, p305.

<sup>5</sup> Ibid, pp 316.317.

<sup>6</sup> Ibid, pages 319 et 321-325.

<sup>7</sup> Ibid, pp 336.337.

## 9. أنطوانيت جوزفين فرانسواز آن دروهوجسكا - Drohojowska Antoinette-

### Joséphine-Françoise-Anne

تعد أنطوانيت جوزفين من نساء الأدب الفرنسي خصوصا في أدب الرحلة لها مؤلف:<sup>1</sup>

26. Antoinette-Joséphine-Françoise-Anne Drohojowska, **L'Histoire de l'Algérie racontée à la jeunesse**, Chez L'Auteur, Paris, 1853. (378 pages)

ويحوي كتاب "تاريخ الجزائر يُروى للشبيبة" **L'Histoire de l'Algérie racontée à la jeunesse**

" **la jeunesse** (378 صفحة) صدر لأول مرة سنة 1848، مقسم إلى ثلاثة أجزاء كبرى، تناولت في جزئه الأول مند العهود السحيقة إلى دخول المسلمين، والثاني الفتح الإسلامي تسميها الكاتبة "السيطرة العربية" وبعدها السيطرة العثمانية، وفي الجزء الثالث الاحتلال الفرنسي إلى يومنا هذا. ضمن هذا الجزء الأخير تناولت فصوله 39، 40، 41، 42 و 43 الحملة الفرنسية، احتلال الجزائر، ذهاب الماريشال بورمون **Bourmont**، الحاكم العام كلوزل، أول كاتدرائية كاثوليكية بالجزائر. خصت سيرة الأمير عبد القادر في الفصل رقم 44، وأحداث المقطع في الفصل 45، وقائع حملة قسنطينة الأولى والثانية في الفصلين 46 و 47، عبور أبواب الحديد في الفصل 48، ومعركة مزغران وسقوط الزمالة في الفصلين 49 و 50، وقبائل فليسة في الفصل 51، ازلي وأغادير في الفصل 52، خنق السكان بمغارات الفراريش في الفصل 53، فوqاع سيدي إبراهيم ومقتل الأسرى الفرنسيين بالدائرة في الفصلين 54 و 55، والفصلين 56 و 57 الحراش وحمالات الزيبان، القس سوشي **Suchet** بسيدي إبراهيم في الفصل 58، انتهاء مقاومة بومعزة في الفصل 59، وأحداث الأمير عبد القادر والملك عبد الرحمن في الفصل 60. وفصل تكميلي يحمل رقم 61.<sup>2</sup> غير أن ما يميز هذا الكتاب له نسخة ثانية صدرت سنة 1853 عن دار نشر أخرى مبتورة من جميع فصوله (27 صفحة) عدا ثلاثة فصول فقط، حوت فصلين جديدين هما رقم 61 يحمل عنوان حملة على القبائل (جرجرة) ورقم

<sup>1</sup> للتعريف بالكاتبة يمكن العودة إلى الصفحة 40 من الفصل الأول.

<sup>2</sup> Antoinette-Joséphine-Françoise-Anne Drohojowska, **L'Histoire de l'Algérie racontée à la jeunesse**, A.Allouard Libraire-éditeur-Commissionnaire, Paris, 1848.

62 بعنوان عبد القادر بفرنسا بعد إطلاق سراحه،<sup>1</sup> بالإضافة لفصل تكميلي رقم 63 عن المصالح والتنظيمات المنشأة في الجزائر مثبت في النسخة الأولى.

عن مقاومة الأمير عبد القادر وأسرته تذكر الكاتبة: "...بعد خمسة عشر سنة من المقاومة والانتفاضات والمعارك بدون انقطاع، صنعت مجد عشرون جنرال فرنسي، لا يمكن تصور النصر والفرح الذي حمله أسر الأمير عبد القادر لكل فرنسا..."<sup>2</sup> وراح الفرنسيون ينبشون في تاريخهم القديم لخلق اسقاط على نمط هذا القائد العظيم إذ تقول: "...عمل الفرنسيون على مقارنة الأمير بـ يوغرطة وقدماء محاربي هذه البلاد، وتقاسموا معه مشاعر التعاطف لبدايات التاريخ الفرنسي، أثارته ذكريات قدماء محاربي فرنسا أمثال فرسانجيتوركس **Vercingétorix** ضد الرومان..."<sup>3</sup> لكن الكاتبة تعقب على عهد فرنسا للأمير بإبعاده لإحدى بلاد المشرق: "...سوف يطول ويبقى محتجزا لديها لمدة خمس سنوات يعاني الأمرين الحزن والبرد القارس..."<sup>4</sup>

وعن الاستيطان تقول أنطوانيت بانتهاء مقاومة الأمير عبد القادر يبدأ الاستيطان الحقيقي للبلاد، بإرسال أعداد كبيرة من المهاجرين الفرنسيين خصوصا للناحية ميتروبولية (باريسية) لإنشاء القرى الفلاحية، بالمقابل استغلال أعوان الأمير عبد القادر.<sup>5</sup> لكنها تعقب على الثورات التي لم تنتهي بعد القضاء على عبد القادر: "...أن الجزائر دائما حاضنة لفكرة المقاومة الدينية والوطنية ولا يمكن للهدوء أن يعمر طويلا، إذ لا تلبث انتفاضة جديدة قد تخمرت وخرجت إلى العلن تعقبا على انتفاضة الزعاطشة والأوراس..."<sup>6</sup>

ثم تنتقل بنا الكاتبة مباشرة إلى فصل عبد القادر بباريس بعد إطلاق سراحه ووفاء فرنسا بعهدا له، ليس من أجله بل لصورتها أمام الأوروبيين لتسجل لنا: "...هذا الإطلاق جاء ليؤكد في أعين كل الأوروبيين التزام فرنسا بتعهداتها، لهذا الفارس الجزائري الكبير، تجد فيه عزة

<sup>1</sup> Antoinette-Joséphine-Françoise-Anne Drohojowska, **L'Histoire de l'Algérie racontée à la jeunesse, Chez L'Auteur, Paris, 1853.**

<sup>2</sup> Ibid, p348.

<sup>3</sup> Ibid, p349.

<sup>4</sup> Ibidem.

<sup>5</sup> Ibid, p350.

<sup>6</sup> Ibid, p352.

وفخر مع حضور البديهة، ونظرة النسر، واحترام شديد لمعتقداته الدينية، فهو ليس قائد كبير أو محارب كبير فقط لكنه مؤمن كامل الإيمان، دقيق في أداء شعائره الإسلامية، وسحنة من الجلال والوقار، تفرض على فرنسا إعلان إعجابها...<sup>1</sup>

وحول الزوبعة التي أثرت ضد الأمير عبد القادر بفرنسا ومحاولة تحميله وُزر مقتل الأسرى الفرنسيين بدائرتهم، والتي احتج حينها الأمير أمام الجنرال كوربي دي كنور Courby de Cognord وكان هذا الأخير أحد أسرى الأمير عبد القادر بعد معركة سيدي إبراهيم وأطلق سراحه، توثق لنا الكاتبة التالي: "...احتج الأمير على الاتهامات التي تكال له على مقتلة الأسرى الفرنسيين، وأن هذا الفعل كان ضد أوامره وضد ارادته وكنت على بعد مئات الأميال من الحدث، والبعض يتهمني لما لم أعاقب الفاعلين؟ فالدائرة كلها كانت تعيش ضائقة شديدة لم يكن لدى الجنود سوى حفنة من الشعير، لم يتمالك نفسه معها الجنرال كوربي سوى أن يصافح يدي الأمير بحرارة..."<sup>2</sup>

### 10. سيلين فالي Céline Fallet

أديبة فرنسية اشتغلت على عدة فنون تعليمية وتاريخية لكن بنزعة مسيحية لها مؤلف:<sup>3</sup>

27. Céline Fallet, **Conquête de l'Algérie**, Mégard et Cie Imprim-Libraires, Rouen, 1856. (208 pages)

صدر لها كتاب "احتلال الجزائر" سنة 1856 في (208 صفحة) حوى سبعة عشرة فصلا، المظاهر المناخية للجزائر وأصول المجتمع الجزائري في الفصلين الأول والثاني، السيطرة العثمانية واحتلال الجزائر في الفصلين الثالث والرابع، حملات المدية وبعض قادة الاحتلال في الفصلين الخامس والسادس، خصت حياة الأمير عبد القادر في الفصل السابع، احتلال بجاية في الفصل الثامن، قضية سيق ومعركة السكاك في الفصل التاسع، في الفصل العاشر حملة قسنطينة الأولى والحادي عشر احتلال قسنطينة- تسامح الأمير، انجازات الفرنسيين ضد الأمير عبد القادر في الفصل الثاني عشر، في الفصل الثالث عشر سقوط

<sup>1</sup> Antoinette-Joséphine-Françoise-Anne Drohojowska, op Cit, pp 356.357.

<sup>2</sup> Ibid, p360.

<sup>3</sup> سبق التعريف بالكاتبة في الفصل الأول ص41.

سيدي مبارك الامام الأعظم في معسكر الأمير، معركة ازلي وأحداث سيدي إبراهيم في الفصل الرابع عشر، ثم مقتل الأسرى الفرنسيين ووقائع الأمير مع المغاربة في الفصل الخامس عشر وفي الفصل السادس عشر انتفاضة القبائل والزعاطشة والأوراس وأخيرا الاستيطان في الجزائر. لكن خصوصية الكتاب كونه يدخل ضمن سلسلة "المكتبة الأخلاقية للشباب" والتي تعاهد فيها الناشرون حرصهم وفحصهم المسبق لهذه الكتابات من طرف متخصصين وكذلك رجال الدين ورؤساء الكنيسة وخصصت لذلك لجنة مشرفة، تولوا غربة والمصادقة على كل منتج فكري موجه للأطفال وحمايتهم من مخاطر محتملة لمناشير خصوصا الموجهة للشبيبة المسيحية، وبالتالي تجد المدارس وكذلك العائلات المسيحية في هذه السلسلة كل الضمانات المرغوبة لتنشئة آمنة لأبنائها.<sup>1</sup>

تتعرض **Céline Fallet** في الفصل الثاني للأصول السكانية للبلد كما كتب **Maurice Wahl** أخلط لشعوب استوطنت البلد، وتحاول الحط من شأنهم بقطع صلة الخلف بالسلف، كونهم لا يمتون بصلة مع الأوائل الذين ازدهرت على أيديهم حضارة الأندلس.<sup>2</sup> وعن السيطرة العثمانية في الجزائر في الفصل الثالث لا تتفك الكاتبة كما يفعل معظم الكتاب الفرنسيين بإدراج نوع من الخرافات والأساطير منها أن سلطة الإخوة برباروس لم يعترف بها إلا بعد أن لقت رضا مرابط الجزائر سيدي عبد الرحمن.<sup>3</sup>

وفي تقديرنا أن هذه الإشارات وإن كان لها سند من حيث تقدير واحترام الشعب للأولياء والمرابطين، لكن مراميها تعمل على تسخيف رأي الشعب وجعلهم من السذج الذين تتطلي عليهم مثل هذه الأراجيف ويستغلها الحاكم في تمكين سلطته والانقياد له.

تخصص الفصل السابع لسيرة الأمير عبد القادر إذ تقول عن عائلة الأمير في جواب استنكاري: "...إذا صدقنا ذلك فهي ترجع إلى الرسول صل الله عليه وسلم، وورث الأمير عبد القادر عن عائلته مكانتها الروحية وكره الأجنبي في إشارة للأتراك ثم الفرنسيين الذين حلوا

<sup>1</sup> **Avis des Editeurs**, Céline Fallet, **Conquête de l'Algérie**, Mégard et Cie Imprim-Libraires, Rouen, 1856.

<sup>2</sup> Céline Fallet, Op Cit, p-p 20-22.

<sup>3</sup> Ibid, p43.

محلهم...<sup>1</sup> وتعيد نسج الأساطير كما فعل زملائها لكنها تفردت بأن جعلتها على لسان أم الأمير حيث تقول "...بعد أن وضعت مولودها عبد القادر صاحبت فيمن حولها بأن ابنها المنفذ الذي انبأت به البشارات، مبعوث العناية الالية وموحد القبائل ومنشأ أمة عظيمة الأقوى في العالم..."<sup>2</sup>

ومن مظاهر قدح **فالي** في مسألة شعائر المسلمين وبالخصوص الحج لما أوردت ما يلي: "...رحلة الأمير ووالده إلى البقاع المقدسة، وتعصبهم الأعمى يلهمهم طيلة أداء مناسك الحج، فهي الأفعال الصببانية ولا ترقى للشعائر المسيحية الأكثر جدية..."<sup>3</sup> بالمقابل تحاول أن تبرز حسن نية فرنسا على احترام شعائر المسلمين، بعد أن تعطلت هذه الفريضة إبان الاحتلال الفرنسي للجزائر إلى سنة 1842: "...حيث بادرت السلطات الفرنسية اتجاه السكان بحسن نية، وذلك بإرسال باخرة تقل الحجاج الجزائريين إلى الإسكندرية على نفقة الحكومة، وكذلك في السنوات التي بعدها لاقت استحسان المسلمين..."<sup>4</sup> بعد أن وصمت شعيرة المسلمين الحج بالتعصب تطلق مرة أخرى على الجموع الأولى التي لبثت نداء الجهاد وراء محي الدين وابنه عبد القادر في احكام الحصار عن وهران بالمتعصبين.<sup>5</sup>

تعيد مرة أخرى **فالي** نسج الأساطير كما فعل زملاؤها هذه المرة جعلتها على لسان مولاي عبد القادر الجيلاني دفين بغداد إذ تقول "...تجلى الشيخ لمحي الدين مهديا له تفاعحة ومبشرا بقيام ابنه الحاج عبد القادر كسلطان الغرب ويقود وطنه إلى المجد والازدهار، وتلقى هذه الحكايات الخرافية صدى واسع في وجدان عموم السكان، ويعمل مرابطين قبيلة هاشم على اشاعتها في الناس..."<sup>6</sup> وفي تصوري تحاول الكاتبة حسب زعمها تأصل لشرعية السلطة لدى الجزائريين قائمة على رؤى وخرفات فتقول عن مبايعة الأمير عبد القادر في الاجتماع الشهير بسهل غريس (خصيبية): "...إن الذي ألهب مشاعر الجموع على مبايعة الأمير عبد القادر

<sup>1</sup> Céline Fallet, Op Cit, p81.

<sup>2</sup> Ibid, p82.

<sup>3</sup> Ibid, p85.

<sup>4</sup> Ibid, pp 86.87.

<sup>5</sup> Ibid, p90.

<sup>6</sup> Ibid, p-p 87-89.

هي تلك الرؤيا التي وردت على لسان المرابط سيدي بن عراش ونفسها رآها سيد قبيلة هاشم سيدي محي الدين أن صاحب السلطان الذي وقع عليه الاختيار الإلهي هو ابنه عبد القادر...<sup>1</sup> لذا لم تتردد **فالي** في ازدراء بتسمية السلطة الناشئة بـ (جمهورية معسكر الصغيرة) نسبة لمدينة معسكر، وعقبت على موت والد الأمير أشهر قليلة بعد استلام الأمير قيادة البلاد، على صدق نبوءة المرابط وعززت من سلطته.<sup>2</sup>

وفي تقديري أن هذه الإشارات التي تنبؤ بتولي عبد القادر زمام أمور البلد على هذا النسق، فيه طعن وتقليل من قيمة البيعة والالتزامات التي اتفقت عليها كبرى القبائل من بني عامر وهاشم وغرابة وغيرها (إرادة شعبية) واطر لها ميثاق يحكمها (دستور) واستشارات واسعة لعلماء المسلمين (مجلس شوري)، تختزل في رؤيا غيبية لا يمكن لأي أحد التحقق منها فضلا عن التصديق بها، وهي إلى حد ما (أضغاث أحلام) تطعن في شرعية هذه السلطة.<sup>3</sup>

والملاحظ أن **فالي** أشادت بنساء الأمير، وخصت بالذكر زوجة الأمير لالا خيرة وأخته لالا خديجة بالثناء ولهن مكانة خاصة لدى الأمير عبد القادر ويعود لهما الفضل في تخفيف ومواساة كثير من الأسرى الفرنسيين.<sup>4</sup>

والملاحظ كذلك لدى **Céline Fallet** توصيف كل انجاز فرنسي ولو بسيط تضفي عليه وصف "النجاحات" بالمقابل تعتبر نجاحات الجزائريين فقط "قضية" مثل "قضية سيق" للإشارة لانتصار الأمير عبد القادر الجزائري في المقطع كانتصار عارض له ظروفه الخاصة، وكذلك "قضية واد الفوضى" والتي تعد من أمجد معارك الجزائريين.<sup>5</sup>

<sup>1</sup> Céline Fallet, Op Cit, p91.

<sup>2</sup> Ibid, p92.

<sup>3</sup> - للتوسع في الركائز الادارية والتنظيمية في دولة الأمير عبد القادر الجزائري ينظر: محمد دراغو، معمر العايب، "منطلقات الأمير عبد القادر السياسية والعسكرية في المقاومة وبناء الدولة الوطنية"، المرجع السابق، الصفحات 70-90.

<sup>4</sup> Céline Fallet, Op Cit, p93.

<sup>5</sup> Ibid, pages 102, 136-138

## 11. هيرماس بيرتروند Hermès Bertrand (1888-1818)

له مؤلف:

28. Hermès Bertrand, *La smalah*, Saint-Anand Imprimerie de Destenay, saint-amand, 1866. (9page)

يتناول هذا المؤلف "الزمالة" في قالب شعري ملحمي يشيد فيها بالجيش الفرنسي وقائده **الدوق دومال Duc d'Aumale**، يجعل منه كالنسر الروماني يبسط جناحيه على العالم، تنفيذاً لأمر والده الملك بالقتال من أجل فرنسا ويظهر نصر ملكه وقوته. وينشده للأطفال كتاريخ يبقى محفوراً في الذاكرة، تتناقله وتردده الأجيال.<sup>1</sup>

وهذه الكتابات عموماً في هذه الفترة بقدر ما حاولت تكون وازنة إلا أنها ظلت حبيسة النظرة الاستعمارية سواء الاستعمارية أو المصلحية إتجاه الأمير عبد القادر، إذ لم يكن عبور الجيش الفرنسي لأبواب الحديد من أثر عسكري أو سياسي سوى جر الأمير إلى مواجهة مفتوحة، وإثارة الريبة والشك في مواقفه الحسنة مع الأسرى ووصم قومه بالتعصب، ونقض هذه المزاعم من طرف كتاب آخرين. ولم تكن هذه الكتابات بعيدة عن أعين الرقابة، إذ نجد معظمها تولت الهيئات الرسمية للدوائر السياسية والعسكرية وحتى الدينية سواء نشرها أو دعم نشرها وبالتالي تسير على النمط الذي يخدم توجهها.

وتجد في مقابلة كتابات الفرنسيين ما يثير كثيراً من نقاط الظل عن سيرة الأمير عبد القادر الجهادية والسياسية سلماً وإيجاباً، مثل جعل معركة سيدي إبراهيم المجيدة ليست في سياق مقاومة وطنية ظلت لخمس عشرة عاماً على الأرض ولكن فقط لينتقم من أحداث خنق سكان الظهرة بالمغارات، إطلاق سراحه ليس لوفاء فرنسا بعهد لها، بل لصورتها أمام الأوروبيين، والجهاد في سياق التعصب، واحسانه للأسرى كتكتيك سياسي وليس كالتزام ديني وأخلاقي من الأمير عبد القادر، وتولييه السلطة ليس ضمن سياق تاريخي لإرادة شعبية وسياسية تحكمها، بل مبنية على رؤى (أضغاث أحلام) لمرابطين أو شيوخ الزوايا.

<sup>1</sup>Hermès Bertrand, *La smalah*, Saint-Anand Imprimerie de Destenay, saint-amand, 1866, p-p 1-9

# الفصل الرابع

الأمير عبد القادر في كتابات الفرنسيين إبان القرن 19م

عرض وتقديم لنماذج

المرحلة الأخيرة من وفاته إلى نهاية القرن 1883-1900

1-ليون روش Léon Roches

2-فرانسوا شارل دي برال François-Charles Du Barail

3-هنري القس Henry Abbé

4-ألبنوس Alpinus

5-فرديناند دي ليسبس Ferdinand De Lesseps

6-جول بيشون Jules Pichon

7-أندري بيرتي André Berthet

8-فريدريك كون أبرست Frédéric Kohn-Abrest

9-كلارا فيال دي بتيني Clara Filleul de Pétigny

10- نرسييس فوكون Narcisse Faucon

11- مختارات لكتابات أخرى

الفصل الرابع: الأمير عبد القادر في كتابات الفرنسيين إبان ق 19 م (عرض وتقديم لنماذج)  
المرحلة الأخيرة من وفاته إلى نهاية القرن 1883-1900

لم تتوقف الكتابات المختلفة لشخصية الأمير عبد القادر لدى الكتاب الفرنسيين إلى نهاية القرن التاسع عشر، وظلت تلق رواجاً لدى الكتاب والقراء على حد سواء، حتى أننا نجد مؤلفاً واحداً تجتمع ثلاث أو خمس دور نشر على طبعه.

وبدأت تظهر كثير من المذكرات الشخصية لضباط وجنود عملوا في الجيش الفرنسي بالجزائر، مثل كتاب "ذكرياتي" لوزير الحرب فرانسوا شارل دي برال **François-Charles Du Barail**، ومذكرات السفير والمقاول فرديناند دي ليسبس **Ferdinand De Lesseps** ومذكرات سكرتير الأمير عبد القادر الجاسوس ليون روش **Léon Roche**، كما قامت ابنة المارشال دي كستلان **De Castellane** بإصدار مذكرات أبيها. أو لكتاب سير العساكر المخددة لهم مثل ما فعله نرسييس فوكون **Narcisse Faucon**، وكذلك ألبنوس **Alpinus** ورفاقه لتخليد ذكرى الجاسوس روش، وكاتب سيرة بيجو الكونت هنري ادفيل **le Comte Henry D'Ideville**

ومن هنا الدراسات المستفيضة وأخرى يمكن اعتبارها مناسباتيه تخص استحضار ذكرى بعض الجنود والضباط، مثل معركة سيدي إبراهيم<sup>1</sup> التي ظلت معلماً في تاريخهم إلى نهاية القرن التاسع عشر تحييها الكنائس والمدارس العسكرية، مثل ما فعل **Touchet Stanislas** سنة 1891،<sup>2</sup> وكذلك إصدارات لمذكرات الجنود الناجين من المعركة مثل **Le Sergent Lavayssière** سنة 1883<sup>3</sup> و **Jacques-Louis Pègues** سنة 1887.<sup>4</sup>

كما نجد الدراسات الأكاديمية للمؤرخين التي تضمنت إشارات ولو مقتضبة عن بعض مواقف الأمير أمثال **Émile Masqueray** سنة 1886 في كتابه "تكوين المدن الجزائرية" وخصوصية تشكيلات المجتمع والتي حسب زعمه: "...أعراش وقبائل تنمرّد على وحدة سياسية للالتحاق بمقاومة الأمير عبد القادر، ونفس الأمر يصدق على خليفته بجرجرة إذ لم تكن له

<sup>1</sup> يمكن تتبع مجريات وأطوار معركة سيدي إبراهيم ضمن خريطة تفصيلية في ملحق رقم 2، ص 279.

<sup>2</sup> Touchet Stanislas, *L'Anniversaire de Sidi-Brahim discours prononcé dans l'église de la Madeleine à Besançon le 21 Septembre 1891*, Imprimerie et Lithographie Dodivers, Besançon, 1891, p-p 1-13.

<sup>3</sup> Le Sergent Lavayssière, *Le combat de Sidi-Brahim et le sergent Lavayssière (23, 24, 25 septembre 1845)*, Typographie De delattre -Lenoel, Amiens, 1883, p-p 5-18.

<sup>4</sup> Jacques-Louis Pègues, *combat de Sidi-Brahim*, Imprimerie Baldachino-macon-viguiier, Alger, 1887, p-p 9-45.

سلطة فعلية.<sup>1</sup> ونفس المنحنى يأخذه كذلك **Louis Rinn** في مؤلفه "المرابطين والاخوان دراسة عن الإسلام في الجزائر"، لكنه يتكلم عن الخصوصية الدينية والطرق الصوفية وبالأخص الطريقة التجانية التي رفضت رفضاً قاطعاً الدخول في عهد الأمير عبد القادر، ومشاحنات لبعض الطرق الأخرى مثل الدرقاوية.<sup>2</sup> وهو نفس المحتوى الذي يؤكد ذلك **Depont Octave** و **Coppolani Xavier** في مؤلفهما وإن كان ينقله عن الجاسوس **Léon Roche** وكذلك عن **Louis Rinn**.<sup>3</sup> وفي تقديري تتفق كتابات المؤرخين الفرنسيين على التركيز وتضخيم أي خلاف سواء بين القبائل أو الطرق الصوفية لتتفي وحدة سياسية عن الشعب الجزائري وبالتالي استجابتها لمقاومة الأمير عبد القادر الجزائري وتتهج مبدأ "فرق تسد" لخدمة أغراضها الاستعمارية في الجزائر، واعتماد وسائل تمكينه وتثبيتته بالجزائر.<sup>4</sup>

فضلاً عن المؤلفات التعليمية الموجهة أساساً للتعليم الابتدائي ونخص بالذكر كل من المدرّس **Jules Renard** في كتابه الأول "تاريخ الجزائر يروى للصغار" في 168 صفحة الصادر سنة 1884، أهده لأحد أساطين وغلاة الكولون **Paul Bert** وهو الرئيس الشرفي لجمعية حماية الكولون ومستقبل الجزائر، ينقل عنه في تقديم كتابه: "...الخيار الجيد بالتوجه للأطفال وتنشئتها ضمن رؤية استعمارية موجهة، والأمر لا يشمل أطفال فرنسا بالجزائر فقط ولكن أطفال البلد الأم (فرنسا) بما يضمن نجاح المشاريع الاستعمارية..."<sup>5</sup> ويقدم سيرة مختصرة على شكل دروس عن مقاومة الأمير عبد القادر وجهوده، يتبعها بأسئلة للتلاميذ عن المحتوى المدرّس، وعلى هذا المنوال جاء تقديم بقية أجزاء الكتاب.

<sup>1</sup> Émile Masqueray, **Formation des Cités chez les populations sédentaires de l'Algérie**, Ernest Leroux Editeur, Paris, 1886, p-p 80-133.

<sup>2</sup> Louis Rinn, **Marabouts et Khouan étude sur l'islam en Algérie**, Adolphe Jourdan Libraire-éditeur, Alger, 1884, pages 424 & suivre, 238 & suivre.

<sup>3</sup> Depont Octave & Coppolani Xavier, **Les confréries religieuses musulmanes**, Typographie et Lithographie Adolphe Jourdan, Alger, 1897, pages 271, 424 & suivre.

<sup>4</sup> للتوسع في جهود الوحدة السياسية للأمير عبد القادر الجزائري ينظر: محمد دراغو، معمر العايب، "منطلقات الأمير عبد القادر السياسية والعسكرية في المقاومة وبناء الدولة الوطنية"، المرجع السابق، الصفحات 70-90.

<sup>5</sup> Jules Renard, **Histoire de l'Algérie racontée aux petits enfants**, Librairie Classique Adolphe Jourdan, Alger, 1884, p-p VII-X.

الفصل الرابع: الأمير عبد القادر في كتابات الفرنسيين إبان ق 19 م (عرض وتقديم لنماذج)  
المرحلة الأخيرة من وفاته إلى نهاية القرن 1883-1900

تتفق هذه الكتابات التعليمية الفرنسية على تبسيط المحتوى التاريخي للأطفال وجعله في متناولهم بما يخدم مستقبل الاحتلال بالجزائر، والاشادة بالجنود والقادة الفرنسيين الأوائل الذين وطدوا لهذا الاحتلال، ثم ربط ذلك مع جهود الكولون في استصلاح الأراضي وخدمتها، مما جعل الكتاب يحوز على موافقة المجلس البلدي لوهران لاعتماده لتدريس الأطفال.<sup>1</sup> وأما عن كتابه الثاني "صغير جزائري في مقاطعة وهران" في 228 صفحة الصادر سنة 1888 فيمكن اعتباره على نفس النسق أي ككتاب جغرافي تاريخي لأهم مدن الغرب الجزائري، ويدعمها ببعض المقاطع التاريخية تخص الأمير عبد القادر.<sup>2</sup> والمدرّس Henri Andrieu يقدم سنة 1894 كتابه "الوجيز في تاريخ الجزائر وأعلام جزائرية" في 102 صفحة وهو مؤلف كذلك لأحداث كرونولوجية عرفتها الجزائر ودائما على نمط سياق تاريخي واحد دأب عليه الفرنسيون لفترات احتلال متعاقبة على مر العصور، ثم سرد للحكام العامون الذين حكموا الجزائر وانجازاتهم في شكل دروس مبسطة بدء من أولهم Bourmont سنة 1830 إلى Grévy سنة 1881.<sup>3</sup>

ويمثل السفير المفاوض فرديناند دي ليسبس النموذج المثالي للكتاب الذين حاولوا خلق صداقة حميمة مع الأمير عبد القادر هدفها خدمة أغراضهم ومشاريعهم الاقتصادية والمالية في المنطقة العربية، واستثمار ليس في اسم الأمير كصديق للفرنسيين ولكن حتى في مؤلفاته مثل (ذكرى العاقل وتنبيه الغافل) لخلق نوع من الوحدة والتعاون والقبول بين المسلمين والمسيحيين، بما يخدم مشاريعه الاقتصادية.<sup>4</sup> وقد رأينا في الفصل الثالث كتابات أخرى حاولت

<sup>1</sup> Jules Renard, *Histoire de l'Algérie racontée aux petits enfants*, op Cit, pp XI.X.

<sup>2</sup> Jules Renard, *Les Etapes d'un Petit Algérien dans la province d'Oran*, Librairie Hachette et Cie, Paris, 1888, pages 63-67 et 188-208.

<sup>3</sup> Henri Andrieu, *Petite Histoire de l'Algérie suivie d'un panthéon Algérien*, à l'usage des écoles primaires, Imprimerie A Legendre éditeur, Miliana, 1894, p-p 26-73.

<sup>4</sup> Ferdinand De Lesseps, *Souvenirs de quarante ans*, Tome premier, Nouvelle Revue, Paris, 1887, pp 375.376.

& L'Émir Abdelkader, *Rappel à l'intelligent, avis à l'indifférent, considérations philosophiques, religieuses, historiques*, etc, Traduit avec l'autorisation de l'auteur sur le manuscrit original de la Bibliothèque Impériale, par Gustave Dugat, Benjamin Duprat Libraire de L'institut, Paris, 1858, pages XX et suivre.

الفصل الرابع: الأمير عبد القادر في كتابات الفرنسيين إبان ق 19 م (عرض وتقديم لنماذج)  
المرحلة الأخيرة من وفاته إلى نهاية القرن 1883-1900

في هذه الفترة استغلال اسم الأمير عبد القادر لأغراض سياسية لصالح المشروع الاستعماري عموماً.

كما جاءت كثير من الكتابات تحمل تحيزاً واضحاً إلى كل ما هو فرنسي، وتفاضلاً غير سليم فكل من وقف إلى جانب فرنسا فهو إلى جانب الحضارة ومن عارضها فهم أهل تعصب وهمج، وهو ما حاول أندري بيرتي André Berthet ترسيمه في سرد تلك القصة العاطفية ضمن مؤلفه "امرأة القايد"، ورغم جرأته في توصيف جيش بلده إلا أنه يخلق له الأعذار عن تلك المجازر المشينة.<sup>1</sup> وكذلك القس هنري L'Abbé Henry في تمجيد جيش بلاده ووصف الجزائريين بأقذع الأوصاف.<sup>2</sup> في حين سيظل العنوان المستهجن "مطاردة الانسان" لـ الكونت ديريسون Le Comte D'Hérison وثيقة تدين وتلاحق الاحتلال لأجيال قادمة.<sup>3</sup>

ثم إن هذا التفاضل والاستعلاء تجاه كل ما ليس فرنسياً خالصاً ظل عقدة لدى الكتاب الفرنسيين عموماً، حتى تجاه من قدموا خدمات جليلة للاستعمار أمثال مصطفى ابن إسماعيل وأحفاده والمزاري والكلوغلي إبراهيم وغيرهم كثير.<sup>4</sup> إذ دخلت أعمالهم طي النسيان بل ضمن الجحود، فلم يكلف ولا كاتب واحد نفسه عناء إصدار دراسة تخصصهم، وسنرى كيف كانت سيرة مصطفى ابن إسماعيل هي أول جزء محذوف من مؤلف ليون روش "عشر سنوات في الإسلام" بعد أن ذكرها في كتابه "إثنان وثلاثون سنة في الإسلام".<sup>5</sup>

<sup>1</sup>André Berthet, *La femme du Kaïd, épisode des guerres d'Afrique 1837-1848*, marc Barbou & Cie Imprimeurs-Libraires, Limoges, 1890, p-p 212.213.

<sup>2</sup> Henry Abbé, *Sidi Brahim 23, 24 & 25 Septembre 1845*, Imprimerie Renvé-Lallement, Verdun, 1899, p-p 3-20.

<sup>3</sup>Le Comte D'Hérison, *La chasse à l'homme, guerres d'Algérie*, Paul Ollendorff éditeur, Paris, 1891 p VIII.

<sup>4</sup> يمكن الرجوع للدراسة القيمة "آخر الأعيان أو نهاية الأرستقراطية العربية" للتعرف على بعض أساليب الاختفاء والاذلال التي تعرضت لها هذه الفئة ينظر:

أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج5، المرجع السابق، صص 92-114.

<sup>5</sup>Léon Roches, *Dix ans à travers l'islam 1834-1844*, librairie académique Didier, Paris, 1884. & Léon Roches, *Trente-deux ans à travers l'Islam (1832-1864), Tome Second*, Librairie de Firmin-Didot et Cie, Paris, 1885, p-p 275-285.

الفصل الرابع: الأمير عبد القادر في كتابات الفرنسيين إبان ق 19 م (عرض وتقديم لنماذج)  
المرحلة الأخيرة من وفاته إلى نهاية القرن 1883-1900

كما تساوقت كثير من كتابات الفرنسيين على تجريد الجزائريين من تاريخهم والتشكيك في أصولهم وجعلهم عبارة عن مكون "شعوب عبور"، أي اخلاط لشعوب افريقية وأسيوية وأوروبية عبرت المنطقة على فترات متباعدة، (وهو ما نفاه كاريت في دراسته للمجتمع الجزائري) وأن تاريخهم الوحيد الذي يمكن اعتماده هو الفترة الرومانية في حين تبقى الفترات التاريخية الأخرى ومنها العصر الإسلامي عبارة عن "قرون مظلمة مهملة في التاريخ". وهو ما حاول التأصيل له أستاذ التاريخ موريس وال Maurice Wahl في كتابه "الجزائر"<sup>1</sup>، وأخذ عنه الرحالة فريدريك كون أبرست Frédéric Kohn-Abrest،<sup>2</sup> ورسمه اميل فلкс قوتيي Émile-Félix Gautier كعنوانا لكتابه،<sup>3</sup> وقام المؤرخ بول غفارييل Paul Gaffarel بالبناء التاريخي لهذه الفكرة حين حاول تقديم المقاومة على أساس صراع غرباء (الأتراك، العرب، الفرنسيين) على حكم البلد.<sup>4</sup>

كما شهدت هذه المرحلة مؤلفات النسخ الحرفي من مؤلفات آخرين وإن لم تسلم معظم كتابات الفرنسيين خلال القرن التاسع عشر من هذه التلثة، وخير مثال عن ذلك ما كتبه جول بيشون Jules Pichon في مؤلفه.

### 1. ليون روش Léon Roches (1809-1901)

ولد بغرونويل Grenoble مقاطعة دوفيني Dauphiné شرق فرنسا بدأ مشواره المهني كمترجم عسكري بالجيش الفرنسي بالجزائر ثم كديبلوماسي بالمغرب وتونس واليابان، وهو من الشخصيات النادرة والمحورية التي التصقت التصاقا وثيقا بالأمير عبد القادر خصوصا في فترة السلم لمعاهدة التافنة، واستطاع بملكاته المتعددة أن يلج إلى أدق تفاصيل المجتمع الجزائري وكذلك لحكومة الأمير عبد القادر بحكم أنه أصبح السكرتير الشخصي للأمير وأحد المقربين

<sup>1</sup>Maurice Wahl, *L'Algérie*, Libraire Germer Baillièrre et Cie, Paris, 1882, p48

<sup>2</sup>Frédéric Kohn-Abrest, *En Algérie Trois mois de vacances*, Libraire Ch. Delagrave, Paris, 1884, p5.

<sup>3</sup>Émile-Félix Gautier, *Le passé de L'Afrique du Nord les siècles obscurs*, petite Bibliothèque Payot, Paris, 1952, p19.

<sup>4</sup> Paul Gaffarel, *l'Algérie*, librairie de Firmin-Didot et Cie, Paris, 1883, p-p 57-157.

الفصل الرابع: الأمير عبد القادر في كتابات الفرنسيين إبان ق 19 م (عرض وتقديم لنماذج)  
المرحلة الأخيرة من وفاته إلى نهاية القرن 1883-1900

منه (دور جاسوس). ويلعب أدوارا شديدة الحساسية والخطورة مست مقاومة الأمير عبد القادر خصوصا في حصار عين ماضي، ليكون بعدها أحد أدوات بيجو في تحييد كثير من القبائل عن مساندة الأمير، وإصدار فتوى تُرضي المسلمين بحكم النصارى، وجهود دبلوماسية كذلك لخلق الشقاق بين الملك عبد الرحمن والأمير عبد القادر.

ويعتبر ايميريت مارسال Emerit Marcel مؤلفه "32 سنة عبر الإسلام" فضلا على أنه يحوي معلومات دقيقة، إلا أنه حشد فيه كثيرا من الأكاذيب وخياله الجامح قاده في نهاية حياته إلى تحويل مغامراته إلى غراميات، والرسائل التي زورها ليحمي ذكرى بيجو بعد أن صار رجل ثقة عنده، ثم "تطهير" الأرشيفات من الاستجابات والتحقيقات التي أجريت معه، وأن تقريره الضخم الأكثر دقة عن حالة البلد "النسخة الأصلية" والذي يحتفظ به أرشيف وزارة الحربية الفرنسية يختلف جذريا عن السرد العاطفي لمؤلفه في نهاية حياته، الذي يخلو من ذكر سبب فراره وذلك لسرقته 15000 فرنك كان الأمير أوكلها إليه لدفع أجور عمال تاقدمت.<sup>1</sup>

وله ثلاث مؤلفات هي كالاتي:

29. Léon Roches, **Dix ans à travers l'islam 1834-1844**, Librairie Académique Didier, Paris, 1884, (560pages).
30. Léon Roches, **Trente-deux ans à travers l'Islam (1832-1864), Tome Premier**, Librairie de Firmin-Didot et Cie, Paris, 1884, (509pages)
31. Léon Roches, **Trente-deux ans à travers l'Islam (1832-1864), Tome Second**, Librairie de Firmin-Didot et Cie, Paris, 1885, (508 pages)

ويرى الطالب الباحث أن الكتاب الأول "عشر سنوات في الإسلام" في 560 صفحة كتاب جامع ويحوي كل ما جاء في المؤلف الآخر بجزأيه الأول والثاني "32 سنة في الإسلام"

<sup>1</sup>Marcel Emerit, **La légende de Léon Roches**, in-*Revue Africaine*, Volume 91, A. Jordan Libraire-éditeur, Alger, 1947, p-p 81-105.

Marcel Emerit, **L'Algérie à l'époque d'Abd-el-Kader**, Editions Larose, Paris, 1951, pages 133-134,234-235.

يوسف مناصرية، مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب 1832-1847، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990.

Narcisse faucon, **Le livre D'or de L'Algérie**, challamel et Cie, Editeurs, Paris, 1889, p-p 522-528.

لكن نارسيس فكون ينسخ سيرة ليون روش حرفيا عن شارل فيرو انظر:

Charles-L Féraud, **Les Interprètes de l'Armée D'Afrique**, A Jourdan Libraire-éditeur, Alger, 1876, p-p 235-245.

بل بنفس العناوين ونفس المحتوى، ونفس الصياغة، وكأنه اختصر إلى نصف حجمه. وكل ما عمد إليه الناشر في المؤلف الأول هو حذف لبعض العناوين مع التقليل لمحتوى عناوين أخرى، كعدم إدراج بعض المقاطع في مؤلفه مثل "رسائل الأمير" في الجزء الأول "ملاحظات حول الوهابية" و"مقتل مصطفى ابن إسماعيل" في الجزء الثاني. كما نجده كذلك في تمهيد كتاب "عشر سنوات في الإسلام" يحذف كلياً فقرتين ذكرت في كتاب "32 سنة في الإسلام" يقر فيها ليون روش أنه ليس بصدد كتاب "مذكرات" وإنما فقط "ورقات لذكريات شخصية" ودون أن يأخذ دور المؤرخ، ثم ليعتذر من القراء عن حماسة الشباب والخيال الواسع.

وما لاحظته أن هناك معطى آخر وهو أن الجاسوس ليون روش لم ينشر مؤلفه إلا سنة 1884 بعد سنة من وفاة الشخصية الشاهدة على تفاصيل هذه الوقائع وهي الأمير عبد القادر، لأحداث مر عليها أكثر من خمسين (50) سنة. وإن كان أعطى مبرر في مدخل طبعة 1884، تعود من تخرجه من المعهد على تدوين تفاصيل ملاحظاته اليومية، أعانته على إعادة بناء تاريخه، الذي اعتبره مقدساً، تستطيع دولته الاستفادة منه.<sup>1</sup>

قسّم روش مؤلفه إلى ثمانية عشر جزء يحوي كل جزء عدة فصول، يتكلم في الأول بعنوان الجزائر عن وصوله إلى الجزائر ومتابعته دروس اللغة العربية عند أعيان من الجزائريين، في الثاني يحمل عنوان أقامته بالمتيجة ومليانة يروي فيه اعتناقه للإسلام وممارسة الشعائر الدينية، في الجزء الثالث له عنوان في معسكر الأمير يصف فيه الأمير عبد القادر وتعريف بسياسته وكذلك توصيف لمعسكره، والجزء الرابع والخامس على التوالي في تلمسان والمدية، أما في الجزء السادس يسرد فيه حيثيات حصار عين ماضي، الجزء السابع الصحراء، أما الجزء الثامن يعنونه ب التحضيرات للحرب، الجزء التاسع عودة روش إلى وهران ومنها إلى الجزائر، ثم رحلته إلى الحواضر الإسلامية قيروان ومصر(الحصول على فتوى بعدم قتال الفرنسيين، تأليب القبائل ضد الأمير عبد القادر) في الجزء العاشر، في الجزء الحادي عشر والثاني عشر على التوالي بعنوان المدينة المنورة ومكة، ثم عودته من جدة إلى الإسكندرية في الجزء الثالث عشر، في الجزء الرابع عشر وصوله إلى روما، الفصل الخامس عشر سلسلة

<sup>1</sup>Léon Roches, *Dix ans à travers l'islam 1834-1844*, librairie académique Didier, Paris, 1884, p XI.

الفصل الرابع: الأمير عبد القادر في كتابات الفرنسيين إبان ق 19 م (عرض وتقديم لنماذج)  
المرحلة الأخيرة من وفاته إلى نهاية القرن 1883-1900

الحمالات الفرنسية في الجزائر ما بين 1842-1844، وسلسلة الحملات الفرنسية سنة 1844 في الجزء السادس عشر، أما في الجزء السابع عشر يسرد فيه الحملات ضد المغرب، ومهمته بباريس في الجزء الثامن عشر، وخاتمة يورد فيها مهمته بالمغرب تونس واليابان.

بدأ **روش** مؤلفه كشاب طموح مغامر، استجاب بعد إلهام والده، ليغادر فرنسا إلى الجزائر في 30 جوان 1832 من أجل مساعدته في تسيير مستعمرته الفلاحية غرب مدينة الجزائر، لكن سرعان ما تحول احتكاكه بالجزائريين يثير فيه فضول تعلم اللغة العربية لدى بعض الأعيان يقول في ذلك: "...اللغة العربية عبارة عن أصوات تؤذي سامعي، غير أنها أصبحت تدر عليّ محترم، إذ عُيِّنت كمتّرجم محطّف، نظراً لندرة المترجمين يتقنون اللغة العربية نطقاً وكتابة، فأصبحت أمارس وظيفة مزدوجة كمتّرجم محلف وملازم أول في الحرس الوطني تحت قيادة المارشال كلوزل...<sup>1</sup> لكن تعلم اللغة العربية يذكره **روش** في سياق مختلف، وهو اعجابه بفتاة جزائرية دفعه لتعلمها ليسهل عليه التواصل معها،<sup>2</sup> وهو ما نفاه **ايمريت** **مارسال** جملة وتفصيلاً.<sup>3</sup>

التجأ **روش** للإقامة بين الجزائريين ومشاركتهم عاداتهم وتقاليدهم ليتّمرس على التخطاب باللغة العربية، وكانت خطوات التحاق ليون **روش** بالأمير عبد القادر في أوت 1837 بعدما أمضى في 30 ماي 1837 الأمير عبد القادر معاهدة التافنة مع فرنسا، وأصبح هذا الأخير أكثر شعبية ليس فقط في الأوساط الجزائرية، ولكن كذلك في الأوساط الفرنسية، حيث كان يُقال عنه في مجلس العموم الفرنسي: "...داهية يريد بعث وطنه من جديد وتحضره وأخذه في طريق المجد على شاكلة محمد علي بمصر...<sup>4</sup>

ساعدت هذه الظروف **روش** أن يصبح مسلماً يقول عن ذلك "...دون أن أتبرء من ديني، وصدى إسلامي إذا انتشر عند العرب فإنه بالضرورة سيصل إلى أذن الأمير، وأصبحت أعرف ب **عمر ولد روش**، ويشارك العرب يومياتهم في الصيد، حفلات الأعراس والختان... الخ،

<sup>1</sup>Léon Roches, op Cit, pages 2, 9,22-23.

<sup>2</sup>Ibid, pp 12.13.

<sup>3</sup>Marcel Emerit, L'Algérie à l'époque d'Abd-el-Kader, op Cit, p133.

<sup>4</sup>Léon Roches, op Cit, pp 31.32.

ويفتخر بأنه أول أوروبي يلج خصوصيات الجزائريين والتي ظلت مجهولة لدى الأوروبيين...<sup>1</sup> وكان الأمير يجد في الأوروبيين الذين دخلوا معسكره سواء أسروا أو فروا من الجيش الفرنسي غرضه سواء السياسي بالاضطلاع على الثقافة الأوروبية تمكنه من وسائل التعامل مع الفرنسيين، أو رغبة في ادخال تطويرات على جهازه الإداري والعسكري لكفاءتهم المهنية.<sup>2</sup>

كما يجتهد روش في تطبيق شعائر المسلمين خصوصا الصلاة لأن القرآن دستورهم الديني والمدني، لكن عن قتال الفرنسيين يقول: "...حين أَعْلَمَهُ الشيخ أنه يجب أن يكون في صفهم ويقاوم الفرنسيين معهم في حربهم المقدسة حتى لو ضد أبيه، تلقى روش هذا الأمر باستياء كبير وجعل محاربة الفرنسيين نقطة لا عودة في حال نشبت حرب بين المسلمين والكفار الفرنسيين...<sup>3</sup> وهي إشارة واضحة أن روش لم يكن له نية أن يكون جنب الأمير سوى كعين راصدة له، وللقبائل الداعمة له والاستزادة في الاطلاع على أحوال البلاد والعباد (دور جاسوس).<sup>4</sup>

فحسب روش سياسة الأمير ذكية جدا بدأها بجمع أموال الضرائب لبناء أركان دولته لكنها كانت تهدد مصالح الفرنسيين في الجزائر، وعن جيش الأمير يقدم روش وصفا دقيقا لتكويناته الأساسية: "...ثلاثة آلاف عسكري مقاتل نظامي، أربعمئة خيالة، ستون طبجي جندي المدفعية، ألف من فرسان المخزن الغرب، عشرة آلاف فارس متطوع غير نظامي، ليرتفع مجموع الجيش في حدود أربعة عشرة ألف واربعمئة وستون (14460)...<sup>5</sup> ويعزي روش فعالية جيش الأمير القائمة على قاعدة سرعة وخفة الحركة دون الاكتراث لمصادر التموين، كون القبائل الموجودة في خط مسير الأمير تقدم فروض الطاعة وواجب الجهاد.<sup>6</sup>

<sup>1</sup>Léon Roches, op Cit, p-p 33-37.

<sup>2</sup>Ibid, p 44.

<sup>3</sup>Ibid, p-p 46-50.

<sup>4</sup>ينظر:

يوسف مناصرية، مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب 1832-1847، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990.

<sup>5</sup>Léon Roches, op Cit, p-p 74-84.

<sup>6</sup>Ibid, p90.

وعن جهوده كمساعد للأمير يسجل روش: "...كل مساء أجلس لساعات طوال مع الأمير مجيباً على آلاف الأسئلة التي كان يوجهها الأمير عن قوة فرنسا العسكرية، موقفها من الدول الأوروبية، السياسة العامة للقوى العظمى، عن إدارتها... الخ، خصوصاً عن موقف فرنسا منه ومن الجزائر عموماً..."<sup>1</sup> لكن عن مهمته الأساسية إلى جنب الأمير يوثها روش بنفسه: "...قررت البقاء إلى جانب الأمير طيلة فترة السلم، لأظفر بكل المعلومات عن هذه الجزء من الجزائر التي تخلت عنه فرنسا بعقد اتفاقية التافنة، وكان لرفضي الرجوع مع أبي رغم توسلات ودموع هذا الأخير أمام الأمير عبد القادر، ليوثق الصلة ويبرهن على إخلاصه للأمير وأصبح محل حب وثقة لديه..."<sup>2</sup> هنا صفا الجو لروش واستطاع بهذا المشهد الدرامي أن يخدع الأمير وسهلت مهمته في جمع كل ما يحتاجه من معلومات، خاصة أن المسلمين أصبحوا يبوحون له بأسرارهم ويعتبرونه ساعده الأيمن، وكيف لا وروش يحضر حتى مجالس الأمير السرية التي كان يعقدها مع كبار رجال دولته أمثال مصطفى بن تهامي.<sup>3</sup>

يصف روش الحياة الخاصة للأمير بعدما مضى على ملازمته شهرين تقريبا، حيث كثيرا ما كان يقاسمه غذائه وينام معه في خيمته، فهو يقول عنه: "...الأمير لما يصلي فهو العابد، ولما يحكم فهو السلطان أو السيد، ولما يحارب فهو الجندي ومع هذا فهو بسيط في مأكله وملبسه. لم يكن الأمير يكتنز ثروة لنفسه، بل يعتبر نفسه مفتش لبيت المال ولا يأخذ منه شيئا لنفسه، عدا شراء السلاح والخيول، فهو حريص على المال العام..."<sup>4</sup>

وعن الظروف التي صاحبت حصار عين ماضي، يروي روش أن الأمير يريد أن يثبت سلطته الفعلية على القطر الجزائري بين تونس والمغرب، لكن على الصحراء الوسطى نازعه الولي سيدي محمد التجاني شيخ الطريقة التجانية والذي له أتباع وسلطة روحية على عدة قبائل في الجزائر كلها.<sup>5</sup> لكن الملاحظ أن روش تطوع من تلقاء نفسه وطلب من الأمير عبد القادر أن يكون على رأس الوفد المفاوض مع التجاني لإقناعه بالرضوخ لأوامر السلطان،

<sup>1</sup>Léon Roches, op Cit, pp 104.105.

<sup>2</sup>Ibid, pp 108.109.

<sup>3</sup>Ibid, p110.

<sup>4</sup>Ibid, p-p 111-113.

<sup>5</sup>Ibid, p115.

فيذكر: "...إن أجباني التجاني فذلك ما تبغي، وفي حالة العكس، فإنه تكون لي فرصة لمعرفة وضعيته العسكرية ودفاعات المدينة..."<sup>1</sup> لكن روش راح ينفخ لسيد عين ماضي بغير المأمول من وظيفته، معتبرا أن تحصينات مدينته تصمد عشر سنوات لتزداد ثقة التجاني في نفسه ويزداد إصرارا على رأيه في مناكفة الأمير.<sup>2</sup>

وكما يقول القول المأثور ضرب روش عصفورين بحجر واحد - الأمير والتجاني-أحدث القطيعة والتناحر بينهما في حين لو أذعن التجاني لسلطة الأمير ما كان إلا أن يقره على ما هو عليه لكن هذا الحل لم يكن يريده الجاسوس Roches.

ويسجل روش عن علاقة بر ربانية تربط الأمير بوالديه فيقول: "...لا يذكر أباه إلا تفرقت عيناه بالدموع، بحيث يكن حبا جما واحتراما كبيرا لأمه..."<sup>3</sup> ويروي روش إحدى هذه المواقف: "...بعد فراغ الأمير من عين ماضي، عرج على تقادمت، ليصله يريد من معسكر بوخرشوفة (نواحي مليانة) أن أمه لالة الزهرة مريضة جدا، وبدون تردد امتطى جواده الأسود الزين<sup>4</sup>، في جو شديد البرودة، وسار إليها وهو يسأل الله أن يراها وينال بركتها، لم يقف في مسيره إلا للصلاة بثنية الحد، ليصل إلى معسكر بوخرشوفة<sup>5</sup> بعد خمسة عشرة ساعة قطع خلالها 150 كلم دون توقف..."<sup>6</sup>

يقدم الجاسوس روش الخلاف بين الأمير وفرنسا حول معاهدة التافنة وتجدد القتال بإيحاء والانطباع أن الأمير هو من نقض المعاهدة في حين أن المارشال فالي كان قد خرقتها منذ وقت طويل، لكنه سوف يستحث الخطى بإتمام وظيفته الاستخباراتية على عجل فيقول "...كانت آخر مهمة طلبتها من الأمير قبل الالتحاق بالجيش الفرنسي هي مهمة تفتيش مصانع الأسلحة المتمركزة في مختلف المدن، وقضيت أشهر مارس، أبريل، ماي وجوان 1839 في ذلك، ونسجت شبكة علاقات متينة خصوصا مع القبائل التي على غير وفاق مع الأمير أو

<sup>1</sup>Léon Roches, op Cit, p120.

<sup>2</sup>Ibid, p126.

<sup>3</sup>Ibid, p-p 112-172.

<sup>4</sup>Ibid, p89.

<sup>5</sup> يمكن الاطلاع على خريطة توضيحية لمعسكر الأمير عبد القادر "بوخرشوفة" بنواحي مليانة في ملحق رقم 3، ص 280.

<sup>6</sup>Léon Roches, op Cit, pp 171.172

الفصل الرابع: الأمير عبد القادر في كتابات الفرنسيين إبان ق 19 م (عرض وتقديم لنماذج)  
المرحلة الأخيرة من وفاته إلى نهاية القرن 1883-1900

التي خضعت له بالقوة والإكراه، ليخلص أن أول فرصة لبسط فرنسا سيادتها ستجد حلفاء لها ناقلين على الأمير عبد القادر....<sup>1</sup>

توثقت الصلة بين الجاسوس روش وبيجو وتقلد منصب في هيئة أركان المارشال سنة 1841، وقبل هذا التاريخ يذكر: "...أعدت صياغة النقاط التي رأيتها وتعلمتها أثناء إقامتي عند الأمير، معلومات تخص القبائل ورؤسائها وموقفها من الأمير ومعرفة الشخصيات التي رغبت في التقرب من فرنسا، المعلومات الإحصائية والطبوغرافية. وكل يوم من جانفي إلى نهاية مارس 1840 أزدود وزارة الحرب بمعلومات مهمة عن إقامتي لدى الأمير، ومقدما تفصيلا دقيقا لهيكل إدارة الأمير.<sup>2</sup> روش حاول تلميع صورة المارشال بيجو ويجتهد في الدفاع عنه،<sup>3</sup> بالمقابل يحصل روش على توصية من المارشال بيجو ليكون ضمن الهيئة الدبلوماسية الفرنسية، ودوره المحوري في المفاوضات مع المغرب الأقصى ودفعه لتحديد الأمير عبد القادر.<sup>4</sup>

لعب روش أدوارا خطيرة ومهام استخباراتية، إذ أصبح روش عراب بيجو ولسانه في مفاوضاته مع رؤوس القبائل كما قال هو عن نفسه (A lui le fond a moi la forme) أي لبيجو مضمون الموضوع ولروش الشكل أو بالأحرى قالب الموضوع.<sup>5</sup> ويقول عن صميم دوره مع الجنرال بيجو: "...المعرفة الدقيقة لوجهة نظر بيجو والتعبير عنها بما يوافق فكر وعقلية الشعوب المسلمة..."<sup>6</sup> ومن أخطر أدوار روش نيل فتوى من كبار علماء المسلمين تونس مصر ومكة، تحرم على مسلمي الجزائر محاربة المسيحيين، وذلك لتشتيت جمع المسلمين من حول الأمير عبد القادر، وهو أمر تنبه إليه بيجو عكس الحكام الفرنسيين السابقين، ونذر لهذه المهمة روش لخوض غمارها، وهي المهمة التي استتفرت لها فرنسا كل جهودها الدبلوماسية لنجاحها وتذليل الصعوبات أمام ليون روش لتحقيقها.<sup>7</sup>

<sup>1</sup>Léon Roches, op Cit, pp 185.186.

<sup>2</sup>Ibid, p-p 207-211.

<sup>3</sup>Ibid, p-p 448-455.

<sup>4</sup>Ibid, pp 522.523.

<sup>5</sup>Ibid, pp 226.227.

<sup>6</sup>Ibid, p416.

<sup>7</sup>Ibid, p-p 229-241.

## 2. فرانسوا شارل دي برال François-Charles Du Barail (1820-1902)

ماريشال الإمداد بالجيش، وهو سليل اسرة عسكرية بامتياز إذ لم تمتن أسرته غير الجندية سواء جهة الأب أو الأم، ولد بفرساي 28 ماي 1820، وطفولته شبت على ذكريات مشاهدة يومية لمختلف الأدرع العسكرية، ويفتخر بأبيه كونه كان من صد هجوم الأمير عبد القادر على مستغانم في 27 جويلية-6 أوت 1833، لكن كاميل روسي أعطى شرف ذلك للكولونيل **فتز جمس Fitz-James**، دفعت الحاجة الأب والعائلة إلى العودة إلى الجزائر سنة 1835 إذ لم يكن أمام العساكر سوى وظيفة واحدة "الجزائر أو لا شيء"، والكاتب في عمره خمسة عشر سنة ولن يغادرها إلا بعد عشرين سنة برتبة عقيد، شارك في سقوط الزمالة ومن بعدها معركة إزلي، وساهم بقسط وافر بعد هزيمة فرنسا أمام ألمانيا سنة 1870 وتقلد منصب وزير الحربية دأب على اصدار القوانين والأطر العامة لتنظيمات الجيش وإعادة تشكيل أربعين فرقة عسكرية جديدة.<sup>1</sup>

له كتاب بعنوان:

32. François-Charles Du Barail, **Mes souvenirs**, Tome Premier 1820-1851, Librairie Plon, Paris, 1897. (452 pages)

مؤلف فرانسوا شارل دي برال في 452 صفحة جاء يحمل عنوان "ذكرياتي" قسمه في تسلسل كرونولوجي على خمسة عشرة قسم تتناول في الأول والثاني نشأته والتحاقه بالصباحية، في الثالث والرابع والخامس والسادس على التوالي مزغران، خلافة دي فلوري **De Fleury**، نظام الجنرال لاموريسيير، الضباط. في القسم السابع الزمالة والثامن إزلي والتاسع في القبائل، أما القسم العاشر جاء بعنوان مطاردة الأمير عبد القادر، ثورة فيفري في القسم الحادي عشر والزعاطشة في القسم الثاني عشر، في الثالث عشر الفيلق العسكري، الجزائريين في القسم الرابع عشر، انقلاب العسكري في القسم الأخير.

<sup>1</sup>François-Charles Du Barail, **Mes souvenirs**, Tome Premier 1820-1851, Librairie Plon, Paris, 1897, p-p 1-9.

Narcisse Faucon, **Livre d'or de l'Algérie**, op Cit, pp 36.37.

Marie-Nicolas Bouillet, **Dictionnaire universel d'histoire et de géographie** (Supplément), 33eme édition, Librairie Hachette et Cie, Paris, 1908, p2116.

لم يخصص الكاتب إلا الفصل السابع للتحديث عن "الزمامة والأسرى" والفصل العاشر سماه "مطاردة عبد القادر" في حين تبقى أحداث أخرى تخص الأمير عبد القادر جاءت متناثرة على مؤلفه (مثلا أحداث عين ماضي ينقلها عن ليون روش<sup>1</sup>، حملات على معسكر، تبادل الأسرى).<sup>2</sup> والراجح أن الأحداث الأولى نقلها عن بعض المؤرخين (لصغر سنه) مثل عقد معاهدة التافنة التي أوردتها أنها كانت تتم عن ضعف من جهة الحكومة الفرنسية وعبقورية من جهة الأمير عبد القادر، إذ أصبحت سلطته معترف بها رسمياً، وكنصر دبلوماسي تحمل توقيع الأمير إلى جانب توقيع الملك الفرنسي، فضلا على حصر الفرنسيين في مناطق محدودة.<sup>3</sup>

ويوثق **François-Charles Du Barail** لأحقاده الدفينة ضد الجزائريين حين منحت له فرصة وهو في سن سبع عشرة بزيارة رسمية إلى عاصمة الأمير معسكر برفقة أبيه، يحمل بعض الرسائل لقنصل دumas، وجد في معاملة أحد الجنود النظاميين له ما يُغير صدره ويحمل أحقادا لانتقام منهم، عمد بعدها على تطوير مهارته في تعلم اللغة العربية.<sup>4</sup> يبدأ الكاتب مشواره العسكري كجندي بسيط نظرا لمحدودية تعليمه، لكن تعوُّده على التكلم باللغة العربية فتح له آفاقا ليكون ضمن صبايحي وهران تحت امرة الشهير العقيد يوسف، الذي خصه بحيز كبير ضمن كتابه.<sup>5</sup> ورغم الأحداث الأليمة التي ألمت بعائلته أثر البقاء بالجزائر لأنها كانت تمثل له وللعسكريين مستقبلا مفتوحا لتقلد أرقى الرتب.<sup>6</sup>

يروى **فرانسوا شارل دي برال** حيثيات سقوط الزمامة على يد الجنرال يوسف والدوق دومال: "...أفضت استعلامات الجيش الفرنسي لأول مرة عن وجود زمامة عاصمة متحركة للأمير عبد القادر تحوي حوالي 40 ألف نسمة، وبها كل ما أراد الأمير جعله في مأمن من الفرنسيين العائلات، الأموال، الأرشيف، الورش، مؤن الحرب، وكل وسائل قوته..."<sup>7</sup> والكاتب

<sup>1</sup>François-Charles Du Barail, op Cit, p82.

<sup>2</sup>Ibid, p-p 150-163.

<sup>3</sup>Ibid, pp 37.38.

<sup>4</sup>Ibid, pp 41.42.

<sup>5</sup>Ibid, pp 46.47.

<sup>6</sup>Ibid, p113.

<sup>7</sup>Ibid, p193.

الفصل الرابع: الأمير عبد القادر في كتابات الفرنسيين إبان ق 19 م (عرض وتقديم لنماذج)  
المرحلة الأخيرة من وفاته إلى نهاية القرن 1883-1900

يروى بالتفصيل مجريات مشاركته في معركة طاغين يوم 16 ماي 1843، وحصل على إثرها على تكريم بقلادة الصليب ضمن جهوده مع الصبايحية في جيش كولونيل يوسف، والتي لا تزال حية في وجدانه كجندي فرنسي ويذكرها بفخر بعد نصف قرن.<sup>1</sup>

ويضيف الكاتب في موضوع آخر: "...جهود الأمير عبد القادر منصبة على مراقبة تحركات لاموريسيير بنواحي فراندة، ولم يعلم بتحرك آخر قام به الدوق دومال إلى الجنوب ليستولي على الزمالة، وحين وصلت أخبار الواقعة إلى الأمير كان الوقت قد فات، وعمد لاموريسيير بدوره لملاحقة بقايا الزمالة بنواحي جبل عمور مع الدواير والزمالة بقيادة مصطفى بن إسماعيل وغنموا كثيرا...<sup>2</sup> لكنها كانت هذه آخر حملة لمصطفى بن إسماعيل فحين عودته إلى وهران قطعت طريقه قبائل فليطة فلقى حتفه وأخذت رأسه إلى الأمير عبد القادر.<sup>3</sup>

كما يسوق الكاتب حادثة أسر الجندي نافخ البوق إسكوفيني **Le Trompette Escofier** والمعاملة الطيبة التي تلاقها من الأمير: "...تخلى عن فرسه من أجل إنقاذ نقيب السرية التي كان يحارب معها وأخذ أسيرا في جيش الأمير ولقي معاملة طيبة، وتلقى التشريفات من الجيش الفرنسي وحوّلت له وهو في الأسر من طرف الأمير...<sup>4</sup> كما يشيد **François-Charles Du Barail** بمجريات مقتل محمد بن علال ولد سيدي مبارك أحد مرابطي القليعة، والذي كانت له مكانة عالية لدى أعدائه.<sup>5</sup>

### 3. هنري القس Henry Abbé

هنري القس Henry Abbé قسيس فرنسي بكاتدرائية فردان "Verdun" ألقى هذا الخطاب بكنيسة سانت ميال Saint-Mihiel يوم 5 أوت 1899 في ذكرى معركة سيدي إبراهيم.

33. Henry Abbé, **Sidi Brahim 23, 24 & 25 Septembre 1845**, Imprimerie Renvé-Lallement, Verdun, 1899. (20 pages)

<sup>1</sup>François-Charles Du Barail, op Cit, p-p 194-209.

<sup>2</sup>Ibid, p210.

<sup>3</sup>Ibid, p211.

<sup>4</sup>Ibid, pp 214.215.

<sup>5</sup>Ibid, p216.

الفصل الرابع: الأمير عبد القادر في كتابات الفرنسيين إبان ق 19 م (عرض وتقديم لنماذج)  
المرحلة الأخيرة من وفاته إلى نهاية القرن 1883-1900

جاء هذا المؤلف "سيدي إبراهيم" في 20 صفحة دون عناوين رئيسية ولا فرعية ألقاه القس هنري وفاء للجنود الفرنسيين الذين سقطوا في الجزائر. الكاتب استفتح هذا الخطاب مطمئنا الجنود بأن الكنيسة ستبقى دائما وفيه للمخلصين الذين قدموا تضحيات جسام من الجنود الفرنسيين، مشيرا في هذا الصدد: "...لدى الكنيسة الماضي لن يمضي، ولما تكون الوطنية والايمان تغلفان الروح فإن الأموات هم أحياء..."<sup>1</sup> ورغم مرور 64 سنة مازالت الكنيسة وفي لقاءات سنوية تحي ذكراهم وإلقاء خطابات حماسية تثير في الجنود الفخر والاعتزاز بإنجازهم التاريخي فيقول: "...شرف الموت تحت العلم الفرنسي، مجابها كل الصعاب وكانت فرنسا كلها في سنة 1845 مولعة بما سماه بيجو (أكبر مشاريع فرنسا) وهو احتلال الجزائر..."<sup>2</sup>

بالمقابل يصف القس هنري الجزائريين: "...أيديهم بأسلة، قلوبهم مملوءة كرها للاسم الفرنسي، وللإسلام المسيحي، روحهم الدينية المتعصبة، فُدرة على النفاق متأصلة بحيث يستطيع إخفاء مسدس تحت برنوس الحاج..."<sup>3</sup> ويصف الأمير عبد القادر: "...أسد الصحراء الذي سيظهر من جديد ويقضي على جيش كلونيل مونتانيك Colonel Montagnac رغم التحذيرات الموجهة لهذا الأخير، لكن طموحه بالقبض على الأمير يسيطر عليه..."<sup>4</sup> معرجا على وقائع هذه المعركة ويشيد ببطولات الجنود الفرنسيين واستماتة الكتيبة الصغيرة المتحصنة بمقام الولي الصالح سيدي إبراهيم في الدفاع وعدم الرضوخ والاستسلام.<sup>5</sup>

لم يشف غليل القس هنري جرح الأمير عبد القادر بهذه المعركة ويعمد لتسميته: "...بقاتل الفرنسيين، وأن هذا المكان نفسه الذي شهد انتصاره، سيشهد انتقام لامورسيير Lamoricière بجعله أسيرا..."<sup>6</sup> ويتخذ من مناسبة ذكرى معركة سيدي إبراهيم رسالة دينية، يخلد بها لدى الأجيال القادمة والناشئة، حبها للعسكرية ويمجد نماذج لعسكريين منطقة فردان Verdun الذين

<sup>1</sup> Henry Abbé, *Sidi Brahim 23, 24 & 25 Septembre 1845*, Imprimerie Renvé-Lallement, Verdun, 1899, pp 3.4.

<sup>2</sup> Ibid, pp 4.5.

<sup>3</sup> Ibid, pp 6.7.

<sup>4</sup> Ibid, p-p 6-9.

<sup>5</sup> Ibid, pp 10.11.

<sup>6</sup> Ibid, p12.

رفعوا الراية الفرنسية في كل مكان من العالم ويجعل كل الموتى في مصاف الأبطال الخالدين.<sup>1</sup> ويستعير هنري مقولة المارشال بيجو: "...لا شيء هو أقرب للنظام العسكري مثل النظام الديني..."<sup>2</sup>

#### 4. ألبينوس Alpinus

الكتاب اجتمعت عليه مجموعة من الأقسام لتحريره وإن لم يظهر على واجهة الكتاب هذا الاسم لكنه يحمل توقيع، والراجح أنه أحد أقارب أو أصدقاء الجاسوس ليون روش الذي أشرف على انجاز هذا العمل الجماعي، والمؤلف مستوحى من كتابين ل ليون روش يخلد به ذكراه، المؤلف منجز من فريق عمل أغلبهم ينتمي إلى مقاطعة دوفيني Dauphiné في محاولة لإبراز أعلام منطقتهم، وأشهر مدنها غرونوبل Grenoble مسقط رأس روش، كون التاريخ الفرنسي استحوذت عليه -أو كما عبر عنه الكاتب ابتلغته واقتربته-الجهة الباريسية، لم يكن فيه للكاتب سوى دور السكرتير.<sup>3</sup>

34. Alpinus, *Quelques pages sur Léon Roches*, Imprimerie Allier frères, Grenoble, 1898. (252 pages)

والكتاب "ورقات حول ليون روش" يحوي 252 صفحة ويقدم انطباعات هؤلاء الكتاب (الأصدقاء والأقارب) على مدار خمسة وعشرين فصلا دون عناوين، مادتهم الأساسية مؤلف ليون روش "32 سنة في الإسلام" "Trente-deux ans à travers l'Islam"، يضطلعون بقراءات مختلفة لهذا الكتاب والتعريف بصاحب السيرة محل الدراسة مع تضمين مقتطفات مختلفة من كتاب السالف الذكر، كنوع من الإشهار له ومحاولة إنجاز موجز عنه لضخامته (كتاب 32 سنة في الإسلام بجزئيه يفوق 1000 صفحة).

يكتب المؤلف في بداية كتابه "ورقات حول ليون روش" بهذه الديباجة: "...لا يمكن تصور فرنسا قوية دون سيطرة منا سيطرة لا رجعة فيها على الممتلكات الإفريقية، والجزائر

<sup>1</sup> Henry Abbé, op Cit, p-p 16-18.

<sup>2</sup> Ibid, p19.

<sup>3</sup> Alpinus, *Quelques pages sur Léon Roches*, Imprimerie Allier frères, Grenoble, 1898, pages 14,232 .

الفصل الرابع: الأمير عبد القادر في كتابات الفرنسيين إبان ق 19 م (عرض وتقديم لنماذج)  
المرحلة الأخيرة من وفاته إلى نهاية القرن 1883-1900

مثلت طيلة ثلاثة أرباع القرن، للجنرالات والجنود والأمراء مدرسة حربية حقيقية...<sup>1</sup> ويقدم مبرر انجاز هذه الوريقات: "...تخليدا للذين صنعوا هذا المجد لفرنسا أتى هذا الكتاب لبعض الأصدقاء والأقارب ترجع أصولهم لإحدى المقاطعات الجنوبية الشرقية لفرنسا على الحدود الإيطالية تسمى دوفيني **Dauphiné**، حيث يرجع أصل صاحب السيرة **ليون روش**...<sup>2</sup> ويتصدر الكتاب صورة لروش أنجزها هليوغ دوجردان **Héliog Dujardin**.

وحسب الكاتبة ظلت شخصية **ليون روش**: "...الأكثر حضورا لدى الكتاب المنقبين عن سيرة الأمير عبد القادر وتاريخ الجزائر عموما من الفرنسيين كما وثقت ذلك الرسالة الجنرال رفي **Rivet** إلى **ليون روش**...<sup>3</sup> والراجح أن شخصية **ليون روش** أجمع الكتاب الفرنسيين على إظهارها في ظل المارشال بيجو أكثر منه لدى الأمير عبد القادر، فنجد مثلا الكونت هنري إدفيل **Henri d'Idville** كاتب سيرة المارشال بيجو حفظ معها سيرة **ليون روش**.<sup>4</sup>

وعلى العموم في تصوري مؤلف "ورقات حول **ليون روش**" لا يقدم إضافة كبيرة عن سيرة الأمير عبد القادر كون أغلبها اقتبست من كتاب **ليون روش** "32 سنة في الإسلام" وفصوله مواكبة لما كتبه، في محاولة لإنجاز مختصر له لضخامته.

#### 5. فرديناند دي ليسبس **Ferdinand De Lesseps**

سفير فرنسي ومقاول، المهندس الذي صمم قناة السويس، تتلمذ على يد والده السيد ماثيو دي ليسبس سفير فرنسا بتونس إبان احتلال فرنسا لمدينتي الجزائر ووهران، ومسألة اقتراح أخ باي تونس بايا على قسنطينة باسم السلطة الفرنسية هي من بنات أفكار والده، وفرديناند هو من حمل هذا الاتفاق للمارشال كلوزل الحاكم العام للجزائر آنذاك. وفرديناند دي ليسبس **Ferdinand De Lesseps** هو أحد الأقطاب المشكّلة للوبي فرنسي موالي للأمير عبد القادر لكنه مشدود إلى مصالحه الاقتصادية.<sup>5</sup>

<sup>1</sup> Alpinus, op Cit, pp I.II.

<sup>2</sup> Ibid, pIV.

<sup>3</sup> Ibid, pp 16.17.

<sup>4</sup> Ibid, p21.

<sup>5</sup>Ferdinand De Lesseps, **Souvenirs de quarante ans**, Tome premier, Nouvelle Revue, Paris, 1887, pp 377.378.

الفصل الرابع: الأمير عبد القادر في كتابات الفرنسيين إبان ق 19 م (عرض وتقديم لنماذج)  
المرحلة الأخيرة من وفاته إلى نهاية القرن 1883-1900

له كتاب عنوانه:

35. Ferdinand De Lesseps, **Souvenirs de quarante ans**, Tome premier, Nouvelle Revue, Paris, 1887. (551 pages)

وهو كتاب من جزئين يحمل عنوان "مذكرات أربعين سنة" جزئه الأول في 551 صفحة، يتعرض فيه لمحطات من حياته، أولاً مهمته بروما، ثم سويس وبنما، وظائف القنصل، ثم حلقة من سنة 1848 بباريس ومدريد، دراسة حول الكاتب الإسباني الدون بلميس Balmès، البخار، الجزائر وتونس، الحبشة، الجزائر وتونس، قناة تصل المحيطين ومؤتمر 1879، الأمير عبد القادر، حفل بالأكاديمية الفرنسية.

لا يخفي الكاتب في فصل الجزائر وتونس تمجيده للاستعمار وكان أحد أدواته، والمنافع التي جنتها فرنسا من تلك الحقبة التي أسهمت كما سماها: "...التكوين العسكري للجيش الفرنسي على أساس قاعدة إذا أردت السلم عليك أن تتجهز للحرب، ومراعات الصعوبات أو بالأحرى التسهيلات التي توفرها ذهنية وأعراف الجزائريين للحضارة الأوروبية..."<sup>1</sup> وينافح عن معاهدة الاستسلام التي وقعها الداوي حسين فهي حسب زعمه: "...السلطات الفرنسية عملت على التنفيذ بأمانة لمعاهدة استسلام الجزائر التي ضمنت للجزائريين احترام الديانة والتقاليد وأملاكهم..."<sup>2</sup> والملاحظ أن الكاتب يعمل على الاستثمار في الجزائريين بما يخدم مصالح الفرنسيين السياسية والاقتصادية ويسرد لجهود كثير من الجزائريين ضمن الجيش الفرنسي مع مراعاة خصوصيتهم الدينية والاجتماعية. مع ذلك يقر الكاتب قائلاً: "...كثيراً من الفرنسيين لا ينظرون للجزائريين على قدم المساواة، وفرنسا عليها أن تدير السكان الخاضعين لها بإنصاف، والتعصب ضد المسيحيين لا يوجد إلا لدى الأتراك وليس لدى الجزائريين..."<sup>3</sup>

يخص **De Lesseps** سيرة الأمير عبد القادر ببعض المقتطفات سجلها عنه، إذ ارتبطت بينه وبين الأمير عبد القادر صداقة، فيصف الأمير في مذكراته حين زاره في محبسه سنة

& Bruno Étienne, **Abdelkader Isthme des isthmes (Barzakh al- barazikh)**, Hachette Livre, Paris, 1994, p285.

<sup>1</sup>Ferdinand De Lesseps, op Cit, p363.

<sup>2</sup>Ibid, p364.

<sup>3</sup>Ibid, p366.

1848 بقلعة "بو" مع عائلته ورآه لأول مرة: "...أدهشني نبهه، لطيف ذو وقار، وأظهر تصميمًا على خدمة فرنسا بتأثير أقواله، بنفس القدر حين قاتلها بالسلاح، وبقي دائمًا وفيًا لوعوده، ويعد الحامي والمنقذ للطائفة المسيحية بدمشق..."<sup>1</sup>

والراجح لدى الطالب الباحث أن الكاتب يقصد بخدمة فرنسا على أساس ما يخدم مشاريع دي ليسبس وكانت ارتبطت علاقة صداقة بين الإثنين، والسفير المقاول وجد في الأمير المروج لمشروعه "حفر قناة السويس" وعلى وجه الخصوص دعوة العمال للانخراط في إنجازهم، وقناعة الأمير بما يحمله هذا المشروع من نهضة للمنطقة العربية. لذا حسب دي ليسبس: "...شارك الأمير عبد القادر مع الامبراطورة أوجيني Eugénie سنة 1869 في حفل افتتاح قناة السويس، ومنحت له أرض زراعية باسمه على ضفة القناة، لكن سياسة نائب الملك المصري حالت دون حيازته لهذه الأرض، وكان سلوك الأمير كما هو الحال دائمًا وفيًا وغير أناني..."<sup>2</sup>

ودائمًا على نفس الهدف المسطر بما يخدم مشاريعه يحاول دي ليسبس هذه المرة الاستثمار في مؤلفات الأمير، حين يورد مقاطع من كتاب الأمير عبد القادر "ذكرى العاقل وتنبية الغافل"، الذي قام دوقا Dugat بترجمته إلى الفرنسية، محاولًا الاستشهاد به لنفس الغرض: "...خلق نوع من الوحدة والتعاون والقبول بين المسلمين والمسيحيين بما يخدم إنجاز مشاريعه الاقتصادية..."<sup>3</sup> وقد كانت أنظاره متجهة لإنجاز مشروعه الثاني، بحيرة تجمع الأراضي التونسية والجزائرية (قناة قابس)، فيسرد رسالة باسم الأمير عبد القادر في 28 ماي 1883 يدعوا فيها الجزائريين والتونسيين إلى: "...تقديم يد العون والإحسان للشركة الفرنسية وتسهيل مهامها، وألا يصغوا للإشاعات المغرضة بالأضرار التي يحملها هذا المشروع للوطن والسكان وكما في مشروع قناة السويس سينتفع خلق الله من هذا المشروع كذلك..."<sup>4</sup>

<sup>1</sup>Ferdinand De Lesseps, op Cit, pp 495.496.

<sup>2</sup>Ibid, pp 497.498.

<sup>3</sup>Ibid, p 375.376.

& L'Émir Abdelkader, **Rappel à l'intelligent, avis à l'indifférent, considérations philosophiques, religieuses, historiques, etc.** Traduit avec l'autorisation de l'auteur sur le manuscrit original de la Bibliothèque Impériale, par Gustave Dugat, Benjamin Duprat Libraire de L'institut, Paris, 1858, p-p xx-xxii.

<sup>4</sup>Ferdinand De Lesseps, op Cit, p-p 499-501.

الفصل الرابع: الأمير عبد القادر في كتابات الفرنسيين إبان ق 19 م (عرض وتقديم لنماذج)  
المرحلة الأخيرة من وفاته إلى نهاية القرن 1883-1900

وفي تقديري فإنه فات Ferdinand De Lesseps أن الأمير عبد القادر انتقل إلى جوار ربه يوم 26 ماي 1883 وهذا ما يرجح أن كثيرا من الرسائل الفرنسية خصوصا التي تشيد بسياستها وانجازاتها بالبلاد العربية كانت من صنع دوائرها "السياسية والاقتصادية" وتخط باسم الأمير عبد القادر.

ملاحظة أخرى في تقديري هذه المشاريع الاقتصادية إذا كانت في خدمة خلق الله كما أشارت الرسالة، فلم لم توفر لهم فرص عمل تُصلح من بعض شأنهم، أي على أساس علاقة نفعية للطرفين، لا أن يُطلب من السكان تقديم العون والإحسان للشركة، اللهم إلا إذا أريد بذلك توفير يد عاملة "بالسخرة" يفني فيها العمال دون مقابل وتجنّي منها الشركة الفرنسية أرباحا مضاعفة كما فعلت مع العمال المصريين في قناة السويس، ويصر على جعل الأمير عبد القادر في خدمة فرنسا.

#### 6. جول بيشون Jules Pichon

عسكري فرنسي قناص بجيش افريقيا ولد بمدينة سيدي بلعباس.<sup>1</sup>

له كتاب يحمل عنوان:

36. Jules Pichon, **Abd El Kader, sa jeunesse son rôle politique et religieux son rôle militaire sa captivité, sa mort (1807-1883)**, Henri Charles-Lavauzelle, Paris, 1899. (192 pages)

وفي تقديري أن عبارة "حَذُو القُدَّةِ بالقُدَّةِ" تصدق على كتاب جول بيشون "عبد القادر" "Abd El Kader" (192 صفحة) فما هو إلا نسخ حرفي لما كتبه بلمار Bellemare في كتابه "عبد القادر حياته السياسية والعسكرية"، وهو إلى حد ما مختصر لكتابه، يكفي ان عنوان الكتاب وعناوين الفصول جاءت على نفس نسق كتاب بلمار، فنجد في الفصل الأول والثاني يتكلم عن طفولة الأمير عبد القادر ومبايعته سلطان، أما الثالث والرابع بداياته السياسية والعسكرية ثم اتفاق دي ميشال، في الفصول الخامس والسادس والسابع جهوده لتوحيد القبائل ثم التنظيمات التي أرسى دعائمها فمعركة المقطع، في الفصلين الثامن والتاسع الفرنسيين في

<sup>1</sup>Annuaire de l'Armée française, ministère de la guerre, Berger-Levrault et Cie Libraires éditeurs, Paris, 1891, p283.

الفصل الرابع: الأمير عبد القادر في كتابات الفرنسيين إبان ق 19 م (عرض وتقديم لنماذج)  
المرحلة الأخيرة من وفاته إلى نهاية القرن 1883-1900

معسكر ثم تلمسان، معاهدة التافنة وحصار عين ماضي في الفصلين العاشر والحادي عشر، في الفصلين الثاني عشر والثالث عشر ركائز الدولة ثم نقض معاهدة التافنة، في الفصلين الرابع عشر والخامس عشر الحاكم العام بيجو ثم ازلي فتوقيف القتال، الأمير في الأسر بحصن لامارق ثم بو وأمبواز في الفصلين السادس عشر والسابع عشر، وفي الفصلين الثامن عشر والتاسع عشر الأمير عبد القادر في باريس ثم بروصة ودمشق. ثم يلحق كتابه ببعض الملاحق تخص الرسائل المتبادلة بين الأمير ودي ميشال، اتفاق دي ميشال، اتفاق التافنة، ورسائل الأمير مع بعض الدوائر السياسية الفرنسية، ثم وصف معسكر الأمير وسقوط الزمالة.

ولتدليل على ذلك نجد أن الأحداث المسجلة والتراكيب النصوص أخذت عنه حرفياً وصياغته منقولة عنه مع تغييرات طفيفة جداً في التراكيب تقديماً وتأخيراً، حتى لأنه يلتبس عليك هل تقرأ لبلمار أم لبيشون. وسنورد مقاطع متفرقة كنماذج عن ذلك:

Bellemare : Au bout de quelques mois passés à Oran, Abdelkader, impuissant à supporter plus longtemps le spectacle qu'il avait sous les yeux, reprit le chemin de la Guetna paternelle, et termina son éducation auprès des nombreux tholbas.<sup>1</sup>

Pichon : au spectacle des désordres, des mœurs dissolues, des exactions de la milice turque ; et, au bout de quelques mois, il revenait à la Guetna pour parfaire son instruction auprès des nombreux tholbas.<sup>2</sup>

Bellemare : c'est-à-dire dans tout le beylik d'Oran. Il n'était pas rare que des Arabes accourussent de trente et quarante lieues de distance à la Guetna de Mahhied-Dîn, afin de lui soumettre les différends qui les séparaient ; et non-seulement les individus le prenaient pour juge, mais souvent on vit des tribus prêtes à en venir aux armes recourir à son arbitrage et accepter sa décision comme l'expression de la volonté de Dieu.<sup>3</sup>

Pichon : Dans tout le beylick d'Oran sa réputation de justice, de droiture était telle que les Arabes venaient de fort loin pour lui soumettre leurs différends, et non seulement les particuliers le prenaient pour juge, mais aussi

<sup>1</sup>Alex Bellemare, op Cit, pp 16.17.

<sup>2</sup>Jules Pichon, Abd El Kader, **sa jeunesse son rôle politique et religieux son rôle militaire sa captivité, sa mort (1807-1883)**, Henri Charles-Lavauzelle, Paris, 1899, p 13.

<sup>3</sup>Alex Bellemare, op Cit, pp 12.13.

الفصل الرابع: الأمير عبد القادر في كتابات الفرنسيين إبان ق 19 م (عرض وتقديم لنماذج)  
المرحلة الأخيرة من وفاته إلى نهاية القرن 1883-1900

des tribus entières, prêtes à en venir aux mains, recouraient à son arbitrage et acceptaient ses décisions comme une émanation de la justice divine.<sup>1</sup>

Bellemare : dans une province où la noblesse religieuse a été et est encore la seule noblesse.<sup>2</sup>

Pichon : Dans une province où la vraie, la seule noblesse a été et sera toujours la noblesse religieuse.<sup>3</sup>

Bellemare : M. le capitaine Boissonnet sut profiter, avec une rare habileté, de la nouvelle situation de l'émir... Passant chaque jour plusieurs heures avec lui, il lui expliquait nos mœurs, nos habitudes, les merveilles des sciences et de l'industrie, notre histoire ... M. le capitaine Boissonnet savait toujours diriger de manière à en faire un enseignement pratique pour Abd-el-Kader.<sup>4</sup>

Pichon : Le capitaine Boissonnet, dont les services auprès de l'Emir lui méritèrent justement le quatrième galon, mit à profit cette disposition d'esprit pour expliquer au noble captif et lui faire apprécier nos mœurs, nos habitudes, les merveilles de l'industrie et de la science, et lui apprendre sommairement l'histoire de notre pays.<sup>5</sup>

#### 7. أندري بيرتي (1888-1818) André Berthet

رجل أدب فرنسي كتب عدة روايات منها هذه محل الدراسة، وهي من الكتابات التي حاولت تجميل الاحتلال على عادة كتاب هذه المرحلة واختصارها في الرسالة الحضارية لفرنسا، ويختصرها الكاتب في قصة رومانسية (علاقة شاب جزائري بفرنسية) خلال مقاومة الأمير عبد القادر، معرجا على رصد بعض المحطات التاريخية، لكنه عكس العسكريين والسياسيين فإنه يعطي رأيه بأكثر جرأة في الأمير عبد قادر وفي الجيش الفرنسي وإن كان يعتذر لهذا الأخير على المجازر التي قام بها في حق الجزائريين.

ويحمل كتابه العنوان التالي:

37. André Berthet, **La femme du Kaïd, épisode des guerres d'Afrique 1837-1848**, marc Barbou & Cie Imprimeurs-Libraires, Limoges, 1890. (241 pages)

<sup>1</sup>Jules Pichon, op Cit, p 13.

<sup>2</sup>Alex Bellemare, op Cit, p 12.

<sup>3</sup>Jules Pichon, op Cit, p 12.

<sup>4</sup>Alex Bellemare, op Cit, pp 377.378.

<sup>5</sup>Jules Pichon, op Cit, p 138.

يتناول هذا المؤلف "امرأة القائد، حلقة من حروب إفريقيا 1837-1848" (241 صفحة) في قالب قصصي مقسمة على أحد عشر فصلا، في الفصل الأول اجتماع خاص لأربع من رؤساء القبائل، في الفصل الثاني أنجل Angèle وفاطمة، خروج إبراهيم عن الصف الوطني في الفصل الثالث، أسرته وهروبه ومطاردة الفارين في الفصل الرابع والخامس، قائد لدى الفرنسيين وزواجه في الفصل السادس، الخيانة ومعركة ازلي في الفصلين السابع والثامن، طلب الانتقام لأحد الأعيان في الفصل التاسع، مجلس الحرب في الفصل العاشر، وأخيرا العناية الإلهية في الفصل الحادي عشر. والكاتب يدرج عدة صور مستوحاة من قصته منها صورة يمجدها الجنرال يوسف وهو من فوق فرسه يخوض في دماء الجزائريين وأشلاتهم تحت أقدام فرسه<sup>1</sup>، وصورة للأمير عبد القادر<sup>2</sup>

والكتاب يسرد سيرة أحد الجنود كان ضمن قوات الأمير وهو ابن أخ مصطفى بن إسماعيل، وقع أسيرا لدى القوات الفرنسية بعد معركة السكاك في 6 جويلية 1836 بقيادة بيجو، حيث أخذ إلى وهران وتلقى العلاج والعناية كما تلقاها باقي الجنود الفرنسيين، وأصبح صديق يوسف المملوكي، ويرتبط بعلاقة عاطفية مع ابنة أحد الفرنسيين المستقرين بوهران، انتهزها والد الفتاة لصالح بلده مع تأثير ابنته على عقل الشاب ليكون جاسوسا للفرنسيين. لكن الكاتب يعلق على ذلك: "...انتقل هذا الشاب إلى جانب الحضارة والتي أصبحت في عينه جميلة..."<sup>3</sup>

ويسير بنا الكاتب في تنافر بيّن ومتقطع ومزج بين أحداث الفتاة الفرنسية وخطيبها، وأحداث رسمت تاريخ الجزائر في هذه الفترة عقب نقض اتفاق التافنة. لكن الملاحظ في الفصل الخامس يعطي التوصيف الآتي للجيش الفرنسي: "...لم يكن مكونا سوى من أسوء العناصر المتخرجة من الكليات الحربية، ميزتهم اللامبالاة في الحرب ويسعون إلى قتل الناس دون جريرة، ولا يؤنبهم ضميرهم، يفعلون أي شيء من أجل الخمرة، ولهم سلوك مشين قولا وفعلا..."<sup>4</sup>

<sup>1</sup>André Berthet, *La femme du Kaïd épisode des guerres d'Afrique 1837-1848*, marc Barbou & Cie Imprimeurs-Libraires, Limoges, 1890, p147.

<sup>2</sup>Ibid, p35.

<sup>3</sup>Ibid, p-p 23-28.

<sup>4</sup>Ibid, p104.

الفصل الرابع: الأمير عبد القادر في كتابات الفرنسيين إبان ق 19 م (عرض وتقديم لنماذج)  
المرحلة الأخيرة من وفاته إلى نهاية القرن 1883-1900

وهذا السلوك سيصبح قاعدة بعد تسلم بيجو القيادة العسكرية: "...خصوصا بعد قدوم بيجو في 23 ديسمبر 1840 وكانت فرنسا قد جندت له كل طاقتها العسكرية، لتبدأ حملات ربيع 1841 اتخذت موقعين مهمين منطلقا لكل عملياتها بالجزائر (المدية ومليانة)..."<sup>1</sup>

يقول **André Berthet** من دافع الجزائريين للجهاد وجهود الأمير وخلفائه في قيادة الجزائريين في انتفاضة شاملة بكل الجزائر منها قائلا: "...إن الدافع من هجوم مصطفى بن تهايمي على حامية مزهران في فيفري 1840، هو تعصب المرابطين والغنيمة المنتظرة..."<sup>2</sup>. غير أنه يستدرك ويشيد بمقاومة الجزائريين وقائدهم الأمير عبد القادر فيكتب: "...مع ذلك ومهما يكن فإن مقاومة كل الشعب كانت بطولية أمام هذا الاحتلال، ومجد عبد القادر أنه مثل الإسلام في الجزائر إلى آخر لحظة، هذا الإنسان خطير في سكونه، شجاع في وثبته، تجتمع فيه خصلتان في تناقض غريب القيادة والريانية (قوة جبارة وتسامح رباني)، ومهما حدث سيبقى اسمه للأبد في سجل الصفحات الزاهرة في التاريخ كأحد الرجال العظام، مثل فرسانجنوريكس Vercingétorix..."<sup>3</sup> (قائد غولوا Gaulois-اسم الفرنسيين قديما-ضد الرومان)

ورغم ما لحق مقاومة الأمير من نكبات حسب الكاتب يقول: "...بقي الأمير يخوض المعارك تلو الأخرى، بعد سقوط المدن والقلاع وآخرها الزمالة، ولم تتوقف معها أرتال جنرالات بيجو لإخضاع أغلب القبائل، وتطمح إلى وضع حد للأمير، وتُعد معركة إزلي مع الجيش المغربي الواقعة التي كرس الاحتلال الحقيقي للجزائر..."<sup>4</sup> وقد فسح تراجع مقاومة الأمير عبد القادر لظهور زعامات جديدة لكنها حسب الكاتب لا ترق لمصاف الأمير: "...إن تراجع دور الأمير فسح المجال لزعامات أخرى بالظهور مثل بومعزة لكن ليست له لا مهارة ولا قدرات الأمير وسوف لن يصمد كثيرا، أعقبها حلقة مظلمة كان لها صدى مؤلما محاصرة الجيش للسكان بمغارة أولاد رياح وإشعال النيران على مداخلها ليختنق بها أكثر من 600 إنسان تلقى

<sup>1</sup>André Berthet, op Cit, p129.

<sup>2</sup>Ibid, pp 107, 114.

<sup>3</sup>Ibid, p-p 146-148

<sup>4</sup>Ibid, pp 143.144.

الفصل الرابع: الأمير عبد القادر في كتابات الفرنسيين إبان ق 19 م (عرض وتقديم لنماذج)  
المرحلة الأخيرة من وفاته إلى نهاية القرن 1883-1900

بعدها بيلييسي **Pélissier** توبيخا، لكن الكاتب يعتبر هذا الإجراء ضروري لإجبار الجزائريين على وضع حد لمقاومتهم بالظهرة...<sup>1</sup>

وعن معركة سيدي إبراهيم وتبعاتها يوثق الكاتب: "...سبتمبر 1845 معركة سيدي إبراهيم جعلت الأمير عبد القادر يسترجع أنفاس المقاومة ويعود إلى داخل الجزائر مستنهضا جميع القبائل في طريقه، رغم أن المقاومة خمدت في أغلب المناطق، وظروفه ازدادت صعوبة على ضفاف نهر ملوية، فمن جهة القبائل المغربية المدعومة من القصر تضايقه، ومن جهة أخرى القوات الفرنسية، فلا يرسى احتلال الجزائر على أمان إلا بإزاحة الأمير أمام مشاريعنا الاستعمارية..."<sup>2</sup>

والملاحظ لدى الطالب الباحث أن ربط الكاتب بين قصة الشاب الذي تنصر وتزوج فرنسية وعمل جاسوسا على الأمير عبد القادر والجزائريين وخدم في جيش الاحتلال، في رواية رومانسية (خلاصتها اخلاصه لزوجته الفرنسية وجيشها وكيد الجزائريين له خصوصا الفتاة التي آثر عنها الفرنسية ومحاولتها النيل منه باختطاف ابنه) يقحمها على مدار الكتاب دون أن يكون لها مدلول على الأحداث التاريخية للأمير ومقاومته، نجده كذلك يربط بين الاحتلال والحضارة، وإن كان فصل في الاحتلال بما فيه خنق السكان في مغارات عدها حلقة مظلمة لكنها ضرورية لإخضاع السكان، فلم يبرز معالم ومظاهر هذه الحضارة إلا ما وجده هذا الشاب في عيون فتاته الجميلة وأصبح أحد أعوانهم ضد قومه.

## 8. فريدريك كون أبرست Frédéric Kohn-Abrest (1850-1893)

من كتاب الرحالة تعود أصوله إلى براغ عاصمة تشيك، يهودي العقيدة، كاتباً وصحفيًا نمساويًا، في سن 27 حصل على الجنسية الفرنسية.<sup>3</sup>

وجاء كتابه بعنوان:

38. Frédéric Kohn-Abrest, **En Algérie Trois mois de vacances**, Libraire Ch. Delagrave, Paris, 1884. (188 pages)

<sup>1</sup>André Berthet, op Cit, pp 212.213.

<sup>2</sup>Ibid, pages 214, 215, 217, 231,233.

<sup>3</sup>Jüdisches Museum Hohenems, Hohenems Généalogie, Consulté le 23/07/2022 à 08 :08.

الفصل الرابع: الأمير عبد القادر في كتابات الفرنسيين إبان ق 19 م (عرض وتقديم لنماذج)  
المرحلة الأخيرة من وفاته إلى نهاية القرن 1883-1900

يتناول هذا المؤلف "عطلة ثلاث أشهر بالجزائر" في 188 صفحة رحلته إلى الجزائر على مدار احدى عشر فصلا، انطلاقته من مرسيليا في الفصل الأول، انطباع الأولي عن الجزائر في الفصل الثاني، بوفاريك وطريق السكة الحديدية في الفصلين الثالث والرابع، قسنطينة وكيف تم احتلال الجزائر في الفصلين الخامس والسادس، سويسرا الجزائرية (جبال جرجرة) في الفصل السابع، تردد حكومة لويس فليب في بداية الاحتلال في الفصل الثامن، أما الفصل التاسع خص به الأمير عبد القادر، والفصلين العاشر والحادي عشر الجزائر بعد أسر الأمير عبد القادر ثم الحكم المدني بالجزائر. والكتاب مطعم بعدة الصور، منها صورة للجيش الفرنسي يقوم بإشعال النيران لخنق السكان المعتصمين بالمغارات،<sup>1</sup> وصورة للضيافة التي يخصص بها بعض البدو قادة الجيش الفرنسي،<sup>2</sup> وصورة للأمير عبد القادر<sup>3</sup>

قدم الكاتب إلى الجزائر على متن سفينة من مرسيليا، في الفترة التي أعقبت سقوط تونس تحت يد الحماية الفرنسية، مما أعطى دفعة لحركية قوية للجنود والضباط على متن هذا الخط البحري، ومن النادر أن تجد سفن تقلع إلى السواحل الجزائرية وليس عليها عددا معتبرا لكبار الضباط.<sup>4</sup> لكن فريديريك كون أبرست يسجل في الفصل الأول وهو مازال على متن السفينة، تلك النقاشات الساخنة والتي أسالت كثيرا من الحبر والخطابات التي كان يثيرها من أسموهم الجزائري ويقصد بهم (كولون الأوروبي أو ابن الأوروبي المقيم في الجزائر) بكل حدة بشأن مستقبلهم بالجزائر، وكيفية التعامل مع التجمعات الجزائريين خصوصا الرحالة.<sup>5</sup>

وعن موقف الكولون من الجزائريين وصفة التعالي عليهم يوثق الرحالة ما يلي: "...سيكون من الصعوبة بل وتصاب بالصدمة إذا سمعت مطالبة بمبادئ المساواة والحرية والتآخي بفرنسا والتشدد دائما بحقوق الانسان في حين نرفض التعامل على قدم المساواة مع الجزائريين، وبالمحصلة فهم في ديارهم، وينقل على لسان أحد الكولون أن هذه الحرية وما حملته الثورة

<sup>1</sup>Frédéric Kohn-Abrest, *En Algérie Trois mois de vacances*, Libraire Ch. Delagrave, Paris, 1884, p157.

<sup>2</sup>Ibid, p121.

<sup>3</sup>Ibid, p145.

<sup>4</sup>Ibid, p5.

<sup>5</sup>Ibid, pp 11.12.

الفرنسية 1789 لا يمكن إقرارها إلا في الضفة الأخرى من المتوسط، وأن حرية الصحافة لم تخلق لابن آوى والذئاب، فلا يصلحهم إلا النفي إلى أقاصي الدنيا أو وضعهم تحت طائلة القوانين الزجرية والمسؤولية مع العقوبة الجماعية...<sup>1</sup>

يستقي فريدريك كون أبرست تاريخ البلد القديم من مصدر صدرا حديثا سنة 1882 لأستاذ التاريخ موريس وال Maurice Wahl في كتابه "الجزائر" ملخصها أن الظلمة القائمة تخيم على السكان الأوائل للجزائر.<sup>2</sup> وكان موريس وال يقول: "...لا وجود لعرق نقي، والبلاد كانت مسرحا لهجرات عديدة تفاعلت بشكل أو بآخر، ومسألة أصول البربر تبقى دائما مظلمة، كمجمل المسائل التي تبحث عن أصل الأشياء، فسحت المجال لعدة فرضيات ونظريات تأسست على الملاحظة للوقائع الحالية والنصوص القديمة والمقاربات التي يعطيها لنا التاريخ والجغرافيا..."<sup>3</sup> وهو نفس المسار الذي اتخذه اميل فلنكس قوتيي Émile-Félix Gautier (1864-1940) حين عنون مؤلفه الشهير "ماضي إفريقيا الشمالية، القرون المظلمة" والذي يقول في مستهله: "...تاريخ المغرب عدا مرحلة جد معروفة وسلطت عليها الأضواء كثيرا على سبيل المثال العهد الروماني في حين تبقى العصور الأخرى قرون من الظلام أهملها التاريخ..."<sup>4</sup>

بدءا من الفصل الثاني إلى الفصل الحادي عشر يعطي فريدريك كون أبرست وصفا لجميع المناطق التي زارها منها الجزائر، بوفاريك، حمام ريغة، وهران، تلمسان، قسنطينة، مستحضرا بعض الأحداث التاريخية التي عرفت البلاد والتنظيمات الإدارية التي أقرها الاحتلال بالجزائر.

في الفصل التاسع يخص الرحالة شخص الأمير عبد القادر بالتوصيف التالي: "...ظهر على الساحة بعد القضاء على الحاميات التركية ينعتهم (بالغرباء)، وينعت الأمير عبد القادر بممثل الجزائريين، وهي الشعوب الأصلية لهذه البلد، وهو واعظ ديني، له رؤية، خطيب ملهم،

<sup>1</sup>Frédéric Kohn-Abrest, Op Cit, pp 12.13.

<sup>2</sup>Ibid, p17.

<sup>3</sup>Maurice Wahl, *L'Algérie*, Librairie Germer Baillièrre et Cie, Paris, 1882, p48.

<sup>4</sup>Émile-Félix Gautier, *Le passé de L'Afrique du Nord les siècles obscurs*, petite Bibliothèque Payot, Paris, 1952, p19.

يسير على طريق نبيه محمد صل الله عليه وسلم، وفوق ذلك فهو جنرال حرب، دبلوماسي حادق، ظهر في الوقت المناسب، شبيهه ببيير ارميت **Pierre l'Ermite** يحمل برنوساً...<sup>1</sup>  
وعن شهرة الأمير يقول: "... أصبح الأمير عبد القادر بعد المعارك الأولى ضد الفرنسيين حديث كل الفرنسيين في الجرائد، ويملاً تقارير الضباط، خصم له اعتبار كبير وجدير بالاحترام..."<sup>2</sup> ويروي الرحالة باختصار سيرة الأمير عبد القادر دون ترتيب محكم، لكنه يشير لعلاقة الصداقة الحميمة بين الأمير و**فرديناند دي ليسبس Ferdinand De Lesseps** ومحاولة إقناع العرب بمنافع مشاريع هذا الأخير في البلاد العربية منها إنشاء بحيرة داخلية بإفريقيا.<sup>3</sup>

### 9. كلارا فيال دي بتيني Clara Filleul de Pétigny

اشتهرت كرسامة وكاتبة لعدة مؤلفات لحساب الأطفال وكذلك كانت لها بصمة في أدب الرحلة لها كتابان عن الجزائر بمحتوى واحد وعناوين مختلفة هما:<sup>4</sup>

39. Clara Filleul de Pétigny, **L'Algérie**, B. Pornin et Cie Imp-Libraires-éditeurs, Tours, 1846. (283 pages)
40. Clara Filleul de Pétigny, **Souvenirs de voyage dans l'Asie, le Nord de l'Afrique, Syrie, Algérie, Tripoli, Tunis, Etc**, Eugène Ardant et Cie éditeurs, Limoges, 1884. (240 pages)

صدر لها كتابين عن الجزائر أول سنة 1846 "الجزائر" بحجم 283 صفحة والثاني "تذكريات رحلة إلى آسيا وشمال إفريقيا" في 240 صفحة سنة 1884، لكن الملاحظ أن الكتاب الثاني هو نسخ حرفي للكتاب الأول مع فارق زمني كبير حوالي (38 سنة) فالكتابين محتواهما واحد والعناوين الفرعية كذلك، فقط الاختلاف في العنوان الرئيسي للكتابين وكذلك دار النشر ومدينة النشر وسنة النشر. وكذلك حيثيات مغادرتها الجزائر بعد معركة سيدي إبراهيم هو الجزء المفقود في نسخة الكتاب الثاني طبعة سنة 1884. الكتاب يحمل ثمان فصول، فتبدأ رحلتها للمدن الشرقية (الإسلامية) منها القدس، إسطنبول، الإسكندرية... الخ في

<sup>1</sup>Frédéric Kohn-Abrest, Op Cit, p142.

<sup>2</sup>Ibid, p147.

<sup>3</sup>Ibid, pp 162.163.

<sup>4</sup> للتعريف بالكاتبة يمكن العودة إلى الصفحة 42 من الفصل الأول.

الفصل الرابع: الأمير عبد القادر في كتابات الفرنسيين إبان ق 19 م (عرض وتقديم لنماذج)  
المرحلة الأخيرة من وفاته إلى نهاية القرن 1883-1900

الفصلين الأول والثاني، في الفصل الثالث تخصصه للجزائر، وكذلك التعريف ببعض مدن مثل قسنطينة، معسكر، أبواب الحديد، مزغران والأحداث التاريخية التي عرفت في الفصل الرابع. في الفصل الخامس تطورات العسكرية مع المغرب وجرائم مغارات الظهرة، في الفصل السادس بعض العادات المجتمع الجزائري، وتخص الفصل السابع حياة الأمير عبد القادر والفصل الثامن والأخير أحداث جامع الغزوات.

كان لمعركة سيدي إبراهيم أثر كبير على الكاتبة ومرافقيها إذ تقول: "...خصوصا بعد الرحلة التي أحدثها لدى كثير من القبائل، عجلت بمغادرة الجزائر (هي وأبوها وفكتور) بعد ذلك بأيام قلائل أي يوم 8 أكتوبر 1845 عن طريق جبل طارق (اسبانيا) مفعمة بمشاعر لرؤية نواحي بواتيه Poitier بالديار الفرنسية..."<sup>1</sup> وحيثيات هذه المغادرة هو الجزء المفقود في نسخة الكتاب الثاني طبعة سنة 1884.

لكن ما يميز Clara Filleul de Pétigny أنها تكتب بنزعة مزدوجة متأصلة فيها دينية مسيحية وأخرى تاريخية رومانية سواء في ذكر أهم المحطات التاريخية سواء للمدن التي مرت بها والأحداث التي عرفت، إذ بدأت جولتها بزيارة الأراضي المقدسة مهد المسيح عليه السلام والتي كانت منطلقا لهذا الشرق آيل للسقوط، إذ تقول عن عمارة المسلمين: "...أن المسلمين لم يبنوا مساجد مهمة، القليل منها ما يشدك الفضول لرؤيتها..."<sup>2</sup> والمساجد على نسق مسيحي إذ تكتب: "...كل المساجد الكبيرة أنشئت على نمط موحد فرضته عليها هندسة كنيسة آيا صوفيا..."<sup>3</sup> وتعبّر عن زيارتها لتونس وأثار قرطاج: "...من الصعب التعبير عن المشاعر من النظرة الأولى لهذه المدينة التي أرقّت الإمبراطورية الرومانية..."<sup>4</sup>

وتستمر Clara Filleul de Pétigny مع هذه النزعة الدينية المسيحية إذ تصف دخولها الجزائر: "...دخلت إلى الجزائر عن طريق تونس وتزور أول مدينة عنابة Bone وقديما Hippone، استولى عليها شرلكان سنة 1555، وكانت مقر احد الأساقفة سانت

<sup>1</sup>Clara Filleul de Pétigny, L'Algérie, B. Pornin et Cie Imp-Libraires-éditeurs, Tours, 1846, p-p 274-280.

<sup>2</sup>Ibid, p-p 1-3.

<sup>3</sup>Ibid, p 15.

<sup>4</sup>Ibid, p 45.

أغستين **Saint Augustin** ثم تعرج على تاريخ هذا القديس وتعبّر عن ذلك بأجمل المشاهد الدينية التي عرفت الأراضى الجزائرية إذ سعى الفرنسيون إلى جلب بقايا رفاتة (يده اليمنى) من مدينة إيطالية بأفيا **Pavie**، وهذا العمل سعى فيه القديس **دويوش Dupuch** وتصل إلى عنابة يوم 28 أكتوبر 1842، واستقبل بحفاوة كبيرة من جميع السلطات الإدارية والعسكرية وهذا المشهد الرائع لم تشهده الجزائر منذ عهد **أغستين**...<sup>1</sup>

وهذا السرد يوحى بالنزعة المسيحية كما أشارنا فلم تجد في تاريخ هذه المدينة العريقة إلا ما يخص هذا القديس وجهود الفرنسيين لإرجاع بعض رفاتة بتلك التلة التي ستصبح فيما بعد كنيسة المدينة. ثم في سرد تاريخ مدينة الجزائر وصراعها مع الإسبان والأخوين باربروس نجدها تسجل الآتي: "... تعد أعمال البحارة الجزائريين ضمن الجرائم، مما حدا بالبابا بول الثالث يكلف شارلكان بالدفاع عن جميع الأمم المسيحية..."<sup>2</sup> ومن بعدها في سرد الحملات المسيحية على الجزائر ومنها الحملات الفرنسية التي لم تكن إلا تأديبية رغم ما أحققته بالمدينة من خراب.<sup>3</sup> وتعزي الأمان الذي عم البحر المتوسط بعد 1784 للالتزام المخزي للإسبان للجزائريين بدفع اتاوة قدرها تسعة ملايين سنويا لتحمي مراكب الأمم المسيحية.<sup>4</sup>

وعن سيرة الأمير عبد القادر تتساق الكاتبة وراء الكتابات الفرنسية عموما حيث كتبت: "...قصص مبشرة بالمبعوث الإلهي السلطان تجتمع عليه كلمة الجزائريين وهي تروى عن المشايخ والمرابطين وهذه القصص الخرافية تلقى أذان صاغية لدى الجزائريين خصوصا أنها تأتي من أماكن مقدسة بعد زيارة الأمير عبد القادر إلى مكة ومقام الولي الصالح ببغداد عبد القادر الجيلاني، وأن الذي يستغل هذه الأساطير ويشيعها في السكان والد عبد القادر محي الدين وتنتعه بالماكر..."<sup>5</sup>

وعن جهود الأمير عبد القادر الرائدة في بناء دولته توثق لنا **كلارا**: "...بسقوط مليانة سنة 1840 أمكن الفرنسيين تقدير حقيقة حجم النقلة النوعية لجهود الأمير عبد القادر وفي

<sup>1</sup>Clara Filleul de Pétigny, Op Cit, p-p 51-54.

<sup>2</sup>Ibid, p 62.

<sup>3</sup>Ibid, p 66.

<sup>4</sup>Ibid, p 69.

<sup>5</sup>Ibid, pages 222-223 et 229-231.

الفصل الرابع: الأمير عبد القادر في كتابات الفرنسيين إبان ق 19 م (عرض وتقديم لنماذج)  
المرحلة الأخيرة من وفاته إلى نهاية القرن 1883-1900

وقت قصير على بعث مختلف الصنائع العسكرية وكذلك جهوده الرائدة في كل المدن التابعة له...<sup>1</sup> كما تتفق مع كثير من كتابات الفرنسيين التي انتقدت اتفاق التافنة إذ تقول: "...سقوط زمالة الأمير عبد القادر قضت على سلطة الأمير من جهة ومن جهة أخرى كان فيها عزاء للفرنسيين من اتفاق التافنة المدمر الذي عظم من سلطة الأمير، وقام فيه الجنرال بيجو بدور غير مشرف لفرنسا.<sup>2</sup>

تسجل Filleul de Pétigny شهادتها حول شخصية الأمير عبد الجزائري قائلة: "...كل من رأى أو عرف الأمير عبد القادر متفقون على أن دهائه يفوق جميع رؤساء القبائل، رجل غير عادي اعتنق القضية الوطنية للجزائريين، نذر لها نفسه لتتوج بالنصر أو يهلك دونها...<sup>3</sup> الملاحظ كما أشادت سيلين فالي بنساء الأمير، كذلك كلارا أشادت بزوجة وأخت الأمير عبد القادر، لما قمن به من احسان ومواساة الأسرى الفرنسيين وبعضهم مدينون لهما بحياتهم.<sup>4</sup> وتختتم كتابها بسرد معركة جامع الغزوات التي أعادت الأمير عبد القادر على المسرح الأحداث وكان لها وقع كبير على الفرنسيين.<sup>5</sup> وهي الأحداث التي عجلت بمغادرتها للجزائر.

10. نرسييس فوكون Narcisse Faucon (1857- )

محرر رئيسي بعدة جرائد في الجزائر وتونس منها الخبر، صدى وهران والمستقلة قسنطينة، الكولون الصغير، وشارك بقلمه غمار الحياة السياسية والمنافسات الانتخابية للمستعمرة (الجزائر) أو كما يحلو له تسميتها "فرنسا الأخرى L'autre France".<sup>6</sup>

له كتاب بعنوان:

41. Narcisse Faucon, **Livre d'or de l'Algérie**, Challamel et cie éditeurs, Paris, 1889. (674 pages)

<sup>1</sup>Clara Filleul de Pétigny, Op Cit, p243.

<sup>2</sup>Ibid, p-p 245-252.

<sup>3</sup>Ibid, p252.

<sup>4</sup>Ibid, pp 254.255.

<sup>5</sup>Ibid, p-p 259-280.

<sup>6</sup>Narcisse Faucon, **Livre d'or de l'Algérie**, Challamel et Cie éditeurs, Paris, 1889, p-p XII-XIV.

يتناول هذا المؤلف "الكتاب الذهبي للجزائر" في 674 صفحة سير قادة جيش الاحتلال الفرنسي للجزائر في القرن التاسع عشر دون فصول أو عناوين فرعية، فقط مرتبين ترتيباً ألفبائياً فكانت سيرة الأمير عبد القادر على رأس قائمته. في الأخير يدرج جدول لأهم الكلمات باللغة العربية استعملت ضمن محتوى مؤلفه هذا مع مرادفاتها باللغة الفرنسية.

في مدخل كتابه يجعل الكاتب من الاحتلال مفخرة لكل فرنسا، حيث حملت مشاعر الحضارة وهي رسالة إلهية واجبة عليها اتمامها في الجزائر، ويقول عنها أنها ظلت لوقت طويل حقل تجارب.<sup>1</sup> ويجعل من كتابه هذا عربون وفاء ورد جميل لهم، لمن قضوا نحبهم من العساكر الفرنسيين الذين وطدوا لهذا الاحتلال، فجعل منه واجبا يخلد فيه سير هؤلاء وتضحياتهم ويقدمهم لكل الفرنسيين.<sup>2</sup> نرسييس يرتب الأعلام ألفبائياً ويجعل من سيرة الأمير عبد القادر على رأس قائمته،<sup>3</sup> استقاها من مسكراي Masqueray مدير المدرسة العليا للأدب بالجزائر.<sup>4</sup> والملاحظ أن المؤلف يمثل نموذج لكتابات الفرنسيين التي حاولت تبني حياة وتاريخ الأمير عبد القادر خصوصا بعد إطلاق سراحه من الأسر، بإقحامه ضمن القادة العسكريين الفرنسيين وإن كان محاربا لهم. لكن مع التركيز على جهود الأمير في حماية المسيحيين ولم يصدر منه ما يشين الفرنسيين حسب الكاتب: "...الأمير عبد القادر في حربه وسلمه وسجنه، لم يحمل أية ضغينة أو حقد على أعدائه وكشف عن معدنه الأصيل، فلم يتوان ولو للحظة واحدة في تأمين المسيحيين في أحداث الشام المؤلمة، وحتى أثناء زيارة أحد الأمراء الألمان له، لم ينساق معه وهو يذم الفرنسيين أمامه..."<sup>5</sup>

## 11. الكونت ديريسون (1839-1893) Le Compte D'Hérison

والراجح أن سن ولادته غير صحيح كون الكونت ديريسون تخرج من كلية سان سير الحربية برتبة ملازم في سن التاسعة عشر 19، والتحق مباشرة بالخدمة في الجيش الفرنسي بالجزائر سنة 1841 مع أوج المقاومة الشعبية خصوصا بقيادة الأمير عبد القادر والهمجية

<sup>1</sup>Narcisse faucon, op Cit, pp IX.X.

<sup>2</sup>Ibid, p XI.

<sup>3</sup>Ibid, p-p 1-5.

<sup>4</sup>Ibid, p XVIII.

<sup>5</sup>Ibid, p5.

الفصل الرابع: الأمير عبد القادر في كتابات الفرنسيين إبان ق 19 م (عرض وتقديم لنماذج)  
المرحلة الأخيرة من وفاته إلى نهاية القرن 1883-1900

التي انتهجها الجيش الفرنسي للقضاء عليها. وعنوان الكتاب يحمل إدانة صريحة لهذا الجيش إذ خص جنوده بوصف "الحتالة".<sup>1</sup>

جاء كتابه يحمل عنوان:

42. Le Comte D'Hérison, **La chasse à l'homme, guerres d'Algérie**, Paul Ollendorff éditeur, Paris, 1891. (366 pages)

تعرض هذا المؤلف "مطاردة الانسان، حرب الجزائر" في 366 صفحة على مدى 27 فصل دون عناوين محددة، ويخص كل فصل بمجموعة من الأحداث والتطورات عسكرية، في الفصل 1 اقلاعه من فرنسا إلى الجزائر، في الفصل 2 الكولونيل مونتانياك، ثم الموقف الغريب للكولونيل برال Barral وانحياز سرية جيرو إلى مقام سيدي إبراهيم في الفصل 3، تنتقله إلى بعض المدن الجزائرية في الفصل 4، ويخص معسكر وتيارت في الفصلين 5 و6، وكذلك بوغار وسيرة الجنرال يوسف في الفصل 7، في الفصل 8 يدرج رسالة أخرى لـ مونتانياك ويكمل سيرة الجنرال يوسف، في الفصل 9 مجريات أحداث نواحي بوغار وسقوط زمالة الأمير، في الفصل 10 يكمل في تطورات أحداث العسكرية بقيادة دوما والجنرال يوسف، في الفصل 11 ثمن برميل من الاذان المقطوعة ومقتل الأسرى الفرنسيين، في الفصلين 12 و13 يتناول مجمل ظروف مقتل الأسرى، والصراع داخل الدائرة، في الفصلين 14 و15 الأرتال تجوب البلاد سيق، معسكر وسعيدة، في الفصلين 16 و17 موقف وخطة المارشال بيجو وثبات الأمير عبد القادر، في الفصلين 18 و19 الجنرال لاموريسيير وأحداث تخص نواحي معسكر وسعيدة، في الفصلين 20 و21 الأرتال الجهنمية ونهب بوسمغون، في الفصلين 22 و23 أولاد نايل واستمرار حملات السلب والنهب، في الفصلين 24 و25 وضعية الصعبة للأمير عبد القادر الممهدة لتوقيف القتال، في الفصلين 26 و27 توقيف القتال وسجن الأمير وإعلان دوما.

<sup>1</sup>Le Comte D'Hérison, **La chasse à l'homme, guerres d'Algérie**, Paul Ollendorff éditeur, Paris, 1891, pages 1, 281.

الفصل الرابع: الأمير عبد القادر في كتابات الفرنسيين إبان ق 19 م (عرض وتقديم لنماذج)  
المرحلة الأخيرة من وفاته إلى نهاية القرن 1883-1900

يعتبر هذا الكتاب وثيقة مرجعية قدمت توصيفا لسياسة جيش الاحتلال المتبعة ضد المقاومة بإطلاق يد الجنود والضباط دون محاسبة، على قاعدة "débrouillez vous".<sup>1</sup> ويعطي أهمية للعنوان المستهجن "مطاردة الانسان" على شاكلة حروب المتحضرين ضد الهنود الحمر التي غيرت مصير العالم الجديد (أمريكا).<sup>2</sup>

ونسجل هنا موقفا اتجاه الكتاب سجله مصطفى الأشرف حيث يقول أصبحت الميول "السادية Sadisme" للضباط والعساكر، بالتغني والتفاخر بتعذيب الأهالي، لها عناوين دالة مثل "مطاردة الانسان" سيعكف المؤرخون بمعية علماء النفس على دراستها.<sup>3</sup>

ويكفي أن نحيل القارئ إلى الدراسة القيمة للأستاذ عبد الوهاب شلالي خصها لهذا المؤلف بعنوان: "أهمية مؤلفات ضباط جيش الاحتلال الفرنسي في توثيق جرائمهم في الجزائر: كتاب الكونت ديريسون Le Compte D'Hérison أنموذجا".<sup>4</sup>

## 12. كورناي تروملي Corneille Trumelet (1817-1892)

هو مؤرخ عسكري فرنسي كولونيالي التوجه، عضو الجمعية التاريخية الجزائرية، له عدة إصدارات تخص الجزائر في الفترة الاستعمارية<sup>5</sup>

43. Corneille Trumelet, **Les français dans le désert, journal historique, militaire et descriptif d'une expédition aux limites du Sahara algérien**, Challamel Ainé éditeur, Paris, 1885. (516)

في هذا المؤلف "الفرنسيين في الصحراء الجزائرية" في 516 صفحة مقسم إلى 11 فصلا يبدأها في الفصل 1 حاج مكة والحياة الدينية لمدينة ورقلة، في الفصل 2 سلاطين أولاد بابية بإقليم النقوسة (شمال ورقلة)، في الفصل 3 المرابط محمد بن عبد الله (سبع الشيوخ-

<sup>1</sup>Le Comte D'Hérison, op Cit, p IX.

<sup>2</sup>Ibid, p VIII.

<sup>3</sup> مصطفى الأشرف، الجزائر الأمة والمجتمع، تر حنفي بن عيسى، دار القصبية للنشر، الجزائر، 2007، ص- ص 104-105.

<sup>4</sup> عبد الوهاب، شلالي: "أهمية مؤلفات ضباط جيش الاحتلال الفرنسي في توثيق جرائمهم في الجزائر: كتاب الكونت ديريسون Le Compte D'Hérison أنموذجا"، في -مجلة عصور-، عدد 18-19، جامعة وهران، الجزائر، 2012، الصفحات 527-547.

<sup>5</sup> data.bnf.fr/fr/12125455/corneille\_trumelet/ consulté le 28/12/2022 à 11:24.

الفصل الرابع: الأمير عبد القادر في كتابات الفرنسيين إبان ق 19 م (عرض وتقديم لنماذج)  
المرحلة الأخيرة من وفاته إلى نهاية القرن 1883-1900

شمال تلمسان) تريد فرنسا فرضه كمنافس للأمير عبد القادر سنوات 1841-1842، في الفصل 4 الصراع بين السيادة سلطان ورقلة والنقوسة، في الفصل 5 سيدي حمزة ولد أبو بكر وعرش أولاد سيد الشيخ، في الفصل 6 مدينة معسكر وعرش هاشم قبيلة الأمير عبد القادر، في الفصل 7 الانطلاق الرحلة استكشافية من سعيدة على خط حزام التل وعادات وتقاليده هذه الجهة، جبل عمور والقصور الصحراوية في الفصل 8، في الفصل 9 و 10 بوابة الصحراء منيعة ثم الانطلاق من متليلي، وفي الفصل 11 الانطلاق من ورقلة مهاري. وفي الأخير يدرج الكاتب عدة خرائط توضيحية منها ثلاث خرائط لمسار رحلته الاستكشافية من معسكر إلى ورقلة ومجمل المناطق التي كانت على خط مسيره، ثم خريطة تفصيلية لتموضع واحات ورقلة، وأخرى لواحات متليلي، وكذلك واحات النقوسة وواحات الأغواط وأخيرا تجمعات بني ميزاب.

يخص **Trumelet** الفصل السادس بدراسة تاريخية عن مدينة معسكر والتي كانت منطلقا لمهمة عسكرية في اتجاه ورقلة، كان **تروملي** ضمن طاقمها أواخر ديسمبر 1853، وفي موجز تاريخي يخص بالتحديد قبيلة هاشم وبعد محطات قيامة سلطة الأمير عبد القادر وتلك البشارات من الأولياء والمرابطين منبئة بظهور سلطان الجزائريين، هذا الأخير تكمن مهارته في خلق وحدة سياسية أساسها جهاد الكفار، ويكني الأمير بالبائي<sup>1</sup>.

والراجح برأينا أن الكاتب **كورناي تروملي** استقى هذه السيرة أو جزء كبير منها عن **بلمار** وجاءت متوافقة مع ما سرده هذا الأخير. كما حسب صاحب الكاتب تبدو تغيرت ملامح مدينة معسكر جذريا وفقدت طابعها الجزائري بعد حروب كثيرة وهجرات السكان، في حين انزوى البقية منهم في ضواحي بئسة مثل بابا علي وعين البيضاء وتوصم بكل ما هو دوني، بالمقابل طغى العنصر الأوروبي واليهودي المتترف تحديدا بالمدينة<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> Corneille Trumelet, *Les français dans le désert, journal historique, militaire et descriptif d'une expédition aux limites du Sahara algérien*, Challamel Aîné éditeur, Paris, 1885, p-p 135-140.

<sup>2</sup> Ibid, p140.

### 13. بول غفارييل Paul Gaffarel (1843-1920)

هو مؤرخ ومترجم وأستاذ التاريخ بجامعة **Dijon** ومن بعدها جامعة **Aix-Marseille** له كتاب بعنوان:<sup>1</sup>

44. Paul Gaffarel, **l'Algérie**, librairie de Firmin-Didot et Cie, Paris, 1883.(708 pages).

أحاطت دراسة المؤرخ **Gaffarel** في كتابه "الجزائر" (708 صفحة) بعدة جوانب فتطرق في المقدمة، والتي أتت على شقين موجز تاريخي للجزائر قبل 1830، أعقبه بموجز تاريخي للعلاقات الجزائرية الفرنسية قبل حملة 1830. أما عن محتوى دراسته فجاءت هي كذلك على شقين الجزء الأول خصه لتاريخ الاحتلال لفترة (1830-1882)، بدورها مقسمة على ثلاث مراحل: الأولى ينعنها بالمقاومة التركية وفيها (سقوط الجزائر، السنوات الأولى للاحتلال، وأخيرا سقوط قسنطينة)، الثانية يسميها المقاومة العربية وفيها (قوة الأمير عبد القادر، الأمير عبد القادر وبيجو، الانتفاضات الأخرى لقادة مقاومين آخرين)، الثالثة أعطاها توصيف المقاومة الوطنية وشملت (الحرب ضد القبائل "جرجرة"، احتلال الصحراء "طوارق، زعاطشة، الأغواط، ورقلة"). أما عن الجزء الثاني فخصه لجغرافية الجزائر (تضاريس، الاقتصاد، السياسية وأخيرا ملخص لوصف الجزائر).

والملاحظ أن المؤرخ **Gaffarel** يقدم في جزئه الأول المقاومة الجزائرية على ثلاث مراحل مختلفة، يصبغ على كل منها خصوصية محددة فيشير مثلا على المواجهة الأولى لدخول الفرنسيين وسقوط مدينة الجزائر وقسنطينة تحديدا تحت عنوان (المواجهة التركية).<sup>2</sup> في حين على المرحلة الثانية بعنوان (المواجهة العربية) والتي كانت بقيادة الأمير عبد القادر، يفصلها على شقين قوة الأمير عبد القادر ثم عبد القادر وبيجو،<sup>3</sup> ويلحق بها كذلك مقاومة بومعزة

<sup>1</sup> سبق التعريف بالكاتب في الفصل الأول ص 52.

<sup>2</sup> Paul Gaffarel, **l'Algérie**, librairie de Firmin-Didot et Cie, Paris, 1883, p-p 57-157.

<sup>3</sup> Ibid, p-p 159-252.

الفصل الرابع: الأمير عبد القادر في كتابات الفرنسيين إبان ق 19 م (عرض وتقديم لنماذج)  
المرحلة الأخيرة من وفاته إلى نهاية القرن 1883-1900

ومقاومة أولاد الشيخ. أما عن المرحلة الثالثة يسميها (المقاومة الوطنية) والتي تبنتها قبائل جرجرة وصحراء توارق والواحات.<sup>1</sup>

وهذه التصنيفات لها ما يبررها لدى بول غفارييل وكثير من المؤرخين الفرنسيين عموماً تضيفي على الاحتلال مشروعية تاريخية على النسق التالي كما أورد الكاتب: "...القضاء على السلطة التركية بالجزائر، وفرنسا عوضت الأوجاق في الجزائر إلى الأبد، والآن عليها تدبير كيفية التعامل مع الجزائريين الذين يعتبرون أنفسهم أسياد شرعيين لهذا البلد..."<sup>2</sup> ويضيف الكاتب ضمن هذا السياق: "...أن الجزائريين وجدوا في هذه الفرصة محاولة لبعث نظام خاص بهم، وازداد حماسهم مع الكره السياسي يضاف عليه تعصب ديني، فالجزائريون لا يعتبرون الفرنسيين كمغتصبين للسلطة فقط كما كان الأتراك سابقاً بل كونهم كفار أيضاً..."<sup>3</sup>، ومن هذا المنطلق الكره السياسي للفرنسيين واعتبارهم كفار حسب بول غفارييل: "...سيقوم الأمير عبد القادر، بتجميع شتات القوى الوطنية وبنازع الفرنسيين حكم الجزائر..."<sup>4</sup> وطرح هذه الفرضية بهذا الشكل ينفي عن الجزائريين سيادة وطنية ويتساقق فيها مثلاً مع مورييس وال كما ذكرنا سابقاً، فهو صراع أغراب (الأتراك، العرب، الفرنسيين) على السلطة.

وهنا مربط الفرس كما يُقال، يصور فيه المؤرخون الفرنسيون صراعهم مع الأمير عبد القادر كَفَرَسَي رِهَانٍ على سلطة حكم هذا الشعب الذي كان أصلاً تحت حكم طرف ثالث وهم الأتراك. والملاحظ ضمن هذا الإطار العام يلحق المؤرخ بول غفارييل بالأمير عبد القادر كل المقاومين الذين أتوا من بعده وسلخوا نهجه أمثال الشيخ بومعزة، أولاد سيد الشيخ وغيرهم.<sup>5</sup> وبالتالي تكون الغلبة للأقوى والأكثر احتمالاً لهذه المواجهة المفتوحة، وبالضرورة هنا ستكون من نصيب الفرنسيين، وتختفي معها الوطنية الجزائرية، وهذه هي الخلاصة التي حاول المؤرخ

<sup>1</sup> Paul Gaffarel, op Cit, p-p 267-367.

<sup>2</sup> Ibid, p159.

<sup>3</sup> Ibid, p160.

<sup>4</sup> Ibidem.

<sup>5</sup> Ibidem.

التوصل إليها.<sup>1</sup> في حين يبقى السرد التاريخي لمجريات وقائع الفرنسيين مع الأمير عبد القادر يلتقي فيها بول غفارييل مع كثير من الكتاب الفرنسيين السابقين.

#### 14. ألفرد بارودون Alfred Baraudon (1864- )

من كتاب الرحالة يقدم توصيفا دقيقا لعدة مناطق بالجزائر منها الجزائر ومقاطعة قسنطينة وكذا بسكرة. له مؤلف:

45. Alfred Baraudon, *Algérie et Tunisie récits de voyage et études*, E Plon Nourrit et Cie, Paris, 1893. (327 pages)

اختط الكاتب مؤلفه هذا "الجزائر وتونس" في 327 صفحة ضمن الدراسات الجغرافية في الجزء الأول تطرق لمدينة الجزائر من حيث موقع ومظهر المدينة، الحدائق والمقابر، القسبة، الشوارع والهندسة المعمارية، والسكان، وخصوصيتها الدينية من مساجد وزوايا، وكذلك شؤون المرأة في المجتمع وما يرتبط بذلك من خطوبة، زواج، طلاق وأخير توصيف لضواحي الجزائر. أما عن الجزء الثاني فخص به المقاطعة الشرقية والجنوبية من الجزائر على المسار التالي: من الجزائر إلى قسنطينة، ثم بسكرة، مع الخوض في خصوصية كل منطقة كما فعل في الجزء الأول مع مدينة الجزائر. في الجزء الثالث تونس.

ويسير ألفرد بارودون على منوال كاريت ووارنيي كما مر معنا في الفصل الثالث، ويلتقي كثيرا على نفس نسق كتاب **Trumelet** كما سبق، ليصبح كمصدر جغرافي يساعد في فهم التركيبة الاجتماعية والدينية للمجتمع الجزائري في تلك الفترة، وإن كان لم يتطرق للأمير عبد القادر.

وأخيرا لم تتوقف كتابات أرخت للأمير إلى نهاية القرن التاسع عشر، بل تشعبت وتكاثرت خصوصا بعد توسع المشاريع الاحتلالية الفرنسية في المغرب العربي، والقضاء على أغلب ثورات البلاد، وظهور نواة لجامعة الجزائر، كلها ظروف اتحدت على تعميق الدراسات التاريخية التي تناولت الجزائر والأمير خصوصا وبلاد المغرب العربي عموما.

<sup>1</sup> Paul Gaffarel, op Cit, p252.

الفصل الرابع: الأمير عبد القادر في كتابات الفرنسيين إبان ق 19 م (عرض وتقديم لنماذج)  
المرحلة الأخيرة من وفاته إلى نهاية القرن 1883-1900

ثم إن هذه الكتابات لم تحد عن خط تمجيد الإمبراطورية الفرنسية، كمبشرة برسالة حضارية للعالم، وبالتالي استغلال الرموز الوطنية المحلية لمكانتها في المقاومة (الأمير عبد القادر) وتوظيفها بما يخدم مصالحهم الاقتصادية والسياسية في الدول العربية والإسلامية عموماً.

بالمقابل نجد أنها أغفلت بل جحدت دور كثير من الزعمات والقيادات التي أفنت عمرها في خدمتها ولم تشر كثير من كتابات الفرنسيين لدورهم المحوري في تمكين الاستعمار أمثال (مصطفى بن إسماعيل وآخرين) إلا نادراً، بل إن بعض الكتابات كانت تغمز على شجاعة هؤلاء، فحين اندحار الجيش الفرنسي في بعض معاركه تلقى باللائمة على خذلان فرق الصباحية، وبالتالي ظلت عقدة التفاضل والاستعلاء اتجاه كل ما ليس فرنسي خالص ميزة متأصلة لدى عموم الكتاب الفرنسيين.

كما عانى من هذه الظاهرة كتاب كبار لكنهم ليسوا من أصول فرنسية نذكر منهم على سبيل المثال **فكتور سبور Séjour Victor (1817-1874)** والذي قدم ملحمة تاريخية مسرحية لأول مرة بباريس على المسرح الإمبراطوري يوم 28 ديسمبر 1860 عن مأساة أحداث الشام،<sup>1</sup> كان لها صدى واسعاً بفرنسا، ومع أنه زميل لكتاب فرنسيين كبار، غير أنه ظل ما يزيد عن ثلاثين سنة دون الجنسية الفرنسية رغم تقدمه بطلب رسمي إلى السلطات العليا.

ثم إن مسألة القفز على محطات تاريخية مفصلية ومهمة وطويلة رسمت تاريخ المنطقة وخلق نوع من الربط التاريخي بين الفترة الرومانية والفترة الفرنسية وكأنها وريثة لها، وليس هناك إشعاع حضاري وثقافي إلا ما يمس هاتين الفترتين، في حين تبقى مراحل تاريخية ضاربة في التاريخ أو التي أكسبت البلد صفتها العربية والإسلامية مجرد قرون ظلام مهملة في التاريخ ولا يتورع الكُتَّاب الفرنسيون قبل الاحتلال وبعده من السكوت عنها تارة أو اختصارها تارة أخرى في بعض الصفحات أو تشويه أثرها.

كما عرفت هذه المرحلة كتابات التطابق الكلي لم تسلم منها مجمل كتابات الفرنسيين في القرن التاسع عشر كما فعل **جول بشون Jules Pichon** مع **بلمار Bellemare** وكذلك **نرسييس**

<sup>1</sup>Victor Séjour, **Les massacres de la Syrie drame en huit tableaux**, J Barbré Libraire-éditeur, Paris, 1860, p-p 1-136.

الفصل الرابع: الأمير عبد القادر في كتابات الفرنسيين إبان ق 19 م (عرض وتقديم لنماذج)  
المرحلة الأخيرة من وفاته إلى نهاية القرن 1883-1900

---

فوكون Narcisse Faucon مع شارل فيرو Charles-L Féraud في نقل سيرة الجاسوس روش،  
في حين نجد بعض الكتابات الأخرى وثقت مصادر للاقتباسات كما فعل مثلا المؤرخ بول  
غفاريل Paul Gaffarel في سرده التاريخي لمواجهات الفرنسيين مع الأمير عبد القادر.

# الفصل الخامس

## شخصية الأمير عبد القادر في الكتابات الفرنسية إبان القرن 19 م

- 1- المناخ التربوي والاجتماعي الذي نشأ فيه الأمير عبد القادر.
- 2- ملامح وخصال شخصية الأمير عبد القادر.
- 3- تمسك الأمير بمبادئ الشريعة الإسلامية مدعاة للتعصب الديني.
- 4- رد المؤرخين على آراء الكتابات الفرنسية حول الأمير عبد القادر.
- 5- أهداف وغايات الأمير عبد القادر من حصار عين ماضي (جوان 1838م/جانفي 1839م) نتائجه وانعكاساته

يعتبر الأمير عبد القادر من الشخصيات العالمية التي شكلت الاستثناء في القرن التاسع عشر ميلادي بحضورها الواسع في مدونات المفكرين والرحالة ومذكرات قادة الجيش وساسة الاحتلال الفرنسي، فظهرت كتابات تناولت مختلف جوانب حياته الشخصية والسياسية والعسكرية والفكرية سواء ما تعلق بالبيئة التي نشأ فيها وضمن نطاق الطريقة القادرية ببعدها الفكري والصوفي أو باعتباره قائدا للمقاومة الشعبية ومؤسس الدولة الوطنية حاملا لمشروع نهضوي ساهم بفضلها في إعادة بعث كيان الشعب الجزائري من جديد، فاهتمام الكتاب والمؤرخين بالأمير عبد القادر لم يقتصر على الفترة التي سبقت نفيه الى فرنسا بل نجد كما هائلا من الكتابات التي تعرضت لحياة الأمير في بلاد المهجر منذ وصوله الى تركيا وإقامته ببروصة ثم انتقاله بعد ذلك الى دمشق بسوريا وفيها أثرى حياته السياسية والفكرية والأدبية بمختلف المؤلفات في الفلسفة والتصوف والشعر ومختلف الفنون الأدبية مستفيدا في ذلك من شبكة علاقاته الواسعة.

وعزز هذا الحضور أيضا بتواصل حركية الكتابة حول حياة الأمير في القرن 20 م، فظهرت الكثير من الدراسات التاريخية الاكاديمية الرصينة تناولت الأمير، ما يلاحظ عليها انها قدمت قراءة نقدية ومراجعة عميقة للكتابات الفرنسية حول حياة الأمير وشخصيته.

ومن بين أهداف تناول هذا موضوع هو تقديم عرض لأهم ما دونه ضباط وساسة جيش الاحتلال الفرنسي عن شخصية الأمير عبد القادر في مذكراتهم وكتاباتهم، فالرجوع الى هذه الكتابات كفيل بكشف الوجه الخفي لسلطات الاحتلال الفرنسي من الأمير ومشروعه المناهض لها في الجزائر، فدراسة هذه النصوص الصادرة عن ضباط عسكريين وساسة في اعلى مستويات سلطة الاحتلال الفرنسي، يتيح للباحث فهم صيرورة مسار حياة الأمير عبد القادر أثناء المقاومة وخلال فترة الأسر أو حتى بعد استقراره في بلاد الشام، وتبين بوضوح أن فرنسا كانت في كل مرحلة تغير طريقة تعاملها مع الأمير بما يخدم مصالحها.<sup>1</sup>

ضمن هذه الجدلية يمكن طرح إشكالية موضوع هذا الفصل والمرتبطة بسياقها العام حول صورة الأمير عبد القادر كما صورتها الكتابات الفرنسية خلال القرن 19م والتي يمكن

<sup>1</sup> للتوسع في الموضوع ينظر: محمد دراغو، معمر العايب: "شخصية الأمير عبد القادر في الكتابات الفرنسيين خلال القرن 19م"، في -مجلة الفكر المتوسطي-، المجلد 11، العدد 02، مخبر حوار الحضارات والديانات في حوض البحر الأبيض المتوسط، جامعة تلمسان، الجزائر، 2022، الصفحات 694-714.

الإجابة عنها بتناول الموضوعات التالية : المناخ التربوي والاجتماعي الذي نشأ فيه الأمير، ملامح وخصال الأمير عبد القادر، التمسك بمبادئ الشريعة الإسلامية مدعاة للتعصب الديني في نظر الكتابات الفرنسية خلال القرن 19م، ورد الدراسات التاريخية المعاصرة عليها، وللإجابة على إشكالية هذا الموضوع اعتمدنا على المنهج التاريخي في عرض وسرد النصوص ووصفها وتحليلها.

ضمن هذا السياق نحاول في هذا الفصل عرض أهم ما ورد من نصوص واصفة لحياة الأمير عبد القادر في مذكرات ضباط وساسة الاحتلال الفرنسي خلال القرن 19م، والصورة التي نقلوها عن ملامح شخصيته ونشاطه الإنساني وتبيان موقف الدراسات الجزائرية والعربية والأجنبية المعاصرة منها.

### 1- النشأة التربوية والاجتماعية للأمير عبد القادر:

اهتم ضباط وساسة الجيش الفرنسي في القرن 19 م بالتسجيل والكتابة حول تفاصيل حياة الأمير عبد القادر وخصصوا لها حيزا هاما في مذكراتهم، على شاكلة هيئة المترجمين العسكريين ومن بعدها المكاتب العربية<sup>1</sup>، وتجد من أعضائها من لازم عاصمة الأمير أمثال دوماس **Daumas** ومنهم من لازم الأمير نفسه أمثال **Roches** استطاعوا بها الولوج إلى أدق تفاصيل المجتمع الجزائري، وعادوا بغنيمة لا تقدر بثمن إلى دولتهم ودوائرهم السياسية<sup>2</sup>.

فالأمر كما صورته الكتابات الفرنسية وصف بالسيد العظيم، وسيد القوم خادمهم، خدم دينه ووطنه وشعبه والإنسانية حتى عد من أكثر الشخصيات التي رسمت تاريخ القرن التاسع

<sup>1</sup> المكتب العربي: مصطلح يعني مركز السلطة الفرنسية لإدارة شؤون الأهالي (الجزائريين) في الأمن والقضاء ونحو ذلك، على رأس كل مكتب عربي ضابط فرنسي يعرف العربية، وقد بقي إلى سنة 1870، ثم انحصر في المناطق الجنوبية فقط. انظر: أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج4، المرجع السابق، ص 33.

<sup>2</sup> يقول شارل فيرو **Charles-L Féraud** يمكن تتبع السيرة المهنية الوضيئة لرجال النخبة الفرنسية لهيئة المترجمين العسكريين والتي كانت نواتها الأولى الحملة الفرنسية على مصر، ثم ألحقت بالجيش الفرنسي عشية الحملة على الجزائر سنة 1830، وملؤوا معظم الوظائف الإدارية المهمة، فقد كان كل قائد في حاجة إلى كاتب مترجم يعتمد عليه، ويعد صفات هذا الأخير (ذكي، عميق التفكير، موثوق، صاحب خبرة، حس وطني، متمكن من لغتين، صاحب نشاط وحيوية ويساهم في عقد اتفاقات ورفع تقارير بدقة وأمانة). أنظر مقدمة شارل فيرو:

Charles-L Féraud, *Les Interprètes de l'Armée D'Afrique*, op Cit, p-p I-IV.

عشر ويقول المارشال سولت **Le maréchal Soult**<sup>1</sup> عام 1843م واصفا الأمير "...انه لا يوجد اليوم في العالم الا ثلاث شخصيات تستحق وعن جدارة لقب عظيم والثلاثة هم مسلمون: الامير عبد القادر، محمد علي والبطل الشيشاني محمد شاميل...".<sup>2</sup>

تؤكد المصادر المحلية ارتباط نسب الأمير عبد القادر بفاطمة الزهراء بنت الرسول صل الله عليه وسلم وأجداده سكنوا القيطنة على واد الحمام، نواحي معسكر غرب الجزائر التي تميزت بسهولها الخصبة<sup>3</sup> وفيما يتعلق بتنشئته وتكوينه فقد نشأ في ظل زاوية أجداده المرابطين على رأسهم أبوه محي الدين، فزاوية أجداده جلبت اليها القلوب والعقول معا وذاع صيتها في كل بايلك وهران علما وكرما<sup>4</sup>، فالأمير عبد القادر أخذ القرآن والسنة النبوية الشريفة وتمكن منهما منذ طفولته وكان ملتزما بهما في كل تصرفاته وجعلهما دستور دولته ومنهاج حياته منذ بدايته الأولى حين عاهد أباه ومن بايعه وأنه لا يحيد عنهما أبدا.<sup>5</sup>

لم يغفل الفرنسيون تدوين المعلومات التي جمعوها حول الامير وظروف تنشئته وكل ما يتصل بأسرته ونسبه وفي هذا يذكر **Alex Bellemare** أن أسرته كانت محل كرم وسخاء

<sup>1</sup> جون دوديو سولت **Jean-de-Dieu Soult** (1769-1851): جند في الجيش الفرنسي وفي سن ستة عشرة سنة أظهر رباطة جأشه وشجاعة في المعارك الأولى التي خاضها جعلته يتدرج سريعا في الرتب العسكرية، وخلال مرحلة نابليون حصل على أعلى الأوسمة (1800-1815)، لكن مع سقوط نابليون فرضت عليه عزلة بمقر اقامته، ليعود الى الظهور مجددا سنة 1830م مع شارل العاشر ومنح مقعد بمجلس النواب وأظهر تأييده للحكومة وقلده لويس فليب وزارة الدفاع ومن بعدها مجلس الوزراء وأكمل معه كل مسيرته السياسية إلى غاية سنة 1847، التي كانت مواكبة لمقاومة الأمير عبد القادر للمزيد حول هذه الشخصية ينظر :

- Achille Fillias, **Histoire de la conquête et de la colonisation de l'Algérie (1830-1860)**, op Cit, p-p 294-316.

- Camille Rousset, **L'Algérie de 1830 à 1840 : les commencements d'une conquête**, Tome 1, Librairie Plon, Paris, 1887, pages 158-168, 228.229, 321-325.

- Biographie Soult, Le site D'Histoire de la Fondation Napoléon, Napoléon.Org, consulté le 25/01/2023 à 13 :45.

<sup>2</sup> Alex Bellemare, **Abd-el-Kader sa vie politique et militaire**, op Cit, p1.

<sup>3</sup> ان نسب وتاريخ ميلاد الامير حسبما جاء في كتاب تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر لأبنة محمد الحسني الجزائري يعود الى 15 من شهر رجب سنة 1222 هجرية الموافق لشهر سبتمبر من عام 1807 م، وكان ترتيبه الرابع بين اخوته، فهو ابن محي الدين ابن مصطفى بن محمد، المعروف " بالمجاهد " للمزيد ينظر :  
- محمد الحسني الجزائري (ابن الأمير): **تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر**، ج 2، المطبعة التجارية، الإسكندرية، 1903، ص ص 301-304.

<sup>4</sup> Alex Bellemare, op Cit, pp 11.12

<sup>5</sup> Ibid, p37

وعلم، عوناً للفقراء والمسافرين إذ كان أبوه يخرج سنوياً 500 صاع من القمح، ويشرف على مدرسة مجانية تخرج طلبة العلم، أما ما يتصل بنسبه فكان محل تأويلات وتشكيك من طرف الفرنسيين فيرى **Carlos Bouville** أن مسألة الانتساب إلى النسب الشريف كان له دور بارز في كثير من الثورات على مر التاريخ الإسلامي، غذتها كثير من الاعتقادات المستحكمة في المجتمع والقوى المسيطرة عليه من المرابطين والطلبية، هذه الوضعية في رأيه شلت عقل وفعل الإنسان العربي، لمواجهة واقع خطير، وكان الاعتقاد بنبوءة ظهور المخلص المبعوث من الله، ويكون له نسب شريف تقوم حوله الناس لمجابهة الكفار، مثلما كان يعتقد النصاري في الثالوث المقدس، فظهر العديد من الزعامات تدعي النسب الشريف وساد بين أوساط المجتمع خبر ظهور (مول الساعة)، ويذهب **كارلوس بوفيل** إلى القول أن هذا الاعتقاد من طرف المجتمع الجزائري زاد من أرباكه وتشتيت جهده وبقي ينتظر قرب موعد انتهاء الاحتلال، ويسرد من الأمثال على تأثيرات المعتقد، ما حدث مع مقاومة الحاج العربي والشريف بومعزة التي في نظره استنقت نفس الصورة النمطية للنسب الشريف، ويرى أن الأمير عبد القادر قد صنع الفارق حيث أصبح يلقب بـ **مول الدراع** -قوة المقاومة وديمومتها- استطاع توحيد كل الجزائريين تحت رايته، وعمل على الأرض أكثر مما فعله منافسوه<sup>1</sup>، أما **Amédée Desjobert** فيرى أن هناك من أرجع هذا النسب إلى دولة الفاطميين الذين حكموا بلاد المغرب.<sup>2</sup>

أما بخصوص ما تعلق بتكوين الأمير عبد القادر المعرفي ومهاراته، فقد تلقى تكويننا ثرياً ومتنوعاً من فطاحل علماء زمانه كانت أرضية خصبة لنمو شخصيته العقلية والروحية أثمرت علماً وأدباً واسعاً، فكانت زاويته ملتقى لطلاب العلم، فحسب **Amédée Desjobert** أن الأمير نهل كثيراً من المعارف والعلوم تحت عين أبيه الذي استثمر فيه كل جهده

<sup>1</sup>Carlos Bouville, *France et Algérie*, op Cit, p-p 11-27.

<sup>2</sup>Amédée Desjobert, *La Question d'Alger, politique, colonisation et commerce*, op Cit, p308

للمزيد حول نسب الأمير عبد القادر ينظر:

- عبد القادر بن محي الدين الجزائري (الأمير)، مذكرات الأمير عبد القادر، تحقيق محمد الصغير بناني، محفوظ سماتي، محمد الصالح ألبون، دار الأمة، الجزائر، 2007، ص 46 وما بعدها.

-أبي القاسم محمد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، ج2، مطبعة بيبير فونتانة الشرقية، الجزائر، 1906، ص 307

التربوي، حيث نشأ محبا للقراءة لدرجة أن مكتبة صغيرة كانت تتبعه في حله وترحاله، حيث كان والده متشعبا بالتعاليم الإسلامية والتي نجح في غرسها في ابنه عبد القادر وكانت محركا لأفعاله<sup>1</sup>.

هذا المناخ التربوي ساهم في صقل شخصيته العلمية والفكرية والتأملية، وفي نفس الوقت تمكن من اكتساب مهارات الفارس المحارب وهو في سن مبكر<sup>2</sup>، وحول هذا الموضوع تؤكد الكتابات التاريخية الجزائرية والفرنسية المعاصرة أن الأمير كان في طفولته يافعا متخلق بالأخلاق الجميلة والأوصاف النبيلة فاستجمع خصال الكبار المكلفين بتعليمه دعائم الإسلام، إلى أن تمكن من الفنون والعلوم فأخذ التفسير والحديث والفقہ والنحو وأصول الدين، وأخذ أيضا النحو والبيان والمنطق عن بعض علماء وهران<sup>3</sup>، ومن هؤلاء الشيخ سي أحمد بن طاهر الريفي بمدينة ارزيو الذي أخذ عنه سنة 1822م قواعد وفقه اللغة لفائدتهما الجليلة في فهم النصوص المقدسة (القرآن والسنة)، وأيضا الفلسفة، واستهوته بصورة خاصة الجغرافيا، ثم الفلك، وكذلك تاريخ الشعوب المسيحية، وعلوم أخرى مثل علم الأدوية، وأوعز إلى طالبه الشاب لما رأى علامات نبوغه، ليترك قليلا العلوم الدينية والتفرغ للاطلاع على الأوضاع الحالية، موجها إياه إلى أن الأوروبيين أسسوا لعلم جديد يسمى "الاستراتيجية"<sup>4</sup>.

يذكر الدوق فرديناند فليب أورلينز Ferdinand-Philippe Orléans في مذكراته حيث يقول عن تنشئته "فعبد القادر هو عربي خالص، سليل نسب الرسول صل الله عليه وسلم، ومن أشهر عائلات المرابطين، جمع بين نبيل المحارب والورع، وأبوه أول من حمل لواء الجهاد ضد الفرنسيين ورفع راية الاستقلال عن الفرنسيين والأتراك كذلك"<sup>5</sup>.

أما المؤرخ كاميل روسي Camille Rousset أن بدايات الأمير عبد القادر الأولى كانت مع رحلته رفقة أبيه إلى الحج ومنها إلى بغداد حيث أكسبته هذه الرحلة عظمة ومجدا،

<sup>1</sup> Alex Bellemare, op Cit, p12

<sup>2</sup>Amédée Desjobert, *La Question d'Alger, politique, colonisation et commerce*, op Cit, pp 308.309.

<sup>3</sup> عبد القادر بن محي الدين الجزائري (الأمير)، مذكرات الأمير عبد القادر، المصدر السابق، ص ص50-51.

<sup>4</sup>-برونو إيتين، عبد القادر الجزائري، المرجع السابق، ص ص 60-62.

<sup>5</sup>Ferdinand-Philippe Orléans, *Récits de campagne 1833-1841*, Calmann Lévy éditeur, Paris, 1890, p19.

وفي سنة 1832 كان قد بلغ أربعة وعشرين عاما، معتدل القوام بالقدر الكافي، قوي، لا يكل، ويعد من أحسن ومن أوائل الفرسان في العالم، وهذه الصفات يحبها الجزائريين كثيرا.<sup>1</sup>

## 2- ملامح شخصية الأمير عبد القادر:

### 1.2 الخلق الحسن والمعاملة الحسنة:

ما يلاحظ على الكتابات الفرنسية خلال هذه الفترة انها لم تهمل حتى التفاصيل الجزئية في حياة الأمير عبد القادر حيث نجد مثلا ( **Louis Alexis Desmichels** ) يتحدث عنه ويقول: "...انه في سن السادسة وعشرين ( 26عام) كان رجلا جميلا، صاحب شهامة وإباء، متميزا بأخلاقه، رجل قدوة بمعنى الكلمة، لو احتذى أثره أميرا فرنسيا لأستحق التبجيل والمجد..."<sup>2</sup>، اما ليون روش<sup>3</sup> فقال عنه: "...فلو أن رساما أراد رسم شخصية مستوحاة من العصور الوسطى فلن يجد أجمل نموذج من الأمير<sup>4</sup> عبد القادر، فيقول أن شخصية الامير جمعت بين قوة المحارب والزاهد الرياني، أعطته جمالا غير متناه..."<sup>1</sup>.

<sup>1</sup>Camille Rousset, **L'Algérie de 1830 à 1840 : les commencements d'une conquête**, Tome 1, op Cit, p218.

<sup>2</sup>Louis Alexis Desmichels, **Oran sous le commandement du général Desmichels**, op Cit, p131.

<sup>3</sup> ما يلاحظ على كتاب هذه الفترة انهم تأثروا بكتابات وتصريحات القادة العسكريين ومن ذلك على سبيل المثال تصريح بيجو حيث وصفه قائلا: " يصفه الجنرال بيجو بأنه يشبه إلى حد ما للصورة التي أعطيناها للمسيح عليه السلام، فله سمت الأنبياء... " للمزيد من التفاصيل ينظر:

-Eric Geoffroy, **L'Emir, modèle contemporain de «l'homme universel»**, Colloque international: L'Emir le devoir de mémoire et les défis de l'heure, Fondation Emir Abdelkader, Thala Edition, Alger, 2006, p131.

<sup>4</sup> يعتبر Louis Alexis Desmichels أول من أطلق لقب "الأمير" في كتابات الفرنسيين ومن قبله ومن بعده لم يذكر إلا باسمه عبد القادر **Abd-el-kader** مجردا دون ألقاب، وبعضها تلحقه باسم أبيه عبد القادر بن محي الدين خصوصا حين تريد توثق لاتفاق، ذكر كذلك قائد العرب وأمير المؤمنين **Prince des fidèles** وكذلك لقب باي **Bey**. لأول مرة يستعمل دي ميشال **Louis Alexis Desmichels** في مراسلاته مطلع 1834 لقب **L'Emir Abd-el-kader** والتي أفضت إلى اتفاقية دي ميشال في 26 فيفري 1834، وأن هذا اللقب الذي اعتمده ملك فرنسا فيما بعد. ينظر:

- Louis Alexis Desmichels, op Cit, p111 .

ولقبه بعض الفرنسيين ب "تابليون الصحراء غايتهم في ذلك التملق للأمير عبد القادر لمأرب خاصة، حول الموضوع ينظر:

- محمد الشريف الساحلي، الأمير عبد القادر فارس الإيمان، تر محمد يحياتن، منشورات ANEP، الجزائر، 2008، ص

وعن اخلاقه يقول **Amédée Desjobert**: "...الوسطية الخلقية والخُلقية تجلت في صفاء روجي فريد، وليس له طموح شخصي، وضمير لا يلتزم إلا بتعاليم الشريعة السمحاء، إلا أنك لا تجده متعصبا، ولا يخشى من مناظرة المسيحيين دون حدة أو عبوس وبكثير من اللباقة، رجل شريف ونزيه، كتلة من القيم والأخلاق الفاضلة، لا تجد في طبعه فظاظة أو خشونة، يظهر كثيرا من التسامح والرحمة اتجاه أعدائه...<sup>2</sup>"، وفي نفس السياق يذكر **Narcisse faucon**: "...إن هناك ثلاثة أمور لازمتها في يومياته فكانت لا تفارقه وهي الكتب، سيفه وفرسه...<sup>3</sup>"

وهناك شهادات كثيرة من قبل القادة الفرنسيين أنفسهم تثبت المعاملة الحسنة التي اتصف بها الأمير اتجاه الأسرى الفرنسيين المأسورين عنده ومن هاته الشهادات نذكر شهادة ليون روش حيث كتب في مذكراته يقول: (بأن والدة الأمير لالة الزهرة اعتنت بإطعام وتقديم الأكل للأسرى مما يأكل الجند، وكانت تحضر لهم الكسكسي) ، وهناك صورة أخرى من صور التسامح والمعاملة الحسنة التي اولها للأسرى الفرنسيين، فبعد انتصاره على الفرنسيين في معركة سيدي إبراهيم (جامع الغزوات)، اجتمع للأمير عدد من الأسرى الفرنسيين نقلهم معه إلى معسكره المتنقل بالحدود الجزائرية المغربية وبالضبط على ضفاف واد ملوية، حيث خص الأسرى الفرنسيين بكرم أهالي ندرومة عند عبورهم بها بالرغم من أن أهالي المدينة كان أبناؤهم أسرى لدى الفرنسيين ولا يعرفون مصيرهم وأوضاعهم.<sup>4</sup>

---

كما كانت له ألقاب أخرى بعد استقراره في سوريا منها: مولانا العلامة السيد عبد القادر أفندي ابن المرحوم السيد محي الدين أفندي الحسيني الجزائري، مولانا عمدة العلماء الأعلام وزيدة الأمراء العظام، افتخار العلماء العاملين ابن الأمير الكبير والشهم الخطير السيد عبد القادر ابن السيد الشريف محي الدين الحسن الجزائري. للمزيد من التفاصيل ينظر: - فارس أحمد العلاوي، الأمير الجزائري في دمشق، وزارة الثقافة، الجزائر، 2014.

<sup>1</sup>Léon Roches, **Dix ans à travers l'islam 1834-1844**, op Cit, p-p 63-67.

<sup>2</sup>Amédée Desjobert, **La Question d'Alger, politique, colonisation et commerce**, op Cit, p309.

<sup>3</sup> Narcisse faucon, op Cit, p2.

<sup>4</sup> — ; **captivité des prisonniers français en Algérie 1845 A 1846**, Typographie Felix Malteste et Cie, Paris, 1847, pp 6.7.

## 2.2 قوته العقلية والروحية:

لم تهمل هذه الكتابات أيضا الحديث عن قوته العقلية والروحية فيكتب **Pellissier de Reynaud** في كتابه (**Annales Algériennes**): "...إنه كان يتقد ذكاء، وصرامة ملحوظة، ومملكة خطابية تلهب المشاعر وتسلب الألباب ومن المستحيل مقاومتها، يكفي أن يقوم خطيبا ليفرض إرادته ويأسر القلوب..."<sup>1</sup>، ويذهب **Alex Bellemare** إلى التأكيد أنه تميز عن أقرانه وأكابر قومه بنباهته وفطنته، فمثلا نجده يرفض إيواء باي وهران، بعد سقوط مدينة الجزائر بيد الفرنسيين، مخافة أن تؤلب عليه القبائل وتحول دون توحيدها في مواجهة الفرنسيين، ورأى الأمير أن الدور آت عليه لا محالة، فقد واجهته الكثير من المطبات والعثرات مع كثير من القبائل<sup>2</sup>.

ومن بين مصادر معلوماتهم عن تفاصيل حياة الامير كانت عن طريق ما نقل لهم من اخبار من الاسرى الفرنسيين لدى الأمير الذين احتكوا به عن قرب وفي هذا نجد **Desjobert Amédée** يروي لنا ما نقله عن أحد الأسرى الفرنسيين في معسكر الأمير طيلة مدة أسره التي قاربت خمسة أشهر حيث يصف الأمير عبد القادر: "...إنه يمثل في نظر شعبه إنسانا بسيطا في ملبسه، مقتصدا في معيشته ومتقيدا بعرفه، صارما في تدينه، بارعا في مفاوضاته، نبيلًا وفخورًا على فرسه، عادلا وحازما في أحكامه..."<sup>3</sup>.

ويعترف الكتاب الفرنسيون المعاصرون للأمير أنه يعود له الفضل في توحيد الشعب الجزائري وفي هذا يقول **روش Roches** بأن الأمير عبد القادر أصبح يقوم بمهمة نبيلة بإعادة بعث شعبه وإيقاظ مشاعره الدينية والعمل على طرد الأعداء عن بلاده، وهذه مهمة جديرة بالثناء والفخر<sup>4</sup>، وهذا ما ذهب إليه أيضا **Desjobert Amédée**، حيث يذكر أن الامير عبد القادر كان رجل نهضة ونزعة ثورية، أرسل بعثات إلى أوروبا لكسب معارف فنية وعلمية، وعبقرية الامير شملت جميع مناحي الحياة، استقدم صناع أسلحة لصنعها محليا، أحصى ممتلكات القبائل ليحدد بدقة نصيبها من الزكاة لصالح خزينة الدولة، ورغبته في نقل

<sup>1</sup>Pellissier de Reynaud. E, op Cit, Tome Premier, p265.

<sup>2</sup>Alex Bellemare, op Cit, p-p 26-28.

<sup>3</sup>Amédée Desjobert, **L'Algérie en 1838**, op Cit, p158.

<sup>4</sup>Léon Roches, op Cit, p73.

المعارف الحديثة عن الفرنسيين خصوصا في مجال التنظيم العسكري<sup>1</sup>، أما بيليسي فيقول عنه: "...ان أكبر حرج أوقعنا فيه الأمير عبد القادر أنه حشرنا في زاوية اضطررنا أن نصبح نمثل كل ما هو وحشي ومخرب، في حين كان الأمير يمثل كل ما هو قيم وحضاري...".<sup>2</sup> وفي نفس المنحى تقريبا يسترسل دي ميشال Desmichels قائلا عن الأمير: "...لا أعرف من يستطيع أن يجمع الجزائريين تحت كلمة واحدة ونستطيع التفاوض معه، والمحافظة على السلم المعقود معه، حسب علمي لا يوجد غيره، وبغض النظر عن الضمانات التي تحققها قدراتنا المادية والعسكرية، لكن هنا الضمانات الأخلاقية للأمير عبد القادر أكثر أهمية فالرجل أبان يوما بعد يوم على سلوك قويم واستقامة شخصيته...".<sup>3</sup>

ويواصل دي ميشال Desmichels قائلا: "...أتعهد للأمير عبد القادر بأن أدلي بشهادتي لدى الملك الفرنسي، بأن الأمير متمسك بتعاليم دينه وملتزم بشروط السلم، وأن قيمه الراسخة ومبادئه كمرابط، ستظل ضمانا لكل مواقفه المستقبلية...".<sup>4</sup>، والملفت للانتباه ان نجد بعضا من هذه الكتابات الفرنسية تتقل لنا نظرتهم للفرنسيين والأوروبيين بشكل عام وفي هذا يقول Amédée Desjobert: "...لا تبهره أوروبا إلا بقدر ما يأخذ منها التطور المادي وروح النظام وطرق التسير، فإعجابه بنابليون ليس لانتصاراته العسكرية، وإنما للنظام الذي أقامه وسط اضطرابات عامة للدولة...".<sup>5</sup>

### 3.2 التزام الأمير بالعهود والمواثيق:

ان المنتبغ لطبيعة علاقات الأمير عبد القادر مع الفرنسيين يقف عند حقيقة مواقفه معهم، فكان ملتزم كل الالتزام في مفاوضاته ومعاهداته معهم، رغم خبث نواياهم ولعل من نقاط ضعفه في علاقاته مع الفرنسيين هو تلك الثقة الزائدة في التعامل مع القادة العسكريين الفرنسيين الذين كانوا دائما عند استنزاف قواهم العسكرية، يجرون الامير بعد انتصاراته للهدنة والتفاوض الذي غالبا ما كان الفرنسيون هم من يخرقونها، وبهذه المكائد حولوا

<sup>1</sup>Amédée Desjobert, *L'Algérie en 1838*, op Cit, pp 172.173.

<sup>2</sup>Amédée Desjobert, *La Question d'Alger, politique, colonisation et commerce*, op Cit, pp 309.310.

<sup>3</sup>Louis Alexis Desmichels, op Cit, pp 230, 173.

<sup>4</sup> Ibid, p 187.

<sup>5</sup>Amédée Desjobert, *La Question d'Alger, politique, colonisation et commerce*, op Cit, p309.

هزائمهم الى انتصارات، وهم يعترفون ضمناً بهذه الاساليب الماكرة بل لم يتوانوا في تدوينها في كتاباتهم.<sup>1</sup>

ومن هؤلاء الكتاب الذين تحدثوا عن هذا الموضوع نذكر أدولف فالهيم دنزن Adolph Vilhelm Dinesen<sup>2</sup> حيث قال: "...إنه كان ملتزماً دائماً بكلمته، لكن أثناء المفاوضات كان ديبلوماسياً محنكاً، أبعد ما يكون عن الغلظة، نادراً ما يفقد أعصابه ومتحكماً في مزاجه...".<sup>3</sup> فالتزامه بالعهد والمواثيق متأصل فيه، أما ديسجوبير Desjobert فيقول عنه: "...مهما حاولنا أن نلقي بحمل نقض السلم على الأمير عبد القادر، الحقيقة أن هذا الأخير اجتهد ما في وسعه لتثبيتته، يعززه مراسلات الأمير مع الكونت ديرلون Comte d'Erlon حيث كتب له بعد معركة المقطع 3 جويلية 1835، كنت أعتقد أنني أعتمد على التزامكم وعهدكم لكن تریزل Trézel حاكمكم على وهران تجاوز حدوده...".<sup>4</sup>

وما يمكن للباحث ملاحظته في كتابات الفرنسيين خلال هذه الفترة انها كان يسودها النفاق السياسي ويمكن ان نستدل على ذلك فيما كتبه دي ميشال Desmichels حيث وصف الأمير في أول مرة برئيس المرتزقة، لكن حين يريد أن يخلص بعض الأسرى الفرنسيين من الأسر يلقبه في رسالته بالأمير عبد القادر، صاحب المقام العالي، والروح السامية، ونبيل الخصال، ويسجل لا يمكنني أن أنكر التزام الأمير عبد القادر بكل بنود الاتفاق.<sup>5</sup>

<sup>1</sup> حول هذا الموضوع ينظر: رابح بركاني، معاهدات الأمير عبد القادر مع المستعمر الفرنسي (الأسباب والنتائج) ، في - مجلة الحوار المتوسطي-، المجلد الثاني عشر، العدد 2، ماي 2021، ص ص 214-230

<sup>2</sup> أدولف فالهيم دنزن Adolph Vilhelm Dinesen (1807-1876): عسكري ضابط مدفعية دنماركي الأصل، في سن 29 سنة أكمل تكوينه ، ليتم قبوله كمتطوع في الجيش الفرنسي يلتحق مباشرة بالجزائر سنة 1837، ليقدم لنا وصف دقيق وشاهد عيان للقاء التاريخي يوم 1 جويلية 1837 الذي جمع بين الأمير عبد القادر والجنرال بيجو لعقد معاهدة التافنة، هذا اللقاء ترك أثر عميق في نفسية الشاب أدولف فالهيم دنزن ، وفي سنة 1839 عاد إلى بلاده وعمل على تحرير مذكراته و خصها لذكر خصال الأمير عبد القادر، الذي أراد بناء دولة تحت قيادة سياسية جديدة، دون قطع روابطه التاريخية أو كسر تقاليده المتوارثة، وفي سنة 1839 عاد إلى بلاده وعمل على تحرير مذكراته و خصها لذكر خصال الأمير عبد القادر، سمحت له مشاركته في الجيش الفرنسي خلال السنوات الاولى من احتلال الجزائر بتدوين ملاحظاته كشاهد موضوعي حيث قال "حيث ما يمر الفرنسيين لم يبقى وجود لا للسكان ولا للزراعة". للمزيد ينظر :

- Adolph Vilhelm Dinesen, **Abd-el-Kader**, Traduction Fondation Emir Abdelkader, Editions ANEP, Alger, 2001, pages 11, 17, 128,152.

<sup>3</sup>Adolph Vilhelm Dinesen, op Cit, p82.

<sup>4</sup>Amédée Desjobert, **La Question d'Alger, politique, colonisation et commerce**, op Cit, p320.

<sup>5</sup>Louis Alexis Desmichels, op Cit, pages 33, 77, 144.

وهناك كتاب آخرون كان لهم رأيا آخر حول هذا الموضوع ففي رأيهم هو من كان ينقض المعاهدات فمثلا غفارييل بول **Gaffarel Paul** يرجع سبب تجدد القتال بين الأمير وفرنسا ونقض معاهدة التافنة الى الامير ورأى انها كانت خدعة منه لأخذ عساكر فرنسا على حين غرة حيث يذكر: "...أن فرق جيش الأمير عبد القادر العسكرية بدأت الهجوم على المراكز الفرنسية في 10 نوفمبر 1839 م، والأمير أخذ بمهارة كل احتياطاته، ولم يكن هناك أي إعلان سابق لتجدد القتال، لكن فقط يوم 18 نوفمبر تكرم الأمير وكتب إلى الحاكم العام اطلعه بقرار مجلسه العسكري ببدء الجهاد، واستدعاء سفيره<sup>1</sup>، ويؤكد على أن الأمير هو من وحد الجزائريين على كرههم المشترك للفرنسيين..."<sup>2</sup>

والكتاب الفرنسيون عموما خلال هذه الفترة يجمعون على أن شخصية الامير عبد القادر انفردت وتميزت عن اقرانه من شيوخ القبائل العربية فمثلا نجد كل من **ديسجوبير Desjobert** و**ودي ميشال Desmichels** يتفقان حول هذا الموضوع، فالأول يقول "...انه هناك فرق كبير بين ما يمثله الأمير عبد القادر من حس وطني وبين ما صنعناه نحن من قيادات مسخ لبايات موالية لنا..."<sup>3</sup>، ليعطف عليه الثاني فيقول انه بعد تنصيب فرنسا لبعض الموالين لها من قياد على السكان يصرح: "...أعترف أنني لا أستوعب هذه السياسة المتبعة وماذا نستفيد من هذا التعيين؟ إذ لا يصمدون أمام الأمير عبد القادر وعندها يصبحون عالة علينا أكثر منهم أعوان لنا..."<sup>4</sup>

## 4.2 كفاءة الأمير في القيادة والتسيير والتدبير:

من بين الموضوعات التي اهتم بها الفرنسيون وتناولوها في كتاباتهم أيضا والتي تعلق بشخصية الأمير ما تعلق بحسن كفاءته وقيادته لأمارته وللمقاومة، فما ميز الأمير عبد القادر عن جميع الأعيان وقادة القبائل الجزائرية خلال هذه الفترة هو تشبته باستقلالية سلطته وشعبه عن المنظومة الاستعمارية الجديدة، التي أصبحت ترى في مشروع الأمير خطرا على كيانه ولمواجهة الامير سعت سلطات الاحتلال الى تعيين أعوان لها من شيوخ بعض

<sup>1</sup>Paul Gaffarel, op Cit, pp 199.200.

<sup>2</sup>Ibid, p164.

<sup>3</sup>Amédée Desjobert, **L'Algérie en 1838**, op Cit, p 174.

<sup>4</sup>Louis Alexis Desmichels, op Cit, pp 231.232.

القبائل الجزائرية، فالبايات الذين عينتهم فرنسا مثل بن مرزوق أو بن عمر أو بعض القيادات المحلية سواء من مرابطين أو رؤساء قبائل أمثال الحاج الصغير على مليانة، والاتصالات التي اجتهد فيها بيرتيزان و دورفيقو ومن بعدهم كلوزل في تعيين رؤساء على السكان<sup>1</sup>، لم يكونوا في مستوى وكفاءة وشجاعة الامير عبد القادر.

و بمقاطعة الغرب الجزائري ظهرت عدة زعامات مثل سيدي العربي ومصطفى بن إسماعيل، المزارى، الغمارى، بن نونة وغيرهم كثر، وسواء كانت هذه الشخصيات مستقلة بذاتها أو تعمل تحت سلطة الاحتلال، فإن الأمير عبد القادر قد تجاوزها كلها، كونه شخصية وطنية جامعة ليس هذا فقط، وإنما باستقلالية تامة بعيدا عن أي تأثير من الإدارة الاستعمارية، وأن كل ما يربطه بهذه الأخيرة يجب أن يكون ضمن محادثات ندية واتفاقيات مكتوبة ومختومة ملزمة للطرفين.

ويتفق أغلب القادة العسكريين الفرنسيين الذين عرفوا الأمير عن قرب، ودونوا شهاداتهم حوله في مذكراتهم على غرار المارشال فالي<sup>2</sup>، بيجو<sup>3</sup>، الجنرال دوماس<sup>1</sup> ولامورسيير<sup>2</sup>

<sup>1</sup> ينظر:

- Blanc Achille-Hippolyte, *De l'Algérie Système du duc de Rovigo en 1832 Moyens d'affermir nos possessions en 1840*, op Cit, 1840

- Pellissier de Reynaud E, op Cit, Tome Deuxième, op Cit, p-p 3-7

<sup>2</sup> الدوق فالي(1773-1846)، شارك بكل همة ونشاط في الحروب الكبرى للإمبراطورية الفرنسية، رقي إلى رتبة جنرال سنة 1814، قائد لفرقة المدفعية في جيش دامريمون لحصار قسنطينة الثاني سنة 1837، حيث لقي هذا الأخير حتفه فأصبح فالي قائد للجيش ومن ثم حاكم عام للجزائر وبقي في هذا المنصب إلى 29 ديسمبر 1840 حين عوض بالجنرال بيجو. في 28 أكتوبر 1839 قام فالي بعبوره الشهير "اللبيان" أو "أبواب الحديد" فاتحا ممرا بريا بين قسنطينة والجزائر العاصمة، اعتبره الأمير عبد القادر خرقا لحرمة أراضيه ولمعاهدة التافنة فتجدد القتال. ينظر:

- Narcisse faucon, op Cit, pp 559.560 .

<sup>3</sup> المارشال بيجو(1784-1849)، Thomas-Robert Bugeaud de la Piconnerie, Duc d'Isly عرف بهذا الاسم "دوق اسلي" بعد الواقعة الشهيرة بين الجيش المغربي والفرنسي على حدود الجزائرية المغربية سنة 1844، واحد من أساطين الاستعمار الفرنسي، صعد نجمه سريعا برتبة كولونيل بعد خنقه للثورات بإسبانيا في عهد نابليون بونابرت، كانت له عدة وقائع مع الأمير عبد القادر منها معركة السكاك 6 جويلية 1836، عقد مع الأمير في السنة الموالية معاهدة التافنة، ليعود كحاكم عام للجزائر (29 ديسمبر 1840 - 11 سبتمبر 1847) وظف كامل تجربته العسكرية بهدف الاحتلال الكلي للجزائر معتمدا استراتيجية عسكرية قائمة على الأرتال الخفيفة، تجزئة القوات، عزل مساح العمليات... وفوق كل هذا أساليب مفرطة في القسوة والتطرف "الأرض المحروقة". عضو بغرفة النواب الفرنسي، ليلقى حتفه بمرض الكوليرا. ينظر:

وغيرهم، على أنه امتلك شخصية فريدة من نوعها جمعت بين شجاعة الفارس المجاهد، والسياسي الحكيم ولا شك أن تكوينه الديني العقائدي أكسبه ثقافة إسلامية راقية، استنطاق بفضلها أن يبعث الروح القومية الوطنية العربية لدى الجزائريين من خلال توحيدهم لمجابهة الاحتلال الفرنسي، وقد تفتن القادة الفرنسيون السالفي الذكر لهذا المشروع وعملوا جميعاً على تعطيله.

فضلا عن ذلك يضيف المؤرخ كاميل روسي **Camille Rousset** له صفات السيد "الذكاء، الحكمة، الإرادة، العبقرية، خطيب مفوه متمكن، ويتحكم في الحشود كما يشاء، حين يتكلم بصوت حاد ومُجَلِّل في سلاسة مع حركة يديه الرقيقة والشديدة، ومن تحت الرموش السوداء الطويلة عيون زرقاء تومض كالشَّرَرُ"<sup>3</sup>.

- بسام العسلي، المارشال بيجو 1784-1849، ط2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1986، ص ص 9 وما بعدها.

- Narcisse faucon, op Cit, pp 128,130.

<sup>1</sup>- **دوماس (1803-1871)**، Daumas Melchior Joseph- Eugène. جنرال وسناتور وكاتب، دخل الجزائر سنة 1835، شارك في حملات معسكر وتلمسان تحت قيادة المارشال كلوزل، اهتم كثيرا بدراسة اللغة العربية والعادات الجزائرية، بعد التوقيع على معاهدة التافنة يعين كقنصل عام لدى الأمير عبد القادر بمعسكر (1837-1839)، في عهد بيجو أسندت له مهمة شؤون الأهالي لكامل القطر الجزائري وإعادة هيكلة المكاتب العربية، عين كمرافق للأمير بسجنه بقلعة لامالق، ترك عدة مؤلفات منها: قبائل الشرق 1844، الصحراء الجزائرية 1845، حياة العرب والمجتمع المسلم 1869. ينظر:

- Narcisse faucon, op Cit, pp 178.179.

<sup>2</sup> لاموريسيير (1806-1865)، Christophe-Louis-Léon Juchault de la Moricière شارك في حملة الجزائر ليصبح بعد أربعة أشهر نقيب في 1 نوفمبر 1830. ترأس أولى فرق الزواف، وبغرض نسج علاقات مع الأهالي تعلم اللغة العربية وكذلك اللهجات الجزائرية، فكان له تسيير أول المكاتب العربية. شارك في الحملة الثانية على قسنطينة سنة 1837 وصورته الشهيرة بقصر فرساي على أسوار المدينة للفنان هوراس فرني، سنة 1840 قيادة الفرقة العسكرية لوهران فيصبح في مواجهة جميع القبائل الموالية للأمير، كان مسؤولاً عن معسكر لالة مغنية الحدودي واحكم الحصار على النفس الأخير لمقاومة الأمير. ينظر:

- Narcisse faucon, op Cit, pp 321,329.

<sup>3</sup>Camille Rousset, **L'Algérie de 1830 à 1840 : les commencements d'une conquête**, Tome 1, op Cit, p218.

وحسب أحد قدماء محاربي الزواف "فعبد القادر بدون شك من أبرز المرابطين بل يتصدرهم، فهو جمع بين أفضل فارس، والمحارب الماهر، كما أنه أكثر العلماء تفقها وسياسي حاذق".<sup>1</sup>

لكن شهادة أميدي هيبوليت بروسار Amédée Hippolyte Brossard وهو أحد القادة الكبار الذين خبروا حروب الجزائر جاءت نوعا ما مختلفة فيقول: "...بغض النظر عن مدى عبقرية الرجل، لا يمكن أن تقاس منذ الوهلة الأولى بما يمكن أن تسمح به قواه القيام به، فالأمير من طينة الأمراء من لديهم ملكة قيادية تشربها منذ الطفولة وتتمرن على ممارستها فاق بها كثيرا من الأمراء الأوروبيين"<sup>2</sup>، أما الفنان Richard Cortambert فقد وصفه بقوله: "...وأول ملاحظة تنتابك عند لقائه "هذا الرجل موهوب وصنع للقيادة".<sup>3</sup>

ويمكن ملاحظة تلك المخاوف التي انتابت الفرنسيين من مشروع الأمير عبد القادر الرامي إلى توحيد الجزائريين ضدّهم في الحرب التي شنها فالي سنة 1839 ضد الأمير فكان الفرنسيون ينظرون إلى أن مقاومة الأمير تهدف إلى تقويض وجودهم بالجزائر.<sup>4</sup>

وكان دي ميشال Desmichels Louis Alexis أكثر دقة في وصف مدى قوة وقدرة الأمير في فرض سيادته على التراب الجزائري، حيث ذكر بهذا الخصوص أن هذه الزعامات الأخرى يغلب عليها الطابع المحلي أو بالأحرى القبلي ولا تستطيع أن تتفك أو تخرج عما تمليه عليها الإدارة الاستعمارية، وإن خرجت فهي لا تتحمل أكثر مما تطيقه في مواجهة قبائل موالية لأمير عبد القادر، فالتيار أقوى منها ويبقى كل اتفاق معها مجرد أوهام.<sup>5</sup>

وقد عبر عن هذا الأمر بصدق كلوزل Clauzel حين قال عنهم انهم مجرد بايات على الخريطة وعلى الورق فقط وعليهم برانس<sup>6</sup>، وعليه يمكن التأكيد أن شخصية الأمير عبد القادر تميزت بكونه زعيم وطني وقائد للمقاومة، وإذا حاولنا مقارنته بأكبر قادة الجيش

<sup>1</sup>Alphonse-Michel Blanc, *Souvenirs d'un vieux zouave*, Tome second, G Téqui Libraire-éditeur, Paris, 1880, p206.

<sup>2</sup>Amédée Hippolyte Brossard, *Mélanges sur l'Afrique*, op Cit, p14.

<sup>3</sup>Richard Cortambert, *Aventures d'un artiste dans le Liban*, op Cit, p209.

<sup>4</sup>Léon Roches, op Cit, p39.

<sup>5</sup>Louis Alexis Desmichels, op Cit, p 63.

<sup>6</sup>Pellissier de Reynaud E, op Cit, Tome Deuxième, op Cit, p3.

الفرنسي نجد فرقا كبيرا وبونا شاسعا بينه وبين المارشال كلوزل Clauzel على سبيل المقارنة فهذا الأخير سجلت عليه مآخذ كثيرة تمس بمنصبه وتمس الشرف الفرنسي، ذكر دوبينيوسك D'Aubignosc الذي كان مرافقا للحملة منذ بدايتها الأولى سنة 1830 وكانت له ملاحظات سجلها طيلة ست سنوات، قائلا: ليس من أجل الجدل أو أن أحمل عداء للمارشال كلوزل، لكن الحقيقة انه استغل وتعسف بالسلطة الممنوحة له ليغالط فرنسا عن وضعية أملاكه بالجزائر، ويصف أفعاله ضمن فظائع الطغاة الدمويين المشهورين بجرائمهم، كان ينظر للمستعمرة التي يسيرها كأنها ملك خاص به، ويتعامل بتعسف مطلق، ولم يلتزم ببند اتفاق الاستسلام 05 جويلية 1830م الموقع مع داي الجزائر<sup>1</sup>.

في المقابل نجد أن الأمير عبد القادر عمل على أن لا تُمسّ نزاهته ولا عفته حتى من أعتى أعدائه، ويشهد على ذلك ليون روش Léon Roches المرافق له لما يقارب سنتين يصف الأمير وهو في أوج قوته لم يتخذ عظمة لا في ملبس ولا مجلس - يلبس مما تنتجه أسرته ويتخذ أثانا بسيطا - محافظا على خطى والده في الزهد والبعد عن البهجة<sup>2</sup>، وهناك تباين واضح أيضا بين الأمير عبد القادر وأكبر قادة جيش الاحتلال الفرنسي على غرار بيجو، الذي كان لا يتورع في القيام بأبشع الاعمال الإجرامية مثل ما أقدم عليه من بيع رأس مصطفى بن اسماعيل وكان يصف قادة القبائل الموالية للأمير عبد القادر بالنصابين والماكرون المنتهية صلاحياتهم<sup>3</sup>، في حين يذكر Pellissier de Reynaud أن الأمير كان

<sup>1</sup> من بين الجرائم التي اقترفها كلوزل في الجزائر حسب شهادة D'Aubignosc L-P Brun تذكر الاستيلاء على إيرادات الأوقاف، المساجد كمخازن، دنست المقابر، الأجر والرخام استعمل في بناءات جديدة، ومساكن لأصحابها سلمت للعساكر، والتلاعب بالمباني والعقارات تهديم المباني دون أن يعوض أصحابها، هذا بالإضافة الى الجرائم والمجاز المرتكبة ضد الشعب الجزائري والتعدي على ممتلكاته من اغتصاب للأراضي الفلاحية وخطف النساء والاطفال وحتى الكراغلة المتعاونين مع جيش الاحتلال لم يسلموا من التعرير للمزيد ينظر:

- D'Aubignosc L-P Brun, **Alger De son occupation depuis la conquête en 1830, jusqu'au moment actuel. Appel au public impartial**, op Cit, p-p 30-77.

<sup>2</sup>Léon Roches, op Cit, p172.

<sup>3</sup> يذكر مارسيل امريت انه خلال عهد بيجو بلغ التنافر الأخلاقي بين الفرنسيين والجزائريين ذروته وقد ضحى حتى بقيادة جيشه، مثل حادثة انتحار الجنرال مونوفيل Monenville (الذي كان عميل بيجو لدى الأمير أكثر منه سفير الحكومة الفرنسية لدى الأمير ورفض بيجو استقالته ثلاث مرات، ويذهب الشيخ بوعمران أن كثير من مؤرخي الاحتلال جعلوا من

يعفو على الكثير من مناوئيه، ويتسامح مع من خرجوا عن سلطته ولم تكن مواقفه منهم بدافع الانتقام.<sup>1</sup>

برزت شجاعة الأمير وفروسيته حسب ما ذكر **Alex Bellemare** في المواجهات الأولى التي خاضها تحت قيادة والده محي الدين ضد الفرنسيين بظهوره على رأس الصفوف الأولى لكل مواجهة، برياطة جأش وإقدام في القتال وفي إنقاذ الجرحى تحت وابل الرصاص ونيران المدافع<sup>2</sup>، لم تغفل الكتابات الفرنسية على كثرتها أي شيء من سيرة الأمير عبد القادر الا وسجلته، فلم تستطع إثبات اي انتقاص من سيرته، لكن بعض الكتاب حاولوا إيجاد بعض التبريرات لقدح الأمير في سيرته السياسية والعسكرية.

وفي هذا يروي **أدريان بيربروجير Adrien Berbrugger** متهكما وبنوع من الاستخفاف من الأمير، فذكر على لسانه بعض تصريحاته الحماسية بأنه كان يتشدد أمام أنصاره: "...ويزعم إذا كان ملك فرنسا يلزمه ستة أشهر ليجمع عشرة آلاف عسكري، فإنه يكفيه أن يلوح بيده لتجتمع لديه عشرون ألف محارب في ميدان المعركة، ورغم بعض النكسات فإنه في الأخير سيكون النصر حليفنا ونصنع من عظام المسحيين معلما"<sup>3</sup>، ومن الكتاب الذين قللوا أيضا من شأن الأمير نجد **Amédée Hippolyte Brossard** الذي قال: "...يجب أن نعترف أنه تحول من مرابط بسيط مغمور لإحدى القبائل، إلى أمير له سيادة على حيز جغرافي واسع (ثلاث مقاطعات الغرب والوسط وتطري) أكثر مما لدى سلطان تونس والمغرب..."<sup>4</sup>، ونجد كتابا آخرين يصفون الأمير عبد القادر بعبارات تقلل من شأنه وأخرى مهينة في حقه مثل **أندري ليونس André Léonce** لا يتورع في استعمال كلمات تقلل من شأن الأمير مثل "الهارب" وبعضها سوقية وإن كان قد نقلها على لسان بعض المناوئين له

بيجو أسطورة، قوضتها كتابات المؤرخين الفرنسيين المتأخرين، ولا مجال لمقارنته بالأمير عبد القادر للمزيد حول الموضوع راجع الدراسات التالية:

- Marcel Emerit, **L'Algérie à l'époque d'abd-el-kader**, op Cit, pages 135-138, 155,161-162.
- Chikh Bouamrane et Mohamed Djidjeli, **L'Algérie coloniale par les textes (1830-1962)**, Editions ANEP, Alger, 2008, pp 40, 36.

<sup>1</sup>Pellissier de Reynaud. E, op Cit, Tome Premier, p376.

<sup>2</sup>Alex Bellemare, op Cit, p32.

<sup>3</sup>Adrien Berbrugger, **Relation de l'expédition de Mascara**, op Cit, p16.

<sup>4</sup>Amédée Hippolyte Brossard, **Mélanges sur l'Afrique**, op Cit, pp 18.19.

مثل ما يذكره مصطفى بن اسماعيل "الراعي ابن الراعي"<sup>1</sup>، أما الجنرال دوفيفي **Duvivier** وهو أحد خصوم الذين حاربوا الأمير أدلى بشهادته حوله وحاول هو أيضا أن يقلل من شجاعته وقوته "...ليس له ثروة سوى قرآنه، سبحته وحصانه، أسلحته عبقريته وخطابته، قد يسقط مثل النخلة الباسقة أمام الرياح الحارة والجافة..."<sup>2</sup>.

وفيما يتعلق بمسألة تبادل الأسرى يبدي أدريان بيربروجير **Adrien Berbrugger** رأيه في الأمير بعد أن لمس لدى أعضاء فريقه المفاوضات للأمير لتبادل الأسرى سنة 1841 بمقاطعة مليانة كانوا جد سعداء بمقابلة الأمير عبد القادر، وكان قد رأى الأمير من قبل حين زار مركز ونوغة (برج حمزة) ديسمبر 1837 جانفي 1838 فيقول عنه "شعور من الفضول الطبيعي إزاء رجل على الأقل عبقريته ساندتها ظروف جيدة بوائه هذه المكانة البارزة"<sup>3</sup>، بيربروجير وإن يقر للأمير بنوع من العبقرية إلا أنه يرجع ظاهرة بروزه الى ظروف ملائمة مكنته وساعدته على البروز على الساحة بمعنى أن الظروف هي من صنعتها، ويقولها صراحة انه لولا هذه الظروف لما بلغ هذا الشأن، والراجح يشير هنا إلى معاهدات فرنسا معه، ونفس الشيء ذهب إليه لويس بليستروس **Luis Ballesteros** حين يقول "الظروف هي من تصنع الرجال، والظروف هي التي رفعت عبد القادر عاليا"<sup>4</sup>.

وعموما يمكن القول إن الكتابات الفرنسية المعاصرة للأمير أجمعت على كفاءة الأمير في القيادة وحسن التسيير والتدبير، فالقيادة والسيادة عند الأمير كما عبر عنها أحد الكتاب الجزائريين المعاصرين، أنها كانت حقيقة لدى الأمير استمد مرجعيتها من الشريعة الاسلامية السمحاء وأساسها الصدق في العمل، لا يضاويه فيها أميرا فرنسيا شب وترعرع على فكر مكيفيللي المستوحى من المرجعية القيمية الأخلاقية في مجال السياسة.<sup>5</sup>

<sup>1</sup>André Léonce, **Les Campagnes d'Afrique**, op Cit, pp 192, 205.

<sup>2</sup>Richard Cortambert, op Cit, p188.

<sup>3</sup>Adrien Berbrugger, **Négociations entre Monseigneur l'évêque d'Alger et Abd el Kader pour l'échange des prisonniers**, op Cit, p47.

<sup>4</sup>Luis Ballesteros, **L'émir Abd-el-Kader et L'Algérie**, op Cit, p24.

<sup>5</sup> - سليمان عشراتي، الأمير عبد القادر المفكر، ط 1، دار القدس العربي للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص 173.

## 3- تمسك الأمير بمبادئ الشريعة الإسلامية مدعاة للتعصب الديني والقومي.

من الملاحظات التي شددت انتباه الدارسين والباحثين في تاريخ الجزائر، هو ذلك التوصيف المتعمد من قبل الكتاب الفرنسيين للجزائري بـ "التعصب الإسلامي" ( Le Fanatisme musulman)، فمنذ قرون عديدة ربطوا هذا الوصف بسلوك الجزائريين وهذا نظرا لتشبههم بدينهم الإسلامي، خصوصا حين اشتداد مقاومتهم للاحتلال الأجنبي، نجد ذلك خاصة في العصر الحديث قبيل احتلال الجزائر عام 1830م، فجل الكتابات الفرنسية حول الجزائر آنذاك بررت افعال سلطات الجزائر بالتعصب الإسلامي، ونذكر في ذلك على سبيل المثال لا الحصر كل من كتابات رونودوت، بوتان، راينال، والملفت للنظر أن هذا التوصيف قد توارثه أغلب الكتاب الفرنسيين في القرنين التاسع عشر وان نقصت حدته في القرن العشرين، فمن الأوائل الذين وصفوا الأمير بالتعصب الديني نذكر **أدريان بيربروجير Adrien Berbrugger** الذي صرح قائلا: "...ليس بالضرورة أن تكون لك فراسة كبيرة، من الوهلة الأولى لتعرف أن الأمير ما هو إلا متعصب طموح، يملك مهارة كبيرة للتأثير على شعبه..."<sup>1</sup>

ويقدم لنا **ليون روش** وصفا دقيقا على مدى تمسك الأمير عبد القادر بمبادئ الشريعة الإسلامية في حوارهِ ويجيبه الأمير: "...أنه أجبرنا على خوض هذه الحرب دفاعا عن أرضنا، نساءنا، أطفالنا وفوق هذا ديننا، فهي حرب مقدسة (الجهاد)، وفرنسا نفسها كانت جد مقتتعة أن أغلب القبائل العربية بالجزائر تستوقفهم آيات من القرآن الكريم تنذرهم على أن لا يرضوا بحكم النصارى لهم، وموالاتهم ومن هذه المنطلقات استتهض الأمير جموع الجزائريين في هذه المقاومة..."<sup>2</sup>.

ويواصل **ليون روش** سرد بعض الأحداث التي تصف مناقب شخصية الأمير وطريقة قيادته لجيشه وتعامله مع مواطنيه ففي نظره أن الامير لم يفوت أي شعيرة أو مناسبة دينية دون أن يتخذ منها فرصة لنشر الوثام والتآخي والدعوة إلى الجهاد وفي هذا الاطار ذكر **ليون روش**: "أنه عند تفرغه من حصار عين ماضي الذي تزامن مع مناسبة عيد الفطر،

<sup>1</sup>Adrien Berbrugger, Voyage au camp d'Abd-el-Kader, à Hamzah et aux montagnes de Wannourhah (province de Constantine), en décembre 1837 et janvier 1838, op Cit, p40.

<sup>2</sup>Léon Roches, op Cit, pp 71,229

حيث نزل إلى سهل فسيح عند سفوح جبل عمور لأداء صلاة العيد في جمع غير يتقدمهم جميع رؤساء القبائل وأعيانها ورجالها، رصهم في صفوف متوازية وصل تعدادهم إلى ما يقارب 12000 رجل، هذه الصورة الواقعية كشفت عن لوحة من الجلال والعظمة لا يمكنها أن تتكرر مرتين في حياة الإنسان".<sup>1</sup>

ويضيف ليون روش قائلا: "أنه بالرغم أن نص خطبة العيد التي ألقاها الأمير بهذه المناسبة لا نملكها إلا أننا نستطيع أن نتصورها حيث تحدث الأمير ببلاغته وفصاحته المعهودة، يربط شؤون الدين بالأحداث السياسية التي تهز الوطن هزا عنيفا، ودوي كلماته الرنانة يتردد صداها في أطراف الصحراء...".<sup>2</sup>، فعقيدة الدولة عند الأمير متشعبة بروح الشريعة الإسلامية وفي مقدمة هذه الروح، أولوية الجهاد في سبيل الله والالتزام بتعاليم الدين الإسلامي في كل الأمور دون سواها فالتقيد بأحكام الشريعة الإسلامية والالتزام بالعدل والمساواة بين الناس في تحصيل ما يتوجب عليهم من متطلبات.

وفي نظر ألكس بلمار Alex Bellemare أن في مواجهة فرنسا للمقاومة الجزائرية كانت لا تربطها ولا تعتبرها من التعصب الإسلامي إلا حينما تجد صعوبة في بسط سيطرتها على منطقة ما من الجزائر، أي أن التعصب مرتبط بالمقاومة بعينها "الجهاد"<sup>3</sup>، وفي توصيفه للطريقة الدرقاوية بعدما قادت الحرب ضدهم حيث وصفها بالعبارة التالية: "المعروفة خصوصا بتعصبها"، وما يسجل على بلمار في خاتمة كتابه أنه حاول أن يعتذر للأمير شخصيا دون بقية الشعب جعل التعصب "حماقة تنفي الهدوء والتعقل بدون شك وإن رفع لوائه الأمير عبد القادر كما رفعه من قبل الكاهن بيير ايرميت Pierre l'Hermite في الحروب الصليبية، لكن ينفية في حق الأمير عبد القادر شخصيا وخير دليل موقفه من أحداث الشام"<sup>4</sup>.

وما يلاحظ على الكتاب الفرنسيين في النصف الثاني من القرن 19م أنهم استمروا في تبرير مقاومة الامير للاحتلال على انها من التعصب الإسلامي، ويرى ليون بلي Léon

<sup>1</sup>Léon Roches, op Cit, p155.

<sup>2</sup>إسماعيل العربي، المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص176.

<sup>3</sup>Alex Bellemare, op Cit, pp 98, 293.

<sup>4</sup>Ibid, pp 299, 455.

Plée انه كان معجبا بدور الكهان الفرنسيين في احتلال الجزائر بأن جعلوا الحرب لا تخرج عن نطاقها السياسي وهذا في تقديرنا بجانب للصواب، بل يتناقض مع نفسه عندما يقول: وحين يتأزم الوضع (اشتداد المقاومة) يعزي التعصب إلى جانب الجزائريين فقط.<sup>1</sup>

ولم يتحرج غفاريل بول Gaffarel Paul بوصف مقاومة الجزائريين قائلاً: "...الجزائريين قاومونا بكل ما أوتوا من قوة، يضاف إليها الكره السياسي مع التعصب الديني..."<sup>2</sup>، ويذكر أن اللحمة التي تشكلت حول الأمير عبد القادر كانت اما بالتعصب أو بالإقناع حتى أصبح المرابطون من أشد المؤيدين والمخلصين له<sup>3</sup>، وحسبه فإن الامير هو من أيقظ التعصب الاسلامي لدى الجزائريين الذين التفوا حوله، حتى أصبحت المقاومة أمام ابواب مدينة الجزائر والبليدة.<sup>4</sup>

لكن الملاحظ في الأمر فيما ورد من نصوص في كتاب غفاريل بول Gaffarel Paul حين وصف الأعمال الوحشية للجيش الفرنسي أعطاها صفة التعصب "أديرت بتعصب مزدوج للوطن وللدين" -يقصد الوطن الفرنسي والدين المسيحي- لكن ليس كخصال متأصلة فيهم بل أملتتها الضرورة وأخذوها عن الجزائريين بمعنى انهم أخذوا عنهم التعصب، ويقول في هذا الشأن: "...شيئاً فشيئاً انحدرت حالة الجنود الفرنسيين من إنسان متحضر إلى حالة بربرية، جنودنا انتهجوا عادات الجزائريين، القتل بدون رحمة، والضرب دون ضرورة، والتمثيل بالجنث لمعاقتهم"<sup>5</sup>، والكثير من الكتاب الفرنسيين واصلوا وصف الامير بالتعصب طيلة القرن 19م ففي العقد الأخير من القرن 19 م لم يتوانى جول بيشون Jules Pichon بإصاق التعصب بالمرابطين والطرق الصوفية حيث قال انهم كانوا يجوبون القبائل ويثيرون فيها التعصب بأقوالهم.<sup>6</sup>

لم يكتف الكتاب الفرنسيون بتفسير وشرح دوافع مقاومة الأمير للاحتلال الفرنسي وربطها بالتعصب الاسلامي على حد تعبيرهم، بل كان لهم تفسيراً آخر واعتبروها من

<sup>1</sup>Léon Plée, *Abd-el-Kader, nos soldats, nos généraux et la guerre d'Afrique*, Gustave Barra libraire-éditeur, 1874, p73.

<sup>2</sup>Paul Gaffarel, *l'Algérie*, op Cit, p160.

<sup>3</sup>Ibid, p165.

<sup>4</sup>Ibid, p170.

<sup>5</sup>Ibid, p238.

<sup>6</sup>Jules Pichon, *Abd El Kader*, op Cit, p99.

الوطنية الجزائرية او القومية العربية، حول هذا الموضوع ذكر **Desjobert Amédée** قائلاً: "...الأمير عبد القادر يمثل اليوم الوطنية العربية، لو حاول الفرنسيون التعرف عليها، بدل خنقها، لأمكنهم تحقيق شيء مشرف كما فعلوا بالمشرق..."<sup>1</sup>، وهناك من الكتاب الفرنسيين من انبهر بوطنية الأمير عبد القادر ورأى انها الدافع وراء مقاومته ومن هؤلاء الكاتب الفرنسي بيتر شوفلييه **Pitre-chevalier** الذي أعجب بعنفوان مقاومة الأمير فكتب يقول "...لو لم تكن فرنسا هي التي حملت الحضارة إلى الجزائر، لرغبنا أن تكون الجزائر تدافع عن وطنيتها ضد فرنسا..."<sup>2</sup>. أما **Amédée Hippolyte Brossard** فقد كتب يقول عن الأمير "...فبعد القادر عربي وطني، مسلم ملتزم منه متعصب، ويتمتع بطموح كبير، يسعى لاستقلال ومجد الشعب الجزائري"<sup>3</sup>

جل الكتابات الفرنسية اتفقت على أن الوطنية العربية كانت دافعا مهما لمقاومة الأمير لا تعد إلا مشروعاً جميلاً غير أنه كان ضد مشاريع فرنسا في الجزائر فهذا **ليون روش Léon Roches** يصدق قائلاً: "...نعم أحببت بطل الوطنية العربية لكنه في نفس الوقت يعترف بخداعه"<sup>4</sup>، فانبعاث المقاومة من جديد رغم اخمادها حسب **Desjobert Amédée** كان دافعه الوطنية العربية<sup>5</sup> وحول هذه النقطة يذكر: "...فمقاومة عبد القادر كانت القوات الفرنسية تخضعها للمرة مائة نظرياً، لكنها تظهر من جديد، فالיום أعيد تشكيل وطنية عربية قوية بالجزائر لها جذور عميقة في هذا البلد..."<sup>6</sup>

<sup>1</sup>Amédée Desjobert, *La Question d'Alger, politique, colonisation et commerce*, op Cit, pages 310, 317, 318,324.

<sup>2</sup>André Berthet, *La femme du Kaïd épisode des guerres d'Afrique 1837-1848*, op Cit, p147.

<sup>3</sup>Amédée Hippolyte Brossard, op Cit, p14.

<sup>4</sup>Léon Roches, op Cit, p109.

<sup>5</sup> يسميها أبو القاسم سعد الله الخروج من عهد القبيلة إلى عهد الوطنية، ومن عهد الإقطاع إلى عهد الشعب في عملية تحول صعبة جداً وطويلة المدى، بدأها الأمير عبد القادر. فالأمير بلا ريب من الأوائل الذين أسسوا ميلاد فكرة الاستقلال للسيادة الوطنية، بالرغم أن هذا التصور بقي في عصره في حالته الجنينية حتى لا نقول مجهولة. للمزيد حول الموضوع ينظر:

- أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج4، المرجع السابق، ص 13.

- Rosa Aougbi, *Un personnage charismatique au destin de L'Algérie, Colloque international: L'Emir le devoir de mémoire et les défis de l'heure*, Fondation Emir Abdelkader, Thala Edition, Alger, 2006, p71

<sup>6</sup>Amédée Desjobert, *L'Algérie en 1838*, op Cit, pp 154.155.

ان نشاط الأمير عبد القادر الانساني في بلاد الشام وبمبادراته الناجحة في حل الأزمة الطائفية بين الدروز والمارونة عام 1860م<sup>1</sup>، جعلت بعض الدوائر الفرنسية تعمل على استغلال الامير لما يخدم مصالح فرنسا في المنطقة، وعبر عن هذا المسعى بوضوح لويس بليستروس **Luis Ballesteros** حيث أوصى حكومته باستغلال الأمير عبد القادر في هذه الفترة (ستينيات القرن التاسع عشر) لصالحها بالجزائر، قائلاً: "الدور الوحيد الذي يلعبه الأمير عبد القادر، القيام بدور مبشر ومروج للسياسية الفرنسية، خصوصاً مع قبائل الهضاب العليا والجنوب".<sup>2</sup>

وتظهر الكتابات الفرنسية ان السلطات الفرنسية حاولت تقديم قراءة مغلوبة حول الأمير على أساس أنه أصبح صديقاً لفرنسا وقد تخلى عن معارضته لفرنسا الاستعمارية، ومن الكتاب المعبرين بصدق عن هذا التصور الجديد حول الأمير نجد مثلاً بول أزان **Paul Azan**<sup>3</sup> الذي اختار عنواناً فرعياً لكتابه عن الأمير عبد القادر سماه "من التعصب الإسلامي إلى الوطنية الفرنسية"، فقد ألقوا كل ما قام به الامير عبد القادر من أعمال بالتعصب الاسلامي، ومن هناك الكثير من الكتاب الفرنسيين المتأخرين الذين انتقدوا هذا التوصيف ونجد على رأس هؤلاء اميريت مارسال **Emerit Marcel** حيث يقول: ان الكتاب الفرنسيين استعملوا هذا التوصيف (**Le Fanatisme musulman**) دون معرفته أو محاولة فهم تطوره.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> للمزيد حول هذه الأزمة ينظر: طاعة سعد، دور الأمير عبد القادر الإنساني في أزمة الشام الطائفية سنة 1860م، في - مجلة قضايا تاريخية، العدد 05، 2017، ص ص، 40-49

<sup>2</sup>Luis Ballesteros, op Cit, p25.

<sup>3</sup> بول أزان **Paul Azan (1874-1951)**: يعد من ابرز وجوه مؤرخي فرنسا الاستعمارية، التحق بالمدرسة العسكرية سان سير "saint-cyr" سنة 1895م، بعد تخرجه طلب التحاق بالجزائر حيث عمل بمقاطعة وهران منتقلاً بمراكزها تلمسان، غزوات، للامغنية، سدو، اهتم "بمسألة الجزائريين"، بدأ انتاجه المعرفي بنشر مجموعة من المقالات والمؤلفات في التاريخ القديم والحديث، تقلد منصب ضمن هيئة أركان الجيش يشرف على تحرير المجلة التاريخية للجيش، شارك في احتلال المغرب وبعدها في حرب الريف، كتب سيرة الأمير عبد القادر، شارك بفعالية مع الجنرال ليوطي **Lyautey** في احتفالية مئوية لاحتلال الجزائر، للمزيد حول هذه الشخصية ينظر :

- Georges Yver, **Le Général Azan**, in-Revue Africaine, volume 96, A. Jordan Libraire-éditeur, Alger, 1952, p-p 250-259.

- Marcel Emerit, **Paul Azan, Hommes et Destins**, tome II, volume 1, Académie des Sciences d'outre-mer, 1975, pp 33-35.

- leonore.archives-nationales.culture.gouv.fr/ui/,02/02 2022 à 03 :56.

<sup>4</sup>Marcel Emerit, **L'Algérie à l'époque d'Abd-el-Kader**, op Cit, p233.

وحاول بعض الكتاب الفرنسيين على غرار الكونت دوسيفري De Civry أن يثبتوا بأن الأمير قد تخلى عن "القومية العربية"<sup>1</sup>، وبرروا ذلك بسلوكه المتسامح مع الأسرى ويذكر دوسيفري ان لجوء الأمير للتسليم الطوعي للأسرى الفرنسيين كان له أثر ايجابي بين سلطات الاحتلال في الجزائر<sup>2</sup>، ولعل من الأسباب التي جعلت الكونت دوسيفري يتبنى هذا الرأي هو الشهادات التي رويت له عن الامير من قبل الأسرى، ويقول في ذلك ان كل من رأى الأمير أو حتى من كانوا أسرى عنده كلهم متفقون على نبل وتسامي أخلاقه وطيبة قلبه، فسيرته إزاء الأسرى الفرنسيين يمكن اعتمادها كنموذج يحتدى به لكل محارب في مواجهة أعدائه، ولك أن تدعو كل أسرى الأمير عبد القادر وتستجوبهم كل واحد على حدة من مغمورهم إلى مشهورهم، يجمعون وبدون استثناء على إجابة واحدة كلها حماس وإعجاب بالنسبة للأمير عبد القادر فإن الجنود الفرنسيين ليسوا أسرى وإنما ضيوف، وحتى من أراد منهم الدخول في الإسلام فكثيرا ما كان الأمير يراجعهم بأنه لن تمس شعرة من رؤوسهم إن بقوا على ديانتهم المسيحية.<sup>3</sup>

بل هناك كتابات فرنسية كمذكرات القادة العسكريين والساسة قللت من الدوافع الدينية والقومية كدافع رئيسي لمقاومة الامير والمكانة الرفيعة التي احتلها بين الجزائريين، بل ارجعت ذلك الى الظروف وتنازل فرنسا من خلال إبرامها لمعاهدات مع الأمير، حيث تجمع أغلب هذه كتابات أن معاهدات (دي ميشال 17 شوال 1249هـ/26 فيفري 1834 والتافنة 24 صفر 1253هـ/30 ماي 1837)<sup>4</sup> مع الأمير هي من خلقت سلطة الأمير أو أكسبتها

<sup>1</sup> ما يلاحظ ان استعمال الكتاب الفرنسيين لتوصيف " القومية العربية " كان مرادفا لتوصيف التعصب الاسلامي Fanatisme musulman ويرى الشيخ بوعمران بأن مصطلح التعصب دائما لتوصيف مقاومة الجزائريين المسلمين للغازي الأجنبي، لكن الأمر يتعلق بكل بساطة ووضوح عن قومية "patriotisme" للمزيد ينظر:

- Chikh Bouamrane et Mohamed Djidjeli, op Cit, p209.

<sup>2</sup>Eugène Civry, **Napoléon III et Abd-el-Kader**, Martinon Libraire-Éditeur, Paris, 1853, p233.

<sup>3</sup>Ibid, pages 148, 189, 193,196-197.

<sup>4</sup> هذه الاتفاقات شابها جدل كبير بين الطرفين حول تفسيرات بنودها ومدلولاتها خاصة الثانية وبالضبط في نقطتين تعيين الحدود، ومدى التزام كل طرف تجاه الطرف الآخر، اعترف عبد القادر بأن ملك فرنسا كبير وورد في النص العربي: "إن أمير المؤمنين يعلم أن السلطان كبير...". وردت في النص الفرنسي: "إن الأمير عبد القادر يعترف بسيادة ملك الفرنسيين...". مسألة الحدود "فوق نهر قدارة" و"ماوراء نهر قدارة"، ولا شك أن الحكومة الفرنسية أسفت على هذا الاتفاق الملائم للأمير فنقضته في العام 1839 باختراق أبواب الحديد. وقد أجلى هذه الحقيقة اميريت وايفر. انظر: برونو إيتين، المرجع السابق، ص ص 189-192.

الشرعية، بعضهم يرده إلى سياسة فرنسا والآخر إلى ضعفها<sup>1</sup>، وذهبوا إلى القول أن ذلك حول الأمير من مرابط بسيط إلى أمير المؤمنين - أصبح معها يوغرطة العصر<sup>2</sup>.

كان **دي ميشال Desmichels** أول من تنبه إلى هذا الأمر على أرض الواقع، كون أن الحروب التي خاضها مع الأمير مند مجيئه في 23 أبريل 1833 على رأس قيادة وهران، أفرزت لديه قناعتين متلازمتين الأولى: أن هذه الحروب لا يمكنها بأي حال أن تهدد أو بالأحرى تزعزع موقع وموقف الفرنسيين اتجاه العرب. وثانيا: لتعزيز موقع وموقف الفرنسيين بالجزائر يجب فتح قناة اتصال مع رجل من أهل البلد يتميز بتأثير واسع وشهرة واسعة وفي مقدوره توحيد وحكم الجزائريين<sup>3</sup>.

تتفق الكتابات الفرنسية المعاصرة والتي كانت قريبة من الأمير عبد القادر والأحداث المحيطة به، على أن طريقة تعامل الأمير عبد القادر مع الأسرى لم تكن نتيجة تخليه عن مبادئه الأصلية، وإنما استمد مرجعيتها من الشريعة الإسلامية السمحاء وهذا ما لاحظته **Adolph Vilhelm Dinesen** مؤكدا على أن الإنسانية والعدالة المتجذرة والعميقة والتزام الأمير الشديد بأحكام الشريعة والتي تعد أساسا لحكمه<sup>4</sup>، ووافقته في هذا كل من **Narcisse faucon** و **Pellissier de Reynaud** فيرى الأول أن الأمير في حربه وسلمه وسجنه، لم يحمل أية ضغينة أو حقد على أعدائه وكشف عن معدنه الأصيل، فلم يتوان ولو للحظة واحدة في تأمين المسيحيين في أحداث الشام المؤلمة، وحتى أثناء زيارة أحد الأمراء الألمان له، لم ينساق معه وهو يذم الفرنسيين أمامه<sup>5</sup>، أما الثاني فيصل إلى النتيجة التالية ويقول في ذلك جازما أن الأمير عبد القادر مهما كانت نهايته، فقد بلغ مجدا خالدا<sup>6</sup>.

<sup>1</sup>Narcisse faucon, op Cit, pp2.

<sup>2</sup>Eugène Buret, **Question d'Alger de la double conquête de l'Algérie par la guerre et la colonisation**, op Cit, p26.

<sup>3</sup>Louis Alexis Desmichels, op Cit, pp 6, 95.

<sup>4</sup>Adolph Vilhelm Dinesen, op Cit, 2001, p82.

<sup>5</sup>Narcisse faucon, op Cit, p5.

<sup>6</sup>Pellissier de Reynaud. E, op Cit, Tome Premier, p265.

## 4- رد المؤرخين على آراء الكتابات الفرنسية حول الأمير عبد القادر.

منذ استقرار الأمير عبد القادر ببلاد الشام وما قام به من نشاط سياسي ودبلوماسي واجتماعي وتفرغه للتدريس وتوسيع معارفه العلمية والفقهية وما انتجه من تأليف جعله محل اهتمام الدارسين لسيرته الشخصية، وظهر هذا التوجه تقريبا منذ النصف الثاني من القرن 19م، واستمر الى القرن 20 م بل الكتابة والبحث حول الأمير مازالت تثير اهتمام الدراسيين والباحثين الى يومنا هذا، وما يلاحظ على هذه الكتابات سواء كانت عربية او اجنبية فإنها صحت الكثير من المغالطات والادعاءات التي الصقت بالأمير من طرف كتاب المدرسة العسكرية الفرنسية ونظرتها الاستعمارية لتاريخ الجزائر عموما وتاريخ الأمير عبد القادر بوجه خاص.

ما سجلته أغلب الدراسات والكتابات التاريخية في القرن 20 م، التي أرخت لمقاومة الأمير عبد القادر (1830-1847)، أنها أجمعت على تشابه حالة المجتمع الجزائري بحالات شعوب اليونان والصرب والبلجكيين والبولنديين حيث انبعثت عندهم الروح القومية وأصبحوا يطالبون بالاستقلال، لذلك شعر الفرنسيون بالخوف من أن تنتقل هذه الفكرة وتتجذر لدى الجزائريين<sup>1</sup>، والحقيقة أن هذه الفكرة (الروح القومية الوطنية)، جسدها الأمير عبد القادر ميدانيا وكانت ركيزة أساسية استطاع بفضلها تجنيد الجزائريين لمقاومة الاحتلال الفرنسي، وفي هذا الإطار يذكر تشرشل: "تقدم الأمير عبد القادر إلى أبناء وطنه بفكرة بسيطة وعظيمة في نفس الوقت هي فكرة قومية عربية، توظف فيهم رد فعل ايجابي". عبر عنها عبد الله شريط ب "خميرة الدولة هو الشعب التجأ إليه الأمير ليخلق منه دولة فعلية"<sup>2</sup>.

وهي نفس الملاحظة التي لاحظها ليون روش من قبل حيث قال: "أن المسلمين الجزائريين حاربوا كل غازي لأراضيهم منذ عهد الرومان، والأمير لا يعدوا أن يكون إلا يوغرطة جديد"<sup>3</sup>. وحسب تعبير أبو القاسم سعد الله أن الأمير هو من أخرج الوطنية الجزائرية

<sup>1</sup> مقدمة أبو القاسم سعد الله، شارل هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، ط1، تر أبو القاسم سعد الله، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2004، ص 10.

<sup>2</sup> عبد الله شريط، "مشكلة الحكم الإسلامي في دولة الأمير عبد القادر ونظرية الشيخ ابن باديس"، في -مجلة الثقافة-، عدد 75، وزارة الثقافة، الجزائر، 1983، ص 237.

<sup>3</sup> Léon Roches, op Cit. p75.

التي دعى إليها حمدان خوجة إلى الميدان، بعد إدراكه للعوائق التي كانت تعترض مشروعه السياسي، ولعل أبرز هذه العوائق التشتت القبلي السائد في المجتمع الجزائري.<sup>1</sup>

بفضل جهود كبيرة، استطاع الأمير إقناع القبائل بضرورة بناء دولة وطنية تحت قيادة مركزية تلتزم بواجباتها، وقد نجح الأمير في توحيد هذه القبائل تحت راية واحدة لم تعرف الجزائر مثيلا له منذ عصر بني حماد،<sup>2</sup> فأصبحت ثلاثة أرباع الجزائر تدين بالطاعة والولاء للأمير عبد القادر.<sup>3</sup>

استعان الأمير عبد القادر في الاتصال بالجزائريين وإقناعهم بمشروعه السياسي (مقاومة الاحتلال وبناء الدولة)، عن طريق الخطابة والوعظ ومن خلال العبارات الواردة في هذه الخطب (كبلادكم، أرضكم، دينكم... إلخ). نلاحظ أن الأمير أراد أن ينبه الجزائريين لخطورة الموقف والآثار المترتبة عن الاحتلال الفرنسي لبلادهم، لمعرفته المسبقة لرد فعل الجزائريين الايجابي الراض للاحتلال وهم الملتزمون بالدفاع عن عرضهم وشرفهم.<sup>4</sup>

لم يكتف الأمير بهذه الوسيلة (الخطابة)، في الاتصال بالجزائريين بل نجده ينتقل بنفسه إلى العديد من المناطق داخل القطر الجزائري حيث توجه إلى الصحراء ومنطقة القبائل وتوجه إلى وسط الجزائر وتنقل بين مديّة ومليانة. توجه نحو الشرق الجزائري باتجاه بسكرة ومسيلة، وأرسل أيضا الوفود نيابة عنه إلى قسنطينة وتقورت وكان جامعا موحدا للجزائريين في اتصالاته حيث اتصل بكافة فئات المجتمع الجزائري وطبقاته وتعامل مع مختلف الزوايا والطرق الصوفية دون تفضيل واحدة عن الأخرى رغم انتمائه لطريقة القادرية.<sup>5</sup>

<sup>1</sup> أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج1، المرجع السابق، ص130.

<sup>2</sup> إحدى الدول المستقلة التي قامت بالمغرب الأوسط وكان لها حضور سياسي وثقافي ينظر: إسماعيل العربي، دولة بني حماد ملوك القلعة وبيجاية، الشركة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر، 1980.

<sup>3</sup> إسماعيل العربي، المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر، المرجع السابق، ص ص 177-178.

<sup>4</sup> مقدمة أبو القاسم سعد الله، شارل هنري تشرشل، المصدر السابق، ص 9.

<sup>5</sup> القادرية: طريقة صوفية نسبة إلى عبد القادر الجيلاني (1077-1166) ببغداد، انتشرت في الجزائر عن طريق أبي مدين شعيب ومنها إلى إفريقيا، من أهم زواياها زاوية القيطننة بمعسكر جنوب شرق وهران وكان والد الأمير عبد القادر مقدا لها.

وما يمكن الإشارة إليه أن الأمير عبد القادر في هذا المجهود كان يسارع الزمن لمجابهة المخططات الجهنمية الفرنسية الرامية إلى تشتيت الجزائريين وتغذية الصراعات القبلية والانشقاقات الداخلية، خصوصا بعد قيامها بتكوين العديد من الفرق العسكرية المحلية بالمناطق الحضرية على غرار مدينة الجزائر، وهران، تلمسان، والتي بفضلها استطاعت في مدة وجيزة مضايقة الأمير ومنعه من توحيد الجزائريين وحشدهم ضد فرنسا.<sup>1</sup>

ومن الكتاب الجزائريون الذين كانت لهم مواقف واضحة اتجاه الكتابات الفرنسية نذكر على سبيل المثال للحصر محمد الشريف الساحلي، الذي ساهم بقسط وافر في شرح خلفيات ودوافع الفرنسيين في توصيف الأمير بالتعصب الإسلامي أو القومية العربية، وربط كل ذلك على أنها استمرار للحرب على الاسلام، ويرى أنه كلما كانت هناك اضطرابات او توترات بين الجزائريين والفرنسيين إلا وصفها السياسيون والصحفيون الفرنسيون بأنها من التعصب الاسلامي، ويواصل الساحلي القول : انه حتى التصوف الذي كان الأمير رائدا فيه اعتبر من تجليات التعصب الاسلامي على حد تعبير قوبينو Gobineau، ويقدم الحجة على الكتابات الفرنسية عندما يذكرهم بموقف أساطين الاحتلال الفرنسي من شارل العاشر الى نابليون الثالث الذين كانوا يصرحون بإرادتهم في خوض حرب صليبية، رغم ذلك لم يفكر واحد من هؤلاء الكتاب بربط افعالهم بالتعصب للكنيسة<sup>2</sup>، وضمن نفس النسق يذكر الباحث Eric Geoffroy أنه على العكس من ذلك كان الأمير عبد القادر لا يخلط بين إمبريالية متوحشة تقودها فرنسا وديانتها المسيحية، ففي عز المواجهات العسكرية بينه وبين جيش الاحتلال ربط علاقات مع ممثلي الديانة المسيحية.<sup>3</sup>

يرى محمد الشريف الساحلي ان المنظومة الاستعمارية روجت للكثير من المغالطات حول الأمير عبد القادر بما يخدم مصالحها السياسية بالجزائر أو في الأقطار العربية، كون الأمير أصبح في اعتقادهم مخلصا للقضية الفرنسية، ويؤكد الساحلي أن الأمير لم ينس ماضيه أو يتنكر له بالرغم من ظروف تحوله الروحي في بلاد المنفى، ويستشهد على ذلك

<sup>1</sup> كاتب ياسين، "الأمير عبد القادر واستقلال الجزائر"، في -مجلة الثقافة-، عدد 75، تر محمد هناد، وزارة الثقافة، الجزائر، 1983، ص 188.

<sup>2</sup> محمد الشريف الساحلي، الأمير عبد القادر فارس الإيمان، المرجع السابق، ص ص 58-59، 99-100.

<sup>3</sup> Eric Geoffroy, *L'Emir, modèle contemporain de « l'homme universel »*, op Cit, p130.

بما ذكره المصرفي السويسري إينار Eynard وهو أحد أهم مراسلي الأمير حيث أبدى له الملاحظة التالية: "...ما دمت قد القيت السلاح، فذلك يعتبر تعهدا منك بحثّ الجزائريين على قبول تسلط الفرنسيين دونما معارضة أو مقاومة...". أجابه الأمير برياسة جأش ودمائة خلق: "...ما كان في مقدوري فعله بهذا الصدد قمت به...واليوم اذا كنت ترى بأن هناك ما يمكن فعله، فسأبذل كل ما في وسعي لذلك، لأنني أعلم أنك لا تطالبني إلا بما هو ملائم ويتوافق مع الماضي".<sup>1</sup>

والفرنسيون من ساسة وكتاب أرادوا أن يظهروا الأمير بصورة القائد الإقطاعي الجشع الذي انتقل من كراهيته الشرسة لفرنسا إلى الولاء التام لها، لكن في واقع الأمر ان الامير كان يعتبر فرنسا بالنسبة إليه بلدا أجنبيا كل مقوماته تبعده عنها، التاريخ، نمط العيش والتفكير<sup>2</sup>، وانسأقت وراء هذه الأكاذيب الرسمية بعض الكتابات الفرنسية، إذ حاول بول ازان Paul Azan استغلالها والتنظير لها في مؤلفه السالف الذكر والذي اختار لأحد فصوله العنوان التالي: الامير عبد القادر من التعصب الإسلامي إلى الوطنية الفرنسية، حاول بول ازان اقناعنا بأن الأمير عبد القادر قد اصبح مواطنا فرنسيا.

وسجل أيضا المؤرخ شارل أندري جوليان Charles André Julien موقفه من كتاب بول ازان حول الأمير ورأى أن ما تناوله يمثل حالة شاذة وتحريفا للحقائق والوقائع، فالأمير وطني جزائري ولم يكن مسلما متعصبا، دافع عن بلاده ضد المحتل الأجنبي المسيحي، ولم يعتبر الأمير أبدا نفسه فرنسيا، ناهيك أنه لم يثبت عنه (رغبته في الوطنية الفرنسية)، فتدخله في حل اضطرابات دمشق كشفت عن معدنه الانساني الأصيل.<sup>3</sup>

<sup>1</sup>Mohamed chérif Sahli, *Décoloniser l'histoire*, Enap, Alger, 1986, p151.

<sup>2</sup> محمد الشريف الساحلي، تخلص التاريخ من الاستعمار، تر محمد هناد ومحمد الشريف بن دالي حسين، وزارة المجاهدين، الجزائر، 2002، ص ص 38، 94.

<sup>3</sup>Charles André Julien, *Histoire de L'Algérie Contemporaine*, Casbah édition, Alger, 2005, p533.

## 5- أهداف وغايات الأمير عبد القادر من حصار عين ماضي (جوان 1838م/جانفي 1839م) نتائجه وانعكاساته

يعتبر موضوع الأمير عبد القادر وعلاقته بالطريقة التجانية من الموضوعات التي لا زالت بعض جوانبها غامضة وتحتاج الى دراسات معمقة، بالرغم من وجود دراسات وكتابات حاولت إمطة اللثام عن هذا الموضوع، وعموما فإن حجم الكتابات العربية المحلية والأجنبية حوله يبقى ضئيلا بالنظر لأهميته التاريخية والعلمية لكونه يشكل مفتاحا لتفسير الأسباب الحقيقية لتدهور علاقات بين الأمير عبد القادر والتجانيين.

في هذا السياق يأتي تناول موضوع حصار عين ماضي من طرف جيش الأمير عبد القادر جوان 1838م/جانفي 1839م كمحاولة لإزالة الغموض واللبس عن بعض الأحداث المحيطة بزحف الأمير تجاه عين ماضي(المدينة) والدوافع الكامنة وراء هذه الحملة (الحصار)، وتسليط الضوء أيضا على بعض الفاعلين والمحرّكين للأحداث من طرفي الصراع (الأمير عبد القادر من جهة ومحمد الصغير التيجاني من جهة أخرى)، دون إهمال أو إغفال للدور الخفي لفرنسا وجواسيسها وعلى رأسهم ليون روش ودوره الخطير في تسميم علاقات الأمير بالتجانيين.

من هذا المنطلق فإنه لا يمكن للباحث فك أسباب وحيثيات إقدام الأمير على مواجهة التجانيين عسكريا وفرض سيادته عليهم إلا بالعودة الى المشروع السياسي الوطني الذي انخرط فيه جميع مكونات الشعب الجزائري في كل الجهات. وعلى هذا الأساس تشبّث الأمير عبد القادر بمبدأ وحدة الوطن والمجتمع لخوض مقاومة منظمة وشاملة لكل القطر الجزائري، ورأى في أيّ خروج عن هذا المبدأ تصدّعا في كيان الدولة بل فقداننا للسيادة.

وقد كان النسيج الاجتماعي الجزائري فسيفساء مشتتة جغرافيا ومتصارعة اجتماعيا وسياسيا، تتجاذبه جماعات الكراغلة وقبائل المخزن وصراع قبائلي وطرفي على مجال النفوذ. وتعد مواجهة الطريقة التجانية إحدى أبرز أوجه هذا الصراع الداخلي الذي خاضه الأمير عبد القادر، اجتهد في صهرها تحت سيادة سياسية واحدة.

## 1.5 مركزية عين ماضي لدى الطريقة التجانية

مدينة عين ماضي وتعرف بالمناطق الصحراوية البلديات المحصنة بـ "القصر"،<sup>1</sup> تقع على مسافة 450 كلم جنوب الجزائر و53 كلم غرب الأغواط و24 كلم عن تاجمونت، تحوي حوالي مئتي مسكن، ورغم صغرها تشتهر بدفاعاتها القوية، إذ الأسوار تبلغ ثمانية أمتار طولا وبسُمك مترين،<sup>2</sup> عين ماضي محاطة بحدائق لها سور أقل أهمية من الأول لكنه يوفر حماية مزدوجة للمدينة. محمد الصغير التيجاني سيد المدينة سليل الأشراف، لا يقبل الندية ولا أن يكون تابعا، مرابط على طريقة أجداده، نأى بها عن التدخل في الشؤون السياسية للبلد.<sup>3</sup>

ويعتبر تصميم قصر عين ماضي عملا هندسيا مدروسا، لا من حيث الموقع والأسوار الخارجية المحيطة بالمدينة المدعمة بأبراج الحراسة، وشبكة طرقات وأزقة تضمن حركة انسيابية داخل القصر، ووفرة المياه للسقي والشرب، مما يجعل منها مدينة مستقلة قائمة بذاتها، تمكّنها من الصمود أمام الأخطار الخارجية لفترات طويلة.<sup>4</sup> ولازال هذا القصر يعيش ذكرى الانتصار التاريخي على محاولة حصاره سنة 1783 من طرف باي وهران محمد الكبير.<sup>5</sup>

ومن أعلامها الشيخ والعالم أحمد التيجاني الذي استقل بطريقته وسميت باسمه سنة 1781، وجعل مقرها بعين ماضي، ورتب لها الأوراد والأذكار عرفت "بالكناش" وأصبح لها "مقدم" بكل ناحية وأتباع كثر عُرفوا باسم "الأحاب" وبدأت تتوسع وتنتشر بدون توقف، لدرجة أثارت ريبة الحكومة التركية، ويقوم باي وهران بحصارها وفرض عليها غرامة سنوية

<sup>1</sup> Alex Bellemare, op Cit, p18.

<sup>2</sup> Victor Bérard, *Indicateur Général de L'Algérie*, Bastide Libraire-éditeur, Alger, 1867, p304.

<sup>3</sup> Christian P, *L'Afrique Française*, Barbier A éditeur, Paris, 1851, p98.

<sup>4</sup> روان فتيحة، حنفي عائشة، خبيزي محمد، "الوظيفية في عمارة القصور الصحراوية قصر عين ماضي بالأغواط نموذجا"، مجلة الدراسات الإسلامية، (الصفحات 123-136)، الجزائر، 2017، ص ص 125-129.

<sup>5</sup> Alex Bellemare, Op Cit, p214.

كبيرة سنوات 1783-1787، ليغادرها شيخها إلى فاس في حظوة السلطان مولاي سليمان إلى أن توفي بها سنة 1815.<sup>1</sup>

تولى محمد الصغير إدارة شؤون عين ماضي بعد أخيه، تناصره وتآزره تماسين، فأصبحت قوة روحية واقتصادية بتحكّمها في قوافل التجارية للطوارق، السودان، وأفريقيا الوسطى، تجوب بلاد شنقيط، تمبوكتو والسنغال، يسيّرهما أتباع الطريقة بكل أمان بصفة مقدم عن زاوية عين ماضي، درّت عليها ثروات عظيمة واكتسحت الطريقة كل العمق الإفريقي، وكانت سببا في نشر الإسلام في هذه الأقطار.<sup>2</sup>

## 2.5 الضرورة الشرعية والسياسية لحصار عين ماضي

كان لسقوط مدينة الجزائر سريعا في يد الفرنسيين في 4 جويلية 1830 وبعدها وهران في 4 جانفي عام 1831، إيذانا بدخول البلد عهدا جديدا، تردّى فيه الوضع سريعا عبّر عنه الأغا المزارى صاحب طلوع سعد السعود "تار الفتنة ثاقبة بين المسلمين بواديهما والحواضر، منذ دخل النصارى لمدينتي وهران والجزائر، قام لإطفائها العلماء والشرفاء والمرابطون سيما القطب الأكبر سيدي محي الدين بن مصطفى، ولا يتأتى لهم ذلك إلا بجمعهم للجهاد".<sup>3</sup>

هذه الهبة الجهادية التي قادها محي الدين ومن بعده ابنه عبد القادر الذي أظهر حنكة قيادية بعد مبايعته أميرا للمؤمنين في 23 نوفمبر 1832، وهو لقب له مدلول ديني أكثر منه كسلطة وحكم، ومهارة سياسية تكمن في تكبّد عناء قيادة هذه الجموع (عموم الشعب) التي تؤكد الشواهد وقتها أنها منقسمة على نفسها، لم تكن لتغيب عن عبقرية الأمير النافذة في صهر هذه المكونات ضمن وطنية عربية إسلامية أكثر منها وطنية سياسية، ويطمح

<sup>1</sup> Octave Depont & Xavier Coppolani, **Les confréries religieuses musulmanes**, op Cit, p-p 416-418.

<sup>2</sup> Louis Rinn, **Marabouts et Khouan étude sur l'islam en Algérie**, op Cit, pp 424.425.

<sup>3</sup> ابن عودة المزارى، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990، ص95.

لاستقلال عرب الجزائر تحت حكمه.<sup>1</sup> فالوحدة الوطنية آنذ لم يكن بالإمكان فهمها إلا في إطار الدين الإسلامي عقيدة وشريعة.<sup>2</sup>

فالضرورة السياسية أوجبت عليه وحدة وطنية عنوانها جهاد الغزاة، فلم يدعُ القبائل لنفسه وإنما إلى الجهاد، ويكون الملتقى في جانفي 1833 على أسوار وهران، معركته هذه وإن لم تطرد الفرنسيين فإنها جعلت منه حامل لواء الجهاد بعد أن أحكم حصارا شديدا عليها. وهي حركة سياسية لا يستطيع أي مناوئ له رفضها وإلا عدّ متخاذلا وترفع أسهم الأمير لدى عموم الشعب وخطوة إلى الأمام عن كل منافسيه وتجلب لصفه كل تفرعات الفرق الدينية التي لها نفوذ إلى حدود المغرب.<sup>3</sup>

والأمير عبد القادر شاهد عيان على النظم الحاملة للتفرقة والصراع لكل مكونات المجتمع الجزائري، بقايا الأتراك وطائفة كراغلة المتحالفة مع قبائل المخزن، الحضر (البرجوازية الأهلية) وتتصارع حتى فيما بينها وكذلك ضد قبائل الرعية عموم الجزائريين من أهل الريف، وهذه الأخيرة تتنازعها عدة زعامات محلية باسم القبيلة أو مرابطي الطرق الصوفية المفتخرة بدينها ووطنها.<sup>4</sup>

ولم يكن ليسلم من هذا التشتت القبلي جهة أو منطقة وأحيانا كثيرة يمس المدينة الواحدة مثل الأغواط ويصدق الحال كذلك على تلمسان وقسنطينة وأغلب باقي المدن حينئذ. ونفس الحال كانت عليه القصور الصحراوية (تاجمونت، عين ماضي، حران) وصراعاتها المتشعبة تشابهت إلى حد بعيد مع تاريخ الجمهوريات الإيطالية في العصور الوسطى<sup>5</sup>

فبحق هذه البيعة تغل الأمير عبد القادر أمام والده حين حدّره هذا الأخير من عدم التسرع مع القبائل النافرة، بقوله "الفرنسيون على أبوابنا، يهبون، يغزون، ويقتلون، وماذا لدينا لمقاومتهم، قبائل يصارع بعضها بعضا، ورؤساء متأمرون جشعون يتقاتلون لتوسيع مناطق

<sup>1</sup> Marcel Emerit, *L'Algérie à l'époque d'Abd-el-kader*, op Cit, pages 15,17,184,233.

<sup>2</sup> عمار يزلي، "الظروف السوسيو-تاريخية لمقاومة الأمير عبد القادر: الخلفيات والمرجعيات"، تأليف جماعي، تير الخواطر في فكر الأمير عبد القادر، (الصفحات 35-58)، الجزائر، دار القدس العربي، 2000، ص 39.

<sup>3</sup> Alex Bellemare, Op Cit, p-p 43-45.

<sup>4</sup> Marcel Emerit, *L'Algérie à l'époque d'Abd-el-kader*, Op Cit, pp 7,241.

<sup>5</sup> Corneille Trumelet, *Histoire de l'insurrection dans le sud de la province d'Alger en 1864*, Typographie Adolphe Jourdan, Alger, 1879, pp 70,83.

نفوذهم، ومدنيون تمردوا على كل نظام، بعضهم راح يغتني بالنهب، لذا كان عزمه على أداء حق البيعة.<sup>1</sup> بالتالي مهما تكن الأسباب المختلفة لحملة عين ماضي، فإنها تدخل في إطار جهود الأمير عبد القادر لخلق وحدة جغرافية واسعة لمشروع دولته، واستنهاض كل الجهود الممكنة للمقاومة.<sup>2</sup> وقد استعمل هذا الحق ليبرر حملته على عين ماضي الذي نازعه فيه محمد الصغير التيجاني، وسرد في الرسالة التي بعث بها إلى وكيله بفاس الحاج الطالب بن جلون حيثيات مبررات الحملة.<sup>3</sup>

غير أن هذه الفتوى يمكن مراجعتها ضمن السياق العام للمقاومة والعمل التراكمي الذي تتطلبه (ماديا وعسكريا بالخصوص) وعدم فتح جبهة جديدة في خاصرة المقاومة، على أساس قاعدة درء المفسد أولى من جلب المصالح، وهي إحدى مقاصد الشريعة ضمن "فقه الأولويات" مُلَخَّصُهَا "وَضَعُ كُلِّ شَيْءٍ فِي مَرْتَبَتِهِ فَلَا يُؤَخَّرُ مَا حَقُّهُ التَّقْدِيمُ أَوْ يُقَدَّمُ مَا حَقُّهُ التَّأخِيرُ وَلَا يُصَغَّرُ الْأَمْرُ الْكَبِيرُ وَلَا يُكَبَّرُ الْأَمْرُ الصَّغِيرُ".<sup>4</sup>

وبالمحصلة تشابه موقف التيجانيين مع الكراغلة وقبائل المخزن اتجاه الأمير عبد القادر وإن كانت اختلفت دوافعهم وتوجهاتهم. فالتيجانيون لازالت تجذبهم رواسب الماضي وبالضبط مع مطلع القرن التاسع عشر حيث تبنت الطريقة انتفاضة ضد الحكم العثماني سنة 1827، انتهت بمقتلة أبيدوا فيها عن آخرهم مع سيدهم أحمد بن أحمد التيجاني (محمد الكبير) بنواحي غريس بمعسكر، لم يسلم حينها أهل الحشم (قبيلة الأمير عبد القادر) من اتهام حسن باي وهران بأن لهم يد في ذلك وإلا ما كان التيجاني أن يجعل بلادهم طريقا.<sup>5</sup> في حين اعتبر أنصار التيجاني أنه لولا تفهقر الحشم ومن وافقهم ما كانوا ليقعوا في عين الإعصار لُنَّجَتْ شَأْفَتْهُمْ من طرف الباي العثماني وأعوانه.<sup>6</sup>

<sup>1</sup> برونو اتين، المرجع السابق، ص ص 136، 152.

<sup>2</sup> Henri Teissier, *L'Emir Abdekader*, Centre culturel du livre, Casablanca, 2020, p41.

<sup>3</sup> Georges Yver, *Abd-el-Kader et le Maroc en 1838*, in-*Revue Africaine*, Volume 60, A. Jordan Librairie-éditeur, Alger, 1919, p-p 93-95.

<sup>4</sup> محمد أمين سهيلي، قاعدة درء المفسد أولى من جلب المصالح (دراسة تحليلية)، رسالة لنيل شهادة الماجستير علوم إسلامية، غير منشورة، الجامعة الإفريقية العقيد أحمد دراية -أردار، الجزائر، 2006/2005، ص 22.

<sup>5</sup> عبد القادر بن محي الدين الجزائري (الأمير)، مذكرات الأمير عبد القادر، المصدر السابق، ص 126.

<sup>6</sup> Walsin Esterhazy, *Domination Turque dans l'ancienne régence d'Alger*, Librairie Charles Gosselin, Paris, 1840, p-p 218-224.

## 3.5 التطورات العسكرية لحصار عين ماضي

قبل المواجهة العسكرية، كان قرار الأمير عبد القادر بتعيين الحاج العربي بن الحاج عيسى الأغواطي زعيم الأغواط الشراقة خليفة له على تلك المناطق غير موفقٍ من المنظور السياسي والاستراتيجي العسكري، إذ كانت له نويًا كَيْدِيَّةً ضِدَّ غَرِيْمِهِ أحمد بن سالم زعيم الأغواط الغربية المدعمن من قبل زاوية عين ماضي.<sup>1</sup>

هذا التعيين الذي حضي به الحاج عيسى سرعان ما حاول استثماره ضد غريمه بعين ماضي برفع تقارير مغرضة للأمير عبد القادر، كون التيجاني يمثل رأس الحرية لدى القبائل المناوئة للأمير بالصحراء، في حين كانت سلطته السياسية لا تتجاوز حدود أسوار قصره.<sup>2</sup> وهكذا أصبح التيجاني في نظر الأمير عبد القادر من خلال تقارير خليفته منازعا لسلطته على الصحراء.<sup>3</sup>

الواضح في الأمر، أن حجم القوات التي استنفرها هذا الخليفة تبرز نيته غير السلمية ورغبته الخفية، إذ لم تكن لتتجاوز 255 فارس كأقصى تقدير، وكأنه ألقى بثقل المواجهة ورمى بها على كاهل الأمير عبد القادر وحده، هذا الأخير استقدم معه 2000 عسكري، ليرتفع العدد إلى 3585، ثم ليصل بعد ذلك إلى 8000 رجل.<sup>4</sup> وحسب تشرشل لم يقدّر الحاج عيسى بأي شيء، لم يوفر الإمداد اللازم للجيش المحاصر واضطر الأمير لجلبه من الخطوط الخلفية البعيدة، وحتى قوافل الإمداد كانت معرضة لهجمات المغيرين، وتبين أنه لم يكن أكثر من محتال.<sup>5</sup>

فأصبحت سيادة الأمير عبد القادر على المحك وأمام امتحان صعب، إن تراجع تذهب هيبة سلطته على كل الصحراء ويتردد صداها في التلّ وتفقد الدولة سيادتها، لذا أقسم الأمير عبد القادر أن يموت دونه ولا يتولى عنه رغم تبين ضربته المكلفة.<sup>6</sup>

<sup>1</sup> Georges Yver, *Abd-el-Kader et le Maroc en 1838*, op Cit, p 108.

<sup>2</sup> Alex Bellemare, Op Cit, pp 212.213.

<sup>3</sup> Jules-Jean-Gaétan Pichon, *Abd El Kader*, Henri Charles-Lavauzelle, Paris, 1899, p 81.

<sup>4</sup> Arnaud T, *Siège d'Ain Madhi par El Hadj Abd-el-kader Ben mohiedin*, in-*Revue Africaine*, Volume 8, pp 354-371 et 435-453, A. Jordan Libraire-éditeur, Alger, 1864, p 368.

<sup>5</sup> شارل هنري تشرشل، نفس المصدر، ص174.

<sup>6</sup> نفسه.

عازم على خضوع عين ماض وبأي ثمن، لكن الوضعية الحرجة بعد استبسال أتباع التيجاني، جعلته يطلب من خليفته على معسكر وتلمسان بكل المدافع التي بحوزتهما.<sup>1</sup>

تفأقم الوضع مع طول مدة الحصار من 12 جوان 1838 إلى غاية 12 جانفي 1839، واستنزاف موارد الأمير العسكرية التي هو في أمس الحاجة لها، كان معاكسا لما توخّاه من فترة السلم التي أعقبت معاهدة التافنة. وهذا ما ذهب إليه أبو القاسم سعد الله "انشغل الأمير عبد القادر بحصار عين ماضي الذي أخذ منه وقتا وجهدا كبيرين كان في أشد الحاجة إليهما لتأسيس أركان الدولة".<sup>2</sup> ففضاء الجنوب الشاسع يوفر مناطق آمنة يلجأ إليها جيش الأمير حيث يتعذر على الفرنسيين ملاحقته فيها، وكان الأمير مقتنعا بأن الصحراء ستكون عائقا كبيرا في طريق تقدم الفرنسيين لسنوات طويلة.<sup>3</sup> لذا عدّ كل من وارني ودوماس **Warnier et Daumas** أن حصار عين ماضي سيكون له آثارٌ معاكسة لما يتوخاه الأمير.<sup>4</sup> وعبر برونو إتيين عن سير الأمير إلى التيجاني سنة 1838 "أن الأمير يتقدم نحو أول خطٍ فادحٍ له".<sup>5</sup> ويعلق بلمار على حصار عين ماضي "لعب دورا محوريا في تاريخ الأمير عبد القادر، وكاد أن يُورده المهالك".<sup>6</sup>

وبالمحصلة فإن الحروب السابقة للأمير عبد القادر في حصار المدن لم تكن نتائجها مرضيةً، والتي تتركز بالدرجة الأولى على القوة النارية للمدفعية وكثافتها، رأينا ذلك في حصار مستغانم (بقيادة كولوغلي باي ابراهيم) أوت 1833 وكذلك في حصار تلمسان (الكراغلة المتحصنين بقلعة المشور ثم انزاح إليهم مصطفى بن اسماعيل شيخ الدوائر) سنة 1834.<sup>7</sup> وهي المدن الأقرب وضمن المجال المتاح لقواعده العسكرية.

<sup>1</sup> Georges Yver, **Les correspondances du capitaine Daumas consul de France à Mascara 1837-1839**, Editions el Maarifa, Alger, 2008, pages 260-262,354.

<sup>2</sup> مقدمة المترجم، أدريان بيرروجير، مع الأمير عبد القادر رحلة وفد فرنسي لمقابلة الأمير في البويرة (1837-1838)، تر أبو القاسم سعد الله، الطباعة العصرية، الجزائر، 2006، ص10.

<sup>3</sup> محفوظ قداش، "جيش الأمير عبد القادر تنظيمه وأهميته"، في -مجلة الثقافة-، عدد 75، (الصفحات 51-74)، وزارة الثقافة، الجزائر، 1983، ص61.

<sup>4</sup> Marcel Emerit, **L'Algérie à l'époque d'Abd-el-Kader**, op Cit, p165.

<sup>5</sup> برونو إتيين، المرجع السابق، ص 193.

<sup>6</sup> Alex Bellemare, Op Cit, p211.

<sup>7</sup> Edmond Pellissier de Reynaud, op Cit, Tome Premier, pp 359,376.

فتحصينات عين ماضي ظلت حائلا أمام جيش الأمير، رغم الجهود الكبيرة المبذولة، وأصبح الحصار بلا فائدة.<sup>1</sup> ظلت الأسابيع والشهور تتوالى والأمير عبد القادر يفقد يوميا كثيرا من الرجال، ويضطر إلى استقدام مشاة تلمسان، ورفع عدد المدفعية، وتجهيز السلام تحضيرا لهجوم جديد، لكن المسألة لا يبدو أن لها حلا في الأفق القريب.<sup>2</sup> ويأمر بالهجوم للمرة العاشرة على هذه الأسوار، التي مازالت تحمل بصمة عدم قدرة جيش الأمير عبد القادر على تجاوزها،<sup>3</sup> وكانت معسكر تستقبل كثيرا من جرحى حصار عين ماضي.<sup>4</sup>

واستمر الوضع على حاله إلى أن وصل شقيقه سيدي محمد سعيد والخليفة مصطفى بن التهامي بتاريخ 17 نوفمبر 1838 إلى مكان تمركز الأمير عبد القادر حول عين ماضي، للتوسط بين المتحاربين لحل الخلاف وانهاء الصراع، وهو ما تمّ بعد مفاوضات عديدة، حيث ينجلي التيجاني عن عين ماضي خلال 49 يوما مع عائلته وثورته وأتباعه، وفي 12 جانفي 1839 يقوم الأمير عبد القادر بنسف قصرها وحصنها ودك أسوارها وأبراجها.<sup>5</sup>

#### 4.5 الدور الفرنسي في الصراع وعواقبه

لم تكن الأيدي الفرنسية الممتدة في هذه المواجهة بالأمر الهين في تعميق هوة الخلاف بين الطرفين والذهاب بهما إلى حد الاقتتال، فلو نجح الأمير في اقناع التيجاني الذي لديه قوة معنوية كبيرة بالوقوف إلى صفه، وقوة اقتصادية تتحكم في الطرق التجارية لجنوب الصحراء، لخلق مشاكل جدية للاحتلال.<sup>6</sup> (كما لو اتحد الأمير مع أحمد باي). ويمكن تتبع

<sup>1</sup>Victor-Amédée Dieuzaide, *Histoire de l'Algérie de 1830-1878*, Tome 2, Imprimerie de l'association ouvrière, Oran, 1883, p 362.

<sup>2</sup>Georges Yver, *Les correspondances du capitaine Daumas consul de France à Mascara 1837-1839*, Op Cit, p 284.

<sup>3</sup> Corneille Trumelet, Op Cit, p 112.

<sup>4</sup> Warnier A, *L'Algérie devant L'Empereur*, Challamel Ainé Libraire-éditeur, Paris, 1865, p 202.

<sup>5</sup> أديب حرب، التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر الجزائري 1808-1847، ج 2، ط 3، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2005، ص ص 30-32.

<sup>6</sup> Arnaud T, Op Cit, p 361.

دور ليون روش في تأجيج نار الصراع بين الطرفين حين عمد إلى جعل المواجهة حتمية على الأمير عبد القادر بعد أن قاد المفاوضات الأولية مع الشيخ التيجاني.<sup>1</sup>

وفي مذكراته يقول الجاسوس ليون روش أنه هو من أقنع الأمير عبد القادر وتطوع ليقود المفاوضات الأولى مع التيجاني بحكم أنه فرنسي، لا يمكن للتيجاني أن يمسه بسوء، وإذا لم يقدر على إقناع صاحب عين ماضي، فهي فرصة يقتصها للاطلاع على تحصينات المدينة ودفاعاتها.<sup>2</sup> وهكذا استطاع ليون روش أن يحبك خطته، ويرفع أسهمه لدى الأمير عبد القادر (حصل على وسام بعد انتهاء الحصار)، كتاب مخلص ومخاطر بحياته من أجل سيده.<sup>3</sup> ومهما يثار ويقال عن سلوك ليون روش من ازدواجية الشخصية، لكن نجاحاته التي حققها للفرنسيين تبرر تصرفاته.<sup>4</sup>

فيما يخص الذخيرة الفرنسية (قذائف المدافع والمتفجرات) يقول عنها دumas قنصل فرنسا لدى الأمير بمعسكر، لم يكن لها أي مفعول حربي، بالمقابل ازداد تعنت التيجاني وأرسل تحذيرا مع شيوخ المرابطين الذين سعوا في الصلح بينهما، بإمكان الأمير عبد القادر البقاء لعشرين سنة أمام أسواره، ولن يدخلها أبدا، معوّلا على حجم الأتوات والذخيرة المخزنة لديه بقصر عين ماضي.<sup>5</sup> يكفي أن نشير هنا إلى إحدى المواجهات الحاسمة تعززت فيها مدفعية الأمير عبد القادر بخمس قطع مدفعية لتأقمت وتلمسان، وظلت تلك أسوار المدينة بدون انقطاع، من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، لينجلي غبار المعركة وأسوار القصر لازالت قائمة أمام ذهول الجميع.<sup>6</sup>

والراجح هي مواجهة 4 جويلية 1838 التي تزعمها سكرتير الأمير عبد القادر ومهندس الحصار ليون روش بمساعدة الهنغاري، بَدَّر فيها ثمانمائة (800) قذيفة مدفعية

<sup>1</sup> Léon Roches, Op Cit, p-p 115-148.

<sup>2</sup> Ibid, pp 120.121.

<sup>3</sup> يوسف مناصرية، مهمة ليون روش في الجزائر 1832-1847، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990، ص 31.

<sup>4</sup> Arsène Bertheuil, L'Algérie Française, Dentu Libraire-éditeur, Paris, 1856, p 344.

<sup>5</sup> Georges Yver, Les correspondances du capitaine Daumas consul de France à Mascara 1837-1839, Op Cit, p 334.

<sup>6</sup> Corneille Trumelet, Op Cit, pp 115.116.

عن آخرها، وهي كل ذخيرة الجيش دون جدوى ودون أن تمس أساسات الجدران.<sup>1</sup> ليبقى الحصار معلقا ويطول من عمر الأزمة إلى أقصى حد.

بالمقابل حين أريد تلغيم قصر التيجاني، يجتهد ليون روش بإحضار بوصلة، وجهاز تيوديليت (لأخذ قياسات طبوغرافية) وفتيل مفرقات من عند الحاكم العام فالي، ولم يكشف سر هذه العملية حتى لقادة جيش الأمير عبد القادر، واحتفظ روش لنفسه بسر مفتاح اللغم ومكان النفق الملمغ، وفي الثاني عشر من يناير 1839 جرى التفجير بعد حسابات دقيقة، ليتحول قصر التيجاني إلى كتلة من الأنقاض.<sup>2</sup> وكأن المتفجرات أريد لها متى وأين تأتي مفعولها.

توقيت مواجهة الأمير عبد القادر والتيجاني أتت في فترة السلم الثانية (معاهدة التافنة)، التي عمد فيها الفرنسيون ورغم الإمكانيات الهائلة إلى اجتناب فتح مواجهة مزدوجة مع أحمد باي في الشرق والأمير عبد القادر في الغرب.<sup>3</sup> ويمكن اعتبار شروط فالي المعدلة لاتفاقية التافنة إنذارا بقرب نقضها. وكانت فترة السلم الأولى (معاهدة ديمشال) قد تم نقضها بعد سنة فقط (1834-1835) من طرف الجنرال ترزل، مما أنبأ أن الفرنسيين لم يكن في استطاعتهم الاستمرار في سلم معقود مع الجزائريين لفترة طويلة الأمد.<sup>4</sup>

وكانت تقارير كبار الضباط الفرنسيين تتوالى في فترة السلم التي أعقبت معاهدة التافنة، تُجمع على التعجيل بالنقض الفوري للسلم مع الأمير عبد القادر قبل انقضاء سنة 1839، وإلا سيكون سلطانا لكل الجزائر، ومن ورائه كل سكانها، لتجد فرنسا نفسها بعد أن

<sup>1</sup> Camille Rousset, *L'Algérie de 1830 à 1840: les commencements d'une conquête*, Tome 1, op Cit, pp 350.351.

<sup>2</sup> ولفريد بلنت ساكون، صقر الصحراء، تر محمد حسن صبري، مركز الأهرام للنشر، القاهرة، 2016، ص ص 222، 226.

<sup>3</sup> أحمد توفيق المدني، "أبطال المقاومة الجزائرية: حمدان عثمان خوجة، أحمد باي قسنطينة، الأمير عبد القادر والدولة العثمانية"، مجلة التاريخ، (الصفحات 33-125)، الجزائر، أبريل 1977، ص ص 124-125.

<sup>4</sup> Edmond Pellissier de Reynaud, Op Cit, p-p 456-459.

قضت على الحكم التركي أمام وطنية عربية.<sup>1</sup> ويعلق بلمار على حيثيات معاهدة التافنة "سيكون من المستحيل البقاء على وفاق لمدة طويلة".<sup>2</sup>

وعليه كانت كل المؤشرات تعزز فرضية عدم فتح مواجهة داخلية كبيرة وعلى نطاق جغرافي واسع ولها ارتدادات خطيرة على الكل الوطني، لا التوقيت ولا الإمكانيات في صالح المقاومة مع عدوٍّ متريّص. عواقب هذه الحملة استدرکها الأمير عبد القادر مباشرة بعد انتهائها بشهر واحد فقط.

وهو ما وثقته الرسالة التي عثر عليها الأستاذ بن يوسف تلمساني بزواوية عين ماضي والمؤرخة يوم 23 ذي القعدة 1254 هجرية الموافق 7 فيفري 1839 مع هدية (سيف وعلمين) لا يزالان إلى اليوم في زاوية عين ماضي، حاول الأمير في هذه الرسالة ترميم العلاقة والاعتذار لشيخ الطريقة محمد الصغير التيجاني يقول فيها "...أدرکت حقیقتکم وعلمتُ أنّ ما دارَ بيننا هو وشايةٌ فقط وتدخُلُ الفتانينَ بيننا ولهذا أرجو عفوكم عنا..."<sup>3</sup>

إلا أنها لم تلقَ صدًى كبيراً، والدليل على ذلك أن التجانية سرعان ما دخلت في صراع مع خليفة الأمير من أجل استرجاع عين ماضي ومناطق نفوذٍ أخرى، أما أحمد بن سالم الذي كانت سيادته مطلقة على الأغواط منذ 1828 والموالي للتجانيين، ظل له أتباع مخلصون بالأغواط استطاع بهم استرجاع سلطته، والقضاء على كل فِرَق خليفة الأمير عبد القادر، واستغل انشغال هذا الأخير في محاربة الاحتلال، وطلب الدخول تحت مظلة الفرنسيين، وهكذا تمكنت فرنسا من فتح طريق الصحراء دون إطلاق رصاصة واحدة، بعد انهيارٍ كاملٍ لسلطة الأمير عبد القادر عليها.<sup>4</sup> فلم يتردد التيجاني سنة 1840 بعرض خدماته الفورية والدعم المعنوي والمادي على المارشال فالي ضد الأمير عبد القادر، وسنة

<sup>1</sup> Achille Fillias, *Histoire de la conquête et de la colonisation de l'Algérie (1830-1860)*, op Cit, pp 240.241.

<sup>2</sup> Alex Bellemare, Op Cit, p191.

<sup>3</sup> بن يوسف تلمساني، الطريقة التجانية وموقفها من الحكم المركزي بالجزائر (الحكم العثماني-الأمير عبد القادر-الإدارة الاستعمارية) 1782-1900، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، غير منشورة، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، الجزائر، 1997/1998، ص194.

<sup>4</sup> Christian P, Op Cit, pp 96.97.

1844 وبإيعاز مباشر منه لمقدم التجانية أحمد بن سالم ليعين خليفة على الأغواط باسم الفرنسيين.<sup>1</sup>

ختاما لهذا الفصل يمكن القول ان الرجوع الى ما كتبه ودونه قادة وساسة جيش الاحتلال الفرنسي من ملاحظات ومعلومات وأخبار حول شخصية الأمير عبد القادر تبقى ضرورية في فهم طرق التفكير التي اعتمدها فرنسا في التعامل مع الأمير عبد القادر ومقاومته لها والتي دامت قرابة 17 سنة، ومن النتائج التي توصلنا اليها أن تناول هذا الموضوع يتيح الفرصة للباحثين لمعرفة مادته التوثيقية وجوانبه الغامضة، وإدراك ومعرفة السياسات والاساليب التي اعتمدها فرنسا في تعاملها مع الامير حسب الظروف وما يخدم مصالحها، وأخيرا يمكننا من الوقوف على إمكانيات فرنسا المادية والعسكرية والثقافية التي سخرتها للقضاء على مقاومة الأمير واجهاض مشروعه النهضوي حتى وهو في منفاه الاختياري ببلاد الشام ومحاولة توجيهه لما يخدم مصالح فرنسا في المنطقة العربية.

<sup>1</sup>Louis Rinn, Op Cit, pp 427.428.

# الفصل السادس

## مؤلفات الأمير عبد القادر في كتابات الفرنسيين

- 1- الأمير عبد القادر شاعرا.
- 2- مذكرات الأمير عبد القادر "سيرة ذاتية" كتبها في السجن سنة 1849.
- 3- ذكرى العاقل وتنبيه الغافل.
- 4- المقرض الحاد لقطع لسان منتقص دين الإسلام بالباطل والإلحاد.
- 5- في رحاب المواقف.
- 6- التعليم في اهتمامات الأمير عبد القادر.

فارس الحراب وفارس المحراب يترجل ليكون فارس المحبرة وفي فن من أعظم فنونها شعرا ونثرا انفجرت عنها قريحته، لتشكل إحدى روائعه المعرفية المخددة لسيرته القلمية بعد أن خط سيرته السيفية. وإذا كانت الأحداث التاريخية التي تعاقبت على الأمير عبد القادر قد تمكنت من نزع بعض الألقاب من سجله الحافل؛ فإنها في رأيه لم تستطع أن تلغي لقباً واحداً وهو رجل الأدب "L'homme de Lettres"<sup>1</sup> وهو اللقب المحبب إليه، والذي كرس نهاية حياته من أجل إبرازه والتعبير عنه في مختلف الأعمال التي تخلد اليوم ذكراه.<sup>2</sup>

فهو حسب تعبير الأستاذ سعد الله: "سطر بسيفه الأحداث الوطنية والمعارك العسكرية، وسطر بقلمه الصفحات الفكرية والوقائع التاريخية"<sup>3</sup>. إذ أن منازل الأمير للمستعمر قد استمرت سبع عشرة سنة أو نحوها فيما تمادى النزال الثقافي والمعرفي واشتد على مدى أشواط العمر كلها.<sup>4</sup> ولكن ثروة هائلة من آثاره الفكرية ما زالت لم تُدرَس ولم تُجمَع وهي رسائله ومراسلاته، وحين يتحقَّق هذا العمل سيَجِد الباحثون كنزاً قد يُغيِّر كثيراً من أفكارنا عنه.<sup>5</sup>

ومن أهم آثار الأمير عبد القادر:

- ديوان شعر الأمير عبد القادر
- مذكرات الأمير عبد القادر "السيرة الذاتية"
- ذكرى العاقل وتنبيه الغافل
- المقراض الحاد لقطع لسان الطاعن في دين الإسلام من أهل الباطل والإلحاد
- المواقف في التصوف والوعظ والإرشاد

<sup>1</sup>Introduction du traducteur, *L'Émir Abdelkader, Rappel à l'intelligent avis à l'indifférent*, Traduit par Gustave Dugat, op Cit, pIX.

<sup>2</sup> عبد القادر شرشار، "شخصية الأمير عبد القادر من منظور الآخر، ترجمة كتاب عبد القادر لقوستاف دوقا أنموذجاً"، في *مجلة إنسانيات*، عددان 19-20، مركز البحوث الأنثروبولوجية الاجتماعية والثقافية (CRASC)، الجزائر، 2003، ص 27.

<sup>3</sup> أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج4، المرجع السابق، ص 180.

<sup>4</sup> سليمان عشراي، الأمير عبد القادر المفكر، المرجع السابق، ص 47.

<sup>5</sup> شارل هنري تشرشل، المصدر السابق، ص 52.

## 1. الأمير عبد القادر شاعرا

والشعر فضلا عن جماليته الأدبية واللغوية، فإنه يحمل في طياته مصدرا موثقا لكثير من الحوادث والمحطات لحياة الأمير عبد القادر ولتاريخنا الجزائري على العموم، لم نكن لنقف على تجلياتها وكيونيتها بدون شعره فضلا عن قيمتها الفكرية والثقافية. فالأشعار تعتبر شواهد تضمن أصالة ما تحفظه لنا على شكل قوالب شعرية موزونة تفوق ما يفعله النثر، لسهولة رسوخها في ذاكرة العوام ولصعوبة التلاعب بمفرداتها وصيغها كذلك، وتتناقل الركبان الأشعار إلى أقاصي البلاد العربية وبسرعة مذهلة ولها تأثير حازم على عقول الناس، فهي تعتبر كالصحافة في يومنا هذا، كما أنها شاهدة على عادات وأفكار وأحوال ذلك الزمن، وبالتالي فلها قيمة تاريخية جمة.<sup>1</sup>

والأمير عبد القادر كان مدركا لهذه الحقيقة التي تفرد بها العرب عن غيرهم باعا طويلا لذا نجده كثيرا ما كان يردد قول الشاعر:

إذا جهلت مكان الشعر من شرف      فأي مفخرة أبقيت للعرب؟ !

فقرظ منه فنونًا مثل "الفخر، الغزل، المساجلات، المناسبات والتصوف".<sup>2</sup> وكانت شخصية الأمير عبد القادر مقصدا للشعراء، وقد واكبه عدة شعراء كالشيخ قدور ولد محمد الذي دعتة عصبية للانتصار للقائد العربي على الأمير بينما كان الشيخ الطاهر بن حواء يمدحه.<sup>3</sup>

بالمناسبة كان الأمير عبد القادر حتى في أشعار الأدباء الفرنسيين القرن التاسع عشر أمثال فيكتور هيجو Victor Hugo وهو أكثر الكتاب الفرنسيين ثورية وتقدمية في القرن التاسع عشر، لكن تقدميته هذه لا تكاد تتجاوز حدود فرنسا أي حدود المساحة الحضارية الأوروبية، وإلا كيف نفسر أن يتخذ من الأمير عبد القادر مطية لبلوغ مآربه والتشهير بنابليون الثالث الذي كان هيجو معارضا له، وينظم قصيدة في شهر نوفمبر 1852 بعد شهر من اطلاق

<sup>1</sup>Cour A, La Poésie Populaire Politique Au Temps de L'émir Abd-el-kader, in-Revue Africaine, Volume 59, A. Jordan Libraire-éditeur, Alger, 1918, pp 458.459.

<sup>2</sup> مقدمة المحقق، عبد القادر بن محي الدين الجزائري (الأمير)، ديوان الأمير عبد القادر الجزائري، تحقيق ممدوح حقي، دار اليقظة العربية للتأليف والنشر والترجمة، دمشق، 1960، ص11.

<sup>3</sup>Cour A, La Poésie Populaire Politique Au Temps de L'émir Abd-el-kader, op Cit, p-p 458-493.

سراح الأمير عبد القادر من سجن أمبواز، يصور فيها الأمير عبد القادر "بالناسك والنمر الأسود وقاطع الرؤوس" وهذا هو نصيب الأمير عبد القادر في كتابات هيجو كلها<sup>1</sup>.

وللأمير عبد القادر قصائد كثيرة ممتازة وذات مستوى شاعري رقيق، مثل قصيدة "ما في البداوة من عيب" في فن الفخر.<sup>2</sup> يقول عنها غوستاف دوقا Gustave Dugat من أروع وأجمل ما نظم الأمير عبد القادر، وتجد قصائد الأمير بديعة دون تكلف، وتمكن من قرظ الشعر بدراسته عن فطاحل الشعر العربي أمثال ابن زيدون وابن هانيء بالأندلس وأبو تمام والمنتبي، وشعراء العصر الجاهلي، لكن له مسحة افريقية كلها فخر.<sup>3</sup>

وسبب نظم هذه القصيدة بسجنه في أمبواز، حين بعث إليه بعض أمرائهم يسألونه رأيه فيما اختلفوا فيه: هل البدو أفضل أم الحضرة؟ فرد عليهم بالقصيدة التالية:

يا عاذرا لامرئ قد هام في الحضرة	وعاذلا لمحبا البدو والقفرة
لا تدمن بيوتا خف حملها	وتمدحن بيوت الطين والحجر
لو كنت تعلم ما في البدو؛ تعذرنى	لكن جهلت، وكم في الجهل من ضرر
إلى أن يقول:	

الحسن يظهر في بيتين رونقه بيت من الشعر أو بيت من الشعر

وقد قام مارك أرنو Marc Arnaud بترجمة القصيدة كلها إلى الفرنسية، وهو إشارة عن تتبع الفرنسيين في القرن التاسع عشر لكل منتج فكري كان يصدر عن الأمير، ونقدم ترجمة لهذا البيت الشعري:

<sup>1</sup> مرزاق بقطاش، "الأمير عبد القادر في قصيدة للشاعر فيكتور هيغو"، في -مجلة الثقافة-، عدد 75، وزارة الثقافة، الجزائر، 1983، ص ص314-316.

<sup>2</sup> عبد القادر بن محي الدين الجزائري (الأمير)، ديوان الأمير عبد القادر الجزائري، تح ممدوح حقي، المصدر السابق، ص ص22-27.

<sup>3</sup> L'Émir Abdelkader, *Rappel à l'intelligent avis à l'indifférent*, Traduit par Gustave Dugat, op Cit, pp 197.198.

La beauté montre sa splendeur en deux choses ; la mesure d'un vers ou bien une tente en poils.<sup>1</sup>

وكذلك وثق ترجمة من قبله لهذه القصيدة أوجين دوماس Eugène Daumas يقول عن نفس البيت الشعري:

Deux choses sont belles en ce monde ; les beaux vers et les belles tentes.<sup>2</sup>

ويعلق الأستاذ بشير بويجرة على هذه القصيدة "... وإن كان الأمير لم يسكن قط بيوت الشعر والخيام المتنقلة ما عدا بعد حمله لواء المقاومة وتشكيله "الزمالة" تماشياً مع كثرة التنقل والحركة التي فرضتها عليه ظروف الحرب مع العدو، وقد يحتل في السؤال غمز ولمز في شخصية الأمير وفي عقيدته وفي بيئته وفي مرجعيته الحضارية -وكانني بالأمير أجاب عما وراء السؤال فضلاً عن السؤال تحديداً-، فهي حرب نفسية، مبنية على سخرية مبطنة لاذعة لإقرار تغلب الحضر (الفرنسيين) الذين رفعوا لواء الحضارة على البدو (الجزائريين والأمير واحد منهم) الذين رفضوا الانصياع إلى الفرنسيين وكانهم بذلك رفضوا الحضارة، يعطي دلالة قاطعة أن إنجاز الأمير للنصوص الشعرية لم يكن من باب الترفيه بقدر ما كان الردّ على ادعاءات الفرنسيين وافتراءاتهم مما جعل النص كله عبارة عن مرافعة جادة القصد منها الدفاع عن مرجعيته وعن خصوصيته".<sup>3</sup>

ويرى الباحث أن هناك معطى آخر عايشه الأمير، فطوال فترة مقاومته لم يجد من المدن إلا الخذلان والتناقل للنفير في حين كانت البادية هي عرين المقاومة والنصير الذي لا ينضب. فهو هنا يصفهم على شاكلة جيوش في حالة استنفار دائمة للحرب.

فخيلنا؛ دائما للحرب مسرجة من استغاث بنا؛ بشره بالظفر

<sup>1</sup> القصيدة قام بترجمتها إلى الفرنسية مارك أرنو وهو يعمل ضمن المترجمين العسكريين ونشرت على صفحات المجلة الإفريقية ينظر:

Marc Arnaud, *Traduction d'une Poésie d'Abd-el-kader*, in-*Revue Africaine*, Volume 5, A. Jordan Libraire-éditeur, Alger, 1861, p-p 314-316.

<sup>2</sup>Eugène Daumas, *Mœurs et coutumes de l'Algérie*, librairie de L. Hachette et Cie, Paris, 1853, p389.

<sup>3</sup> محمد بشير بويجرة، الأمير عبد القادر رائد الشعر العربي الحديث، ط3، منشورات دار القدس العربي، وهران-الجزائر، 2009، صص 164-166.

## ترجمة البيت الشعري لمارك أرنو:

Nos chevaux sont toujours sellés pour la guerre : celui qui implore notre secours, sa joie et l'annonce de la victoire.<sup>1</sup>

## ترجمة البيت الشعري لـ أوجين دوماس Eugène Dumas:

Et Nos chevaux, est-il une gloire pareille ?

Toujours sellés pour le combat ;

A qui réclame notre secours,

Ils sont la promesse de la victoire.<sup>2</sup>

وهذا ما أثبتته ناصر الدين سعيدوني "...فلو أن الأمير عبد القادر اعتمد في مقاومته على مناعة أسوار معسكر وتلمسان ومليانة والمدية أو اطمأن إلى حصانة أبراج تاقدمت وبوغار وتازة وسبدو لانتهى نشاطه الحربي واختفى أثره إثر الهجمات الفرنسية الأولى التي قادها ضده الجنرال كلوزل، وهي نفس الدواعي التي دفعت الجنرال بيجو بعد تعرفه على الواقع الجزائري إلى نقل الحرب إلى الريف وانتهاج أسلوب الأرض المحروقة الذي مكنه بالفعل من القضاء أخيراً على مقاومة الأمير عبد القادر سنة 1847".<sup>3</sup>

ويعلق عبد المالك مرتاض على شعر الأمير "...وبغض الطرف عن درجة المستوى الفني والجمالي الذي قد يكون، في بعض أطواره، محدوداً، فإننا نحس أننا نقرأ شعراً جزائرياً حقاً؛ فهو حافلٌ بالنخوة، نضاحٌ بالعزّة، نضاحٌ بالقوة، ولم نصادف شاعراً جزائرياً في القرنين الماضيين على الأقلّ، بلغ المستوى الأعلى من المسؤولية السياسية والعسكرية كالأمير عبد القادر".<sup>4</sup>

وفي تقديري أن الأمير عبد القادر يمثل طاقة جهادية وروحية خلاقة وإن خمدت في جانبها الحربي العسكري فإنها ظلت متقدة تلهب جوانحه فتندفقت وتسامت في جانبها الروحاني

<sup>1</sup>Marc Arnaud, op Cit, p316.

<sup>2</sup>Eugène Dumas, op Cit, p390.

<sup>3</sup> ناصر الدين سعيدوني، "العلاقات بين الأمير عبد القادر والحاج أحمد باي وانعكاسها على المقاومة الجزائرية في أوائل عهد الاحتلال"، في -مجلة الدراسات التاريخية-، العدد الثاني، جامعة الجزائر، الجزائر، 1986، ص62.

<sup>4</sup> عبد المالك مرتاض، أدب المقاومة الوطنية في الجزائر، ج1، دار هومة، الجزائر، 2009، ص168، 174.

التعبدية أو التصوفية وما كان لها أن ترضى أقل من ذلك لطبيعة نفسيته المتشربة لكل معاني التدين العميق ولريادته في الأولى فكيف لا يكون رائدا في الثانية؟

## 2. مذكرات الأمير عبد القادر "سيرة ذاتية" كتبها في السجن سنة 1849<sup>1</sup>

تعود قصة اكتشاف هذه الوثيقة إلى سنة 1967، فالمخطوط عثر عليه وبالصدفة الأسقف تيسي وكانت بخزانة أسرة أقاربه السيد جاك شوفالي Jacques Chevallier شيخ بلدية الجزائر في عهد الاحتلال، قد ورثها من مكتبة قريبه الجنرال بواسوني Boissonnet وهذا الأخير كان أحد الضباط الذين تداولوا على حراسة الأمير بفرنسا عوض الكولونيل "دوما" بتاريخ 21 أبريل 1848 في سجن "بو" ثم "أمبواز"<sup>2</sup>. وقضى مع الأمير الفترة الأطول لاعتقاله إلى حين زيارة الإمبراطور نابليون الثالث في 16 أكتوبر 1852 معلنا قرار إطلاق سراحه.<sup>3</sup>

وحسب الباحث فإن الوحيد من رأى هذه السيرة لدى الأمير عبد القادر حين زاره بسجن أمبواز هو فليكس مورناند Félix Mornand إذ يقول "...في كل أوقاته يقرأ، يكتب، يتأمل ويعمل بدون انقطاع، وأطلعني الأمير عبد القادر على مخطوطين مكتوبين بالكامل باليد، أحدهم سيرته الذاتية، والمخطوط الآخر يقدم إثباتا على عدم فقد الأمير عبد القادر للأمل في إطلاق سراحه، عنوانه: حرص المسلمين على الوفاء بعهودهم لآخر".<sup>4</sup> وعن فليكس مورناند Félix Mornand يثبت مثلا غوستاف دوقا Gustave Dugat صاحب ترجمة كتاب "ذكرى العاقل وتنبية الغافل" بعض ما ورد عن سيرة الأمير عبد القادر.<sup>5</sup>

لكن نجد كثيرا من الكتاب الفرنسيين في القرن التاسع عشر لم يذكر هذه السيرة صراحة فمثلا ألكس بلمار يقول "إن المناقشات والحوارات التي حاول بها بواسوني Boissonnet كسر رتابة حياة السجن، والتي امتدت لأربع سنوات وتنوعت في محاورها العلمية، التاريخية،

<sup>1</sup> عنوان المؤلف محل الدراسة: الأمير عبد القادر، مذكرات، تحقيق محمد الصغير بناني، محفوظ سماتي، محمد الصالح الجون، دار الأمة، الجزائر، 2007، (281 صفحة بدون مقدمات والفهارس).

<sup>2</sup> مهدي البوعبدلي، "وثائق أصيلة تلقي أضواء على حياة الأمير عبد القادر"، في -مجلة الثقافة-، عدد 75، وزارة الثقافة، الجزائر، 1983، ص 135. وكذلك مقدمة المحققين، الأمير عبد القادر، مذكرات، المصدر السابق، ص 21، 17.

<sup>3</sup> Alex Bellemare, op Cit, pp 377.378.

<sup>4</sup> Félix Mornand, La vie Arabe, Michel Lévy Frères libraires-éditeurs, Paris, 1856, p307.

<sup>5</sup> L'Émir Abdelkader, Rappel à l'intelligent avis à l'indifférent, Traduit par Gustave Dugat, op Cit, pages 188 et suivantes.

الفلسفية والدينية، أثمرت فيما بعد مؤلفه "ذكرى العاقل وتنبيه الغافل".<sup>1</sup> ولم يذكر هذه السيرة وإن كنت تجد صداها في مؤلفه.

والراجح لدى الطالب الباحث أن بواسوني امتلك تلك المخطوطة كوثيقة شخصية ولم يخرجها للعلن، والأرجح أنه خطها بنفسه أو على الأقل في جزئها الأكبر بعد تلك الجلسات الطويلة التي كان يقضيها مع الأمير عبد القادر لأن أسلوب إنشاء المخطوط بعيد جدا عن أسلوب الأمير القادر ومحيطه المتمكنين من اللغة العربية.<sup>2</sup>

حسب سعد الله فهذا الكتاب قد تكون مادته الخام "تموجا" من حياته الشخصية أو بما يعرف "الكريكلم فيته" "curriculum vitae" أعده بالسجن الأمير عبد القادر أو أحد أقاربه بعد موافقته ويرجح صهره مصطفى بن تهامي ليسلم لكل سائل خصوصا أن الأمير عبد القادر أصبح مقصدا المفكرين والمثقفين والمستشرقين الفرنسيين والأوروبيين على حد سواء، طمعا في معرفة نوازعه ومواقفه إزاء الحرية والأديان والإنسان والفلسفة والمرأة ونظم الحكم ونحو ذلك، والنموذج المذكور هو الذي بنى عليه عدد من الكتاب مخططاتهم في ترجمتهم للأمير ومن هؤلاء الإسكندر بلمار (الحياة السياسية...للأمير عبد القادر)، شارل هنري تشرشل (حياة الأمير عبد القادر السلطان السابق لعرب الجزائر)، وترجمة يوجين دوماس في عدد من كتبه، وغيرهم كثير لكن الأكثر معرفة بهذه المعلومات هو محمد باشا ابن الأمير عبد القادر.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> Alex Bellemare, op Cit, pp 377.378.

<sup>2</sup> حول أسلوب المخطوط: يمكن الرجوع إلى ما كتبه عبد المجيد مزيان، محمد الصغير البناني، يحي بوعزيز، الأميرة بديعة الحسني، وكذلك أبوالقاسم سعد الله. ينظر:

-تقديم المحققون، لكتاب الأمير عبد القادر، مذكرات، المصدر السابق.

-مقدمة يحي بوعزيز: الحاج مصطفى بن التهامي، سيرة الأمير عبد القادر وجهاده، تحقيق وتقديم وتعليق يحي بوعزيز، طبعة خاصة، دار البصائر، الجزائر، 2009

- فارس أحمد العلاوي، الأمير الجزائري في دمشق، المرجع السابق، ص ص 36-39

-أبوالقاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج4، المرجع السابق، ص182

-بديعة الحسني الجزائري (الأميرة)، الأمير عبد القادر الجزائري حياته وفكره، تر أبوالقاسم سعد الله، ج3، ط1، دار الوعي، الجزائر، 2012.

<sup>3</sup> أبوالقاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج4، المرجع السابق، ص ص 180-181.

والمؤلف يحوي سبعة فصول، لكن الجزء الذي يعد بحق سيرة الأمير عبد القادر فهو الفصل الأول في نسبه والفصل الرابع (حياته، بيعته، جهوده التنظيمية والسياسية، حروبه، المجلس الشورى لإنهاء المقاومة المسلحة، سجنه)، في حين تبقى الفصول الأخرى متنوعة منها مقتطفات عامة عن سيرة الرسول صل الله عليه وسلم وبعض أيام العرب والروم وبعض الروايات للأمم الغابرة.

ويرجح الباحث أن العملين وإن كانا منفصلين ومختلفين حسب ما وثق فليكس مورناند Félix Mornand سابقا،<sup>1</sup> وهو ما ذهب إليه كذلك أبو القاسم سعد الله،<sup>2</sup> غير أنه سيتم إخراجهما في عمل واحد متجانس يصب في فكرة أساسية واحدة كما سنبيين:

بدءاً يرى الطالب الباحث أن التساؤل الذي يطرح هو كيف بالأمير عبد القادر، الرجل الحاذق والفظن يحشو سيرته الذاتية بكل هذه المواضيع للعرب والبيزنطيين والأمم الغابرة على حد سواء وما الغرض من ذلك؟ وحتى لو سلمنا أنها لم تكن منه بل من بعض أقاربه كمصطفى بن تهامي أو أحد اخوة الأمير وكلهم لهم زاد علمي ومعرفي مشهود، فما المغزى من ذلك؟ ولما هذا التمثيط لجواب محدد كما قال أبو القاسم سعد الله؟

وفي تقديري أن العمل وإن جاء لطلب أحد الأساقفة عن سيرته وما جرى بينه وبين الفرنسيين إلا أن فطنة الأمير عبد القادر ومحيطه المتمرس في تخريج هذه السيرة الذاتية كواسطة عقد لمرافعة له ولإخوانه أمام سجانیه غرضها إقامة الحجة عليهم لإطلاق سراحهم بعد أن رأى تلكاً ومماثلة في ذلك. فتكتب صحيفة مذكرة البيرينيه Le Memorial de Pyrennées "إن التاريخ الذي استهجن سلوك انكلترا الخسيس تجاه نابوليون، سيجد العبارات المناسبة في قسوتها ليصف نقضنا للمعاهدات"<sup>3</sup>.

فهذه السيرة جاءت كشعرة الميزان تريد أن تعتدل في رد حق مغتصب لأصحابه، على إحدى كفتي الميزان نسبه هو شخصيا كبيئة علم ونسب شريف، وتمتد إلى نسب من ينتسب إلى دينه نبيه الكريم صل الله عليه وسلم، والمعاني التي دعت لها الرسالة والرسول عليهم السلام

<sup>1</sup> Félix Mornand, op Cit, p307.

<sup>2</sup> أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج4، المرجع السابق، ص 182.

<sup>3</sup> برونو إتيين، عبد القادر الجزائري، المرجع السابق، ص 259.

أجمعين، وما سار عليه هو شخصيا في سيرته. والكفة الثانية سجايا العرب وفضلهم وأهم مفرخة إيفائهم بالعهود.

وفي تقديري من ناحية الموضوع والإخراج أحبكت هذه السيرة ببراعة متناهية، استطاع مصطفى بن تهامي أن يُحبك هذه المرافعة عن أميره ودينه ووطنه وعن حقّه في إطلاق سراحه في قالب يبدو ظاهره سيرة عادية لأحد أبطال المقاومة، وباطنه تذكيرهم وحتى تفرّيعهم عن المماثلة في احتجازه، في أسلوب أدبي غير مباشر ينبههم ولا يثير سخطهم، وهذا من أدبه وليس من تملقه، فقد كان عاذرا لأعدائه متغافلا عن إساءتهم لا ينطق في حقهم<sup>1</sup>.

وما يعزز هذا الأمر ما ذكره بلمار Bellemare: "...أن طيلة سنوات احتجاز الأمير عبد القادر بأبواز انتظمت حياته وتكيفت على مبدأ ثابت، رفض كل المغريات مهما كان نوعها مقابل حرّيته، والإحتجاج الدائم على احتجازه..."<sup>2</sup>

فيبدأ في مؤلفه "سيرة ذاتية" برصد محطات هامة لتاريخ المسلمين مع النصارى، بالإشارة لزوال ملك فارس وبقاء ملك الروم، وكان الأول ممن مزق كتاب رسول الله وكان الثاني ممن عظم كتاب رسول وتحرى عنه وصدق به وإن لم يسلم.<sup>3</sup> ثم في إثارة خصال النصارى فهم من حموا المسلمين بالحشبة ووفوا لهم بذمتهم رغم اغراءات المشركين.<sup>4</sup> ليعطف في نهاية الفصل السادس الأمير عبد القادر خصال الروم على خصال الفرنسيين موثقا "رأينا من كثيرهم الأدب والاعتراف والانتصاف ومعرفة منازل الرجال وإعطائهم حقهم من تعظيم وتوقير".<sup>5</sup> وفي الفصل الأخير يأصل لهذه المعاني بذكر سير السابقين وما جرى على البشرية من تصاريق القدر فيهم، مؤمنهم وكافرهم وسواء تباعدت أنسابهم وتمايزت خصالهم، فهم لآدم وآدم من تراب.<sup>6</sup>

<sup>1</sup> محمد الحسني الجزائري (ابن الأمير)، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، ج 2، المطبعة التجارية، الإسكندرية، 1903، ص 13.

<sup>2</sup> Alex Bellemare, op Cit, pp 375, 379.

<sup>3</sup> الأمير عبد القادر، مذكرات، المصدر السابق، ص 241.

<sup>4</sup> نفسه، ص ص 263-266.

<sup>5</sup> نفسه، ص ص 283-284.

<sup>6</sup> انفسه، ص ص 300-303.

ويرى البحث كأن الأمير يختتم هذه السيرة بتساؤل ضمني، إذا لم يكن مما سبق من قيم تاريخية ودينية عظة، فالقيم الإنسانية التي تجمعنا. وإنك لتجد هذه المواضيع اختيرت بعناية بالغة تسيير وفق نسق واحد كالأقمار في أفلاكها تسطع عن حقيقة واحدة، ترفع عن الأمير وأصحابه وتثير في الفرنسيين رغبة في الوفاء بعهدهم له.

### 3. ذكرى العاقل وتنبية الغافل<sup>1</sup>

وكان الدافع لكتابة هذه الصفحات أن الأمير عبد القادر قد أدرج اسمه ضمن علماء باريس، وطلب منه ارسال بعض الرسائل إليهم فكانت هذه الرسالة رتبها في ثلاثة ابواب مع مقدمة وخاتمة، أو كما قال الأمير عبد القادر عنها "أرمي بسهمي وسط السهام"<sup>2</sup>.

ذكر الدكتور أبو القاسم سعد الله في مقدمته لكتاب شارل هنري تشرشل (حياة الأمير عبد القادر) أن كتاب الأمير عبد القادر (ذكرى العاقل وتنبية الغافل) هو كتاب في الفلسفة، إعتد فيه الأمير على أبي حامد الغزالي<sup>3</sup>.

وأنهى الأمير عبد القادر المخطوط في 12 رمضان 1271 هجرية الموافق 27 ماي 1855، لكن لم يكن بخط الأمير عبد القادر، وتجد عليه تصحيحات كثيرة بخط الأمير عبد القادر، والمترجم دوقا قام بنفسه بإعداد نسخة أخرى عن المخطوط<sup>4</sup>.

يقدم دوقا هذا المؤلف ضمن تيار الأفلاطونيين الجدد، لفيلسوف العرب المعاصرين (الأمير عبد القادر)، يحمل في طياته أثار الفلسفة اليونانية<sup>5</sup>. وقد قام غوستاف دوقا **Gustave Dugat** بترجمة كتاب "ذكرى العاقل وتنبية الغافل" بعد أن تلقى الإذن من الأمير عبد القادر في رسالة أثبتها في مستهل كتابه سنة 1857.

<sup>1</sup> عنوان المؤلف محل الدراسة: ذكرى العاقل وتنبية الغافل، للأمير عبد القادر، تقديم الدكتور عشراي سليمان، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران - الجزائر، 2004، (133 صفحة).

<sup>2</sup> Introduction du traducteur, L'Émir Abdelkader, **Rappel à l'intelligent avis à l'indifférent**, Traduit par Gustave Dugat, op Cit, pp IX.X.

<sup>3</sup> مقدمة المترجم: شارل هنري تشرشل، المصدر السابق، ص 18.

<sup>4</sup> L'Émir Abdelkader, **Rappel à l'intelligent avis à l'indifférent**, Traduit par Gustave Dugat, op Cit, pp 200.201.

<sup>5</sup> Introduction du traducteur, L'Émir Abdelkader, **Rappel à l'intelligent avis à l'indifférent**, Traduit par Gustave Dugat, op Cit, pp XII.XIII.

لكن الرسالة وإن كان تعطي الإذن بالترجمة إلا أنها لا تذكر المخطوط بعينه ولا بعنوانه وتسميه هكذا "رسالة الأمير عبد القادر إلى المترجم"، ثم هناك إشارة أخرى سجلها الأمير وهي طلبه من المترجم مراجعته في حالة وجود خلل أو خطأ في المخطوط.

وفي تقديمه يقول دوقا "أن كتابات كثيرة اشتغلت عن الأمير عبد القادر السياسي والمحارب، ولا يجب أن تشغلنا كثيرا، لأن الأمير الفيلسوف العالم هو ملكٌ لنا ( nous appartient) وسيكون من المفيد وفي صالحنا التعريف به من جديد على هذا الوجه".<sup>1</sup>

نرى الأمير في هذا المؤلف وكأنه يقعد لمناهج علمية، حين ينبّه في تقديمه إلى أن العاقل ينظر في القول، ولا ينظر إلى قائله، والكلمة من الحكمة؛ ضالة العاقل، يأخذها ممن وجدها عنده سواء كان حقيرا، أو جليلا، ويشدّد الأمير على المقلدين دون غيرهم بأن جعل بهيمة تقاد أفضل من مقلد ينقاد، كونهم أهلكوا أنفسهم وأهلكوا غيرهم على نسق ما روى القرآن "قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ"<sup>2</sup> فكانت نهايتهم شقوا وأشقوا على نفس تنمة الآية.<sup>3</sup>

ولا يُفاضل الأمير بين الناس إلا على أساس واحد، شُرّف به الإنسان على جميع الموجودات، وهو العلم، وبه كماله، فهذه الخصوصية أعطته صفة (الكامل)، فكان العلم عنده هو كمال الإنسان، فالإنسان يشارك الجمادات والحيوانات في أمور ويفارقها في أخرى، وأن لا لذة فوق لذة العلم، لأنها لذة روحانية محلها القلب وهي أقل اللذات وجودا، وهي أشرف اللذات، في حين اللذات الأخرى جسمانية مؤقتة محصورة في ذاتها ووقتها.<sup>4</sup>

ويجعل ميزة العقل التي أكرم الله بها الإنسان أشرف من الكل، فيعرف به الإنسان خالقه، ويدرك المنافع والمضار، في الحال والمآل، ويضرب مثلا بالفرنسيين الذين أبدعوا باستعمال العقل العملي لكنهم أهملوا العقل النظري في معرفة الله، ولو أنهم فعلوا لحازوا المرتبة<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> Introduction du traducteur, L'Émir Abdelkader, **Rappel à l'intelligent avis à l'indifférent**, Traduit par Gustave Dugat, op Cit, pVIII.

<sup>2</sup> سورة لقمان الآية رقم 21.

<sup>3</sup> عبد القادر بن محي الدين الجزائري (الأمير)، ذكرى العاقل وتنبه الغافل، المصدر السابق، ص 31-34.

<sup>4</sup> نفسه، ص 37-40.

<sup>5</sup> نفسه، ص 61، 65.

العلم قسمان محمود ومذموم، فالثاني كعلم السحر والطلسمات والتنجيم تلحق الضرر بالخلق، أو يستغني عن التعلم جملة فيكون إلى اللصوصية والكُذبية أقرب -المحتال يأخذ أموال الناس بحيل من أقوال أو أفعال. . الخ-، في حين الأول ما ارتبط بمصالح الدين والدنيا، فالإنسان مدني بطبعه، فهو محتاج إلى التمدن، والإجتماع مع أبناء جنسه<sup>1</sup>.

الباب الثاني يخصه لإثبات العلم الشرعي، فالعقل وإن بلغ من الشرف والاطلاع على حقائق الأشياء، ما بلغ، فثم علوم لا يصل إليها، ولا يهتدي إلى الاطلاع عليها، إلا بتصديق الأنبياء، وأتباعهم. فمن رضي واكتفي بالعلوم العقلية، عن العلوم الشرعية، فهو مغرور، ويشبه العلوم العقلية بالغذاء والعلوم الشرعية بالدواء، ولا يُستغنى أحدهما عن الآخر. فأقوال الأنبياء؛ لا تخالف العقول، ولكن فيها، ما لايهتدي العقل إليه أولاً، فإذا هدي إليه؛ عرفه، وأذعن له، فكما يَطَّلَع الطبيب الحاذق، على أسرار المعالجات، يَسْتَبْعِدُها من لا يعرفها، فكذلك الأنبياء<sup>2</sup>.

ودين الله واحد، لا خلاف فيه، بين الأنبياء من آدم، إلى محمد صل الله عليه وسلم، فجاءت لحفظ الكليات الخمس (الدين، النفس، العقل، النسل والمال) وحاصلها يرجع إلى تعظيم الإله، والشفقة على مخلوقاته، فالرسالة المحمدية جاءت خاتمة وجامعة لكل ما سبق، وعلى أساسها جاء ذلك النداء الأميري "لو أصغى إليّ المسلمون والنصارى، لرفعت الخلاف بينهم، ولصاروا إخوانا، ظاهرا وباطنا، ولكن لا يصغون إليّ؛ لما سبق في علم الله<sup>3</sup>.

أما الباب الثالث والأخير فأفرده لفضل الكتابة وكما قيل إذا كان العلم صيد فإن الكتابة قيد، فما ضبطت أخبار الأولين، ومقالاتهم، والكتب المنزلة، إلا بالكتابة، وهي أشرف من الإشارة واللفظ، والكتابة هي من حفظت لنا الفعل التراكمي للعلوم، فإذا استنبط الإنسان مقدارا من العلوم، أثبتته بالكتابة، فإذا جاء إنسان آخر وقف عليه وزاد عليه، فظهر أن العلوم إنما كثرت بإعانة الكتابة، فيعطف على مجمل الكتابات التي عرفتها البشرية، ويختم بلفتة جميلة كما بدأها أول مرة حين ذم التقليد عملا بمقولة "ما ترك الأول للآخر شيئا"، وهذا خطأ، فالقول

<sup>1</sup> عبد القادر بن محي الدين الجزائري (الأمير)، ذكرى العاقل وتنبه الغافل، المصدر السابق، ص ص 69، 74.

<sup>2</sup> نفسه، الصفحات 77، 79، 85.

<sup>3</sup> نفسه، ص ص 97، 103.

الصحيح كم ترك الأول للآخر، فالعلم والعقل لا نهاية لهما كالبحر الزاخر، والفيض الإلهي، ليس له انقطاع، ولا آخر<sup>1</sup>.

وأخيرا فإن المنتبِع لهذا المؤلف يخرج بملاحظات نوردها كالآتي:

مجمل هذه الأفكار والمواضيع تجد لها صدى سواء في مؤلفه "المقراض الحاد" أو في مؤلفه الضخم "المواقف"، أو بالأحرى كانت بنات أفكار المواقف والمعاني التي توسع فيها (فمثلا في الصفحة 33 حين يشير استعداد الإنسان لإدراك الحقائق ويعطيها تشبيها الصورة في المرآة وهو ما توسع فيه في المواقف في الصفحة 465 وما بعدها)، (مثلا في الصفحة 38 عن خاصية "الكامل" وما ذكره في الصفحة 55 وما بعدها، توسع فيه في المواقف الصفحة 447 وما يليها)، (حتى أن بعض الأمثلة المضروبة هنا في الصفحة 64 تجدها هناك في الصفحة 503 من المواقف).

مجانبة بعض الأفكار الصواب وجنوحها إلى الشطط في دين الله، فهو حسب سليمان عشراتي اجتهد شرعي كان سائدا في زمانه<sup>2</sup>، أو نميل إلى قول الأميرة بديعة الحسني الجزائري فإنها تنبّه إلى أن بعض الوثائق العسكرية التي تروّج لها بعض الكتب الفرنسية ليست للأمير ومزورة، وتورد مثالا على ذلك إذا حذفنا كلمة "كن" وحرف "لا" من الجملة "لكن شرع الله لا ينهى عن تعليم النساء الكتابة" تصبح "شرع الإسلام ينهى عن تعليم النساء الكتابة"<sup>3</sup>.

والإ فكيف نفسر قول الأمير "نهى شرع الإسلام، عن تعليم النساء الكتابة، لأن المرأة، قد لا يمكنها لقاء من تهوى، فتكتب له، فتكون الكتابة، سببا للفتنة"<sup>4</sup>، فكيف به وهو العالم بالدين أن ينسب هذا الأمر إلى "شرع الإسلام" وأن الشريعة نهت عنه؟!<sup>5</sup>

<sup>1</sup> عبد القادر بن محي الدين الجزائري (الأمير)، ذكرى العاقل وتنبيه الغافل، المصدر السابق، الصفحات 112، 115، 129.

<sup>2</sup> مقدمة عشراتي سليمان، عبد القادر بن محي الدين الجزائري (الأمير)، ذكرى العاقل وتنبيه الغافل، المصدر السابق، ص 10.

<sup>3</sup> بديعة الحسني الجزائري (الأميرة)، الأمير عبد القادر الجزائري حياته وفكره، المرجع السابق، ص 230.

<sup>4</sup> عبد القادر بن محي الدين الجزائري (الأمير)، ذكرى العاقل وتنبيه الغافل، المصدر السابق، ص 113.

<sup>5</sup> يجري على الألسنة ما رواه الطبراني عن الأوسط: عن عائشة مرفوعا: "لا تتزولهن الغرف ولا تعلموهن الكتابة، وعلموهن الغزل وسورة النور" قال الشوكاني: في سنده محمد بن إبراهيم الشامي، قال الدارقطني: كذاب، وكثيرا ما تكون هذه الأخبار الدائرة على الألسنة الباطلة في نفسها معارضة لما صح في غيرها فيجب الحذر منها. وأفرد لها العلامة ابن باديس من أدلة

ثم تأتي المسألة الأخرى تفاوت عقول الناس بحسب خلقة الله تعالى، فيجعل منه تفاوتاً فطرياً، وتفاوتاً في الممارسة ضمن علم التجارب<sup>1</sup> (بالإكتساب)، غير أنه حين يضع لعامل الجغرافية البشرية حظاً في كمال العقول ونقصانها (أضعف الناس عقلاً، وأكملهم عقلاً حسب مدار السرطان)<sup>2</sup>، تفاوت على أساس عرقي ومكاني فهذا مجاف للحقيقة.

في حين تعتبر الأميرة بديعة الحسني الجزائري هذه النسخة من "ذكر العاقل وتنبيه الغافل" الذي نسب إلى الأمير عبد القادر، نسخة مختصرة ومشوّهة عن رسالة المقرض الحاد تحت اسم جديد، ونقول هذا ما توصلت إليه بعد بحث طويل<sup>3</sup>.

#### 4. المقرض الحاد لقطع لسان منتقص دين الإسلام بالباطل والإلحاد<sup>4</sup>

ألزم الأمير عبد القادر نفسه الذبّ عن دين الله ورسالة نبيه كلّ ما يشوبها من تشويه مقصود وغير مقصود من أبنائه وأعدائه على حد سواء، الأوائل بما رسّخوا من تقاليد وعادات متوارثة حادت بالشريعة عن الطريق القويم، وجدّ فيها الآخر منقذاً للانتقاص من دين الله وشريعة محمد صل الله عليه وسلم.

تقول عنها الأميرة بديعة الحسني الجزائري المحقّقة لهذه الرسالة، أراد تضمينها كلّ هذه الأسس في الدستور الإلهي القرآن، تحمّل في طياتها حضارة مناقضة لحضارتهم التي بُنيت على تقديس كلّ ما هو مادي، وبخطف لقمة العيش من أفواه الأضعف منهم من الشعوب الأخرى، ونظريات مفكريهم لم تكن تتعدّى المصالح الذاتية لبلادهم الأوروبية.<sup>5</sup>

تعلم النساء الكتابة ما فيه الكفاية. ينظر: عبد الحميد بن باديس، آثار ابن باديس، اعداد وتصنيف عمار الطالبي، ج 4، ط1، الشركة الجزائرية، الجزائر، 1968، ص ص 123-124.

<sup>1</sup> عبد القادر بن محي الدين الجزائري (الأمير)، ذكرى العاقل وتنبيه الغافل، المصدر السابق، ص ص 50-51.

<sup>2</sup> نفسه، ص ص 52-54.

<sup>3</sup> بديعة الحسني الجزائري (الأميرة)، المرجع السابق، ص 90.

<sup>4</sup> عنوان المؤلف محل الدراسة: المقرض الحاد لقطع لسان منتقص دين الإسلام بالباطل والإلحاد، للأمير عبد القادر الجزائري، ط 1، دار الطاسيلي للنشر والتوزيع، الجزائر، 1989، (245 صفحة).

رسالة المقرض مخطوطة تأليف البطل المجاهد الأمير عبد القادر بتاريخ 1852م، المكان فرنسا حصن أمبواز على ضفاف نهر اللوار، ترجم إلى الفرنسية في مدينة باريس من نفس العام. ينظر: بديعة الحسني الجزائري (الأميرة)، المرجع السابق، ص 78.

<sup>5</sup> بديعة الحسني الجزائري (الأميرة)، المرجع السابق، ص ص 149-150.

يبدأ رسالته على نمط ما فعل في " ذكرى العاقل وتنبيه الغافل" بتمجيد العقل ومراتب النظر، وهي الخاصية الأشرف التي تميز الإنسان عن بقية الكائنات الحية، فبه يدرك العلوم ويعرف طريق الحق، وتبين حقائق الأمور. فالعقل منبع العلم ومطلعه وأساسه، والعلم يجري منه مجرى الثمر من الشجر، والنور من الشمس، والرؤية من العين.<sup>1</sup>

ثم يعرج على حاجة الإنسان الاجتماعية، فقد تخصصت وظائفهم وتشعبت (فلاحة، حرف، جنديّة، سياسة. . . الخ) لتضمن نظام البلاد ومصحة العباد، وإلا حدثت حرفتان خسيستان اللصوصية والكدية في طلب الرزق بغير وجه حق.<sup>2</sup>

ينتقل الأمير عبد القادر في الرد على النصارى الذين ادعوا أن المسلمين لا يأخذون بالأسباب، ويورد أقوال العلماء في رد هذه الشبهة منها قول حجة الإسلام الغزالي "من قال بتترك الأسباب يلزمه ألا ينحني من العقرب، والحية عند لدغه ويلزمه ألا يزيل لدغ العطش بالماء، ولدغ الجوع بالخبز، ولدغ البرد بلباس الجبة". وفي رجوع عمر بن الخطاب عن بلد فشى بها الطاعون فقال نفر من قضاء الله إلى قضاء الله. وقال إمام العلماء والأولياء سهل التستري من طعن في الأسباب فقد طعن في السنّة<sup>3</sup>

ثم أشار إلى عجائب خلق الله في هذا الكون (الأرض والسموات والشمس والقمر وبعض الظواهر الطبيعية من كسوف وخسوف ومد وجزر وحركة القمر والفصول الأربعة... الخ) وأقوال علماء الطبيعة في ذلك، غير أنه يعقب ذلك باختلاف الناس تبعا لاختلاف أحوال الشمس ويقسم الناس ويتفاضلون (الزنج، البيض، الصقالبة... الخ) حسب خطوط الطول والعرض ومربوطة بأحوال الشمس.<sup>4</sup>

في الباب الثاني ينتقل بنا الأمير عبد القادر إلى تبيان النبوة والرسالة عطا على ما قدمه في الباب الأول كون العقل وإن خصه الله تعالى بخصوصية الاطلاع على حقائق الأشياء

<sup>1</sup> عبد القادر بن محي الدين الجزائري (الأمير)، المقراض الحاد لقطع لسان منتقص دين الإسلام بالباطل والإلحاد، المصدر السابق، ص ص 9-10.

<sup>2</sup> نفسه، ص ص 35-37.

<sup>3</sup> نفسه، ص ص 44-49.

<sup>4</sup> نفسه، ص ص 70-90.

والوصول إل معرفته تعالى بالاستدلال بالعلم وأحواله فهو معزول عن معرفة ما يقرب إلى تعالى وتقديسه أو كالكفر والمعصية، فلا يصل العقل إلى شيء من ذلك ولا يعرفه إلا بتعريف الله تعالى، وبالتالي ثبت احتياج العقل إلى الرسول<sup>1</sup>.

في الباب الأخير يفصّل الأمير عبد القادر في بيان شرع الإسلام، وما اشتملت عليه من محاسن الأخلاق ومحامد الآداب وكل ما يكون به الوفاق والاتفاق والائتلاف بين العباد، فالدين المحمدي جامع لكل ما تفرق في الأديان والشرائع السالفة.

وختم الأمير عبد القادر كتابه بأبيات من الشعر للعرب تعلي من مقام هذه الفضائل وبهذه السجايا تتطرق، ختمها بقول لبيد:

وما حملت من ناقة فوق رحلها      أبر وأوفى نمة من محمد صل الله عليه وسلم.

وأخيرا خلص البحث بملاحظات نوردها كما سيأتي:

هذه الرسالة جاءت على خطى سابقتها "ذكرى العاقل وتنبية الغافل" فحملت كثيراً من محاورها منها تمجيد العقل، وحاجة العقل إلى الشريعة، ثم تسخير الكون للإنسان وحاجة الإنسان للضرورة الاجتماعية، فضلا عن محاور أخرى كان أدرجها ضمن "السيرة الذاتية" منها رسالة الأنبياء واحدة وإن اختلفت في بعض الشرائع، ثم مسألة الوفاء بالعهود وما كان من أمر مثلا (أبا سفيان مع ملك الروم، وفي فتح عمرو بن العاص لمصر)، وما جُبلت عليه أخلاق العرب حتى قبل الإسلام زادها الإسلام عزا وشرفا.

وإن كان هنا توسع شكلا وموضوعا وتأصيلا شرعيا (حين يورد الآيات والأحاديث النبوية الشريفة وأقوال العلماء ومواقف الرسول صل الله عليه وسلم وبعض قادة الإسلام منها) في الوفاء بالعهود لدى المسلمين سلما وحربا، فذمة المسلمين واحدة يسعى بذمتهم أدناهم، يعني: إذا آمن فرد من المسلمين كافرا وجب على كل أهل الإسلام أن يأخذوا بهذا الأمان.

بالمقابل كانت نظرة الفرنسيين تتخذ من الجماعية مسوغا للتدخل من العهد الذي أنجزه الفرد باسمها (إنّ كافة فرنسا عارضت إتمام ما وقع التعهد به)، فالمعنى الأخلاقي كما عكسته

<sup>1</sup> عبد القادر بن محي الدين الجزائري (الأمير)، المقراض الحاد لقطع لسان منتقص دين الإسلام بالباطل والإلحاد، المصدر السابق، ص ص 153-154.

سياسة فرنسا مع الأمير هو ترجمة للمكيافيلية والمناورة، فالسياسة مجال لا أخلاقي في حين كانت السياسة في منظور الأمير حقل الأخلاق<sup>1</sup>.

وتجد لهذه الرسالة خيطا رفيعا مع المواقف في محور "العالم الصغير" حين يجعل من بنية الإنسان بنية متكاملة قد تَضَمَّنَتْ جميع أسرار الموجودات، وإيراد أقوال العلماء والحكماء في مسائل العقل والروح والقلب والنفس في إشارات موجزة، تجد لها تبحرا في كتابه "المواقف"، مشتتلا على التأصيل لمكارم الأخلاق في الموقف الأول (01).

وكذلك التأصيل في اتخاذ الأسباب واحترام السنن الكونية التي تجري على المسلم والفاجر والكافر في الموقف الرابع والأربعون (44). وأفحم الأمير عبد القادر المنتقسين من دين الله بما نسب للمسلمين من الإتكالية وعدم الأخذ بالأسباب، ويبقى هذا الكتاب الوحيد من بين كتب الأمير عبد القادر الذي لم يُبَدِّ أحد شكَّه في تعرضه للتحريف أو التزوير، أو في صحة نسبته إليه، ألفه الأمير في سجن أمبواز رداً على كلام فيه طعن في الإسلام وسمعته من أحد رجال الدين الفرنسيين.<sup>2</sup>

أما مسألة الجهاد، فقد دافع عنها بأدلة من أقوال العلماء، وناصح عن الشريعة الإسلامية عموما كونها الرسالة الخاتمة والجامعة لجميع الرسالات، وما اشتملت عليه من محاسن الأخلاق ومحامد الآداب، لخصها في أربع سماها أمهات الأخلاق (الحكمة والشجاعة والعفة والعدل)، فمن اعتدال هذه الأصول الأربعة تصدر الأخلاق الجميلة كلها.

وفي تقديري لو لم تكن للرسالة إلا هذا العنوان "مكارم الأخلاق لدى العرب والمسلمين" لكفتها، فالأمير عبد القادر نأى بنفسه عن ذكر العبادات مثلا كالصلاة والصوم والزكاة، فهذه المسائل توجبها الشريعة على المسلم اتجاه ربه، لكنه قعد للضوابط الحاكمة للمعاملات فيما بينهم كمسلمين أو اتجاه الآخر، من وفاء وصدق وذم للغدر والخيانة.

في كتاب "ذكرى العاقل وتنبيه الغافل" يضع لعامل الجغرافية البشرية حظا في كمال العقول ونقصانها (أضعف الناس عقلا، وأكملهم عقلا حسب مدار السرطان)، وهنا يضع اختلاف الناس تبعا لاختلاف أحوال الشمس، وتقريبا نفس التقسيم الأول ويجعل أحوال العالم

<sup>1</sup> سليمان عشراطي، المرجع السابق، ص 168.

<sup>2</sup> فارس أحمد العلاوي، المرجع السابق، ص 39.

مربوطة بأحوال الشمس تميز طبائعهم وأخلاقهم ويتفاضلون (الوهم في الهند، الشجاعة في الترك، سوء الأخلاق في المغاربة، الوحشية في الصقالبة والروس).<sup>1</sup>

وحاولت الأميرة بديعة الحسني الجزائري في تحقيقها لهذه الرسالة "المقراض الحاد" أن تتفاح عن الأمير عبد القادر من وجهة نظر علمية، فالعالم لا يواخذ على ما توصل إليه من معارف في وقته سواء أصاب أو أخطأ، فالإكتشافات العلمية في الكون والإنسان دائما في تطور مستمر عبر الزمن.<sup>2</sup>

### 5. في رحاب المواقف<sup>3</sup>

إن تكوين وثقافة الأمير عبد القادر دينية صرفة، ولو جاز له أن يخوض في مجال آخر نَزَعه عِرْقَه إليه. وبعد كتاب المواقف من أهم كتب الصوفية في تاريخ الجزائر أثرت كثيرا الفلسفة الإسلامية الحديثة، خطّه إحياء وتجديدا، على خطى رجيل من الأئمة الأجلاء مع رسوخ قدم محي الدين بن العربي على غيره، ومبرزا السياقات التاريخية وضرورة الحاجة للتأويل في فهم القرآن والتعاطي مع آياته، وينفض عن التصوف أهل البدع والأهواء.

فالأمير عبد القادر عالم فقيه متمكن، بنى تجربته الخاصة بعد اطلاع على مختلف تيارات التصوف الإسلامي، في مجاهدة لم تبق حبيسة المرحلة التأملية بل تخطتها إلى أدوار حياتية ومجتمعية صارت روحانية في الغرب ونهضة علمية في الشرق.<sup>4</sup>

يُعدّ المواقف اجتهاداً علمياً في تفسير آيات الكتاب المبين على نحو مغاير وضمن رؤية اجتهادية تستخرج كنوز القرآن الكريم ألفه بالمشرق وضمّنه ثلاثمائة واثنين وسبعين (372) "موقفاً" يقول عنها "هذه نفثات روحية، وإلقاءات سبوحية، بعلم وهبية، وأسرار غيبية، من وراء

<sup>1</sup> عبد القادر بن محي الدين الجزائري (الأمير)، المقراض الحاد لقطع لسان منتقص دين الإسلام بالباطل والإلحاد، المصدر السابق، ص 80.

<sup>2</sup> بديعة الحسني الجزائري (الأميرة)، المرجع السابق، ص 90-94.

<sup>3</sup> عنوان المؤلف محل الدراسة: المواقف الرُّوحِيَّة والفُيُوضَات السُّبُوحِيَّة تأليف الأمير عبد القادر بن محي الدين الجزائري المتوفى 1300 هـ، اعتنى به عاصم إبراهيم الكيالي والحسيني الشاذلي الدرقاوي، الجزء 1-2، طبعة 1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 2004، (1135 صفحة).

<sup>4</sup> سليمان عشارتي، المرجع السابق، ص 208-209.

طَوَّرَ العقول، وظواهر النقول، خارجة عن أنواع الاكتساب، والنظر في كتاب<sup>1</sup>. فالأمير لم يكن صوفيا فقط، بل كان قبل ذلك عالما وفقهيا محدثًا، له مكانته العلمية بين أعلام عصره.<sup>2</sup> إن ما يرفع من شأن الأمير حقيقة ليس أنه فقيه بسيط، ولكنه عارف حقيقي وملهم، الذي يقبل إعادة فتح أبواب التفسير والتأويل.<sup>3</sup>

ومحتوى هذه الديباجة يعطي نظرة عن فحوى التصوف، فهو أقرب إلى تزكية النفس وعمل على تخلية وتحلية للقلب وترفع بها إلى الكمال ولا يزال المرید من مقام إلى مقام، حتى ينتهي إلى التوحيد والمعرفة التي هي الغاية المطلوبة للسعادة.<sup>4</sup>

ويرى الباحث في دراسة المواقف ضوابط ومعالم لتصوف الأمير عبد القادر نوجزها فيما يلي:

**أولاً: القدوة والتأسي:** لقد أخذ الصوفية على أنفسهم التأسي بالرسول صل الله عليه وسلم فيما دقَّ من الأمور، وما وضح منها، وفي اليسير من أعمالهم، والعظيم منها، ولم تكن الآية الكريمة "لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ"<sup>5</sup> التي استفتح بها الأمير عبد القادر الموقف الأول من المواقف والذي يثني فيها الله تعالى على نبيه الكريم صل الله عليه وسلم اختياراً اعتبارياً، فالأمير عبد القادر يتمثل القرآن والسنة النبوية الشريفة-تشرهما طفلاً-في كل تصرفاته، ملتزم بهما التزاماً شديداً، جعلهما دستور دولته ومنهاج حياته منذ بدايته الأولى حين عاهد أباه ومن بايعه أنه لا يحيد عنهما أبداً.<sup>6</sup> وهذه المسألة دقيقة جداً في فهم ما يترتب عنها من كتاباته إلى آخر حرف كتبه الأمير في المواقف.

وكأنني بالأمير يرسم الإطار العام لهذه الدعوة والدولة في آن واحد، ويجعلها نبراس حياة المسلم في أي مكان وزمان، وإذا حاولنا تتبُّع هذه المحاور التي رسمها الأمير عبد القادر في الموقف الأول "القدوة الحسنة" نجدها مجسدة قولاً وعملاً طيلة مسيرته النضالية، جعلت منه

<sup>1</sup> عبد القادر بن محي الدين الجزائري (الأمير)، المواقف الرُّوحية والفُيُوضات السُّبُوحية، المصدر السابق، ص 27.

<sup>2</sup> فارس أحمد العلوي، المرجع السابق، ص ص 71-72.

<sup>3</sup> Bruno Étienne, **Abdelkader Isthme des isthmes (Barzakh al- barazikh)**, op Cit, p372.

<sup>4</sup> عبد الرحمن ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تحقيق درويش الجويدي، ط1، المكتبة العصرية، بيروت، 1995، ص 450.

<sup>5</sup> سورة الأحزاب الآية رقم 21.

<sup>6</sup> Alex Bellemare, op Cit, p37.

النموذج المثالي، وقد تكون إسقاطا مطابقا لهذا الرسم في تتبّع خطى الحبيب المصطفى عليه الصلاة والسلام.

فهو شخصية جامعة "personnalité plénière" الفقيه الأمير متمثلا التقوى والإحسان والمعاملة الحسنة والرجل الصوفي المفكر والأمير المقاوم والرئيس وبخصوصية قلما تجتمع في رجل واحد شرف المقاومة والالتزام السياسي حريا وسلما وتسييرا لشؤون حكمه وصبرا وحلما على المكاره من الصديق والعدو على حد سواء<sup>1</sup>.

**ثانيا: التصوف على منهاج الشريعة:** وهنا تكمن أساسات الأمير في التصوف القائم على منهاج الكتاب والسنة ولا ثالث لهما، أي غير ذلك فهو افتراء على دين الله، ويذكر في الموقف العشرين "عرفت أنه لا نور يرغب فيه الراغبون مثل الاستقامة على الكتاب والسنة، لأن الله تعالى ضمن النجاة في العمل بهما<sup>2</sup>.

ويعقب على هذا الأمر في الموقف الواحد والثلاثين بعد المائتين؛ لما استقامت ظواهرهم وبواطنهم على الطاعات، وإتباع السنة قولاً وعملاً وحالاً قوي نور إيمانهم، فنتوّروا أي بحثوا قاموس القرآن والسنة، إذ ذلك بستانهم الذي فيه يتنزهون، وفي أرجائه يترددون، ظهرت لهم منهما أشياء كانت مدمجة مستورة عن العموم، وما هي بخارجة عن الأصل الذي هو الكتاب والسنة ولا زائدة عليه، حتى يقال الحقيقة غير الشريعة، كلا وحاشا، وإنما ظهرت أسرار الكتاب والسنة وإشارتهما، ويضرب مثال لذلك، ظهور السمن من اللبن، عندما خُضَّ وحُرِّك، فهل يقال: السمن ليس من اللبن؟ وإنما كان السمن باطنا في اللبن فظهر منه عندما خُضَّ<sup>3</sup>.

**ثالثا: اتصال معرفي بشيوخ الصوفية:** الأمير عبد القادر ينبأ عن هذا الاتصال المعرفي، منذ تكوينه الأول على يد والده، وزياراته الأولى لثلاثة من الأولياء في حجّة الأول سنة 1826، غرست فيه شجون تخمرت في أعماق وجدانه، وانبعثت عليها نفسه بعد ثلاثين سنة حين جاور

<sup>1</sup>Mustapha Cherif, *L'Emir Abdelkader, le modèle*, Colloque international : L'Emir le devoir de mémoire et les défis de l'heure, Fondation Emir Abdelkader, Thala Edition, Alger, 2006, p28.

<sup>2</sup> عبد القادر بن محي الدين الجزائري (الأمير)، المواقف الرُوحية والفيوضات السُّبُوحية، المصدر السابق، ص ص69-70.

<sup>3</sup> نفسه، ص 413.

الولي الصالح محي الدين العربي سنة 1856، فالعلاقة الناشئة مع شيخه الأكبر انطلقت من الجزائر وليس فقط حين استقراره بالمشرق، وجدت في وعي الأمير التربة الخصبة.<sup>1</sup>

يروى الأمير عبد القادر عن كوكبة من المشايخ على رأسهم محي الدين ابن العربي، يقول عنه "ولتعلم منزلة سيدنا عند الله ومرتبته وتقدمه بين أولياء الله، وأن نفوس الطالبين لهذا العلم تنتشوف إلى الاطلاع على ذلك"، بل يجعل هذه المعارف حصرية عليه فقط حين يورد أن كتابه في التجليات "لو كتب بماء العيون كان قليلا في حقه، أودع فيه من الحقائق والعلوم الإلهية ما لا يصدر إلاّ منه، ولا أقول لا يصدر إلاّ من مثله".<sup>2</sup>

لكن ما يحسب للأمير أنه شديد الانصياع والتوقير للمشايخ، دون أن يمنعه ذلك من أن يعارضهم أحيانا معارضة، هي غالبا ما تكون تثمينا لأفكارهم وتسديدا لها في اتجاه الأصوب، وليس انتقاصا لها، وناجح حتى عن الصوفي منصور الحلاج الذي كثر حوله الجدل.<sup>3</sup>

**رابعا: سياقات التأويل:** يورد الأمير عبد القادر سببا موجبا أو سياقًا تاريخيا لأول من وسع باب التأويل وهو إمام أهل السنة والجماعة علي بن إسماعيل الأشعري رضي الله عنه (نهاية القرن الثالث والثالث الأول من القرن الرابع الهجري)، ألجأه إلى ذلك كثرة أهل البدع والأهواء في وقته فردّ عليهم بمثل كلامهم ورماهم بسهامهم، ويقول عنه الأمير عبد القادر "بعمّ ما فعل".<sup>4</sup>

فالأمير عبد القادر يعي هذا الأمر جيدا فيعبر عنه في الموقف الثامن والخمسين بعد الثلاثمائة فيقول "وكتاب الله وسنة رسوله صل الله عليه وسلم جاءا بلسان عربي مبين، لا رمز فيهما ولا لغز ولا إيماء مما يخالف الشرع المحمدي، أما ما يقوله بعض المحققين من الصوفية أن نصوص الكتاب والسنة على ظواهرها، ومع ذلك فيها إشارات خفية إلى حقائق تنكشف

<sup>1</sup>Abdelali Elamrani-Djamel, *D'Ibn Arabi à Ibn Mohieddine : Modernité et pérennité*, Fondation Emir Abdelkader (section d'Oran), L'Emir Abdelkader Source D'authentiCité... Précurseur de Modernité, Colloque International 23-24-25 /2004, ENAG Editions, Alger, 2011, p 38.

<sup>2</sup> عبد القادر بن محي الدين الجزائري (الأمير)، المواقف الرُّوحِيَّة والفِيُوضَات السُّبُوحِيَّة، المصدر السابق، ص ص 401،402.

<sup>3</sup> سليمان عشراطي، المرجع السابق، ص 207.

<sup>4</sup> عبد القادر بن محي الدين الجزائري (الأمير)، المواقف الرُّوحِيَّة والفِيُوضَات السُّبُوحِيَّة، المصدر السابق، ص 268.

لأرباب السلوك أصحاب القلوب، فهي من كمال الإيمان ومحض العرفان<sup>1</sup> فالرابط بين القرآن وهو الذكر والمتواتر من السنة المحمدية، يجليه الموقف الثالث والثمانون (83) في تقاطع بين ما يطلبه الله منا وما يقذفه في قلوب أصفیائه كإلهام (إلقاء غيبي) يقترن مع التبليغ، وأنه له حظ من دعوة سيدنا ابراهيم عليه السلام هذا الفتى الشجاع محطم الأصنام "وَأَجْعَلْ لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ"<sup>2</sup> فالموقف يرسم شخصية الأمير عبد القادر، الشجاعة والإنسانية.<sup>3</sup>

**خامسا: أنوار محمدية ملهمة للفرنسيين:** وهذه الإنارة بواسطة الحقيقة المحمدية يسميها "برزخ البرازخ" مظهر الذات ومجلى النور، في الموقف الثالث بعد المائة الذي هو نور الأنوار وهي المكنى عنها بالزجاجة هي الحقيقة المحمدية التي أعطاها تشبيهه كوكب دري يوقد، من شجرة لا ينفد مددها، يظهر لذاته بذاته من غير اقتزان بشيء، ولو لم تمسسه نار، "تُورُّ عَلَى نُورٍ"<sup>4</sup> من الضخامة والنور المطلق الذي لا يقيد بالسموات والأرض.<sup>5</sup>

من هذه الجزئية "برزخ البرازخ" أشار المؤرخ جاك بيرك Jacques Berque صاحب "العمق المغربي ق 15-ق 19م" "L'interieur du Maghreb XV-XIX siècle" حيث قاربت دراسته الفترة التي سبقت الأمير عبد القادر، فأوحى لبرونو إتيين Bruno Étienne بفكرة "برزخ البرازخ" والتي أصبحت مشروع كتابه: Abdelkader, Isthme des isthmes، (عبد القادر، برزخ البرازخ)، وهذا الأخير يلحق بها أعمالا أخرى لميشال شودكيويتز Michel Chodkiewicz وابنته كلود أداس Addas Claude وشارل أندري جليس Charles-André Gilis أسست لما عبر عنه إتيين بالحرف: "...هذه المعجزة القادرية -نسبة إلى الأمير عبد القادر-، بركة الأمير، التي جعلت من الإسلام الفرنسي فرصة لفرنسا وللإسلام..."<sup>6</sup>

<sup>1</sup> عبد القادر بن محي الدين الجزائري (الأمير)، المواقف الروحية والقيوضات السبوحية، المصدر السابق، ص ص 391-392.

<sup>2</sup> سورة الشعراء الآية رقم 84.

<sup>3</sup> Denis Gril, *Les Mawâqif de L'Emir : inspiration coranique et universalité du message*, Colloque international : L'Emir le devoir de mémoire et les défis de l'heure, Fondation Emir Abdelkader, Thala Edition, Alger, 2006, pages 93, 98.97.

<sup>4</sup> سورة النور الآية رقم 35.

<sup>5</sup> عبد القادر بن محي الدين الجزائري (الأمير)، المواقف الروحية والقيوضات السبوحية، المصدر السابق، ص ص 193-195.

<sup>6</sup> Bruno Étienne, op Cit, pp 432, 439.

وكانت معرفة الأمير عبد القادر بالدين الإسلامي وكذلك انفتاحه على اليهودية والمسيحية تأثير بيّن على المسيحيين، لقد وجدوا في الأمير المسلم المفسر لكلمات الله وطبيعة المسيح أحسن منه لدى الرهبان والقسيسين وكانت له مواقف عديدة لتنفيس كربات المسيحيين والمسلمين على حد سواء، تحويها كثير من الوثائق والمراسلات تستحق دراسة وافية وإظهار مكنونها للجمهور.<sup>1</sup>

والملاحظ أن كتابات الأمير عبد القادر عموماً والمواقف خصوصاً لم تأخذ حقها في كتابات الفرنسيين خلال القرن التاسع عشر، إذ ظلت شخصيته المقاومة لهم أو بالأحرى في شقها السياسي والعسكري هي المهيمنة عليهم إلى وفاته، وتعذر على الفرنسيين عموماً والسياسيين خصوصاً إدراك تلك النقلة النوعية في فكر الأمير، إذ يكفي أن المواقف لم يطبع إلا مع مطلع القرن العشرين سنة 1911 ولم تتل كتابات الأمير حظها الكبير في اهتمامات الفرنسيين إلا في هذا القرن الأخير.

وفي تقديري يحتاج هذا المؤلف إلى إعادة تحقيق جديد على ضوء المخطوطات الأصلية لهذا الكتاب إن وجدت، والتنقيب عن آثار جديدة تسطع على تكوينه وفكره وثقافته، مثل حلقاته التعليمية بالمسجد الأموي الذي درّس فيه لفترة طويلة وكانت مواكبة لإنجاز مؤلفه هذا، ومراعات السياقات التاريخية التي مر بها الأمير عبد القادر ومقابلتها مع آثاره المحققة.

<sup>1</sup>Eric Geoffroy, *L'Emir, modèle contemporain de «l'homme universel»*, op Cit, pp 131, 133.

## 6. التعليم في اهتمامات الأمير عبد القادر

لم تشغل الأمير رسالته الحربية التحريرية عن رسالته التعليمية حيث جعل من التعليم باعثاً لروح اليقظة في الشعب للتحرّر من الاستعمار والجهل معاً. والحقيقة أن المقاومة العسكرية وإن أخذت شطراً من عمره فإن المقاومة الثقافية لسنوات الدراسة والبحث طيلة حياته الشاقة والمضطربة منذ كان شاباً يافعا إلى أن صار أميراً على قومه، فأسيراً عند عدوه، ثم منفياً بعيداً عن وطنه، قد ترجمت بصدق هذا الجهد أو الجهاد المعرفي في مؤلفات الأمير المنظوم والمنثور.

ترجمت مؤلفات الأمير في مجملها هذه النزعة التعليمية، وأبانت في كثير من انعطافاتها عن مسلك علمي دقيق لا من حيث الأسلوب أو الموضوعات والتي كانت مثار جدل لدى العلماء والفلاسفة في وقتها سواء لدى المسلمين الذين كانوا يلتمسون سبل النهضة بعد مرحلة السكونية إلى درجة العقم كما وصفها سليمان عشارتي<sup>1</sup> أو لدى مسيحيين إذ صادف لديهم ذروة انقراض العقل الأوروبي الجامح للعلوم والمعارف العقلية بعد أن خرج منتصراً على قيود الكنيسة والحجر الذي سلطته على العقل.

ويجلي هذه الرسالة التعليمية في المواقف، عبد المجيد الخاني حين يقول: "فمن آثاره الدالة على جلالته مقداره كتاب (المواقف العرفانية) الجدير بأن يكتب بالثور على نحور الحور، وهو كتاب جليل من توفيقات توقيفاته الإلهية، وواردات مشاهداته الربانية، وتفسير الآيات الكريمة والأحاديث النبوية، وأجوبة الأسئلة الإخوانية التي كانت ترد إليه من كل ذائق في علم الحقائق"، بل يذهب بعيداً حين يُورد أنّ ما كان يقبده الأمير يرسل به إلى والده (أي والد عبد المجيد الخاني الذي كان يسائل ويراجع الأمير في كثير من المسائل الخفية في الفتوحات المكية وغيرها) حتى اجتمع من ذلك ثلاث مجلدات ضخمة.<sup>2</sup>

والثابت أن الأمير عبد القادر سلك مسلك أهل العلم، فعند سنة 1287هـ/1870م بإرسال الشيخ الطيب بن الشيخ المبارك مع حضرة شيخنا الطنطاوي إلى مدينة قونية لمقابلة الفتوحات

<sup>1</sup> سليمان عشارتي، المرجع السابق، ص 32.

<sup>2</sup> عبد المجيد الخاني، الكواكب الدرّية على الحدائق الوردية في أجلاء السادة النقشبندية، تح محمد خالد الخرسة، دار البيروني، دمشق، 1996، ص 774.

المكية على خط مؤلفها العارف بالله الشيخ محي الدين بن العربي لرفع الشك والالتباس.<sup>1</sup> وهو النهج الذي سار عليه علماء الإسلام، فنجد مثلا ابن القيم في كتابه "مدارج السالكين" الذي شرح فيه كتاب أبي إسماعيل الهروي "منازل السائرين" كان يعتذر له ويؤوّله بحيث ينفي عنه عقيدة وحدة الوجود، وحجّته أنّه من أهل الدين والصلاح ولا يُتصوّر أن يتكلّم بخلاف الشرع، وهذا هو عيّن ما فعله الأمير عبد القادر مع شيخه ابن العربي.<sup>2</sup>

وقد تميّزت المواقف بمستواها الثقافي والمعرفي الشمولي، فقد بدا الأمير وهو يتناول النصوص القدسية (القرآن) على ثقافة مستبحة، تهيأت لأنّ تغدو رؤية اجتهادية متماسكة.<sup>3</sup> فمؤلفه الضخم "المواقف" يعرّز هذه النزعة، فمراميه كانت تعليمية، توصيلية، قبل أن تكون أي شيء آخر، ولا عجب في ذلك، فمدونة المواقف بهذا الاعتبار دروس استوعبت الثقافة الإسلامية التي تأصلت منها معرفة فكرية وروحية، وصبّ لها في وعاء التجديد، من خلال ربط العرفان بالشرع وإزالة الهوة بين الحقيقة والشرعية.<sup>4</sup>

### 6-1 رسوخ الفعل التعليمي لدى الأمير

اجتمعت عدة عوامل رسّخت الفعل التعليمي لدى الأمير عبد القادر، نشأته في ظل زاوية أجداده المرابطين على رأسها أبوه محي الدين، ملكت القلوب والعقول معا وأظلت كل بيك وهران علما وكرما.<sup>5</sup> لكن لا يهم عظم النسب وقد يكون حملا على صاحبه منه مفخرة له، فلا يكفي أن تطلب من أنت؟ بل ما أنت عليه؟ تستقصي سيرة حياة الإنسان، وأفعاله، وشجاعته، وخصاله.<sup>6</sup> فهم ورثوا النسب الشريف، والأنبياء ورثوا العلم من أخذه أخذ بحظّ وافر.<sup>7</sup> فتوارثوا العلم كإبراً عن كابر فال عبد القادر استحقوا هذا الشرف بعد أن جعلوا من طلب العلم وتعليمه رسالة ربانية فكانت قريتهم مركز إشعاع علمي وثقافي تصدّره كوكبة من العلماء.

<sup>1</sup> عبد الرزاق البيطار، حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، تح محمد بهجت البيطار، ج2، ط2، دار صادر، بيروت، 1993، ص 757.

<sup>2</sup> فارس أحمد العلاوي، المرجع السابق، ص 54.

<sup>3</sup> سليمان عشراتي، المرجع السابق، ص 224.

<sup>4</sup> نفسه، ص ص 222-227

<sup>5</sup> Alex Bellemare, op Cit, pp11-12.

<sup>6</sup> Bruno Étienne, op Cit, p11.

<sup>7</sup> أبي عبد الله البخاري، صحيح البخاري، ج1، ط1، مكتبة الصفا، القاهرة، 2003، ص28.

تدرّج الأمير عبد القادر في تعليمه على كوكبة من العلماء المشهود لهم، وكل عالم يُعتبر تاجاً على رأس فنّه وله سنَدٌ فيه، مع ذلك يعقّب في مذكراته بقوله: ولا يذهب الوهم بمن وقف على هذه الأسانيد (العلماء ومشايخهم) فيعتقد أننا لم نأخذ العلم إلا من بعيد، بل وطننا الغريسي محطّ علم ومحلّ تعلم وتعليم، ولو تتبّعنا ما نعلم من عدد العلماء بأوطاننا وما جمعه الناس قديماً وحديثاً لضاقت به الطروس (الكتب).<sup>1</sup>

والاهتمام بذكر الأسانيد كان علماء ذلك العهد يعطونه أهمية كبرى إذ فيه الدليل القاطع على التبادل الثقافي - يتبادلون الاجازات والتأليف - بين علماء مختلف البلدان الإسلامية وتمتدّ الصلّة بينهم وتكوين رأي عام قويّ يقف المواقف الحاسمة في وجه كل من حاول المسّ أو تغيير أحكام الشرع أو التلاعب بالدين وإهانة أهله.<sup>2</sup>

وهي عكس الصورة النمطية التي ارتسمت في أذهان القريب والبعيد مشاركة وغربيين أن بلاد المغرب عبارة عن قبائل بدوية أفضاظ لا مدنية لهم ولا ثقافة. ووثق هذا الإشعاع العلمي والثقافي العالم المحدث الشيخ محمد بن معروف الونشريسي وهو يرثي شيخه محي الدين ضمها الفنون العديدة التي كان يدرسها بمعهد القيطنة.<sup>3</sup>

والغريب في هذه الشخصية أن أباه محي الدين لم يكن إلا موجهاً ومسدداً وممتحناً لما كانت علمته أمّه لا لآلة زهرة من القرآن والمحفوظات... الخ، لكن الشاب لا يرتوي فهو دائم السؤال والاعتراض حول أقلّ الأشياء، حول كلّ شيء، وحول لا شيء، فالعلم صندوق مفتاحه السؤال.<sup>4</sup>

## 6-2 التعليم في دولة الأمير

لم تكن مقاومته لثهمل أيّ شكل من أشكال المقاومة التي أرساها لخطّه الجهادي لذا نراه يُولي أهمية قصوى للجهد التعليمي الثقافي، كونه أهمّ مفصل لتجذّر المقاومة واكتسابها مناعة لديمومتها، ويحافظ على الهوية العربية الإسلامية أمام هذا الرّحف الاستعماري. فإرساؤه

<sup>1</sup> الأمير عبد القادر، مذكرات، المصدر السابق، ص 53-60.

<sup>2</sup> مهدي البوعبدلي، "أضواء على تاريخ حياة الأمير عبد القادر قبل توليته من خلال مذكراته التي سجلها في قصر أمبواز"، في -مجلة التاريخ-، عدد 2، المركز الوطني للدراسات التاريخية، الجزائر، 1975، ص 58.

<sup>3</sup> مهدي البوعبدلي، "وثائق أصيلة تلقي أضواء على حياة الأمير عبد القادر"، المرجع السابق، ص 142-143.

<sup>4</sup> برونو إيتين، المرجع السابق، ص 104، 99، 60.

لمؤسسات الدولة الجزائرية يقتضي وجود قطاع ثقافي ومؤسسات تعليمية يستفيد منها الشعب الجزائري.<sup>1</sup> من أجل إيقاظ الشعور الوطني للعرب وتوحيده وتوجيهه، فقد أسس منذ البداية نظاما للتعليم العام بين جميع القبائل، لذا فتحت المدارس في المدن وبين القبائل، وفي الزوايا والمساجد وخصّصت لهم رواتب حسب درجاتهم، ويقول عن ذلك الأمير: "وعفوت أكثر من مرة على محكوم عليهم لمجرد أنهم طلبة، وبذلت أقصى الجهود في المحافظة على الكتب والمخطوطات من الضياع، وشيئا فشيئا جمعت مجموعة من هذه المخطوطات ووضعتها في أماكن أمانة في الزوايا والمساجد وأوكلتها إلى الطلبة الذين كانوا موضع ثقتي".<sup>2</sup>

ورتب في سائر المدن والقرى علماء لتدريس فنون العلم وعين لهم مرتبات على حسب طبقاتهم وأمر بطلب العلم وباحترام أهله واستثناهم من جميع المطالب الأميرية،<sup>3</sup> والأساتذة يتمتعون بتقدير كبير ولهم أجرة معتبرة جدا، ولا يهتمون بشؤون الحكم، لكن كان لهم دور كبير في خلق ما يُعرف بوحدة معنوية "Unité morale" أو نسيج لضمير جمعي يوحد المجتمع وإن كان متفرقا سياسيا.<sup>4</sup>

وقد نجح الأمير في مسعاه إلى حد كبير، بشهادة العلماء والأعداء، في تشكيل ذاكرة جمعية جزائرية إسلامية.<sup>5</sup> فالأمير رسم لنظام السياسة "أكمل نظام" من حيث الاستيعاب والاتساع ضمن نطاق علاقة تكاملية بين السياسة والشريعة والتصوف، عدّ العلم قوامها ورأس حريتها.<sup>6</sup>

<sup>1</sup> دحو فغور وآخرون، فلسفة المقاومة، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، بومرداس - الجزائر، -، 2016، ص 300. كذلك أحمد بن داود، "المقاومة الثقافية للأمير عبد القادر من خلال التعليم"، في -مجلة عصور الجديدة-، عدد 75، جامعة وهران، الجزائر، 2014، ص ص 218-219.

<sup>2</sup> شارل هنري تشرشل، المصدر السابق، ص ص 199-201.

<sup>3</sup> محمد الحسني الجزائري (ابن الأمير)، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، المصدر السابق، ص 302.

<sup>4</sup> Marcel Emerit, L'Algérie à l'époque d'abd-el-kader, op Cit, p177.

<sup>5</sup> احميدة عميروبي، "الأمير عبد القادر والذاكرة الجمعية الجزائرية"، ضمن كتاب الأمير واجب الذاكرة وتحديات الساعة، مؤسسة الأمير عبد القادر، منشورات ثالة - الأبيار، الجزائر، 2006، ص 39.

<sup>6</sup> محمد الصغير بناني، "معالم شخصية الأمير عبد القادر من خلال شعره (معالم فكره السياسي)"، في -الثقافة-، العدد 96، وزارة الثقافة بالجزائر، الجزائر، 1986، ص 153.

وقد كانت مراحل التعليم متوارثة عن العهد العثماني: الابتدائي في أربع سنوات تقريبا، يتعلّم الطفل خلالها القراءة والكتابة وحفظ القرآن، وفي كل قرية خيمة تُدعى الشريعة يُشرف عليها مؤدّب يختاره سكانها. الثّانوي بإمكان التلميذ في هذا الطّور مواصلة تعليمه مجّانا في الجامع أو في مدرسة مُلحقة بالأوقاف، في النهاية ينال الطالب إجازة مكتوبة أو شفوية من المُدرّس، يتولّى بها وظيفة مؤدّب أو كاتب، أمّا العالي فالذي يدرّس بهذه المرحلة يُسمّى عالما يتقاضى أجرا من الأوقاف وتُعطى بالرّوايا وأهمّ الجوامع.<sup>1</sup>

وعمد لجعل التعليم مجّانيا وفي مُتناول الجميع -على نمط الدّخلي أو النّصف داخلي المعروف اليوم-، وذلك بالتكفل الثّام بالطلّبة، وحسب إدريس الجزائري فإنّ الأمير أوّل مَنْ أدخل نظام الوجبة الغذائية المدرسية، وهذا نظام جديد ومبتكر في ذلك الوقت، ثمّ إعفاء الطّلبة من الرّسوم المختلفة.<sup>2</sup> وازدادت العناية بالتعليم أكثر أيام السّلم وخاصة بعد توقيع اتفاقية التافنة يوم 30 ماي 1837 حيث تفرّغ لتقوية دولته، واستقدم العلماء والمتقّنين من الجهات البعيدة، وذلك ليس لتأطير المدارس التربوية فحسب، وإنّما أيضا للتدريس في أوّل مدرسة مهنية في الجزائر، أسّسها الأمير الذي جاء بالمعلّمين من فرنسا (مارسيليا).<sup>3</sup> ولم يتمكّن من تحقيق حلمه في إقامة جامعة مغربية، فالمعركة سارت به إلى أماكن أكثر بُعدا.<sup>4</sup>

إنّ ما كان يثير الأمير ليس الفارق الثقافي وبالخصوص القيم الرّوحية بين العالم الإسلامي والغربي، ولكن فجوة التكنولوجيا الصناعية، لذا كانت استراتيجيته منذ البداية انتقائية لا تهتمّ بالإيديولوجيا ولكن بالتكنولوجيا<sup>5</sup> ومن هنا نستشفّ رؤيته للتعليم وما كان يرمي إليه، ففضلا عن العلوم الإنسانية والأدبية (قرآن، سيرة، حديث، فقه، نحو، لغة، تاريخ... الخ) التي هي الحصن المنيع للهوية الجزائرية العربية المسلمة، حاول تطعيمها بعلوم مهنية أو بما يُعرف

<sup>1</sup> أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث "بداية الاحتلال"، المرجع السابق، ص ص 161-165. كذلك أديب حرب، التاريخ العسكري والإداري لأمير عبد القادر الجزائري 1808-1847، المرجع السابق، ص ص 70-71.

<sup>2</sup> أحمد بن داود، المرجع السابق، ص 221.

<sup>3</sup> دحو فغور وآخرون، المرجع السابق، ص 301.

<sup>4</sup> برونو إيتيين، المرجع السابق، ص 169.

<sup>5</sup> Mohammed Bahloul, *L'Emir Abd-El-Kader face aux Catégorie de la Modernité Occidentale*, Fondation Emir Abdelkader (section d'Oran), L'Emir Abdelkader Source D'authenticité... Précurseur de Modernité, Colloque International 23-24-25 /2004, ENAG Editions, Alger, 2011, p50.

"بالعلوم التجريبية" ليوأكب التطور التكنولوجيّ الحاصل في أوروبا خصوصاً في مجال التكوين العسكريّ العصريّ وتصنيع مختلف الأسلحة.

### 3-6 التنوع الثقافيّ الغائب

ما يؤخذ على هذه السياسة التعليمية أنها وإن حاولت مواكبة التطور الحاصل على صعيد التقنية المتطورة - خصوصاً في جانبها الحربي - فإنها أغفلت بعض جوانبها الثقافية وبالأساس تعلم اللغة الفرنسية (لأنها لغة العدوّ تحديداً ومقتضيات المواجهة المباشرة معه حرباً وسلماً)، فلم يرد أن قام الأمير عبد القادر أو خلفاؤه أو حتى بعض أعضاء ديوانه الكبار بتعلم اللغة الفرنسية، وكان طول مدة المواجهة يفرض عليه تكوين قسم من المترجمين العرب، يستطيع بهم الولوج إلى فهم الآخر ويفقه حضارتهم، فإن نصف النصر معرفة عدوك أكثر من نفسك، على شاكلة ما فعله الفرنسيون بإنشاء هيئة المترجمين العسكريين ومن بعدها المكاتب العربية.

حيث مثلت المكاتب العربية مركز السلطة الفرنسية لإدارة شؤون الأهالي (الجزائريين) في الأمن والقضاء، وتجد على رأس كل مكتب عربي ضابطاً فرنسياً يعرف العربية.<sup>1</sup> وتجد من أعضائها من لازم عاصمة الأمير أمثال دوماس **Daumas** ومنهم من لازم الأمير نفسه أمثال روش **Roches** استطاعوا بها الولوج إلى أدق تفاصيل المجتمع الجزائري وعادوا بغنيمة لا تُقدر بثمن إلى دولتهم ودوائرهم السياسية.<sup>2</sup>

فاللغة العربية في الجزائر كانت لغة الحديث منذ قرون، ودراستها بطريقة جادة يُمكن أن تقدم للفرنسيين فوائد جمّة، "وذلك بإقامة علاقات عديدة مع الأهالي والتعرف أكثر على الشعب،

<sup>1</sup> أبوالقاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج4، المرجع السابق، ص 33.

<sup>2</sup> يقول شارل فيرو **Charles-L Féraud** يمكن تتبع السيرة المهنية الوضيئة لرجال النخبة الفرنسية لهيئة المترجمين العسكريين والتي كانت نواتها الأولى الحملة الفرنسية على مصر، ثم ألحقت بالجيش الفرنسي عشية الحملة على الجزائر سنة 1830، وملؤوا معظم الوظائف الإدارية المهمة، فقد كان كل قائد في حاجة إلى كاتب مترجم يعتمد عليه، ويعدد صفات هذا الأخير (ذكي، عميق التفكير، موثوق، صاحب خبرة، حس وطني، متمكن من لغتين، صاحب نشاط وحيوية ويساهم في عقد اتفاقات ورفع تقارير بدقة وأمانة). ينظر مقدمة شارل فيرو:

Charles-L Féraud, *Les Interprètes de l'Armée D'Afrique*, op Cit, p-p I-IV.

الذي دُعينا ليس فقط لحُكمه ولكن لإدخاله بالتدرُّج إلى عالم أفكارنا وحضارتنا".<sup>1</sup> وتظهر الرسالة المؤرخة في 25 فيفري 1837 التي بعث بها المتصرف المدني بريسون **L'intendant Civil Bresson** وهو أعلى منصب بالمستعمرة بعد الحاكم العام-إلى المفتش العام للتعليم يولي فيها أهميةً بالغة لتدريس اللغة العربية بين الأوروبيين والعمل على تطويرها، وأن احتلال البلد متوقَّف على المهمة التي أوكلتها الحكومة للسيد لويس برينييه **Louis Bresnier** والتي تَوَلَّى على إثرها كرسيَّ اللغة العربية "**Chaire de langue Arabe**".<sup>2</sup> فمهمته ليست عادية، وأمامه مسيرة مهنية رائعة بإرساء تعليم جديد للغة العربية الدارجة (العامية) ويجب ألا تقتصر على المناطق الساحلية بل تشمل جميع لهجات مناطق الداخل إلى حين تستطيع فرنسا الوصول إليها.<sup>3</sup>

بالجهة المقابلة كان الطرف الجزائري بعيداً إن لم نقل غائباً عن هذه الرؤية الاستراتيجية، وحتى الأسرى الفرنسيون لدى الأمير لم يُستغلوا في هذا المضمار-صحيح أن الأمير رَفَض رَفُضاً قاطعاً استغلال الأسرى في الأعمال الشاقة أو السخرة-لكن هذه المهمة التعليمية ما كان ليعترض عليها أحد.

<sup>1</sup>Cour A, *Notes sur les chaires de langue arabe d'Alger, de Constantine et d'Oran*, in-*Revue Africaine*, Volume 65, A. Jordan Libraire-éditeur, Alger, 1924, p31.

وكذلك: أبوالقاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج4، المرجع السابق، ص 25

<sup>2</sup> برينييه لويس جاك **Bresnier Louis-Jacques** مواليد مونتغري **Montegris** 11 أبريل 1814 توفي 21 جوان 1869 بالجزائر، وباقتراح من دي ساسي تولى كرسي العربية في مدينة الجزائر وبقي فيه سنوات متواصلة من 1836 إلى وفاته سنة 1869. بدأ يعطي دروس اللغة العربية العامية بشارع "**Socgémah**"، فانظر إلى اسم الشارع كيف ترجم "سوق الجامع" "**Souk El Djemâa**" لفظاً إلى الفرنسية وكتب بها تأخذ فكرة عن العربية الدارجة التي كان يدرسها برينييه. وهو يعتقد أن شعب (الجزائريين) هزم بقوة السلاح لا ينجز احتلاله بالكامل مادام المنتصر (الفرنسيين) يجهل لغته، برينييه فضلا عن العربية يتقن التركية والفارسية. سنة 1853 يتحصل على وسام الشرف نظير جهوده لتطهير هيئة المترجمين العسكريين وإعادة احيائها، ليتقدم لنفس الهيئة سنة 1855 ليكون ضمنها، لتقف الإجراءات الجديدة في وجهه ولا يقبل إلا كمترجم من الدرجة الثالثة (جعلته أقل مرتبة من تلاميذه)، فعزف عنها، ليتوفى فجأة وهو يلج إلى مكتبته ليلقي درسه المعتاد. ينظر: أبوالقاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج4، المرجع السابق، ص 23 وما بعدها. وكذلك:

**Cour A, Notes sur les chaires de langue arabe d'Alger, de Constantine et d'Oran**, op Cit, pp 26.27.

Charles-L Féraud, op Cit, p-p 371-376.

<sup>3</sup>Cour A, *Notes sur les chaires de langue arabe d'Alger, de Constantine et d'Oran*, op Cit, pages 20, 33-35.

خصوصاً وأنَّ معاملة الأمير للأسرى كانت في قَمَّة الرُّقيِّ والتحضُّر، ونَجِد في رسائل أحد الأسرى الفرنسيين التَّوصيف التالي: "لقد عاملني الأمير بسُمُو أخلاقي رفيع قلَّمَا نجدُه في الدول الأوروبية الأكثر تحضُّراً."<sup>1</sup>

وللتدليل على الأدوار الخطيرة التي لعبها هؤلاء المترجمون نجد مثلاً ليون روش يعلِّق على الرسائل التي كان يترجمها للأمير إلى القادة الفرنسيين: "غلَّفَها بعبارات عاطفية لم يكن لها أيُّ صدى في الواقع، بل كانت على نقيض ما يتجسَّمه الأمير وإرادته، والتزمت بالترجمة الحرفية للنقاط المدرجة، وصيغتها في سياق يعبر عن رغباتي الشخصية". لكنه بالمقابل في لقاء بيجو مع رؤساء قبائل بني عامر وكان هذا الأخير يزيد ويرعد ويتوعَّد هؤلاء إنَّ هم استمروا في مناصرة الأمير كانت ترجمته لخطاب الجنرال تلطيفا لأقواله اللاذعة وترضيَّة لرؤساء القبائل وكسبهم، ويعقِّب على ذلك بقوله: "للقائد لبُّ الموضوع ولي إخراج شكل الموضوع".<sup>2</sup>

إن امتلاك لسان أُمَّة غربيَّة مثل فرنسا في ذلك الوقت كانت مَعْنماً ثميناً بالقياس على ذاتيَّتنا التي كانت تجهل كل شيء عن الآخر، كانت بالضرورة تكسب بعداً إضافياً من شأنه أن يسهم في تعميق النقلة النوعية التي جسَّدها الأمير جهاداً وسياسية وروحية.<sup>3</sup>

ولحرص فرنسا على بقاء أعينها على الأمير كان من جملة تعليمات الحكومة منعه من تعلُّم اللغة الفرنسية أثناء الأسر،<sup>4</sup> وإن كان دَكَر محمد الشريف ساحلي بقبوله تعلم اللغة الفرنسية بعد الإفراج عنه أراد تكريم الثقافة الفرنسية،<sup>5</sup> غير أن الشواهد تقول غير ذلك فإنَّ لدى السفارة أوامر صارمة لمراقبة جميع أعمال الأمير، ولوحظ وصول بولاد Bullad المترجم العسكري السابق إلى بروسة للالتحاق بخدمة الأمير، وكان يقرأ جميع المراسلات وينقلها إلى الفرنسيين

<sup>1</sup>Alex Bellemare, op Cit, p328.

<sup>2</sup>Léon Roches, op Cit, pp183, 227.

<sup>3</sup> سليمان عشراي، المرجع السابق، ص 176.

<sup>4</sup> برونو إتيين، المرجع السابق، ص 254.

<sup>5</sup> محمد الشريف الساحلي، الأمير عبد القادر فارس الإيمان، المرجع السابق، ص 26.

في تقارير شبه يومية إلى السفارة، فالحكومة الفرنسية كانت تشك دائما في توجهات الأمير عبد القادر الجزائرية.<sup>1</sup>

فتعلم اللغة الفرنسية ينفي حجة وجود مراقب لصيق به ومطلع عليه وهو ما كانت تتحاشاه فرنسا قطعا، ويحرمها فرصة أكبر بعد ذلك للتلاعب بخطاباته ورسائله وأقواله، ويبدو هناك مَعطى آخر مُهم وواقعي وهو استغراق الأمير في التأمل الصوفي حيث طاب له العيش في كنفه، ولا يتأتى له ذلك إلا ضمن لغة الضاد وليس لغة أخرى غريبة عنه.

#### 6-4 مكتبة الأمير ودورها التربوي

لم يغفل الأمير عبد القادر في توفير المادة العلمية من كتب ومخطوطات يستفيد منها الطلبة وتكون تحت تصرفهم بإنشاء المكتبات. وقد كان شغفه كبير بجمع الكتب منذ شبابه، فذاع في كل الغرب الجزائري إلى ما وراء جبال تلمسان، صيئت الشاب المرابط بواد الحمام، الذي يدفع مقابل كل مخطوط الثمن الجزيل، فتكونت لديه مكتبة فريدة من نوعها في البلاد.<sup>2</sup> وقد تجمعت لديه مكتبة ضخمة وكانت أرواح النبوغ ترفرف حوله ولم يكن ليستبدل وجودها معه بكل عروض الدنيا.<sup>3</sup> وكانت الكتب حينئذ قليلة في البلاد فاجتهد في جمعها من كل جهة وأمر العسكر بأن كل مَنْ وَجَد كتابا أن يُحضره له، ثم شدد في حفظ الكتب وعزم على ترتيب مكتبة في تاقدمت، ولما احتاج إلى إخلاء المدن جعلها في الزمالة، فتألفت كلها في واقعة طاقين لما هجم ابن الملك دوما على الزمالة.<sup>4</sup>

يقول عنها تشرشل: فيها أندر المخطوطات العربية والتي كانت فخمة التجليد، وكانت قيمتها تقدر ب 5000 جنيه استرليني.<sup>5</sup> مرارة هذه الخسارة عبر عنها أحد الكتاب بأن الجزائر لم تفقد استقلالها في يوم 05 جويلية 1830، إنما فقدت استقلالها بتاريخ 15 ماي 1843 مع سقوط آخر عاصمة للجزائر بسقوط الزمالة والاستيلاء للمرة الثانية على الخزينة العمومية

<sup>1</sup> برونو إتيين، المرجع السابق، ص ص 279

<sup>2</sup> Bruno Étienne, op Cit, p117.

<sup>3</sup> محمد بلفراد، "الجانب الصوفي والثقافي في حياة الأمير عبد القادر الجزائري"، في -مجلة التاريخ-، عدد خاص، المركز الوطني للدراسات التاريخية، الجزائر، 1983، ص 72.

<sup>4</sup> محمد الحسني الجزائري (ابن الأمير)، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، المصدر السابق، ص 202.

<sup>5</sup> شارل هنري تشرشل، المصدر السابق، ص 276.

الجزائرية وعلى الأرشيفات الوطنية.<sup>1</sup> وإن سخریات التاريخ أحيانا لا ترحم فكان آخر عمل حضاري حنم به الاستعمار الفرنسي وجوده بالجزائر في عام 1962 حين قام بعض الفرنسيين ومنهم جامعي من إكس (فرنسا) بإضرام النار في مكتبة الجزائر.<sup>2</sup>

وحسب أوربان واستيرازي **Urbain et Walsin Esterhazy** أن نسبة الأمية في الجزائر أقل بكثير مما هي عليه في فرنسا (حيث تتجاوز في فرنسا 40%)، لكن السلطات الفرنسية استحوذت على الحبوس "الأوقاف" الممول الرسمي للتعليم وشردت الطلبة والأساتذة من المدارس والزوايا، ومع ذلك تجد المؤرخ اميريت **مارسال** يخففها بعبارة "L'autorité militaire française n'a pas su protéger les habous" "السلطات العسكرية الفرنسية فشلت في حماية الحبوس"، ويصف هذا الهدم التعليمي، الذي لم يبق مؤسسة قائمة بعبارة مخففة كذلك "Fruit d'une expérience douloureuse"، هكذا "ثمار تجربة قاسية".<sup>3</sup> هذا الهدم الممنهج عبر عنه **الدوق دومال Duc d'Aumale** في تقرير له سنة 1848 عن التعليم لدى المسلمين، خلاصته أنه كان أحد الأسباب الرئيسية التي ألهمت مشاعر المقاومة والجهاد لدى السكان.<sup>4</sup>

وأخير فإن الجهاد المعرفي الذي خاضه الأمير عبد القادر مستوحى من تجربته التي عاشها بتوجيه من أبيه بمعهد القبطنة، أرسى دعائمها ضمن مشروعه التعليمي في دولته، وهي لا تقل أهمية عن مجمل إنجازاته العسكرية والسياسية. بخلق ذاكرة جمعية جزائرية إسلامية توحد المجتمع في سياق المواجهة مع فلول قوة الغرب الزاحفة.

ونستنتج أن رؤية الأمير للتعليم أصبحت مغايرة ومتجددة عن العهد العثماني بما استحدثه من هياكل جديدة (مدارس ومكتبات) ومناهج دراسية مبتكرة تواكب التطور التكنولوجي الحاصل في أوروبا في المجال العسكري، غير أنها أغفلت جانبا مهماً وهو تعليم اللغة الفرنسية

<sup>1</sup> عبد الحميد بن أشنهو، الدولة الجزائرية في 1830 مؤسساتها في عهد الأمير عبد القادر، تر لعراجي نور الدين، موفم للنشر، الجزائر، 2013، ص ص 186-187.

<sup>2</sup> برونو إيتين، المرجع السابق، ص 164.

<sup>3</sup> Marcel Emerit, *L'Algérie à l'époque d'abd-el-kader*, op Cit, p177.

<sup>4</sup> Chikh Bouamrane et Mohamed Djidjeli, *L'Algérie coloniale par les textes (1830-1962)*, op cit, p249.

فمقتضيات المواجهة المباشرة مع العدو حربا وسلما تفرض تكوين قسم من المترجمين العرب يستطيع بهم الولوج إلى فهم الآخر.

ما انفك الأمير عبد القادر عن رسالته التعليمية منذ أن كان طالبا بالقيطنة، واستمر عليها وهو أمير بين جنوده ورعيته، وحتى في أسره، وحين استقراره بالمشرق ضبط ساعات يومه على هذه الرسالة النبيلة. وترجمت مؤلفاته هذه النزعة التعليمية برؤية اجتهادية تفسيرية للقرآن الكريم، سلك فيها الأمير مسلك أهل العلم في تحقيق النسخ، ودمّ التقليد ونفي الاتكالية عن الإسلام والمسلمين، وناصح عن حضارة الشعب الجزائري العريقة شعرا ونثرا.

# خاتمة

يخلص البحث إلى العديد من الملاحظات والاستنتاجات نوجزها فيما يلي:

- تحاشت جل كتابات الفرنسيين لقب "الأمير" عبد القادر، وتورده مجردا «عبد القادر» وفي أحيان تلحقه بأبيه «ابن محي الدين» عدا دي ميشال ولضرورة المعاهدة المبرمة أقرت له بهذا اللقب الذي يحمل «سيادة سياسية».

- أقرت كتابات الفرنسيين بخصال الأمير عبد القادر الحميدة سواء انصافا أو بما فرضته كاريزما الشخصية مثل وفائه بالعهد وقوته العقلية والفكرية وشجاعته فاق بها أمراء أوروبيين، كما حاولت بعضها الانتقاص منه لضرورة عسكرية أو دعائية أو سياسية وحتى تاريخية وإن كان ذلك جحودا ومكابرة وأحيانا تلميحا لا تصريحيا.

- عمدت كثير من كتابات الفرنسيين على إدخال الروايات الخاصة والعامة مضمونها الأسطورة والخرافة "historiettes" وهي نوادر الحكايات والقصص الشعبية تروى على لسان فقراء أو دراويش أو شيوخ المرابطين، وتستهيوي الكتاب الفرنسيين قديما وحديثا نوادر حكايات الجزائريين، مثل نسج الروايات ورؤى المرابطين المبشرة بظهور سلطان الجزائر "المهدي المنتظر" على لسان الولي عبد القادر الجيلاني، وكذلك الرؤى المصاحبة لولادة الأمير عبد القادر.

- تدرج كثير من كتابات الفرنسيين تولية الأمير عبد القادر السلطة ليس ضمن سياق تاريخي لإرادة شعبية وسياسية التزمت بها كبرى القبائل (إرادة شعبية) وسطر لها ميثاق يحكمها (دستور) واستشارات واسعة لعلماء المسلمين (مجلس شوري)، بل تبرز هذه الإشارات أو النبوءات والتي وإن كان لها سند من حيث تقدير واحترام الشعب للأولياء والمرابطين، لكن مراميها تعمل على تسخيف رأي الشعب وجعلهم من السذج الذين تنطلي عليهم مثل هذه الأراجيف، فضلا أنها تقلل من قيمة البيعة والتعهدات الموجبة لها، لتختزل شرعية سلطة الأمير عبد القادر الناشئة على أساس رؤيا غيبية (أضغاث أحلام).

- كتابات الفرنسيين بعد الاحتلال استنفرت في اتجاهات عدة شملت جميع مناحي حياة الجزائريين أفرادا ومؤسسات وراحت تنبش عن كل صغيرة وكبيرة تخص المجتمع الجزائري، ولم تخف هذه الكتابات ما توفره الجزائر لمفكرهم من مجالات واسعة لتطبيق نظرياتهم، إذ كانت تمثل ورشة مخبرية حقيقية لمجمل الطروحات السياسية والعسكرية لدى الساسة

والعسكريين الفرنسيين، فعملت هذه الكتابات على تقسيم المجتمع الجزائري سواء على أساس أعراش وقبائل أو حسب الطرق الدينية والتركيز على أي خلاف وتضخيمه لتنتفي عن المجتمع "وحدة سياسية" تحت قيادة الأمير عبد القادر وجهوده في القضاء على (التفاضل القبلي، الامتيازات السياسية والاقتصادية) بإقامة مجتمع عادل.

- عدا الأمير عبد القادر لا تشير كتابات الفرنسيين إلى أعلام من الجزائريين إلا نادرا سواء من أعيان أو علماء كما لا تشير إلى شخصيات تاريخية أو قادة عسكريين لجيش الأمير ولا يكون من نصيب الجزائريين إلا نعت الأهالي، السكان الأصليين، الأفارقة، العرب وأحيانا المسلمين.

- أبرزت كثير من كتابات الفرنسيين خصال الأمير الحميدة كظاهرة فريدة تخصه هو شخصيا دون الشعب الجزائري، مثل نفي التعصب عن الأمير دون الشعب الجزائري، التسامح والتعامل الراقي مع الأسرى للأمير عبد القادر لوحده دون غيره من القادة والجنود، وبالتالي تجعل منه طفرة عارضة صنع الاستثناء، وهي حالة ما فتئ بعض الكتاب على ترديدها وتكرارها وتناقلها، وإن فندت هذه الصورة الخاطئة المرسومة عن الجزائريين في أذهان الفرنسيين بعض كتاباتهم على قلتها.

- توارث أغلب الكتاب الفرنسيين في القرنين التاسع عشر والقرن العشرين عن كتابات سابقة لهذا العهد، وصم الجزائريين بالتعصب كتوصيف لتشبثهم بدينهم ومقاومتهم للغازي الأجنبي، ومن ذلك وصم تمسك الأمير عبد القادر بمبادئ الشريعة الإسلامية مدعاة للتعصب الديني والقومي، وجهاد الجزائريين تحت لوائه تحت بند التعصب، الكره السياسي للفرنسيين، والبحث عن الغنيمة، وبالتالي الطعن في دينهم ووطنيتهم، في حين وصف الأعمال الوحشية للجيش الفرنسي ليست من التعصب المتأصل فيهم بل تصرفات أملت بها الضرورة وأخذوها عن الجزائريين.

- لا تتفك كتابات الفرنسيين على تمجيد الإمبراطورية الفرنسية كوريثة الإمبراطورية الرومانية المسيحية، ومبشرة برسالة حضارية للعالم، دون أن يكون لها مدلول في كتاباتهم، فرسالة فرنسا الحضارية في الجزائر والتي دندن حولها الكثير من المؤرخين، لا تذكر في كتاباتهم إلا نعتا لأوروبي عموما والفرنسي تحديدا وكأنها حكرا عليهم، وليس لمفهوم تطوري مادي وعلمي وثقافي يرتبط بالإنسان عموما، فكل من وقف إلى جانب فرنسا فهو إلى جانب

الحضارة ومن عارضها فهم أهل تعصب وهمج، وهو ما حاول أندري بيرتي André Berthet ترسيمه في سرد تلك القصة العاطفية ضمن مؤلفه، وإن كانت بعض الكتابات دحضت هذه المزاعم.

- غلب على كتابات الفرنسيين في هذا القرن النزعة الأوروبية أو التحيز الأوروبي عموماً والنزعة الفرنسية خصوصاً في التأريخ للجزائر ومنها للأمير عبد القادر، فرغم تعدد مشارب هؤلاء الكتاب من سياسيين أو عسكريين أو رجال أدب أو الدين أو دبلوماسيين وحتى فنانيين، وسواء اعتدلت في حكمها أو جانبت الصواب فأغلبها كانت محكومة بمصلحة فرنسا العليا ولا تأريخ إلا ضمن مصالح بلادها، والاصطدام بين هذه الكتابات يكون سواء لصراع بين أشخاص بعينهم أو ضد السياسة المتبعة، فلم نجد من يطعن في جيشه أو وطنه، ومن اعترضوا على الأعمال الاجرامية للجيش الفرنسي اجتهدوا في خلق الأعذار سواء بالصاقها بغير الفرنسيين في حالة يوسف المملوكي أو لضرورة اخضاع السكان.

- إن هذا التفاضل والاستعلاء اتجاه كل ما ليس فرنسياً خالصاً ظل عقدة لدى الكتاب الفرنسيين عموماً، حتى اتجاه من قدموا خدمات جليلة للاستعمار أمثال مصطفى ابن إسماعيل وأحفاده والمزاري والكلوغي إبراهيم وغيرهم كثير.

- الاتفاق المبدئي على رؤية موحدة لتاريخ الجزائر، تجريد الجزائريين من تاريخهم والتشكيك في أصولهم وجعلهم عبارة عن مكون "شعوب عبور"، أي اختلاط لشعوب افريقية وأسيوية وأوروبية عبرت المنطقة على فترات متباينة، فالسرد الكرونولوجي لتاريخ المنطقة لا يتأتى إلا بربط التاريخي بين الفترة الرومانية والفترة الفرنسية وكأنها وريثة لها، في حين تبقى مراحل تاريخية ضاربة في التاريخ أو التي أكسبت البلد صفتها العربية والإسلامية مجرد قرون ظلام مهملة في التاريخ ولا يتورع الكتاب الفرنسيون قبل الاحتلال وبعده من السكوت عنها تارة أو اختصارها تارة أخرى في بعض الصفحات أو تشويه أثرها.

- يُصَوِّر المؤرخين الفرنسيين صراعهم مع الأمير عبد القادر كَفَرَسِي رِهَانٍ على سلطة حكم هذا الشعب الذي كان أصلاً تحت حكم طرف ثالث وهم الأتراك، وفرنسا عوضت الأوجاق في الجزائر إلى الأبد، والآن عليها تدبير كيفية التعامل مع الجزائريين، فهو صراع أغراب (الأتراك، العرب، الفرنسيين) على السلطة، ويجعل هؤلاء المؤرخين من المقاومة

الجزائرية على ثلاث مراحل متباينة (المواجهة التركية، العربية ثم الوطنية) والمقاومة العربية هي مقاومة الأمير عبد القادر، ومنطلق الجزائريين فقط هو الكره السياسي للفرنسيين واعتبارهم كفار، وبالتالي ينفي عن الجزائريين سيادة وطنية، وتضفي على الاحتلال مشروعية تاريخية وتختفي معها الوطنية الجزائرية.

- النسيج على شاكلة واحدة أو الاجماع في سرد الأحداث وتقديم توصيف واحد لأحداث تاريخية لكوكبة من الكتاب الفرنسيين وكأن بعضهم نقل عن بعض وهو ما حدث بالفعل، في معالجة ظهور سلطة الأمير عبد القادر السياسية إذ أجمعت على النبوءات والمبشرات بظهور سلطته، وكذلك حين تناولت بعض الأحداث التاريخية مثل استيلاء الأمير على مدينة عين ماضي، التركيز على فعل "الخيانة" في استيلاء الأمير عبد القادر على عين ماضي وغمط الدور الفرنسي في ذلك.

- المنظومة الاستعمارية روجت لكثير من المغالطات حول الامير عبد القادر بما يخدم مصالحها السياسية بالجزائر أو في الأفطار العربية، كون الأمير أصبح في اعتقادهم مخلصا للقضية الفرنسية، فيوضع على رأس سير قادة الجيش الفرنسي لدى نرسييس فوكون **Narcisse Faucon**، وعبر عن هذا المسعى بوضوح لويس بليستروس **Luis Ballesteros** حيث أوصى حكومته باستغلال الأمير عبد القادر في هذه الفترة (ستينيات القرن التاسع عشر) لصالحها بالجزائر، وكذلك لدى العصابة المشكلة للوبي الفرنسي الموالي للأمير عبد القادر لكنه مشدود إلى مصالحه الاقتصادية، ويمثل السفير المقاول **فرديناند دي ليسبس Ferdinand De Lesseps** النموذج المثالي للكتاب الذين حاولوا خلق صداقة حميمة مع الأمير عبد القادر هدفها خدمة أغراضهم ومشاريعهم الاقتصادية والمالية في المنطقة العربية.

- استغلال شخصية الأمير عبد القادر وانتاجه الفكري فلم تسلم مؤلفاته الفلسفية والفكرية التي أريد لمحتواها العلمي تجني منه فرنسا فوائد لها وتجعله ملكا لها، فعمدت إلى ترجمة كثير من إنتاجه الأدبي والشعري خصوصا لكل من **مارك أرنو Marc Arnaud**، **غوستاف دوفا Gustave Dugat**، **أوجين دوماس Eugène Dumas**، بتبني تاريخ الأمير عبد القادر الفيلسوف العالم وتوجيه أفكاره بما يخدم مصالحها الاستعمارية.

- مبررات الغزو الفرنسي مهما تعددت واختلفت وإن تناقضت، فعنوانها الرئيس تنافس متصاعد وحتمي على التوسع الاستعماري للدول الأوروبية مع مطلع القرن التاسع عشر ما كان ليفلت الجزائر وعموم الأقاليم التابعة للدولة العثمانية. لم يسلم معه لا الإرث المادي ولا غير المادي الذي ترك سواء للنهب والاتلاف أو لعامل النسيان والإهمال تنال منه. وسنجد هذا السلوك هو المسيطر في تعامل فرنسا مع الجزائريين والاتفاقات المبرمة فاتلاف الوثائق التي لا تخدم السياسة الاستعمارية يعطي فكرة عن مصير كثير من الوثائق الفرنسية فضلا عن الوثائق الجزائرية.

- الجرد والاحصاء بببليوغرافي لكل ما كتب عن هذه الشخصية في القرن التاسع عشر رغم أنها غير شاملة، فهي محاولة يمكن اعتمادها كقاعدة بيانات، وتكون منطلقا للباحثين لاستغلالها كمصادر وثائقية معلمية أو إثرائها لتستوفي عملا موسوعيا أكثر دقة وشمولية.

- إن الرجوع الى ما كتبه ودونه قادة وساسة جيش الاحتلال الفرنسي من ملاحظات ومعلومات وأخبار حول شخصية الأمير عبد القادر الجزائري تبقى ضرورية في فهم طرق التفكير التي اعتمدها فرنسا في التعامل مع الأمير عبد القادر ومقاومته لها والتي دامت قرابة 17 سنة، ومن النتائج التي توصلنا إليها أن تناول هذا الموضوع يتيح الفرصة للباحثين لمعرفة مادته الوثائقية وجوانبه الغامضة، وإدراك ومعرفة السياسات والاساليب التي اعتمدها فرنسا في تعاملها مع الامير حسب ما يخدم مصالحها.

- أسهمت كتابات الفرنسيين كثيرا في أهلية الأمير عبد القادر للقيادة والسيادة، ابتدأها في بيئة علم وسلطة روحية لإحدى أشهر الطرق الصوفية، وتشربه لأخلاق فاضلة من ولديه (الإحسان والتسامح) هذا المناخ التربوي ساهم في صقل شخصيته العلمية والفكرية والتأملية، وفي نفس الوقت تمكن من اكتساب مهارات الفارس المحارب وهو في سن مبكر وقوة عقلية وروحية متمرسة ومنتزعة والتزام الأمير بالعهود والمواثيق.

- كفاءة الأمير في القيادة والتسيير والتدبير واستثمار الجهد الوطني تنظيميا وحرابا لمعادلة فارق القوة مع الاحتلال، وانفردت وتميزت شخصية الامير عبد القادر عن اقرانه من شيوخ القبائل العربية، رغم ظهور عدة زعامات مثل سيدي العربي ومصطفى بن إسماعيل، المزاري، الغماري، بن نونة وغيرهم كثير، فإنه تجاوزها كلها، كونه شخصية وطنية جامعة ليس هذا فقط، وإنما باستقلالية تامة بعيدا عن أي تأثير من الإدارة الاستعمارية، وأن كل

ما يربطه بهذه الأخيرة يجب أن يكون ضمن محادثات ندية واتفاقيات مكتوبة ومختومة ملزمة للطرفين. إن هذه الاستراتيجية المتخذة من طرف الأمير عبد القادر سواء السياسية أو العسكرية -تشرف أي جنرال فرنسي- إذ فاق بها كثيرا من الأمراء الأوروبيين.

- الأمير قعد لقومية عربية جزائرية ضمن منظومة أخلاقية ربط فيها الحاكم والمحكوم بضوابط تسيير الشأن العام وشأن الفرد كذلك، شملته هو شخصا فنجده لا يصدر قرارا سياسيا إلا بعد مشاورات موسعة مع أركان دولته، وقد تشمل حتى استشارات لعلماء خارج دولته، ليضفي عليها صفة الإجماع -لإفحام القبائل والطرق المناوئة- أكثر منه استقصاء فقها أو سياسيا (نجد هذا في المعاهدات، محاولة دو صال التصديق على بنود إضافية، وكذلك في فتاوى الضرائب "معونة الحرب" ودخول المسلمين تحت أيدي الكفار) لذا خلصت بعض كتاباتهم إلى أن موت الأمير لا يصنع فرقا للفرنسيين، فالمنطق يوحي بذلك والتاريخ يعضده، والرومان خاضوا معارك غير منتهية قديما في شمال إفريقيا رغم عدم وجود معطى قويا للصراع المسيحي الإسلامي.

- تجمع أغلب هذه الكتابات أن معاهدات (دي ميشال 17 شوال 1249هـ/26 فيفري 1834 والتافنة 24 صفر 1253هـ/30 ماي 1837) مع الأمير عبد القادر هي من خلقت سلطة الأمير أو أكسبتها الشرعية (الظروف ساعدته على الظهور) وذهبوا الى القول إن ذلك حول الأمير من مرابط بسيط إلى أمير للمؤمنين، أصبح معها يوغرطة العصر. مما جعلها تجمع أغلب الكتابات على نقض هذه المعاهدات عدا النزر اليسير منها مثل دي ميشال وديسجوير.

- قدمت كتابات الفرنسيين (مصادر مساعدة دون أن تتناول سيرة الأمير عبد القادر) على رسم لوحة للجزائر لأهم مميزات تضاريس البلد الطبيعية، ثم للتوزع السكاني حسب كل بيئة وخصوصيتها الاجتماعية الاقتصادية والسياسية، في الفترة الأولى للاحتلال، تعد وثيقة مرجعية لتوصيف جغرافية الجزائر وطبيعتها التوزع السكاني (القبائل المكونة للنسيج الديموغرافي) فيها مع بداية الاحتلال. وتشير إلى نقطة دقيقة وشديدة الأهمية بأن القبائل الجزائرية سواء كانت مقيمة أو رحالة، تسكن المنازل أو الخيام، في السهول أو الجبال أو في الصحراء، فإنه يحكمها النشاط الاقتصادي: الزراعة والرعي والتبادل التجاري على وجه الخصوص، تضبط مجالها الحيوي ضمن نطاق جغرافي محدد لا يتغير، والقبائل الرحالة

حركتها دورية ثابتة على مدار السنة صيفا وشتاء، أي لها وطن خاص بها. وأن الشعب الجزائري متجذر في أرضه ولا توجد في الجزائر قبائل من ليس لهم وطن. وهذه الكتابات ناقضت ما كان يذهب إليه بعض المؤرخين الفرنسيين.

- شهدت كتابات الفرنسيين على مدار القرن التاسع عشر تطابق بعض المؤلفات في نقل سيرة الأمير عبد القادر أو النسخ الحرفي من مؤلفات آخرين، وإن لم تسلم معظم كتابات الفرنسيين خلال القرن التاسع عشر من هذه الثلثة، مثل ما أورده دي ميشال في كتابه يعيده بيليسي في حولياته بنفس الترتيب أحيانا وبنفس العناوين، وهذا الأخير نقل عنه غالبيير Galibert صفحات كاملة ويصدق نفس الأمير على بيشون مع بلمار.

- السيرة المهنية للمؤلفين الفرنسيين إبان القرن التاسع عشر تتداخل فيما بينها كثيرا وبنسب متفاوتة مثل (الصحفي والعسكري، الصحفي والسياسي، المؤرخ والسياسي والعسكري، الطبيب والعسكري، الأديب والسياسي، ...) وإن حاولنا إطلاق الصفة الغالبة على السيرة المهنية للكاتب، لكن "الخلفية العسكرية" رائدة وهي الصفة الغالبة لمعظم المؤلفين، والسيرة المهنية للكاتب لها بصمتها الواضحة في التشابه والاختلاف سواء في كتابة تاريخ الجزائر والاحتلال عموما أو عن الأمير عبد القادر خصوصا.

- مراجعة قتال الأشقاء خصوصا شيخ التجانيين ضمن منظور فقهي وسياسي وحربي وكذلك استخباراتي، وإيجاد بدائل عن المواجهة بتفويضها مهمة التعليم مثلا كما فعل مع شيخ الرحمانية. والدور الفرنسي في ذلك بتحديد لمقاطعات أساسية كبرى مثل قسنطينة والصحراء (الأولى بعد سقوط أحمد باي والثانية بعد المواجهة مع شيخ التجانيين) لم تعد معها سلطة الأمير على هذه المناطق سوى اسمية منها جهادية، والظاهر أن الدور الفرنسي في تأجيج هذا الصراع يستشف من أسطر قليلة جدا لكتابات عديدة أرخ لها الفرنسيون.

- الاستزادة في طلب العلم رغم الرصيد المعرفي الذي حازه الأمير عبد القادر، فقد كان يحتقر كل غوايات الحياة الدنيا من أجل طلب العلم، لذلك أعطى كل وقته للدراسة المتواصلة المتأنية، تنبئ عن ذلك تلك العلاقة الوطيدة والحميمية بين الأمير عبد القادر والمكتبة، فالرسالة التعليمية ما انفك عنها منذ أن كان طالبا بالقيطنة، واستمر عليها وهو أميرا بين جنوده ورعيته، وحتى في أسره، وحين استقراره بالمشرق ضبط ساعات يومه على هذه الرسالة النبيلة.

- ما يؤخذ على السياسة التعليمية للأمير عبد القادر أنها وإن حاولت مواكبة التطور الحاصل على صعيد التقنية المتطورة -خصوصا في جانبها الحربي- فإنها أغفلت بعض جوانبها الثقافية وبالأساس تعلم اللغة الفرنسية (لأنها لغة العدو تحديدا ومقتضيات المواجهة المباشرة معه حربا وسلما)، وكان طول مدة المواجهة يفرض عليه تكوين قسم من المترجمين الجزائريين، يستطيع بهم الولوج إلى فهم الآخر ويفقه حضارتهم، فإن نصف النصر معرفة عدوك أكثر من نفسك، على شاكلة ما فعله الفرنسيون بإنشاء هيئة المترجمين العسكريين ومن بعدها المكاتب العربية، كانت بالضرورة تجنبه الاستعانة بالفرنسيين أمثال روش وأدواره الجاسوسية في تفويض دولته.

- إن الوضعية الأخلاقية للأمير عبد القادر الجزائري فرضت نفسها على الكتاب الفرنسيين، ولم تجد هذه الكتابات بدا سوى أن تقر أن فرنسا لا تجد رجلا من أبنائها في خصاله، ولم تثبت هذه الكتابات ولو شبهة بسيطة تخدش نزاهة الأمير عبد القادر خصوصا تصرفه في المال العام. في حين كالت هذه الكتابات عدة اتهامات لأكبر قادة الحرب الفرنسيين أمثال بوجو وكولزل.

- كتابات الفرنسيين في هذه المرحلة من المقاومة وإن كانت تعزى للعسكريين بالدرجة الأولى، لكننا حاولنا التنوع باستقصاء كتابات أخرى لها رؤية غير نمطية على شاكلة "الافتخار بالجيش الفرنسي وانجازاته" تبرق لنا ومضات مغايرة للاتجاه العام لكثير من الكتابات خصوصا لدى كتاب سير العسكريين والاحتلال، يمكن اعتبار هذه المصادر وثائق مرجعية -شهد شاهد من أهلها- تدين الجرائم الوحشية التي قام بها الجيش الفرنسي ضد الجزائريين في تلك المرحلة.

- سمحت لنا هذه الكتابات بحفظ رصيد هام من تاريخ الأمير عبد القادر والجزائر عموما ولفترات متباينة على امتداد القرن التاسع عشر، يمكن عدها كمادة خام لعدة دراسات أخرى تخص الأمير عبد القادر تحديدا.

- خصوصية الأمير عبد القادر أو بالأحرى فضله تتمثل في أنه قدم مفاتيح لنهضة وطنية، مجتمعية، سياسية، اقتصادية، عسكرية، إدارية، قانونية، دبلوماسية وكذا ثقافية تساهم بامتلاك تاريخنا وتحكمنا في مستقبلنا. الاعتراف بالجميل بإعادة توظيف هذا الصرح الأميري

## ﺧﺎﺗﻤﺔ

---

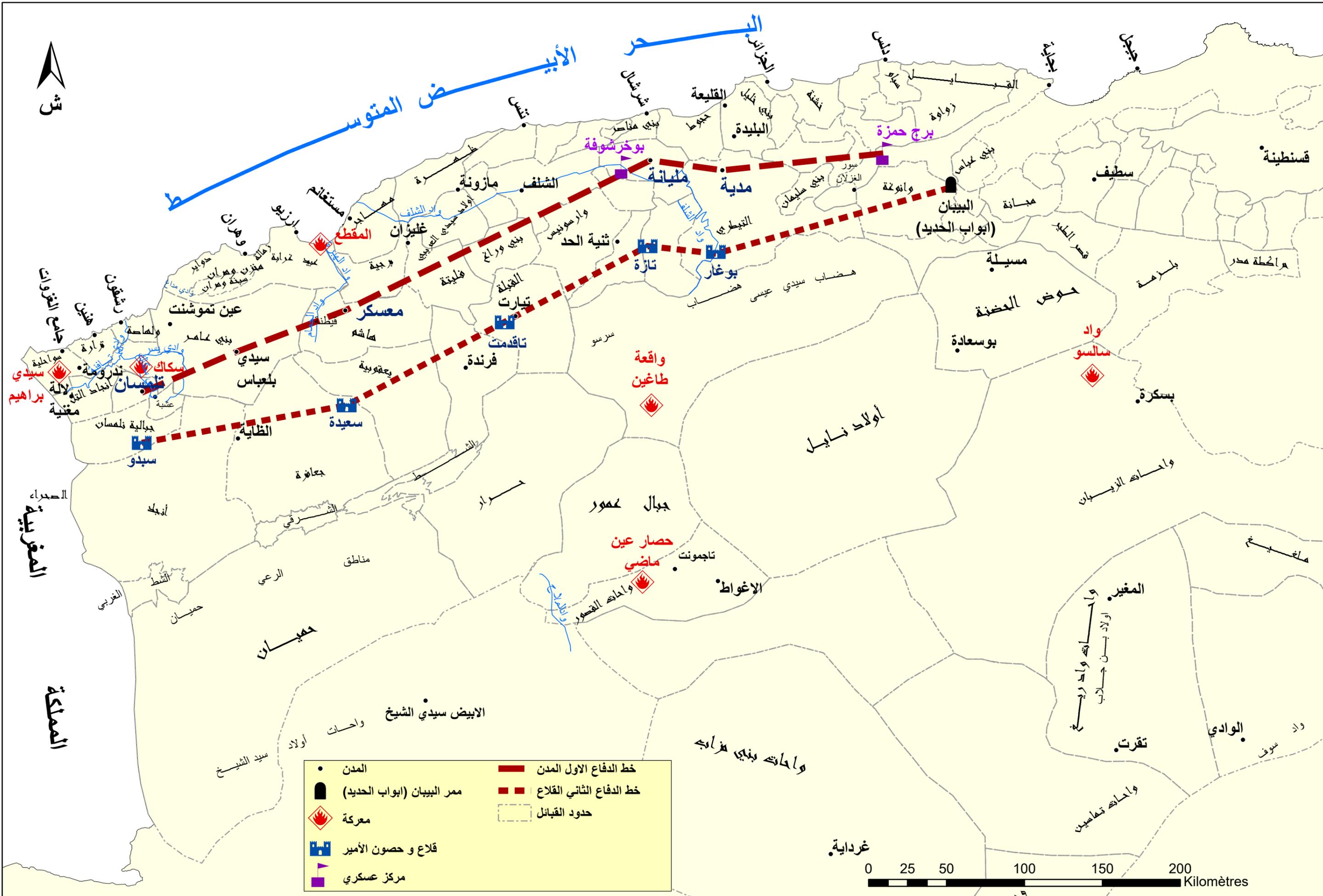
ﺿﻤﻦ ﻣﻨﻈﻮﻣﺘﻨﺎ ﺗﻌﻠﯿﻤﯿﺔ ﻭﺍﻟﺘﻘﺎﻓﯿﺔ، ﻭﺧﻠﻖ ﻧﺨﺒﺔ ﻓﻜﺮﯨﺔ ﻭﺳﯿﺎﺳﯿﺔ ﺃﻣﯿﺮﯨﺔ، ﺗﻜﻮﻥ ﻓﯿﻪ ﺍﻟﺠﺰﺍﺋﺮ ﺭﺍﺋﺪﺓ ﻟﺪﻭﺭﺓ ﺣﺰﺍﺭﯨﺔ ﻣﻦ ﻋﻤﺮ ﺍﻟﺒﺸﺎﺭﯨﺔ.

ملاحق

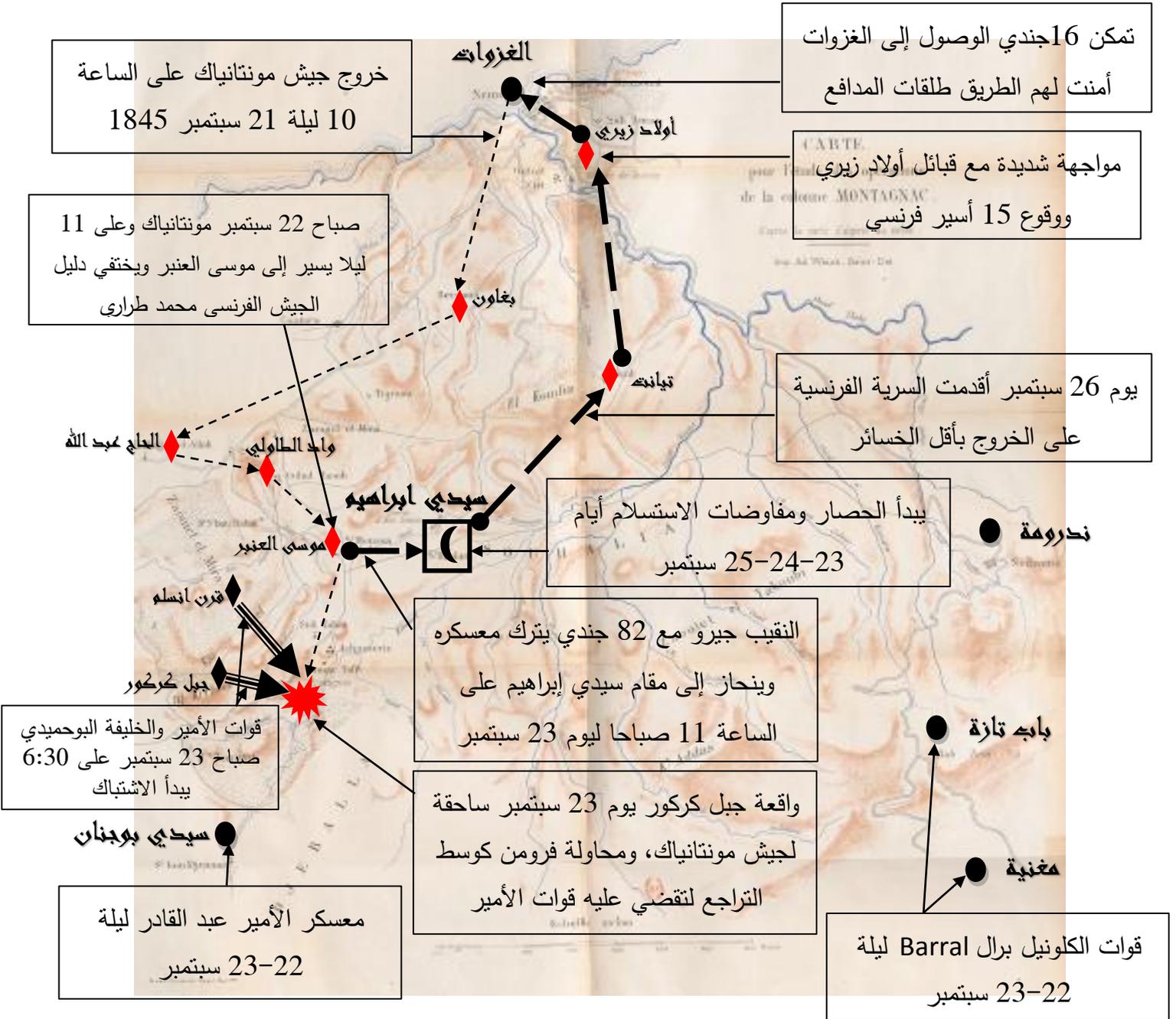
## فهرس الملاحق

- الملحق رقم 1: خريطة استراتيجية الأمير عبد القادر الدفاعية والقتالية (انجاز الطالب الباحث)
- الملحق رقم 2: خريطة توضيحية لمجريات معركة سيدي إبراهيم (انجاز الطالب الباحث)
- الملحق رقم 3: خريطة توضيحية لمعسكر الأمير عبد القادر "بوخرشوفة" بنواحي مليانة
- الملحق رقم 4: صور شخصية للأمير عبد القادر في كتابات الفرنسيين
- مرحلة المقاومة 1830-1847
- الملحق رقم 5: صور شخصية للأمير عبد القادر في كتابات الفرنسيين
- مرحلة الأسر 1848-1852
- الملحق رقم 6: صور شخصية للأمير عبد القادر في كتابات الفرنسيين
- مرحلة (بروصه والشام) 1852-1883
- الملحق رقم 7: صور شخصية للأمير عبد القادر في كتابات الفرنسيين
- المرحلة الأخيرة من وفاته إلى نهاية القرن 1883-1900
- الملحق رقم 8: صور شخصية لمؤلفين فرنسيين إبان القرن 19م مرحلة المقاومة
- الملحق رقم 9: صور شخصية لمؤلفين فرنسيين إبان القرن 19م مرحلة الأسر والمنفى
- الملحق رقم 10: صور شخصية لمؤلفين فرنسيين إبان القرن 19م 1883-1900
- الملحق رقم 11: بعض صور ملتقطة لدار الامارة ومصنع الأسلحة بمليانة
- الملحق رقم 12: نماذج من الأسلحة المعروضة بمصنع الأسلحة بمليانة وكذلك مقام سيدي إبراهيم بتلمسان.
- الملحق رقم 13: واجهات لبعض مؤلفات الفرنسيين المدروسة. مرحلة المقاومة
- الملحق رقم 14: واجهات لبعض مؤلفات الفرنسيين المدروسة مرحلة الأسر
- الملحق رقم 15: واجهات لبعض مؤلفات الفرنسيين المدروسة مرحلة المنفى
- الملحق رقم 16: واجهات لبعض مؤلفات الفرنسيين المدروسة 1883-1900

# الملحق رقم 1: استراتيجية الأمير عبد القادر الدفاعية والقتالية (انجاز الطالب الباحث)



## الملحق رقم 2: خريطة توضيحية لمجريات معركة سيدي إبراهيم<sup>1</sup> (انجاز الطالب الباحث)



المصادر: <sup>1</sup>

Le Sergent Lavayssière, **Le combat de Sidi-Brahim et le sergent Lavayssière (23, 24, 25 septembre 1845)**, Typographie De delattre -Lenoel, Amiens, 1883. &

Jacques-Louis Pègues, **combat de Sidi-Brahim**, Imprimerie Baldachino-macon-viguiier, Alger, 1887. &

Paul Azan, **Sidi-Brahim**, Revue d'histoire, Etat-major des armées (Service historique), N49, 17<sup>ème</sup> Volume, VII Année, Chapelot et Cie, Paris, 1905, pp 85-102,412-457,638-681.

### الملحق رقم 3: خريطة توضيحية لمعسكر الأمير عبد القادر "بوخرشوفة" بنواحي مليانة

تبرز ضواحي الجزائر سهل متيجة، مدن بليدة، مديّة، مليانة، ومركز بوخرشوفة العسكري للأمير عبد القادر على سهل مليانة -إلى الجنوب الغربي- على الضفة اليمنى لواد شلف معلم بالراية.<sup>2</sup> وكذلك يؤكد ليون روش (وتجد بعض الكتابات المتأخرة تذكر هذا المركز بنواحي معسكر)



المصدر:<sup>2</sup>

Achille-Hippolyte Blanc, **Notes sur le théâtre des opérations militaires dans le centre de l'Algérie**, Imprimerie de Bourgogne et Martinet, Paris, 1840, p25. &

Léon Roches, op cit, p 171

الملحق رقم 4: صور شخصية للأمير عبد القادر في كتابات الفرنسيين  
مرحلة المقاومة 1830-1847



المصدر:

Jacob Henri, *Le Songe d'Abd-el-Kader*, Gaffney Imprimeur, 1844, p1.



المصدر:

Clara Filleul de Pétigny, op cit, p1.

الملحق رقم 5: صور شخصية للأمير عبد القادر في كتابات الفرنسيين  
مرحلة الأسر 1848-1852



المصدر:

Pitois Christian, op cit, p237.



المصدر:

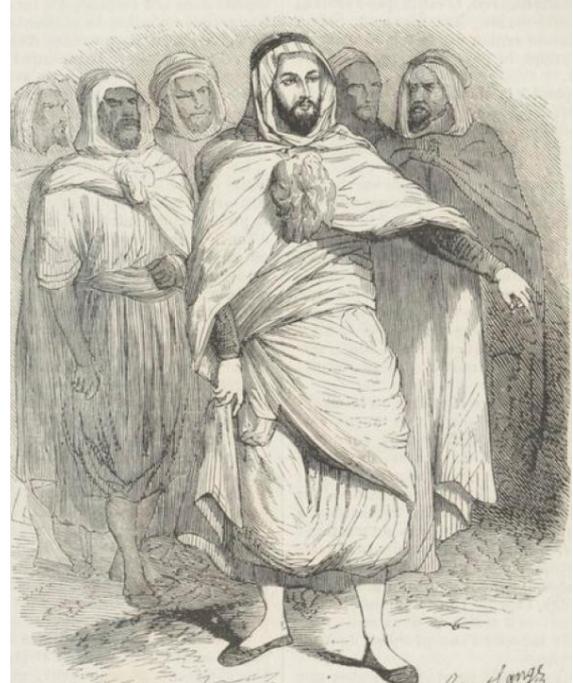
Maurin A e, Abd-el-Kader D'après un dessin  
fait au Fort Lamalgue, gallica.bnf.fr, consulté  
le 31/12/2022 à 15:47.

الملحق رقم 6: صور شخصية للأمير عبد القادر في كتابات الفرنسيين  
مرحلة (بروصه والشام) 1852-1883



المصدر:

Eugène Civry, op cit, p7.



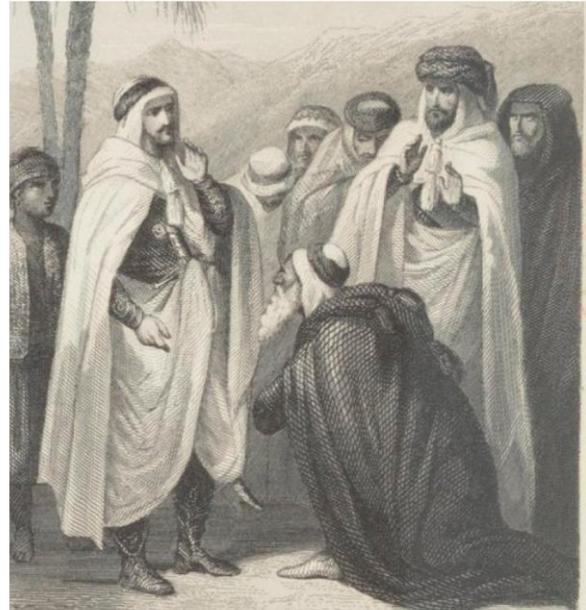
المصدر:

Léon Plée, **Abd-el-Kader**, Gustave Barba libraire-éditeur, Paris, 1874, p49.



المصدر:

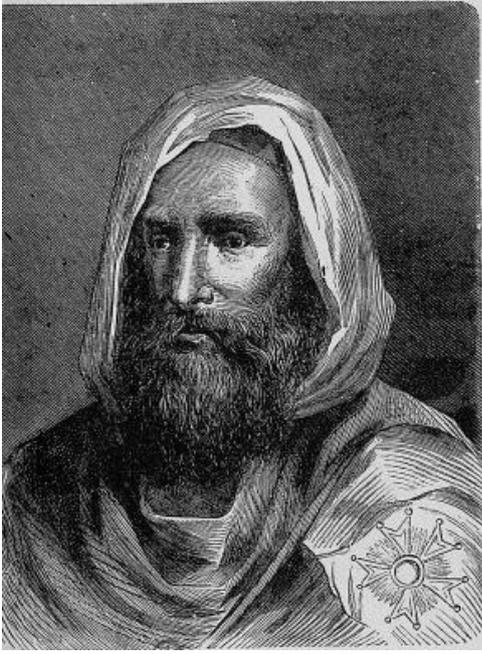
Léon Plée, op cit, p75.



المصدر

Céline Fallet, op cit, p1.

الملحق رقم 7: صور شخصية للأمير عبد القادر في كتابات الفرنسيين  
المرحلة الأخيرة من وفاته إلى نهاية القرن 1883-1900



المصدر:

Frédéric Kohn-Abrest, op cit, p145.



المصدر:

André Berthet, op cit, p35.



المصدر:

Jules Renard, Histoire de l'Algérie racontée aux petits enfants, op cit, p207.



المصدر:

Léon Roches, Trente-deux ans à travers l'Islam (1832-1864), op cit, p 201.

الملحق رقم 8: صور شخصية لمؤلفين فرنسيين إبان القرن 19م مرحلة المقاومة

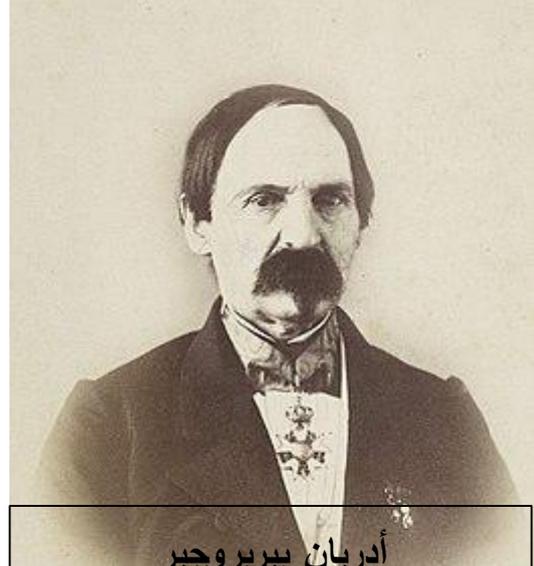


لويس فليبير برين دوبينيوسك

**Louis-Philibert Brun D'Aubignosc**

المصدر:

wikipedia.org/wiki/Louis-Philibert\_d%27Aubignosc,  
consulté le 31/12/2022 à 18 :48



أدريان بيربروجير

**Adrien Berbrugger**

المصدر:

gallica.bnf.fr/ark:/12148/btv1b8449997c  
/f1.item consulté le 31/12/2022 à 18:42



لويس ألكسيس دي ميشال

**Louis Alexis Desmichels**

المصدر:

wikipedia.org/wiki/Louis\_Alexis\_Desmichels  
consulté le 31/12/2022 à 18:38



كلارا فيال دي بتيني

**Clara Filleul de Pétigny**

المصدر:

wikipedia.org/wiki/Clara\_Filleul,  
consulté le 31/12/2022 à 16 :57.

الملحق رقم 9: صور شخصية لمؤلفين فرنسيين إبان القرن 19م مرحلة الأسر والمنفى



لويس بلان Louis Blanc

المصدر:

Louis Blanc, op cit, p6



رتشارد كورتومبير

Richard Cortambert

المصدر:

Richard Cortambert, Nouvelle Histoire des Voyages, Librairie Illustrée, Paris, SD, p 1



أنطوان أدولف دوبوش

Antoine-Adolphe Dupuch

المصدر:

data.bnf.fr/10721861/antoine-adolphe\_dupuch/,  
consulté le 31/12/2022 à 19 :01



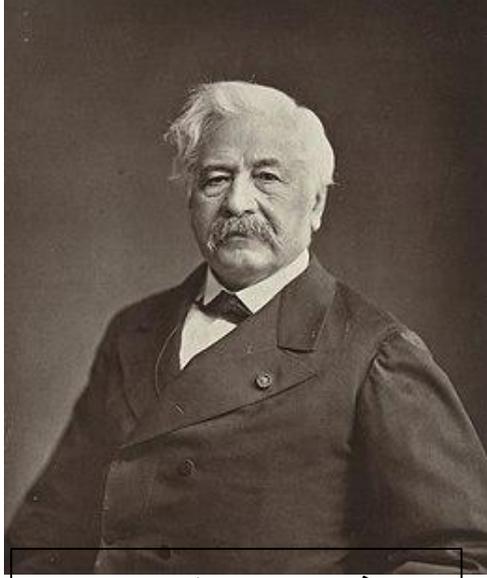
بيليسي دي رينو

Edmond Pellissier de Reynaud

المصدر:

Edmond Pellissier de Reynaud, Annales Algériennes, Tome Premier, Éditeur Bouchene, Paris, 2019, page de garde.

الملحق رقم 10: صور شخصية لمؤلفين فرنسيين إبان القرن 19م (1883-1900)



فرديناند دي ليسبس  
Ferdinand De Lesseps

المصدر:  
wikipedia.org/wiki/Ferdinand\_de\_Lesseps,  
consulté Le 31/12/2022 à 16:51.



ليون روش  
Léon Roches

المصدر:  
Alpinus, op cit, p1



بول غفارييل  
Paul Gaffarel

gallica.bnf.fr/ark:/12148/btv1b8450821c/  
f1.item consulté le 05/01/2023 à 23 :29



فرانسوا شارل دي برال  
François-Charles Du Barail

المصدر:  
François-Charles Du Barail, op cit, p4

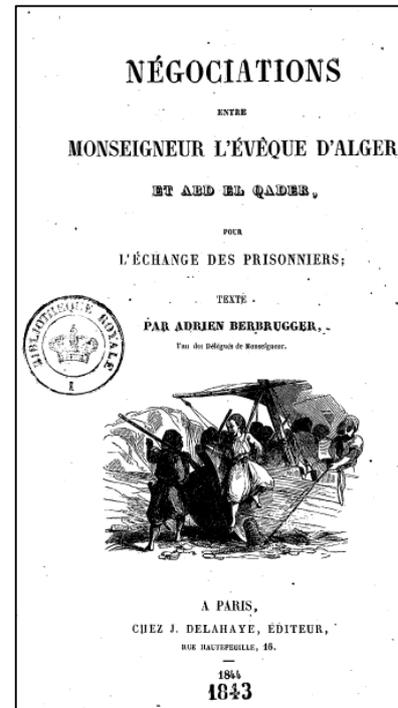
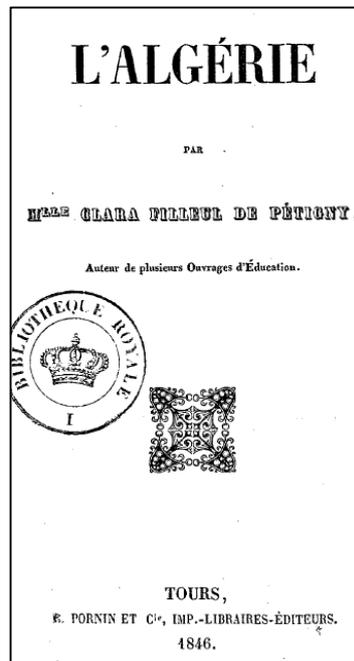
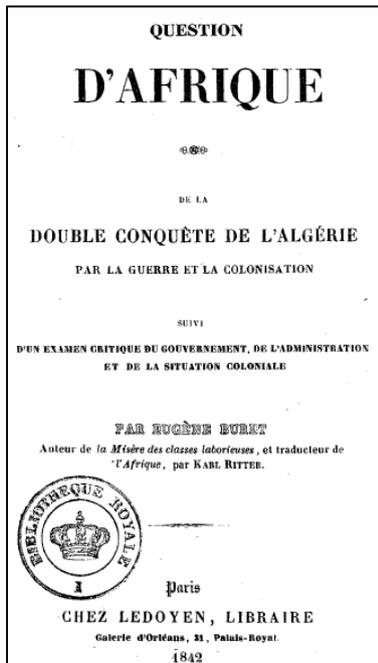
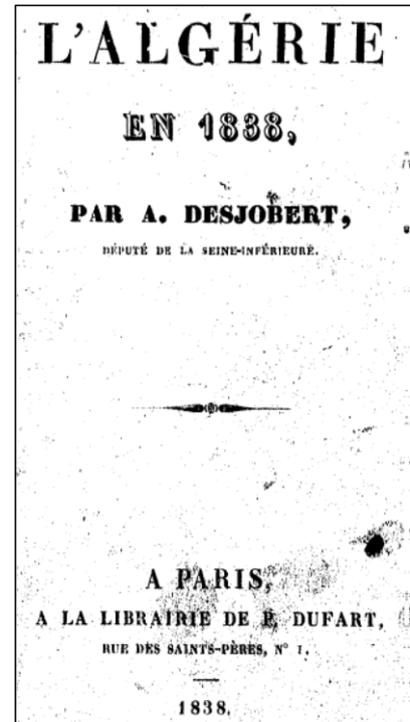
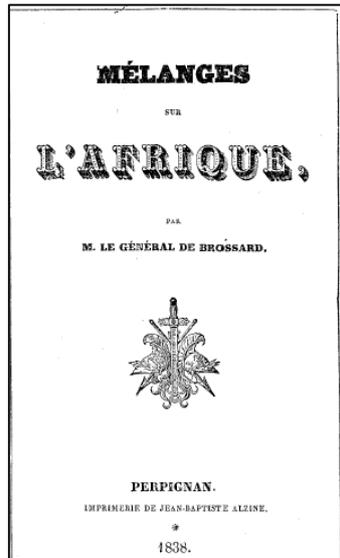
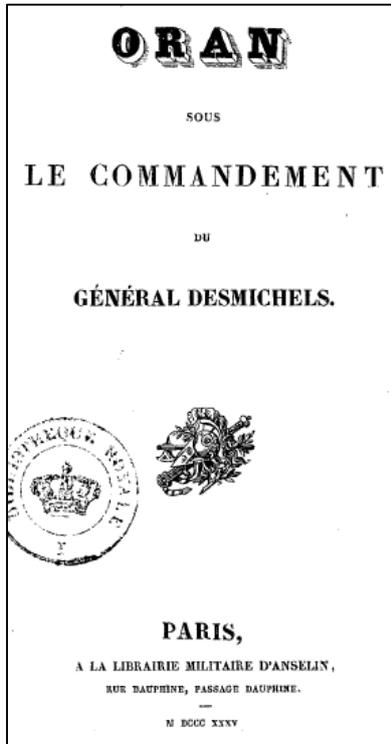
الملحق رقم 11: بعض صور ملتقطة لدار الامارة ومصنع الأسلحة بمليانة



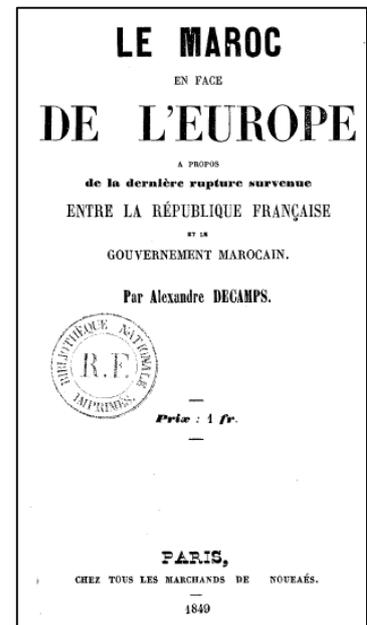
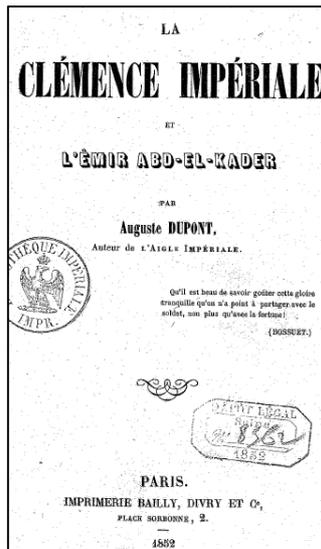
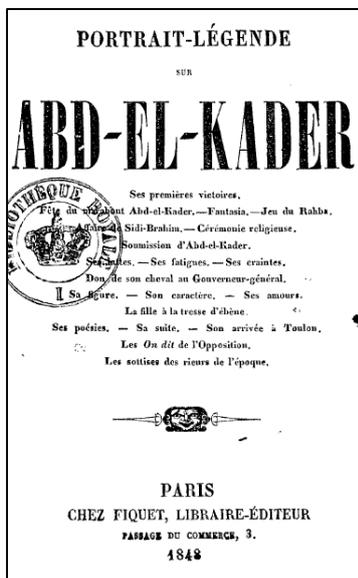
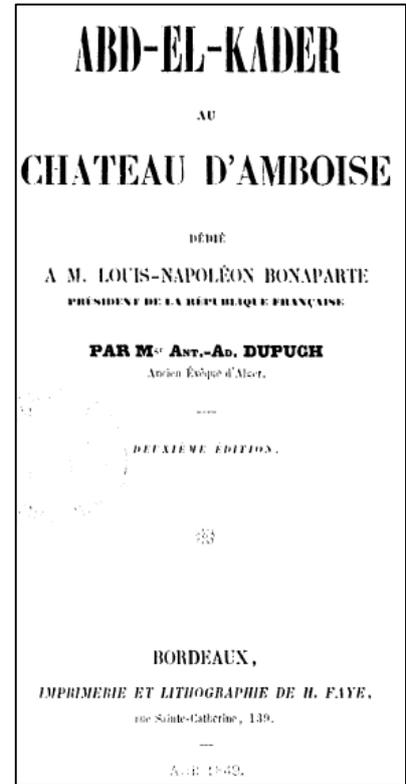
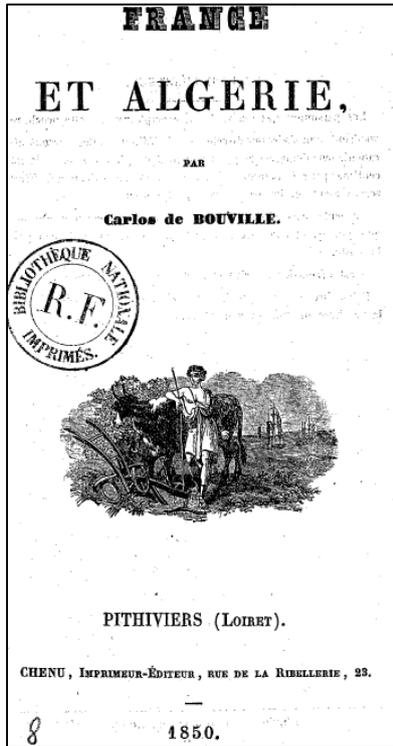
الملحق رقم 12: نماذج من الأسلحة المعروضة بمصنع الأسلحة بمليانة وكذلك مقام سيدي إبراهيم بتلمسان



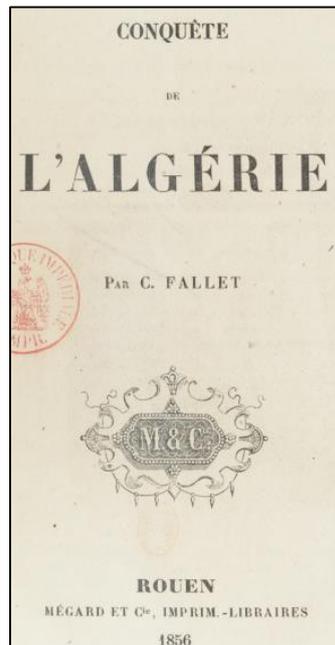
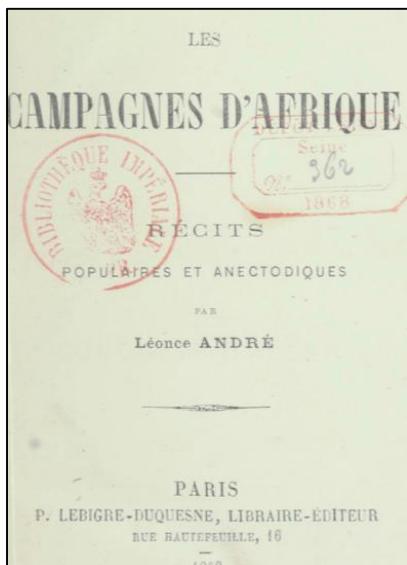
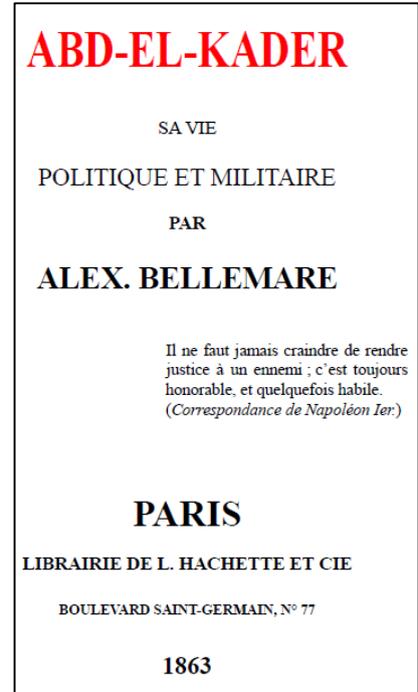
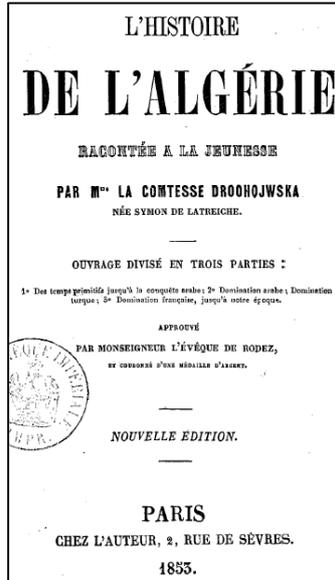
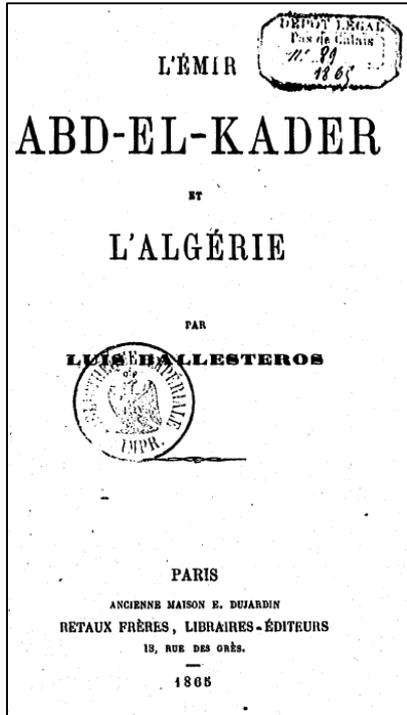
الملحق رقم 13: واجهات لبعض مؤلفات الفرنسيين المدروسة. مرحلة المقاومة



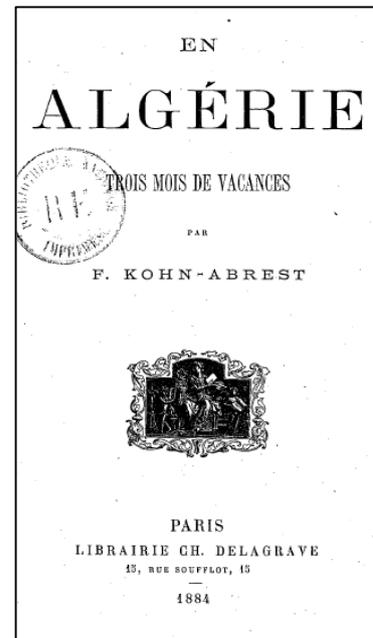
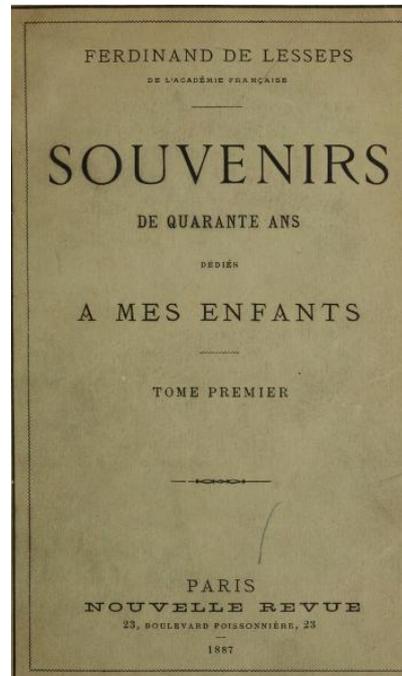
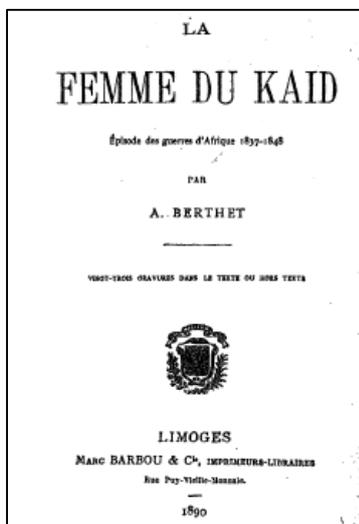
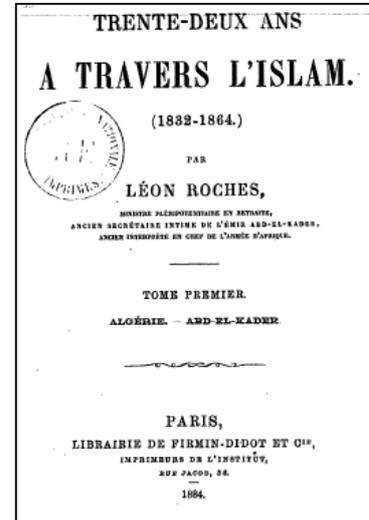
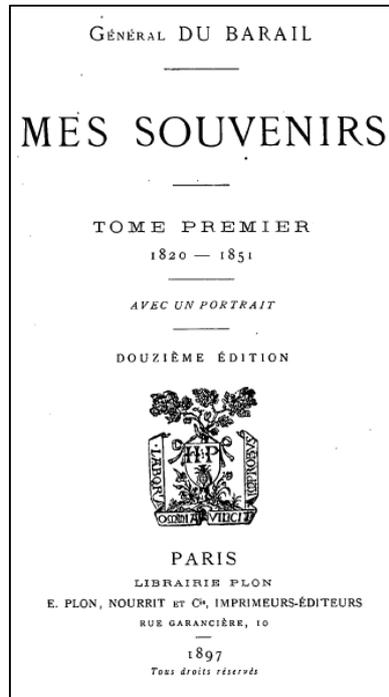
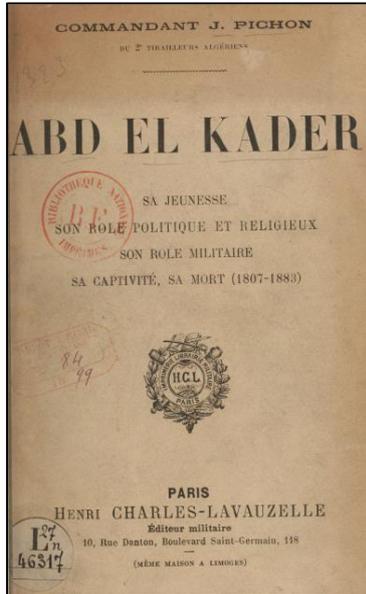
الملحق رقم 14: واجهات لبعض مؤلفات الفرنسيين المدروسة مرحلة الأسر



الملحق رقم 15: واجهات لبعض مؤلفات الفرنسيين المدروسة مرحلة المنفى



الملحق رقم 16: واجهات لبعض مؤلفات الفرنسيين المدروسة 1883-1900



# قائمة المصادر والمراجع

❖ القرآن الكريم برواية ورش

❖ البخاري أبي عبد الله، صحيح البخاري، الأجزاء 1-2-3، الطبعة 1، مكتبة الصفا،

القاهرة، 2003.

### 1. المصادر الخاصة

- 1- Abbé Henry, Sidi Brahim 23, 24 & 25 Septembre 1845, Imprimerie Renvé-Lallement, 1899.
- 2- Alby Ernest, Histoire des prisonniers français en Afrique depuis la conquête, Tome I, Desessart. Editeur, Paris, 1847.
- 3- \_\_\_\_\_, Histoire des prisonniers français en Afrique depuis la conquête, Tome II, G. Olivier. Editeur, Paris, 1847.
- 4- Alpinus, Quelques pages sur Léon Roches, Imprimerie Allier frères, Grenoble, 1898.
- 5- Andrieu Henri, Petite Histoire de l'Algérie suivie d'un panthéon Algérien, à l'usage des écoles primaires, Imprimerie A Legendre éditeur, Miliana, 1894
- 6- Andry Félix, L'Algérie promenade historique et topographique, Librairie de J. lefort Imprimeur-éditeur, Paris, 1894.
- 7- Arlanges Joseph, Lettres du général d'Arlanges à M le président de la Chambre des députés en réponse au discours de M le rapporteur de la commission des crédits supplémentaires, Imprimerie de Bourgogne et Martinet, Paris, 1837.
- 8- Aumal le Duc, Notice sur l'expédition qui s'est terminée par la prise de la smala d'Abd El Kader le 16 mai 1843, Vinchon Imprimeur des musées royaux, Paris, 1843.
- 9- Ayral J-L de la Lozère, Histoire de la guerre d'Afrique, ou Conquête de l'Algérie par les français : contenant le détail des expéditions... depuis 1830 jusqu'à 1843..., P. Veirun Imprimeur-Libraire, Alais, 1843.
- 10- Ballesteros Luis, L'émir Abd-el-Kader et l'Algérie, Ancien Maison E. Dujardin, Paris, 1865.
- 11- Barail F-C, Mes souvenirs, T1 1820-1851, Librairie Plon, Paris, 1897
- 12- Baraudon Alfred, Algérie et Tunisie récits de voyage et études, E Plon Nourrit et Cie imprimeur-éditeur, 1893.
- 13- Barbier Jean, Itinéraire historique et descriptif de l'Algérie, Librairie de L hachette et Cie, Paris, 1855.

- 14- Barrère Joseph (L'abbé), Le Général de Tartas, Dentu Libraire-éditeur, Paris, 1860
- 15- Baudens Lucien, Relation historique de l'expédition de Tagdempt, Germer-Baillièrre Libraire-éditeur, Paris, 1841.
- 16- Baudicour Louis, La guerre et le gouvernement de l'Algérie, Sagnier et Bray Libraires-éditeurs, Paris, 1853.
- 17- Bellemare Alex, Abd-el-kader sa vie politique et militaire, librairie hachette et cie, Paris, 1863.
- 18- Bérard Victor, Indicateur général de l'Algérie, description géographique, statistique et historique de toutes les localités comprises dans les trois provinces, Bastide Libraire- Editeur, Alger, 1867.
- 19- Berbrugger Adrien, Négociations entre Monseigneur l'évêque d'Alger et Abd el Kader pour l'échange des prisonniers, Delahaye. J éditeur, Paris, 1844.
- 20- \_\_\_\_\_, Relation de l'expédition de Mascara, Delaunay Libraire Palais-royal, Paris, 1836.
- 21- \_\_\_\_\_, Voyage au camp d'Abd-el-Kader, à Hamzah et aux montagnes de Wannourhah (province de Constantine), en décembre 1837 et janvier 1838, Imprimerie d'Eugène Aurel, Toulon, 1839.
- 22- Berteuil Arsène, L'Algérie française, mœurs, coutumes, industrie, Agriculture, Tome 1, Dentu Libraire-éditeur, Paris, 1856.
- 23- \_\_\_\_\_, L'Algérie française, mœurs, coutumes, industrie, Agriculture, Tome 2, Dentu Libraire-éditeur, Paris, 1856.
- 24- Bertherand Émile, Médecine et hygiène des Arabes, Germer Baillièrre, Paris, 1855.
- 25- Berthet André, La femme du Kaïd épisode des guerres d'Afrique 1837-1848, marc Barbou & Cie Imprimeurs-Libraires, Limoges, 1890.
- 26- Bertrand Hermès, La smalah, Saint-Anand Imprimerie de Destenay, 1866.
- 27- Blanc Achille-Hippolyte, De l'Algérie Système du duc de Rovigo en 1832 Moyens d'affermir nos possessions en 1840, Imprimerie de Bourgogne et Martinet, Paris, 1840.
- 28- \_\_\_\_\_, Notes sur le théâtre des opérations militaires dans le centre de l'Algérie, Imprimerie de Bourgogne et Martinet, Paris, 1840.
- 29- Blanc Alphonse-Michel, Récit d'un officier d'Afrique, Alfred Mame et Fils Editeur, Paris, sans date

- 30- \_\_\_\_\_, Souvenirs d'un vieux zouave, Tome I, G Téqui Libraire-éditeur, Paris, 1880.
- 31- \_\_\_\_\_, Souvenirs d'un vieux zouave, Tome second, G Téqui Libraire-éditeur, Paris, 1880.
- 32- Blanc Louis, Histoire de dix ans (1830-1840), F. D Jeanmaire éditeur, 1882.
- 33- Bongrain Maurice, Les captifs de la Deïra d'Abd-el-Kader Sidi-Brahim et Sidi-Moussa (1845-1846) souvenirs de la vie militaire en Afrique, Librairie de L. Lefort, Paris, 1864.
- 34- Bouville Carlos, France et Algérie, Chenu Imprimeur-éditeur, Loiret, 1850.
- 35- Brossard Amédée Hippolyte, Mélanges sur l'Afrique, Imprimerie de Jean Baptiste-Alzine, Perpignan, 1838.
- 36- \_\_\_\_\_, Quatre-vingt-deux jours de commandement de la province d'Oran, Imprimerie de Jean-Baptiste Alzine, Perpignan, 1838.
- 37- Bugeaud Thomas-Robert, Biographie du Maréchal Bugeaud, Imprimerie d'Emile Grugy, Bordeaux, 1849.
- 38- \_\_\_\_\_, de la colonisation de l'Algérie, A Guyot Imprimeur du Roi, Paris, 1847.
- 39- \_\_\_\_\_, Gouvernement de M. le maréchal duc d'Isly en Algérie (ses circulaires), Imprimerie Administrative de Paul Dupont, Paris, 1848.
- 40- \_\_\_\_\_, Mémoire sur notre établissement dans la province d'Oran par suite de la paix, Gaultier-Laguionie Imprimeur, Paris, 1838.
- 41- \_\_\_\_\_, Œuvres militaires du maréchal Bugeaud, réunies et mises en ordre par Weil, Librairie Militaire de L. Baudoin et Ce, 1883.
- 42- \_\_\_\_\_, Simple Document sur l'Afrique, par un officier attaché à l'armée d'Afrique, sous le premier commandement de M. le maréchal Clausel (T.-R. Bugeaud), Imprimerie de L-E Herhan et Bimont, 1838.
- 43- Buret Eugène, Question d'Afrique. De la double conquête de l'Algérie par la guerre et la colonisation, Ledoyen Libraire, Paris, 1842.
- 44- Cabasse Charles-Jules, Relation Médico-chirurgicale de la captivité des prisonniers Français chez les Arabes, Rignoux, Paris, 1848.
- 45- Carette Ernest & WARNIER Auguste, Description et division de l'Algérie, librairie de L. Hachette et Cie, Alger, 1847.
- 46- Cavaignac Eugène, La Régence d'Alger notes sur l'occupation, Victor Magen éditeur, Paris, 1839.

- 47- Cerfberr Auguste-Édouard, Combat d'Aïn-Taguin, Prise de la Smala d'Abd-el-Kader, Aurillac Imp de Pieut, Paris, 1843.
- 48- Christian Pitois, L'Afrique Française, A. BARBIER, éditeur, Paris, 1851.
- 49- Civry Eugène, Napoléon III et Abd-el-kader charlemagne et Witikind, P. Martinon libraire-éditeur, Paris, 1853.
- 50- Cortambert Richard, Aventures d'un artiste dans le Liban Anecdotes – Mœurs – Paysages, E Maillet Libraire-éditeur, Paris, 1864.
- 51- Courcelle-Seneuil Jean-Léopold, Les massacres du Liban, Ch Albessard et Bérard Libraires-éditeurs, Paris, 1860.
- 52- Curez Léopold, Massacres d'Afrique hymne funèbre, Montlouis éditeur, Lyon, 1839.
- 53- D'Ardeuil Fumeron Marie Louis Maurice, Nouvelles observations sur la situation et l'avenir de nos possessions d'Afrique, Belin et Comp Imprimeurs, Paris, 1840.
- 54- D'Aubignosc L-P Brun, Alger De son occupation depuis la conquête en 1830, jusqu'au moment actuel, Appel au public impartial, Delaunay Dentu Au Palais Royal, Alger, 1836.
- 55- Daumas Eugène & Fabar Paul Dieudonné, La Grande Kabylie études historiques, librairie de L. Hachette et Cie, Paris, 1847.
- 56- Daumas Eugène, Mœurs et coutumes de l'Algérie : Tell, Kabylie, Sahara, librairie de L. Hachette et Cie, Paris, 1853.
- 57- \_\_\_\_\_, Renseignements historiques sur la Zmala d'Abd-el-Kader, tombée au pouvoir de S. A. Mgr le duc d'Aumale dans la ghazia exécutée le 16 Mai 1843 à Taguine, Imprimerie Lange Lévy et Compagnie, Paris, 1843.
- 58- De Castellane Sophie, Compagnes d'Afrique 1835-1848, Librairie Plon, Paris, 1898.
- 59- De Grieu René, Le Duc D'Aumale et L'Algérie, Blériot et Gautier, Libraire-Editeur, Paris, 1884.
- 60- De La Fruston F, Le maréchal Bugeaud considéré comme tacticien et stratégeste didactique, Librairie militaire de leneveu, Paris, 1861.
- 61- De Lesseps Ferdinand, Souvenirs de quarante ans, Tome Premier, Nouvelle Revue, Paris, 1887.
- 62- \_\_\_\_\_, Souvenirs de quarante ans, Tome Deuxième, Nouvelle Revue, Paris, 1887.

- 63- De Lyon César, Six année en Afrique combats, victoires et revers du 17me léger, Imprimerie de Boursy, Lyon. 1841.
- 64- De Montrond Maxime Fourcheux, Le Général de La Moricière, Libraire de L Lefort Imprimeur-éditeur, Paris, 1866.
- 65- De Saint Arnaud, Lettres du Marechal, Tome Second, Michel Lévy frères, Librairie- Editeurs, Paris, 1855.
- 66- \_\_\_\_\_, Lettres du Marechal 1832-1854, Tome Premier, Michel Lévy frères, Librairie- Editeurs, Paris, 1855.
- 67- De L De C, Vie de La Moricière Esquisse biographique, Eugène Ardant et Cie éditeur, Limoges, 1878.
- 68- Decamps Alexandre, Le Maroc en face de L'Europe, Chez Tous les Marchands De Noueaés, Paris, 1849.
- 69- Depont Octave & Coppolani Xavier, Les confréries religieuses musulmanes, Typographie et Lithographie Adolphe Jourdan, Alger, 1897.
- 70- Derrien Isidore, Les Français A Oran Depuis 1830 jusqu'au nos jours, Imprimerie J. Nicot, Oran, 1886.
- 71- Desjobert Amédée, La Question d'Alger politique colonisation commerce, P. Dufart libraire, Paris, 1837.
- 72- \_\_\_\_\_, L'Algérie en 1838, la Librairie de P. Dufart, Paris, 1838.
- 73- \_\_\_\_\_, L'Algérie en 1844, Guillaumin Libraire-Editeur, Paris, 1844.
- 74- \_\_\_\_\_, L'Algérie en 1846, Guillaumin Libraire-Editeur, Paris, 1846.
- 75- Desmichels Louis Alexis, Oran sous le commandement du général Desmichels, Librairie Militaire D'Anselin, Paris, 1835.
- 76- Dieuzaide Victor-Amédée, Histoire de l'Algérie de 1830-1878, tome I, Imprimerie de l'association ouvrière, Oran, 1880.
- 77- \_\_\_\_\_, Histoire de l'Algérie de 1830-1878, tome 2, Imprimerie de l'association ouvrière, Oran, 1883.
- 78- Drohojowska Antoinette-Joséphine-Françoise-Anne, L'Histoire de l'Algérie racontée à la jeunesse, A.Allouard Libraire-éditeur-Commissionnaire, Paris, 1848.
- 79- Dugat Gustave, Le livre d'Abd-el-Kader intitulé Rappel à l'intelligent avis à l'indifférent, Benjamin Duprat Libraire de L'Institut, Paris, 1858
- 80- Dupanloup Félix, Oraison funèbre du Général Lamoricière, Nantes, 1865
- 81- Dupont Auguste, La Clémence impériale et l'émir Abd-el-Kader, Imprimerie Baily et Divry Cie, Paris, 1852.

- 82- Dupuch Antoine-Adolphe, Abd-el-Kader au château d'Amboise, Imprimerie et Lithographie de H. Faye, Bordeaux, 1849
- 83- Estancelin Louis, Coup d'œil sur la conquête et la possession d'Alger, Félix Malteste et Cie Imprimeurs-éditeurs, Paris 1838.
- 84- Esterhazy Louis-Joseph-Ferdinand Walsin, Notice historique sur le maghzen d'Oran, Typographie de Guerrier, Oran, 1849.
- 85- \_\_\_\_\_, De la domination turque dans l'ancienne régence d'Alger, Libraire de Charles Gosselin, Paris, 1840
- 86- Fabar Paul Dieudonné, L'Algérie et l'opinion, J. Corréard éditeur d'Ouvrages Militaires, Paris, 1847.
- 87- Fallet Céline, Conquête de l'Algérie, Mégard et Cie Imprim-Libraires, Rouen, 1856.
- 88- Faucon Narcisse, Livre d'or de l'Algérie histoire politique, militaire, administrative événements et faits principaux biographie des hommes ayant marqué dans l'armée les sciences, les lettres, etc. de 1830 à 1889, Tome 1er, Biographies, Challamel et Cie éditeurs, Paris, 1889.
- 89- Filleul De Petigny Clara, L'Algérie, B. Prnin et Cie, Imp-Libraires-éditeurs, Tours, 1846.
- 90- \_\_\_\_\_, Souvenirs de voyage dans l'Asie, le Nord de l'Afrique Syrie, Algérie, Tripoli, Tunis, Etc, Eugène Ardant et cie éditeurs, Limoges, 1884.
- 91- Fillias Achille, Campagne du Maroc Tanger, Isly, Mogador, 1844 Récits militaires, Typographie et Lithographie A Bouter, Alger, 1881.
- 92- \_\_\_\_\_, Histoire de la conquête et de la colonisation de l'Algérie (1830-1860), Arnaud du Vresse Libraire-éditeur, Paris, 1860.
- 93- Fontaine de Resbecq Adolphe, Alger et les côtes D'Afrique, Gaume Frères Libraires, Paris, 1837.
- 94- Fourmestaux Eugène, Les budgets de l'Algérie et de la Tunisie, Imprimerie et librairie Administratives Paul Dupont, Paris, 1882.
- 95- G. N, Etude sur les réguliers d'Abdel-Kader, par un lieutenant du 1er tirailleur algériens, Imprimerie Destouches, Meaux, 1884.
- 96- Gaffarel Paul, L'Algérie. Histoire, Conquête et Colonisation, Librairie de Firmin-didot et Cie, Paris, 1883.
- 97- Galibert Léon, Histoire de L'Algérie Ancienne et moderne, Furne et cie Libraire –éditeur, 1843.

- 98- Gastu François Joseph, Le peuple algérien, Challamel aîné, éditeur, Paris, 1884.
- 99- Girot L, Observations historiques politiques et militaires sur l'Algérie et sur sa colonisation, Chez Madame Leneveu, Paris, 1840.
- 100- Gourmez Jule, Stances à Napoléon III, sur la mise en liberté d'Ab-el-Kader, Imprimerie centrale de Napoléon et Cie, Paris, 1852.
- 101- Guérin Victor, Discours prononcé à la distribution générale des prix du lycée d'Alger le 27 juillet 1851, Typographie Bastide, Alger, 1851.
- 102- Guilbert Aristide Mathieu, De la Colonisation du Nord de L'Afrique, Paulin Libraire-éditeur, Paris, 1839
- 103- Hennequin Amédée, La conquête de l'Algérie, Charles Douniol Libraire-éditeur, Paris, 1857.
- 104- Henri IV Loge, Tenue Solennelle du 1er Septembre 1864, initiation de L'Emir Abd-el-kader, typographie D'Alexandre Lebon, Paris, 1865.
- 105- Henri Jacob, Le Songe d'Abd-el-Kader, ou Isly, Mogador et Tanger, Gaffney Imprimeur, 1844.
- 106- Henry, Notice biographique sur les cavaliers de la plaine qui exécutent la fantasia au Champ-de-Mars, Imprimerie Centrale de Napoleon Chaix et Cie, Paris, 1851.
- 107- Hérisson LE Comte Maurice, La chasse à l'homme guerres d'Algérie, Paul Ollendorff, éditeur, Paris, 1891.
- 108- Hugonnet Ferdinand, Français et Arabes en Algérie, Imprimerie de L. Tinterlin et Cie, 1860.
- 109- Ideville Comte Henry, Le Maréchal Bugeaud d'après sa correspondance intime et des documents inédits (1784-1849), Tome premier, Librairie de Firmin-Didot et Cie, Paris, 1881.
- 110- \_\_\_\_\_, Le Maréchal Bugeaud d'après sa correspondance intime et des documents inédits (1784-1849), Tome II, Librairie de Firmin-Didot et Cie, Paris, 1885.
- 111- Jobin Abbé, La Syrie en 1860 et 1861, L. Lefort Imprimeur-Libraire, Lille, 1862.
- 112- Kloch Elie, Portrait-légende sur Abd-El-Kader, Chez Fiquet Libraire-éditeur, Paris, 1848
- 113- Kohn-Abrest Frédéric, En Algérie Trois mois de vacances, Libraire Ch. Delagrave, Paris, 1884.

- 114- L'Abbé Laurent De Saint-Aignan Valentin-Philippe, La Terre-Sainte Syrie Égypte et Isthme de Suez, C. Dillet Libraire, Paris, 1868.
- 115- Ladimir François et Moreau E, Campagnes, triomphes, revers, désastres et guerres civiles des Français de 1792 à la paix de 1856, Tome 6, Librairie Populaire des villes et des Campagnes, Paris, 1856.
- 116- Ladimir Jules François, Les guerres d'Afrique, depuis la conquête d'Alger par les Français jusques et y compris l'expédition de Kabylie en 1857, B Renault et Cie Libraires Editeurs, Paris, 1859.
- 117- Lallemand Charles, L'Ouest de l'Algérie Réseaux exploités par la compagnie de l'Ouest-Algérien, Challamel et Cie éditeurs, Paris, 1891.
- 118- Langlois Hippolyte, Souvenirs d'un prisonnier d'Abdel-Kader, Henri Plon Imprimeur-éditeur, Paris, 1859.
- 119- Lapene Edouard, Tableau historique de la province d'Oran, depuis le départ des Espagnols en 1792, jusqu'à l'élévation d'Abdel-Kader en 1831, Imprimeur de l'Académie, Metz, 1842.
- 120- Lavayssière Le Sergent, Le combat de Sidi-Brahim et le sergent Lavayssière (23, 24, 25 septembre 1845), Typographie De delattre -Lenoel, Amiens, 1883.
- 121- Laveille Auguste, Lamoricière un soldat chrétien, Desclée de Brouwer et Cie, Paris, 1895.
- 122- Lavigerie Charles, L'armée et la mission de la France en Afrique, Librairie A Jourdan éditeur, Alger, 1875.
- 123- Le Marquis De La Tour-Du-Pin, Dernières opérations de l'armée d'Afrique, Poethel Imprimerie de Beauvarlet, 1846.
- 124- Le Pays De Bourjolly Jean-Alexandre, Considérations sur l'Algérie ou les faits opposés aux théories, chez tresse Libraire, Paris, 1846.
- 125- Le Saint L, Fastes de l'Algérie ancienne et moderne, Eugene A rdant et Cie éditeur, Limoges, 1873.
- 126- Leblanc De Prébois François, Bilan de l'Algérie à la fin de l'an 1864, Imprimerie de l'Akhbar, Alger, 1865.
- 127- \_\_\_\_\_, Lettre sur l'Algérie, à MM. les membres de la Chambre des Députés, Imprimerie de Boehm et Ce, Montpellier, 1840.
- 128- Léonce André, Les Campagnes d'Afrique Récits populaires et anecdotiques, P. Lebigre-Duquesne Libraire-éditeur, Paris, 1868
- 129- Loyer Charles, La vérité sur l'échange des prisonniers français et des prisonniers arabes, Challamel Ainé Libraire-éditeur, Paris, 1870.

- 130- Marin Jean-Charles-Joseph, Rapport de l'expédition de Tlemcen à Aïn-Temouchet du 26 au 27 septembre 1846, Typographie Félix Malteste et Cie, Paris, 1847.
- 131- Martinval E, Bou-Maza scherriff des Ouled-Yonnes prisonnier des français, Chez Tous les Libraires, Paris, 1847.
- 132- Masqueray Émile, Formation des cités chez les populations sédentaires de l'Algérie, Ernest Leroux, Editeur, Paris, 1886.
- 133- Maurin A E, Lithographe. Abd-el-Kader D'après un dessin fait au fort Lamalgue, Bibliothèque nationale de France, SD
- 134- Minard Alphonse, Épisodes de la guerre d'Afrique de 1843 à 1849, J Brosseron Libraire, Chartres, 1882.
- 135- Mornand Félix, La vie arabe, Michel Levy Frères, Paris, 1856.
- 136- Nazarieux Charles-Pierre, Mémoire historique géographique et politique sur l'Algérie, Imprimerie de Worms, Paris, 1840.
- 137- Obert Henri & Carle Jule, Aperçu général de la colonisation de L'Algérie, Imprimerie de Vassale Frères, 1843.
- 138- Orleans Ferdinand-Philippe, campagne de l'armée d'Afrique 1835-1839, Michel Lévy frères éditeur, Paris, 1870.
- 139- \_\_\_\_\_, Récits de campagne 1833-1841, Calmann Lévy éditeur, Paris, 1890.
- 140- Paris Roch, De la Situation de l'Algérie depuis les massacres du 20 novembre, ou des Moyens de combattre la puissance d'Abd-El-Kader, et d'arrêter la ruine de notre colonie, Imprimerie de Bourgogne et Martinet, Paris, 1840.
- 141- Pègues Jacques-Louis, Combat de Sidi-Brahim, Imprimerie Baldachino-macon-viguiier, Alger, 1887.
- 142- Pélion M D, Considérations politiques et militaires sur l'Algérie, P Baudouin Libraire-éditeur, Paris, 1838.
- 143- Pellissier de Reynaud Edmond, Annales Algériennes, Tome Premier, Librairie bastide, Alger, 1854.
- 144- \_\_\_\_\_, Annales Algériennes, Tome Deuxième, Librairie bastide, Alger, 1854.
- 145- \_\_\_\_\_, Annales Algériennes, Tome Troisième, Librairie bastide, Alger, 1854.
- 146- Perret E, Les Français en Afrique, Bloud et barral, Paris, 1886.

- 147- Pichon Jules, Abd El Kader, sa jeunesse son rôle politique et religieux son rôle militaire sa captivité, sa mort (1807-1883), Henri Charles-Lavauzelle, Paris, 1899.
- 148- Plée Léon, Abd-el-Kader, nos soldats, nos généraux et la guerre d'Afrique, illustrés par Janet-Lange, Gustave Barra libraire-éditeur, 1874.
- 149- Poisle-Desgranges, Récit succinct d'une exploration sur le littoral d'Algérie, Chez Violet éditeur, Paris 1841.
- 150- Ponroy Arthur, Le Maréchal Bugeaud récit des champs des camps et de la tribune, Michel Lévy Frères éditeurs, Paris, 1849.
- 151- Puech Hippolyte (Fils), Le barde sur le mont Atlas ou quelques épisodes de la gloire Française, Imprimerie de la veuve gaude, Nimes, 1844.
- 152- Quesnoy Ferdinand, L'armée d'Afrique depuis la conquête d'Alger, Jouvett et Cie éditeur, Paris, 1888.
- 153- Rastoul Alfred, Le général de Lamoricière, J. Lefort Imprimeur-éditeur, Paris 1894.
- 154- Renard Jules, Histoire de l'Algérie racontée aux petits enfants, Librairie Classique Adolphe Jourdan, Alger, 1884.
- 155- \_\_\_\_\_, Les Etapes d'un Petit Algérien dans la province d'Oran, Librairie Hachette et Cie, Paris, 1888.
- 156- René De Saint-Félix, le voyage de S M l'empereur Napoléon III en Algérie et la régence de S.M l'Impératrice Mai-Juin 1865, Grande Librairie Napoléonienne, Paris, 1865.
- 157- Reuss Louis Jean Max, A travers l'Algérie, Librairie Générale de Vulgarisation, Paris, 1884.
- 158- Richard Ch, Etude sur l'insurrection du Dahra (1845-1846), Typographie A. Besancenez, Alger, 1846.
- 159- Rinn Louis, Marabouts et khouan étude sur l'islam en Algérie, Adolphe Jourdan Libraire-éditeur, Alger, 1884.
- 160- Roches Léon, Dix ans à travers l'islam 1834-1844, librairie académique didier, Paris, SD
- 161- \_\_\_\_\_, Trente-deux ans à travers l'Islam (1832-1864), Tome Premier, Librairie de Firmin-Didot et Cie, Paris, 1884.
- 162- \_\_\_\_\_, Trente-deux ans à travers l'Islam (1832-1864), Tome Second, Librairie de Firmin-Didot et Cie, Paris, 1885.

- 163- Rousset Camille, La conquête d'Alger, E. Plon et Cie Imprimeur-éditeur, Paris, 1879.
- 164- \_\_\_\_\_, L'Algérie de 1830 à 1840 : les commencements d'une conquête, Tome Premier, E. Plon, Nourrit et Cie Imprimeur-éditeur, Paris, 1887.
- 165- \_\_\_\_\_, L'Algérie de 1830 à 1840 : les commencements d'une conquête, Tome Second, E. Plon, Nourrit et Cie Imprimeur-éditeur, Paris, 1887.
- 166- Roy Just-Jean-Étienne, Histoire de l'Algérie depuis les Temps les plus reculés jusqu'à nos jours, Alfred Mame et Fils éditeur, Tours, 1880.
- 167- Rozey Armand-Gabriel, Cris de conscience de l'Algérie, Amédée Gratiot et Cie Imprimeurs du Collège Royal de France, Paris, 1840
- 168- Séjour Victor, Les massacres de la Syrie drame en huit tableaux, J Barbèè Libraire-éditeur, Paris, 1860.
- 169- Suchet Jacques (L'Abbé), Lettres édifiantes et curieuses sur L'Algérie, Ad Mameet Cie Libraire-Editeur, Tours, 1840
- 170- Touchet Stanislas, L'Anniversaire de Sidi-Brahim discours prononcé dans l'église de la Madeleine à Besançon le 21 Septembre 1891, Imprimerie et Lithographie Dodivers, Besançon, 1891.
- 171- Trumelet Corneille, Bou-Farik: une page de l'histoire de la colonisation algérienne, 2e édition, Adolphe Jourdan Libraire-éditeur, Alger, 1887.
- 172- \_\_\_\_\_, Les français dans le désert : journal historique, militaire et descriptif d'une expédition aux limites du Sahara algérien, 4e édition, 1885.
- 173- \_\_\_\_\_, Histoire de l'insurrection dans le sud de la province d'Alger en 1864, Typographie Adolphe Jourdan, Alger, 1879.
- 174- Vallée Oscar, Pages d'histoire récits de campagne du duc d'Orléans, E de Soye et Fils Imprimeurs, Paris, 1890.
- 175- Veillot Louis, Les Français en Algérie souvenirs d'un voyage fait en 1841, Alfred mame et Fils éditeurs, Tours, 1888.
- 176- Villebois-Mareuil Félix, Hommage à la mémoire du général de Lamoricière, Angets imp P. Lachèse, Paris, 1865.
- 177- Voisin Georges, L'Algérie pour les Algériens, Michel Lévy frères, Librairie-Editeurs, Paris, 1861.
- 178- Wahl Maurice, L'Algérie, Libraire Germer Baillièere et Cie, Paris, 1882.

- 179- Warnier A, L'Algérie devant L'empereur pour faire suite à l'Algérie devant le sénat et à l'Algérie devant l'opinion publique, Challamel ainé, libraire-éditeur, Paris, 1865.
- 180- William Le Chevalier, L'Émir Abd-el-Kader, Chez Les Libraires et Chez l'Auteurs, Paris, 1866.

## 2. المصادر والمراجع العامة

### 2. 1 باللغة العربية

- 1- إتيين برونو، عبد القادر الجزائري، تر ميشيل خوري، الطبعة 2، المؤسسة الوطنية للإتصال النشر والإشهار (Anep)، الجزائر، 2001
- 2- أرجمنت كوران، السياسة العثمانية اتجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر، ترجمة عبد الجليل التميمي، الشركة التونسية لفنون الرسم، تونس، 1970
- 3- الأشرف مصطفى، الجزائر الأمة والمجتمع، تر حنفي بن عيسى، دار القصة للنشر، الجزائر، 2007
- 4- البيطار عبد الرزاق، حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، تحقيق محمد بهجت البيطار، الطبعة 2، دار صادر، بيروت، 1993
- 5- التميمي عبد الجليل، بحوث ووثائق في التاريخ المغربي، الطبعة الأولى، دار التونسية للنشر، تونس، 1972.
- 6- الجزائر أحمد كمال، المفاخر في معرفة الأمير الجزائري عبد القادر والسادة الأولياء الأكابر، الطبعة الأولى، المطبعة العمرانية لأوفسيت، الجيزة، القاهرة، 1979.
- 7- الحسني محمد الجزائري (ابن الأمير): تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، الأجزاء 1-2، المطبعة التجارية، الإسكندرية، 1903
- 8- \_\_\_\_\_: تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، الأجزاء 1-2-3، تحقيق فارس احمد العلاوي، دار كنوز، الجزائر، 2015

- 9- الحسني الجزائري بديعة (الأميرة)، الأمير عبد القادر الجزائري حياته وفكره، ترجمة أبو القاسم سعد الله، الأجزاء 1-2-3، الطبعة 1، دار الوعي، الجزائر، 2012
- 10- الحفناوي أبي القاسم محمد، تعريف الخلف برجال السلف، الجزء 2، مطبعة بيبير فونتانة الشرقية، الجزائر، 1906
- 11- الخاني عبد المجيد، الكواكب الدرّية على الحقائق الوردية في أجلاء السادة النقشبندية، تحقيق محمد خالد الخرسة، دار البيروني، دمشق، 1996
- 12- الخياطي مصطفى، علاقات الأمير عبد القادر مع اليهود 1832-1847، ترجمة أمينة شيخ، منشورات ANEP، الجزائر، 2013
- 13- الزبيري محمد العربي، مدخل إلى تاريخ المغرب العربي الحديث، الطبعة 2، دار الحكمة، الجزائر، 2014
- 14- الساحلي محمد الشريف، الأمير عبد القادر فارس الإيمان، تر محمد يحياتن، منشورات ANEP، الجزائر، 2008
- 15- \_\_\_\_\_، تخلص التاريخ من الاستعمار، تر محمد هناد ومحمد الشريف بن دالي حسين، وزارة المجاهدين، الجزائر، 2002
- 16- السيد فؤاد صالح، الأمير عبد القادر الجزائري، متصوفا وشاعرا، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985
- 17- الشطي محمد جميل، روض البشر في أعيان دمشق في القرن الثالث عشر 1200-1300هـ، دار اليقظة العربية، دمشق، 1323هـ/1905م
- 18- الشقراني الراشدي أحمد بن عبد الرحمن، القول الأوسط في أخبار بعض من حل بالمغرب الأوسط، تح ناصر الدين سعيدوني، الطبعة 2، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013
- 19- العبيدي علي، طيب بوجمعة نعيمة، محاضرات في منهجية البحث التاريخي وتقنياته، النشر الجامعي الجديد، تلمسان-الجزائر، 2018

- 20- العربي إسماعيل، المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر، الطبعة 2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982
- 21- \_\_\_\_\_، معركة سيدي إبراهيم ومصير أسراها، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، رعاية الجزائر، 1986
- 22- العسلي بسام، الماريشال بيجو 1784-1849، ط2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1986
- 23- العلاوي فارس أحمد، الأمير الجزائري في دمشق، وزارة الثقافة، الجزائر، 2014.
- 24- الكلونيل اسكوت، مذكرات الكلونيل اسكوت، تحقيق وتعليق إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.
- 25- المزاري ابن عودة (الآغا)، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، تحقيق يحي بوعزيز، الجزء 2، الطبعة 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، 1990
- 26- أمين محمد، الاختراق التجاري الفرنسي للجزائر خلال العهد العثماني، مطبعة أنفو- برانت، فاس، 2015
- 27- أوصديق فوزي، النظام الدستوري الجزائري، دولة الأمير عبد القادر دراسة تحليلية مقارنة، الطبعة 2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2003
- 28- بركات محمد مراد، الأمير عبد القادر الجزائري المجاهد الصوفي، دار النشر الإلكتروني، القاهرة بدون سنة
- 29- بقبق زهرة، الأمير عبد القادر في الأسر، النشر الجامعي الجديد، تلمسان الجزائر، 2018
- 30- بن أشنهو عبد الحميد، الدولة الجزائرية في 1830 مؤسساتها في عهد الأمير عبد القادر، تر لعراجي نور الدين، موفم للنشر، الجزائر، 2013

- 31- بن التهامي الحاج مصطفى، سيرة الأمير عبد القادر وجهاده، تحقيق وتقديم وتعليق يحي بوعزيز، طبعة خاصة، دار البصائر، الجزائر، 2009
- 32- بن السبع عبد الرزاق، الأمير عبد القادر الجزائري وأدبه، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الجزائر، 2000
- 33- بن حموش مصطفى أحمد، المدينة والسلطة في الإسلام "تمودج الجزائر في العهد العثماني"، ط1، دار البصائر، دمشق، 1999
- 34- بن محي الدين عبد القادر الجزائري (الأمير)، المواقف الرؤحية والفُيُوضَات السُبُوحِيَّة، اعتنى به عاصم ابراهيم الكيالي والحسيني الشاذلي الدرقاوي، الأجزاء 1-2، الطبعة 1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 2004
- 35- \_\_\_\_\_، ذكرى العاقل وتنبيه الغافل، تقديم عشراتي سليمان، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران - الجزائر -، 2004
- 36- \_\_\_\_\_، المقرض الحاد لقطع لسان منتقص دين الإسلام بالباطل والإلحاد، ط 1، دار الطاسيلي للنشر والتوزيع، الجزائر، 1989
- 37- \_\_\_\_\_، مذكرات الأمير عبد القادر، تحقيق محمد الصغير بناني، محفوظ سماتي، محمد الصالح أَلجون، دار الأمة، الجزائر، 2007
- 38- \_\_\_\_\_، ديوان الأمير عبد القادر الجزائري، تحقيق ممدوح حقي، دار اليقظة العربية للتأليف والنشر والترجمة، دمشق، 1960
- 39- \_\_\_\_\_، ديوان الشاعر، تحقيق العربي دحو، الطبعة 3، منشورات ثالة، الجزائر، 2007
- 40- بنور فريد، الجواسيس الفرنسيون في الجزائر 1782-1830، دار الواحة، الجزائر، 2009
- 41- بوعزيز يحي، الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري سيرته الذاتية وجهاده، دار البصائر، الجزائر، 2009

- 42- \_\_\_\_\_ ، الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري، الطبعة 3، الدار العربية للكتاب، تونس، 1983
- 43- \_\_\_\_\_ ، الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري، بطل الكفاح الأمير عبد القادر، مراسلات الأمير عبد القادر، طبعة خاصة، الدار البصائر، الجزائر، 2009
- 44- \_\_\_\_\_ ، ميكيل دو ايبالزا، مراسلات الأمير عبد القادر مع اسبانيا وحكامها العسكريين بمليبية، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1985
- 45- \_\_\_\_\_ ، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرون، الجزء 1، الطبعة 2، منشورات المتحف الوطني للمجاهد الجزائر، 1996
- 46- \_\_\_\_\_ ، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، طبعة خاصة، دار البصائر، الجزائر، 2009
- 47- \_\_\_\_\_ ، علاقات الجزائر الخارجية مع الدول وممالك أوروبا 1500-1830، دار البصائر، الجزائر، 2009
- 48- بوغفالة ودان وآخرون، الأمير عبد القادر عبقرية في الزمان والمكان، منشورات مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية جامعة معسكر، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر، الجزائر، 2014.
- 49- بويجرة محمد بشير، الأمير عبد القادر رائد الشعر العربي الحديث، الطبعة 3، منشورات دار القدس العربي، وهران-الجزائر، 2009
- 50- بويحياوي عز الدين وآخرون، أثار معالم ومواقع الأمير عبد القادر، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الآمال للطباعة والنشر والتوزيع، بومرداس-الجزائر-، 2016
- 51- بيرم الخامس محمد التونسي، صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار، الجزء 4، الطبعة 1، دار صادر، بيروت، 1884
- 52- تابليت علي، بحوث في تاريخ المقاومة، الجزء الثاني، ثالة للنشر، الجزائر، 2014

- 53- تشرشل شارل هنري، حياة الأمير عبد القادر، الطبعة 1، تر أبو القاسم سعد الله، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2004
- 54- حرب أديب، التاريخ العسكري والإداري لأمير عبد القادر الجزائري 1808-1847، الجزء 1-2، الطبعة 3، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2005
- 55- خوجة حمدان بن عثمان، المرأة، تعريب وتقديم محمد العربي الزبييري، منشورات ANEP، الجزائر، 2005
- 56- رزيق محمد، العلاقات الجزائرية الفرنسية من خلال معاهد تافنة 1837، الطبعة الأولى، الشاطبية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012
- 57- سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، الأجزاء 2-4، عالم المعرفة، الجزائر، 2016
- 58- \_\_\_\_\_، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث "بداية الاحتلال"، الطبعة 3، الشركة الوطنية لنشر والتوزيع، الجزائر، 1982
- 59- \_\_\_\_\_، تاريخ الجزائر الثقافي (من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري 16-20م)، الأجزاء 1-6، الطبعة 1، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1981
- 60- \_\_\_\_\_، الحركة الوطنية الجزائرية 1800-1930، الجزء 2، الطبعة 4، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، 1992
- 61- سعيدوني ناصر الدين، عالم القرن التاسع عشر عصر الأمير عبد القادر، الطبعة 2، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012
- 62- \_\_\_\_\_، ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، الطبعة 2، دار البصائر، الجزائر، 2009
- 63- سكاون ولفريد بلنت، صقر الصحراء، ترجمة وتقديم صبري محمد حسن، الطبعة الأولى، مركز الأهرام للنشر، القاهرة، 2016.

- 64- طرشون نادية وآخرون، الهجرة الجزائرية نحو المشرق العربي -أثناء الاحتلال-، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، دار هومة، الجزائر، 2007.
- 65- عشراتي سليمان، الأمير عبد القادر المفكر، ط 1، دار القدس العربي للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011
- 66- عميرايو احميدة وآخرون، الأمير عبد القادر وتيارات فكرية غير عربية إسلامية في الجزائر، مخبر البحث في الدراسات الأدبية والإنسانية (جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة)، دار الهدى، عين مليلة الجزائر، 2006
- 67- غربي الغالي وآخرون، العدوان الفرنسي على الجزائر -الخلفيات والأبعاد-، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، دار هومة، الجزائر، 2007.
- 68- فغور دحو وآخرون، فلسفة المقاومة، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الآمال للطباعة والنشر والتوزيع، بومرداس -الجزائر-، 2016
- 69- قنان جمال، نصوص سياسية جزائرية في القرن التاسع عشر 1830-1941، طبعة خاصة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007
- 70- \_\_\_\_\_، دراسات في المقاومة والاستعمار، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1998
- 71- مجلة التاريخ، الذكرى المئوية لوفاة الأمير عبد القادر 1883-1983، عدد خاص، المركز الوطني للدراسات التاريخية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983.
- 72- مجلة الثقافة، الذكرى المئوية لوفاة الأمير عبد القادر، عدد خاص (رقم 75)، وزارة الثقافة، الجزائر، 1983

- 73- مرتاض عبد المالك، أدب المقاومة الوطنية في الجزائر، الجزء1، دار هومة، الجزائر، 2009
- 74- مسبيرو فرانسوا، سانت آرنو أو الشرف الضائع، ترجمة أحمد بكلي، دار القصبه للنشر، الجزائر، 2005.
- 75- مناصرية يوسف، مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب 1832-1847، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990.
- 76- \_\_\_\_\_، دراسة وأبحاث في المقاومة والحركة الوطنية الجزائرية 1830-1954، دار هومة، الجزائر، 2014.
- 77- نزار أباطة، الأمير عبد القادر الجزائري العالم المجاهد، الطبعة الأولى، المطبعة العلمية، دمشق، 1994
- 78- نويهض عادل، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، الطبعة 2، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت-لبنان، 1980
- 79- هلال عمار، الهجرة الجزائرية نحو بلاد الشام 1847-1918، دار هومة، الجزائر، 2007.

## 2. 2 باللغة الفرنسية

- 1- Annane laid, Chronique sue l'Algérie a l'ombre d'un frêne 1827-1837,2008
- 2- Anonyme, Captivité des prisonniers français en Algérie 1845 A 1846, Typographie Felix Malteste et Cie, Paris, 1847.
- 3- Anonyme, Colonisation de l'Algérie par un officier de l'armée d'Afrique, Librairie sociétaire, Paris, 1847.
- 4- Benkobbi Salih, La Diplomatie Algérienne, ANEP, Alger, 2010
- 5- Bessaih Boualem, Les Œuvres du Dr Boualem Bessaih, volume 1 et Volume 3, ANEP, Alger, 2010
- 6- \_\_\_\_\_, De L'Emir Abdelkader à L'Imam Chamyl, ENAG Edition, Alger, 2001

- 7- Bouamrane Chikh, Djidjelli Mohamed, L'Algérie coloniale par les Textes, ANEP, Alger, 2008 ANEP, Alger, 2010
- 8- Bouchène Abderrahmane et autres, Histoire de l'Algérie a la période coloniale, Éditions La Découverte et Éditions Barzakh, Paris et Alger, 2012
- 9- Boutaleb Abdelkader ; L'Emir Abdel- Kader et la Formation de la Nation Algérienne, Editions Dahleb, Alger, 1990
- 10- Boutin Vincent-Yves, Aperçu historique, statistique et topographique sur l'état d'Alger, 2ème éd, Typographie de J. Pinard Imprimeur du Roi, Paris, 1830
- 11- Churchill Charles-Henri, La vie d'Abd-el-Kader, Traduction et notes de Michel Habart, S.N.E.D, Alger, 1971
- 12- D'Arvieux Laurent, Mémoires du chevalier d'Arvieux, envoyé extraordinaire du Roy à la Porte, consul d'Alep, d'Alger, de Tripoli et autres Échelles du Levant : contenant ses voyages à Constantinople, dans l'Asie, la Syrie, la Palestine, l'Égypte et la Barbarie, Tome 5, recueillis de ses Mémoires originaux et mis en ordre par le R. P. Jean-Baptiste Labat, Charles-Jean-Baptiste Libraire, Paris, 1735
- 13- De Tassy Laugier, Histoire du royaume d'Alger, Henri du Sauzet, Amsterdam, 1724
- 14- Delorme Christian, l'Emir Abdelkader à Lyon, Valmy, Lyon, 2008
- 15- Devoux Albert, les édifices religieux de l'ancien Alger, Typographie Bastide, Alger, 1870
- 16- Dinesen A V, Abd-el-Kader, Traduction Fondation Emir Abdelkader, Anep, Alger, 2001
- 17- Emerit Marcel, L'Algérie à l'époque d'Abd-el-Kader, Editions Larose, Paris, 1951
- 18- Étienne Bruno, Abdelkader Isthme des isthmes (Barzakh al- barazikh), Hachette Livre, Paris, 1994
- 19- Féraud Charles-L, Les Interprètes de l'Armée D'Afrique, A Jourdan Libraire-éditeur, Alger, 1876
- 20- Fontaine de Resbecq Adolphe, Notice sur le doctorat en droit, Auguste Durand Libraires, Paris, 1857
- 21- Gautier Émile-Félix, Le passé de L'Afrique du Nord les siècles obscurs, petite Bibliothèque Payot, Paris, 1952
- 22- Gsell Stéphane et Autres, Histoire et Historiens de l'Algérie, Librairie Félix Alcan, Paris, 1931

- 23- Haëdo Fray Diego, De la captivité à Alger, traduction de Moliner-Violle, Typographie Adolphe Jourdan, Alger, 1911.
- 24- \_\_\_\_\_, Histoire des rois d'Alger, traduite et annotée par H. -D. de Grammont, Adolphe Jourdan, Alger, 1881.
- 25- \_\_\_\_\_, Topographie et histoire générale d'Alger, Traduit de l'espagnol par : MM. le Dr. Monnereau et A. Berbrugger, 1870
- 26- Julien Charles André, Histoire de L'Algérie Contemporaine, Casbah éditions, Alger, 2005
- 27- Kaddache Mahfoud, L'Emir Abdelkader Art et Culture, 2ème édition, Ministère de l'information, Alger, 1982
- 28- Marçais William et Autres, Histoire et Historiens de l'Algérie, Librairie Félix Alcan, Paris, 1931
- 29- Monicat Bénédicte, Itinéraires de l'écriture au féminin voyageuses du 19e siècle, Rodopi, Amsterdam, 1996
- 30- Nettement Alfred, L'histoire de la conquête d'Alger, Librairie Jacques Lecoffre, Paris, 1867
- 31- Pellegrin Nicole et autres, Histoires d'historiennes, Publication de l'Université de Saint-Etienne, Saint-Etienne, 2006
- 32- Raynal Guillaume-Thomas, Histoire philosophique et politique des établissements et du commerce des Européens dans l'Afrique, T 1, AmableCostes libraire-éditeur, Paris, 1826.
- 33- Renaudot M, Alger. Tableau du royaume, de la ville d'Alger et de ses environs, 4ème éd, Librairie Universelle de P. Mongie Ainé, Paris, 1830
- 34- Sahli Mohamed chérif, Décoloniser l'histoire, Enap, Alger, 1986
- 35- Schefer Christian, La Conquête total de L'Algérie 1839-1843, Valée, Bugeaud et Sault, Edouard Champion, Paris, 1916
- 36- Teissier Henri, l'Emir Abdelkader, Centre Culturel du Livre édition/distribution, Casablanca, 2020.
- 37- Venture de Paradis Jean-Michel, Alger au XVIIIe siècle, édité par E. Fagnan, Typographie Adolphe Jourdan, Alger, 1898.
- 38- Yver Georges, Les correspondances du capitaine Daumas, édition El Maarifa, Alger, 2008
- 39- Yver Georges et Autres, Histoire et Historiens de l'Algérie, Librairie Félix Alcan, Paris, 1931

### 3. مجلات وملتقيات

#### 3.1 باللغة العربية

- 1- البوعبدلي المهدي، "أضواء على تاريخ حياة الأمير عبد القادر قبل توليته من خلال مذكراته التي سجلها في قصر أمبواز"، مجلة التاريخ، عدد 2، المركز الوطني للدراسات التاريخية، الجزائر، 1975
- 2- \_\_\_\_\_، "وثائق أصيلة تلقي أضواء على حياة الأمير عبد القادر"، مجلة الثقافة، عدد 75، وزارة الثقافة، الجزائر
- 3- الجندي أحمد، "الأمير الشاعر"، مجلة الثقافة، عدد 75، وزارة الثقافة، الجزائر، 1983
- 4- العايب معمر، "علاقات الأمير بالأمريكان (1836-1837): الأسباب والخفيات"، المجلة التاريخية المغاربية، عدد 169، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، 2018
- 5- العربي إسماعيل، "سفارة ميلود بن عراش لدى الملك لويس فليب"، مجلة التاريخ، العدد 06، المركز الوطني للدراسات التاريخية، الجزائر
- 6- \_\_\_\_\_، "حكومة الأمير عبد القادر إدارتها ومهامها"، مجلة الثقافة، عدد 75، وزارة الثقافة، الجزائر، 1983
- 7- القاسمي المأمون، "الطريقة الرحمانية"، ضمن كتاب الحياة الروحية للأمير عبد القادر، مؤسسة الأمير عبد القادر، موفم للنشر، الجزائر، 2011
- 8- المدني أحمد توفيق، "أبطال المقاومة الجزائرية: حمدان عثمان خوجة، أحمد باي، الأمير عبد القادر والدولة العثمانية"، مجلة التاريخ، العدد الرابع، المركز الوطني للدراسات التاريخية، الجزائر، 1977
- 9- بركاني رابح، معاهدات الأمير عبد القادر مع المستعمر الفرنسي (الأسباب والنتائج)، مجلة الحوار المتوسطي، المجلد الثاني عشر، العدد 2، ماي 2021، ص ص 214-230

- 10- بقطاش مرزاق، "الأمير عبد القادر في قصيدة للشاعر فيكتور هيغو"، مجلة الثقافة، عدد 75، وزارة الثقافة، الجزائر، 1983
- 11- بلقراد محمد، "الجانب الصوفي والثقافي في حياة الأمير عبد القادر الجزائري"، مجلة التاريخ، عدد خاص، المركز الوطني للدراسات التاريخية، الجزائر، 1983
- 12- بن داود أحمد، "المقاومة الثقافية للأمير عبد القادر من خلال التعليم"، مجلة عصور الجديدة، عدد 75، جامعة وهران، الجزائر، 2014
- 13- بن هدوقة عبد الحميد، الأمير عبد القادر والمجاهدة اللامتكافئة"، مجلة الثقافة، عدد 75، وزارة الثقافة، الجزائر، 1983
- 14- بناني محمد الصغير، "معالم شخصية الأمير عبد القادر من خلال شعره (معالم فكره السياسي)"، الثقافة، العدد 96، وزارة الثقافة بالجزائر، الجزائر، 1986
- 15- \_\_\_\_\_، "معالم شخصية الأمير عبد القادر من خلال شعره"، الثقافة، العدد 93، وزارة الثقافة بالجزائر، الجزائر، 1986
- 16- بورويبة رشيد، "القلاع والحصون والمؤسسات التي أنشأها الأمير عبد القادر"، مجلة الثقافة، عدد 75، وزارة الثقافة، الجزائر، 1983
- 17- بوزيد بومدين، "الأمير عبد القادر الجزائري "هزيمة" الحرب وانتصار المعرفة"، ضمن كتاب تبر الخواطر في فكر الأمير عبد القادر، تأليف جماعي، ط1، دار القدس العربي، الجزائر، 2000
- 18- بوعزيز يحي، "الطريقة القادرية"، ضمن كتاب الحياة الروحية للأمير عبد القادر، مؤسسة الأمير عبد القادر، موفم للنشر، الجزائر، 2011
- 19- بونار رابح، "الأمير عبد القادر حياته وأدبه"، مجلة آمال، عدد خاص عن الأمير عبد القادر، الجزائر، 1970
- 20- حاجيات عبد الحميد، "الأمير عبد القادر وإنتاجه الأدبي"، مجلة التاريخ، عدد خاص، المركز الوطني للدراسات التاريخية، الجزائر، 1983

- 21- دراغو محمد، "منطلقات الأمير عبد القادر السياسية والعسكرية في المقاومة وبناء الدولة الوطنية"، مجلة الدراسات التاريخية والاجتماعية، العدد 47، جامعة نواكشوط العصرية، موريتانيا، 2020.
- 22- \_\_\_\_\_، "الجزائر في كتابات الفرنسيين قبل الاحتلال 1830م"، المجلة المغربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، المجلد 14، العدد 02، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، 2022.
- 23- \_\_\_\_\_، "شخصية الأمير عبد القادر في الكتابات الفرنسية خلال القرن 19م"، مجلة الفكر المتوسطي، المجلد 11، العدد 02، مخبر حوار الحضارات والديانات في حوض البحر الأبيض المتوسط، جامعة تلمسان، الجزائر، 2022.
- 24- روان فتيحة، حنفي عائشة، خبيزي محمد، "الوظيفية في عمارة القصور الصحراوية قصر عين ماضي بالأغواط نموذجا"، مجلة الدراسات الإسلامية، (الصفحات 123-136)، الجزائر، 2017.
- 25- سعيدوني ناصر الدين، "العلاقات بين الأمير عبد القادر والحاج أحمد باي وانعكاسها على المقاومة الجزائرية في أوائل عهد الاحتلال"، مجلة الدراسات التاريخية، العدد الثاني، جامعة الجزائر، الجزائر، 1986.
- 26- \_\_\_\_\_، "النظام الضرائبي لدولة الأمير عبد القادر"، مجلة الثقافة، عدد 75، وزارة الثقافة، الجزائر، 1983.
- 27- شرشار عبد القادر، "شخصية الأمير عبد القادر من منظور الآخر. ترجمة كتاب عبد القادر لقوستاف دوقا أنموذجا"، إنسانيات، العدد 19-20، مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية (CRASC)، وهران، 2003.
- 28- شريط عبد الله، "مشكلة الحكم الإسلامي في دولة الأمير عبد القادر ونظرية الشيخ ابن باديس"، مجلة الثقافة، عدد 75، وزارة الثقافة، الجزائر، 1983.

- 29- شلالي عبد الوهاب، "أهمية مؤلفات ضباط جيش الاحتلال الفرنسي في توثيق جرائمهم في الجزائر: كتاب الكونت ديريسون Le Compte D'Hérison أنموذجا"، مجلة عصور، عدد 18-19، جامعة وهران، الجزائر، 2012، الصفحات 527-547
- 30- صاري جيلالي، "دور البيئة الطبيعية في إستراتيجية الأمير عبد القادر"، مجلة الثقافة، عدد 75، وزارة الثقافة، الجزائر، 1983
- 31- صيام زكرياء عبد الرحمن، "الأصالة والتجديد في شعر الأمير عبد القادر"، مجلة الثقافة، عدد 75، وزارة الثقافة، الجزائر، 1983
- 32- طيبي محمد، "الدراية المعرفية والتدبير السياسي قراءة في الارهاصات الجيوسياسية للفكر الأميري"، ضمن كتاب تبر الخواطر في فكر الأمير عبد القادر، تأليف جماعي، ط1، دار القدس العربي، الجزائر، 2000
- 33- عزوي محمد الطاهر، "تصوف الأمير عبد القادر"، ضمن كتاب الحياة الروحية للأمير عبد القادر، مؤسسة الأمير عبد القادر، موفم للنشر، الجزائر، 2011
- 34- عميرواي احميدة، "الأمير عبد القادر والذاكرة الجمعية الجزائرية"، ضمن كتاب الأمير واجب الذاكرة وتحديات الساعة، مؤسسة الأمير عبد القادر، منشورات ثالة - الأبيار، الجزائر، 2006
- 35- عيسى علي، "الأخلاقيات القتالية عند الأمير عبد القادر"، مجلة الثقافة، عدد 75، وزارة الثقافة، الجزائر، 1983
- 36- فقيقي محمد الكبير، "قراءة تحليلية في أسباب فشل المقاومات الشعبية الجزائرية خلال القرن 19م"، مجلة عصور، العدد 18-19، جامعة وهران 1986
- 37- قداش محفوظ، "جيش الأمير عبد القادر تنظيمه وأهميته"، مجلة الثقافة، عدد 75، وزارة الثقافة، الجزائر، 1983
- 38- مزيان عبد المجيد، "عبقرية متكاملة"، مجلة الثقافة، عدد 75، وزارة الثقافة، الجزائر، 1983

39- ياسين كاتب، "الأمير عبد القادر واستقلال الجزائر"، مجلة الثقافة، عدد 75، تر محمد

هناد، وزارة الثقافة، الجزائر، 1983

40- يزلي عمار، "الظروف السوسيو-تاريخية لمقاومة الأمير عبد القادر: الخلفيات

والمرجعيات"، ضمن كتاب تبر الخواطر في فكر الأمير عبد القادر، تأليف جماعي، ط1،

دار القدس العربي، الجزائر، 2000

### 3. 2 باللغة الفرنسية

1- Arnaud Marc, Traduction d'une Poésie d'Abd-el-Kader, Revue Africaine, Volume 5, A. Jordan Libraire-éditeur, Alger, 1861, pp314-316.

2- Arnaud T, Siège d'Ain-Madi par El Hadj Abd-el-Kader Ben Mohiédine, Revue Africaine, Volume 8, A. Jordan Libraire-éditeur, Alger, 1864, pp354-371, 435-453

3- Azan Paul, Bugeaud et l'Algérie Compte rendu par Gabriel Esquer, Revue Africaine, Volume 71, A. Jordan Libraire-éditeur, Alger, 1930, pp416-417.

4- \_\_\_\_\_, Le Général Bedeau (1804-1863, Revue Africaine, Volume 50, A. Jordan Libraire-éditeur, Alger, 1906, pp317-335.

5- Bahloul Mohammed, L'Emir Abd-El-Kader face aux Catégorie de la Modernité Occidentale, Fondation Emir Abdelkader (section d'Oran), L'Emir Abdelkader Source D'authenticité... Précurseur de Modernité, Colloque International 23-24-25 /2004, ENAG Editions, Alger, 2011

6- Benachenhou Mourad, La Trahison, Source de fierté, Titre de gloire?, Le Quotidien D'Oran, N° 6792, 23 mars2017.

7- Berbrugger Adrien, Ouichah El Kataïb, Règlement relatif à l'Armée d'Abd-el-Kader, Revue Africaine, Volume 08, A. Jordan Libraire-éditeur, Alger, 1864, pp98-103.

8- \_\_\_\_\_, El Hadj Moussa ou l'homme à l'âne et L'émir Abd-el-Kader en 1835, Revue Africaine, Volume 01, A. Jordan Libraire-éditeur, Alger, 1856, pp41-49.

9- \_\_\_\_\_, Notice sur M. Pellissier, Revue Africaine, Volume 2, A. Jordan Libraire-éditeur, Alger, 1857-1858, p-p 419-426

10- Bernard Auguste, Émile Masqueray, Revue Africaine, Adolphe Jourdan libraire-éditeur, Alger, 1894, p-p 350-373

- 11- Caillé J, Le Curé de Mascara et L'émir Abd-el-Kader 1845, Revue Africaine, Volume 88, A. Jordan Libraire-éditeur, Alger, 1944, pp227-238.
- 12- Cherbonneau Auguste, Nécrologie, in-Revue Africaine, Volume 13, A. Jordan Libraire-éditeur, Alger, 1869, p-p 319-324
- 13- Cherif Mustapha, L'Emir Abdelkader, le modèle, Colloque international : L'Emir le devoir de mémoire et les défis de l'heure, Fondation Emir Abdelkader, Thala Edition, Alger, 2006.
- 14- Cochut André, Du Sort des classes Laborieuses, in-Revue des Deux Mondes, Volume 32, Au Bureau de la revue des Deux Mondes, Paris, 1842, p-p 26-41
- 15- Cour A, L'occupation Marocaine de Tlemcen (Septembre 1830-Janvier 1836), Revue Africaine, Volume 52, A. Jordan Libraire-éditeur, Alger, 1908, pp29-73.
- 16- \_\_\_\_\_, La Poésie Populaire Politique Au Temps de L'émir Abd-el-Kader, Revue Africaine, Volume 59, A. Jordan Libraire-éditeur, Alger, 1918, pp458-493.
- 17- Delpech A, Histoire d'El Hadj Abd-el-Kader par son cousin El Hossin Ben Abi Taleb (Traduction), Revue Africaine, Volume 20, A. Jordan Libraire-éditeur, Alger, 1876, pp417-455.
- 18- Denis Gril, Les Mawâqif de L'Emir : inspiration coranique et universalité du message, Colloque international : L'Emir le devoir de mémoire et les défis de l'heure, Fondation Emir Abdelkader, Thala Edition, Alger, 2006
- 19- Emerit Marcel, Le conflit Franco-Marocaine de 1844 d'après les notes de Warnier, Revue Africaine, Volume 94, A. Jordan Libraire-éditeur, Alger, 1950, pp399-402.
- 20- \_\_\_\_\_, La légende de Léon Roches, Revue Africaine, Volume 91, A. Jordan Libraire-éditeur, Alger, 1947, pp81-105.
- 21- \_\_\_\_\_, Bugeaud par l'épée et la charrue, Revue Africaine, Volume 92, A. Jordan Libraire-éditeur, Alger, 1948, pp420-421.
- 22- \_\_\_\_\_, Toustain du Manoir au pays d'Abd-el-Kader, Revue Africaine, Volume 99, A. Jordan Libraire-éditeur, Alger, 1955, pp113-116.
- 23- \_\_\_\_\_, Paul Azan, Hommes et Destins, tome II, volume 1, Académie des Sciences d'outre-mer, 1975, pp 33-35

- 24- Geoffroy Eric, L'Emir, modèle contemporain de « l'homme universel », Colloque international : L'Emir le devoir de mémoire et les défis de l'heure, Fondation Emir Abdelkader, Thala Edition, Alger, 2006
- 25- Gognalons L, Une Proclamation de l'Émir Abdelkader aux habitants de Figuig 1836, Revue Africaine, Volume 57, A. Jordan Libraire-éditeur, Alger, 1913, pp245-264.
- 26- Gossez Alphonse-Marius, Un adversaire de la colonisation en Algérie, Revue d'Histoire du XIXe siècle, Tome 27, Numéro 132, Frédéric Rieder & Cie éditeurs, Paris, Mars-avril-mai 1930, p-p 26-42.
- 27- Grammont H-D, L'Émir El-Hadj Abd-el-Kader par Patorni, Revue Africaine, Volume 33, A. Jordan Libraire-éditeur, Alger, 1889, pp331-332.
- 28- Judith Lyon-Caen, Le romancier, Lecteur du social dans la France de la Monarchie de juillet, in-Revue d'histoire du XIXe siècle, Volume 24/2005, La Société de 1848, Paris, 1 juin 2002, p-p 15-32
- 29- Maussion, Relation de l'expédition de Mascara 1835, Revue Africaine, Volume 68, A. Jordan Libraire-éditeur, Alger, 1927, pp105-107.
- 30- Patorni F, Une improvisation de L'Émir El-Hadj Abd-el-Kader, Revue Africaine, Volume 40, A. Jordan Libraire-éditeur, Alger, 1896, pp278-281.
- 31- Robin C, Note historique sur la grande Kabylie de 1838 à 1851, Revue Africaine, Volume 244-245, A. Jordan Libraire-éditeur, Alger, 1902, pp41-78.
- 32- Toustain du Manoir, Journal de mon voyage d'Alger au Ghréris, près de Mascara, Revue Africaine, Volume 99, A. Jordan Libraire-éditeur, Alger, 1955, pp117-152.
- 33- Vauthier Gabriel, Le premier évêque d'Alger, in-La Révolution de 1848 et les révolutions du XIXe siècle, Tome 26, Numéro 130, septembre-octobre-novembre 1929, p-p 414-420
- 34- Yacono X, L'Algérie depuis 1830, Revue Africaine, Volume 100, A. Jordan Libraire-éditeur, Alger, 1956, pp145-190.
- 35- Yver Georges, Abd-el-Kader et le Maroc en 1838, Revue Africaine, Volume 60, A. Jordan Libraire-éditeur, Alger, 1919, pp93-111.
- 36- \_\_\_\_\_, Proposition faites au Gouvernement français par des aventuriers offrant de livrer Abd-El-Kader (1842-1846), Revue Africaine, Volume 55, A. Jordan Libraire-éditeur, Alger, 1911, pp137-159.
- 37- \_\_\_\_\_, les préliminaires de la négociation de la Tafna, Revue Africaine, Volume 64, A. Jordan Libraire-éditeur, Alger, 1923, pp529-543.

- 38- \_\_\_\_\_, Lettre de Ben Allal au maréchal Valée, Revue Africaine, Volume 58, A. Jordan Libraire-éditeur, Alger, 1914, pp06-19.
- 39- \_\_\_\_\_, Le Général Azan, in-Revue Africaine, volume 96, A. Jordan Libraire-éditeur, Alger, 1952, p-p 250-259

### 3. 3 الرسائل والأطروحات الجامعية

- 1- تلمساني بن يوسف، الطريقة التجانية وموقفها من الحكم المركزي بالجزائر (الحكم العثماني- الأمير عبد القادر-الإدارة الاستعمارية) 1782-1900، (مخطوط)، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، الجزائر، 1998/1997
- 2- سهيلي محمد أمين، قاعدة درء المفسد أولى من جلب المصالح (دراسة تحليلية)، (مخطوط)، الجامعة الإفريقية العقيد أحمد دراية-أدرار، الجزائر، 2006/2005
- 3- عبيد مصطفى، التأثير الفرنسي في الحضارة الشرقية من خلال موسوعي وصف مصر واستكشاف الجزائر العلمي دراسة تاريخية تحليلية مقارنة، (مخطوط)، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2014-2013
- 4- علاق محمد، الأمير عبد القادر في كتابات العسكريين الفرنسيين، (مخطوط)، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2012/2011.

### **3.4 Les Colloques**

- 1- Fondation Emir Abdelkader, La vie spirituelle de L'Emir, Colloque d'Alger 29 juin-01 juillet 1998, ENAG Editions, Alger, 2011.
- 2- Fondation Emir Abdelkader (section d'Oran), L'Emir Abdelkader Source D'authenticité.. Précurseur de Modernité, Colloque International 23-24-25 /2004, ENAG Editions, Alger, 2011.
- 3- Fondation Emir Abdelkader (section d'Alger), L'Emir le devoir de Mémoire et les Défis de l'Heure, Colloque International Alger 25-26 Mai 2005, Thala Editions, Alger, 2006.
- 4- الملتقى الوطني "مقاومة الأمير عبد القادر بمنطقة تلمسان، الواقع والتحديات"، مخبر الدراسات الحضارية والفكرية، جامعة تلمسان، 30 أكتوبر 2022.

#### 4. القواميس

- 1- Annuaire de l'Armée française, ministère de la guerre, Berger-Levrault et Cie Libraires éditeurs, Paris, 1891
- 2- Bouillet Marie-Nicolas, Dictionnaire universel d'histoire et de géographie, 26eme édition, Librairie Hachette et Cie, Paris, 1878
- 3- Bouillet Marie-Nicolas, Dictionnaire universel d'histoire et de géographie (Supplément), 33eme édition, Librairie Hachette et Cie, Paris, 1908
- 4- Mullié Charles, Biographie des célébrités Militaires, Tome premier, Poignavant et Cie éditeurs, Paris, sans date précise (18..)
- 5- Robert Adolphe & Cougny Gaston, Dictionnaire des Parlementaires Français 1789-1889, Bourloton éditeur, Paris, 1890
- 6- Vapereau Gustave, Dictionnaire Universel des Contemporains, Librairie Hachette et Cie, Paris, 1870.

#### 5. المواقع الإلكترونية

[gallica.bnf.fr/edit/und/a-propos](http://gallica.bnf.fr/edit/und/a-propos)

[catalogue.bnf.fr/ark:/](http://catalogue.bnf.fr/ark:/)

[wikipedia.org/wiki](http://wikipedia.org/wiki)

[perche-gouet.net/histoire/personne](http://perche-gouet.net/histoire/personne).

Base nominative personnes et familles IREL, Site Archives nationales d'outre-mer (Anom)

Jüdisches Museum Hohenems, Hohenems Généalogie

# فهرس الموضوعات

## فهرس الموضوعات

- أ.....مقدمة.....01
- 01.....الفصل التمهيدي الجزائر في الكتابات الفرنسية قبل وأثناء الاحتلال.....03
- أولاً: الجزائر في كتابات الفرنسيين قبل الاحتلال.....03
1. المجتمع الجزائري في كتابات الفرنسيين.....04
2. الجزائر المستثمرة الفلاحية الكبيرة والقطب التجاري العالمي.....09
3. التحريض على غزو الجزائر في كتابات الفرنسيين.....10
- ثانياً: الجزائر في كتابات الفرنسيين بداية الاحتلال.....14
4. تآزم العلاقات الجزائرية الفرنسية وبداية الحملة.....16
5. الأرشيف العثماني ومصيره مع الحملة.....18
- الفصل الأول تقرير إحصائي كمي لكتابات الفرنسيين إبان القرن 19م حول الأمير عبد القادر دراسة لعينات .....22
1. حجم كتابات الفرنسيين إبان ق19م التي تناولت الأمير عبد القادر .....23
2. مخطط بياني لحجم كتابات الفرنسيين عن الأمير عبد القادر (عينة شملتها الدراسة) .....37
3. مخطط بياني لحجم كتابات الفرنسيين عن الأمير عبد القادر (ذكورا وإناثا) .....39
4. مخطط بياني لحجم كتابات الفرنسيين عن الأمير عبد القادر (حسب التخصصات الوظيفية والمهنية للمؤلفين) .....45
5. مخطط بياني عن حجم كتابات الفرنسيين عن الأمير عبد القادر (حسب انتماء الكتاب للمناطق الفرنسية) .....56
- الفصل الثاني الأمير عبد القادر في كتابات الفرنسيين إبان القرن 19م عرض وتقديم نماذج مرحلة المقاومة 1830-1847 .....58
- أميدي ديسجوبير Amédée Desjobert .....60
- لويس ألكسيس دي ميشال Louis Alexis Desmichels .....68

- أدولف فنتان دو ريباك Adolphe Fontaine de Resbecq 72.....
- لويس فليبير برين دوبينيوسك Louis-Philibert Brun D'Aubignosc 74.....
- أوجين بوري Eugène Buret 79.....
- أدريان بيربروجير Adrien Berbrugger 85.....
- أميدي هيبوليت بروسارد Amédée Hippolyte Brossard 93.....
- أشيل هيبوليت بلان Achille-Hippolyte Blanc 98.....
- الفصل الثالث الأمير عبد القادر في كتابات الفرنسيين إبان القرن 19م عرض وتقديم**
- لنماذج مرحلة الأسر والمنفى (بروصه والشام) 1883-1848 102.....
- أرنست كاريت وأوغست وارنيي Ernest Carette & Auguste Warnier 103..
- بيليسي دي رينو Henri-Jean-François-Edmond Pellissier de Reynaud 107..
- لويس بلان Louis Blanc 114.....
- كارلوس بوفيل Carlos Bouville 121.....
- ألكس بلمار (Alexandre) Alex Bellemare 124.....
- لويس بليستروس Luis Ballesteros 128.....
- رتشارد كورتوبير Richard Cortambert 130.....
- أندري ليونس André Léonce 133.....
- أنطوانيت جوزفين فرانسواز آن دروهوجسكا Drohojowska Antoinette- 140.....
- جوزفين فرانسواز آن دروهوجسكا Drohojowska Antoinette- 140.....
- سيلين فالي Céline Fallet 142.....
- مختارات لكتابات أخرى 146.....
- الفصل الرابع الأمير عبد القادر في كتابات الفرنسيين إبان القرن 19م عرض وتقديم**
- لنماذج كتابات المرحلة الأخيرة من وفاته إلى نهاية القرن 1883-1900 147.....
- ليون روش Léon Roches 152.....

- 160..... François-Charles Du Barail فرانسوا شارل دي برال
- 162..... Henry Abbé هنري القس
- 164..... Alpinus ألبنوس
- 165..... Ferdinand De Lesseps فرديناند دي ليسبس
- 168..... Jules Pichon جول بيشون
- 170..... André Berthet أندري بيرتي
- 173..... Frédéric Kohn-Abrest فريديريك كون أبرست
- 176..... Clara Filleul de Pétigny كلارا فيال دي بتيني
- 179..... Narcisse Faucon نرسييس فوكون
- 180..... مختارات لكتابات أخرى

#### الفصل الخامس شخصية الأمير عبد القادر في الكتابات الفرنسية إبان القرن 19م

- 1-النشأة التربوية والاجتماعية للأمير عبد القادر.....191
- 2-ملاحم وخصال شخصية الامير عبد القادر . 195
- 2. 1 الخلق الحسن والمعاملة الحسنة.....195
- 2. 2 قوته العقلية والروحية.....197
- 2. 3 التزام الأمير بالعهود والمواثيق.....198
- 2. 4 كفاءة الأمير في القيادة والتسيير والتدبير.....200
- 3-تمسك الأمير بمبادئ الشريعة الاسلامية مدعاة للتعصب الديني . 207
- 4-رد المؤرخين على اراء الكتابات الفرنسية حول الأمير عبد القادر . 214
- 5-أهداف وغايات الأمير عبد القادر من حصار عين ماضي (جوان 1838م/جانفي 1839م) نتائجه وانعكاساته .....218
- 5. 1 مركزية عين ماضي لدى الطريقة التجانية.....219
- 5. 2 الضرورة الشرعية والسياسية لحصار عين ماضي.....220

223.....	5. 3 التطورات العسكرية لحصار عين ماضي
225.....	5. 4 الدور الفرنسي في الصراع وعواقبه
230.....	<b>الفصل السادس مؤلفات الأمير عبد القادر في كتابات الفرنسيين</b>
232.....	1- الأمير عبد القادر شاعرا.
236...1849	2- مذكرات الأمير عبد القادر "سيرة ذاتية" كتبها في السجن سنة 1849
240.....	3- ذكرى العاقل وتنبيه الغافل
244.....	4- المقراض الحاد لقطع لسان منتقص دين الإسلام بالباطل والإلحاد
248.....	5- في رحاب المواقف
254.....	6- التعليم في اهتمامات الأمير عبد القادر
255.....	6. 1 رسوخ الفعل التعليمي لدى الأمير عبد القادر
256.....	6. 2 التعليم في دولة الأمير عبد القادر
259.....	6. 3 التنوع الثقافي الغائب
262.....	6. 4 مكتبة الأمير ودورها التربوي
265.....	خاتمة
276.....	ملاحق
294.....	قائمة المصادر والمراجع
326.....	فهرس الموضوعات

## ملخص

تحاول هذه الدراسة إحصاء وجرد ببليوغرافي انتقائي متنوع، لكل ما كتبه الفرنسيين عن شخصية الأمير عبد القادر خلال مقاومته للاحتلال الفرنسي إبان القرن التاسع عشر، مع مراعاة الدقة في التوثيق لهذه المصادر واعتماد المنهج الإحصائي في جرد المادة التوثيقية والمنهج التاريخي الوصفي في عرض الوقائع والأحداث. حيث وثقت لنا هذه الكتابات رصيда هاما من تاريخ الأمير عبد القادر والجزائر عموما ولفترات متباينة من تاريخها، مبرزة هذا الإرث التاريخي بأبعاده الوطنية والدينية وحتى الإنسانية، يستوجب استثماره من الناحية التربوية، الإعلامية، الأكاديمية، السياسية والاقتصادية.

**الكلمات المفتاحية:** الجزائر، الأمير عبد القادر، الاحتلال الفرنسي، كتابات الفرنسيين، المقاومة الجزائرية.

## Résumé

Cette étude tente de recenser et de faire un inventaire bibliographique sélectif de tout ce que les Français ont écrit sur la personnalité de l'Emir Abdelkader lors de sa résistance à l'occupation française au XIX<sup>ème</sup> siècle, en tenant compte de l'exactitude dans la documentation de ces sources et de l'adoption de l'approche statistique dans l'inventaire de la matière documentaire et de l'approche historique descriptive dans la présentation des faits et des événements. Alors que, ces écrits ont documenté pour nous un atout important de l'histoire de l'Emir Abdelkader et de l'Algérie en général et pour différentes périodes de son histoire, mettant en évidence cet héritage historique avec son identité nationale, religieuse et même humaine, ce qui nécessite son investissement en termes éducatifs, médiatiques, académiques, politiques et économiques.

**Mots-clés :** Algérie, Émir Abdelkader, Occupation française, écrit des Français, résistance Algérienne.

## Summary

This study attempts to identify and make a selective bibliographical inventory of all that the French wrote about the personality of Emir Abdelkader during his resistance to the French occupation in the 19th century, taking into account the accuracy in the documentation of these sources and the adoption of the statistical approach in the inventory of documentary material and the descriptive historical approach in the presentation of facts and events. Thus, these writings have documented for us an important asset of the history of the Emir Abdelkader and the Algeria in general, for different periods of its history, highlighting this historical heritage with its national, religious and even human identity, which requires its investment in educational, media, academic, political and economic terms.

**Keywords:** Algeria, Emir Abdelkader, French occupation, writings of the French, Algerian resistance.